د. سفيان عبد اللّطيف

أصول قبايل منطقة جيجل

من خلال المصادر

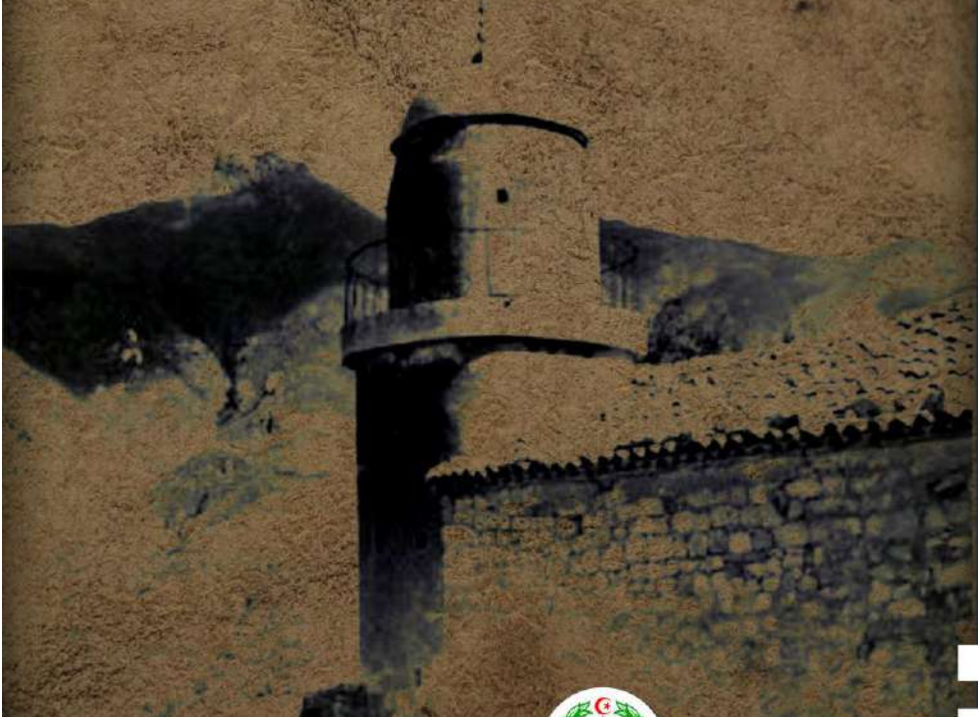

مطبوعات
جمعية الوفاء والتواصل

هذه الطبعة الإلكترونية من هذا الكتاب..

هدية وصدقة جارية لروح المرحوم بإذن الله

سي عزالدين أوسياف

المناضل المجاهد وابن عائلة الشهداء

رحمه الله وأحسن إليه

كتاب

أصول قبايل منطقة جيجل

من خلال المصادر

د. سفيان عبد اللّطيف

❖ عنوان الكتاب: **أصول قبايل منطقة جيجل من خلال المصادر**

❖ المؤلف: **د. سفيان عبد اللطيف**

❖ رقم الطبعة: **01**

❖ تاريخ الطبعة: **1440هـ / 2019م**

حقوق نشر هذه الطبعة:

جمعية الوفاء والتواصل لولاية جيجل - الجزائر

جميع الحقوق محفوظة

إلى التي تعرف أنني أعنيها..

عيني التي ترى الجمال.. بيتي الذي أسكنه..

يميني التي أكتب بها.. رسّامة سعادتي في الحياة..

مسرد المصطلحات

استلحام	Fusionnement	ظُهُور	Domination
بِنْيَة	Structure	تعايُش	Cohabitation
روافد	Affluents	أخلاَط	Amalgames
تكنفُد	Unification	مجال	Territoire
تدافُع	Concurrence	تفكيك	Dissociation

مختصرات الهامش

م س	**Op.cit**	المصدر/ المرجع السّابق
م ن	**Ibid**	المصدر/ المرجع نفسُه
م ص ن	**Ibidem**	المصدر/ المرجع والصفحة نفسُهما

الفهرست

مقدمات 15

مدخل/ **مكانة الأصول في بنية الهويّة الوطنيّة**

1- الهوية الوطنية بِنيَة متطورة لا جامدة 33

2- مفاهيم (التّدافُع) و(الظّهور) و(التعايُش) في الهوية الوطنية 35

❖ أكذوبة النقاء العرقيّ 39

❖ مكيدَة العصبيّة اللُّغويّة 42

الفصل الأول/ **التواجد البشري بمنطقة جيجل في ما قبل التاريخ**

1- الروايات الأسطوريّة (Mythologie) 49

❖ تيار الأصل السّامي 50

❖ تيار الأصل الحامي 53

❖ تيار الأصل الأوروبي 59

2- المعطيات الإناسيّة (Anthropologie) 63

❖ آثار الإنسان المنتصب (Homo Erectus) 63

❖ آثار الإنسان الإيبيرومغربي (Ibéromaurusien) 67

❖ آثار الإنسان القفصي (Capsien) 71

3- المجال الجيجلي في مسار تشكل المجموعات البربريّة 74

❖ أجناس العصر الحجري الحديث (Néoli-gentes) 77

❖ أجناس فجر التاريخ (Proto-gentes) 78

❖ أجناس العصر القديم (Antico-gentes) 80

الفصل الثاني/ **أجناس منطقة جيجل في العصر القديم**	
1- كنفدراليّات الحقبتين اللّيبيّة والفينيقيّة	84
❖ كوتاما (KUTAMA)	89
❖ مـاصيل (MASSYLI)	96
❖ شيتواي (CHITUÆ)	98
❖ جيمـيلاّي (GEMELLÆ)	104
❖ زواغ (ZEUGHITANE)	107
2- كنفدراليّات الحقبـة الرومانيّة	109
❖ سيتيـان (SITTIANI)	110
❖ كويـداموزي (CŒDAMUSII)	113
❖ كويرينا (QUIRINÆ)	115
❖ زيميز (ZIMISES)	118
❖ إيزافلانس (ISAFLENSES)	123
❖ بافار (BAVARES)	125
3- كنفدراليّات الحِقبَتين الونداليّة والبيزنطيّة	128
❖ أُكُوتَامَنْ (UKUTAMAN)	129
4- خـلاصة في تشكُّل بنيَة الفرد الجيجلي في العصر القديم	132
الفصل الثالث/ **كُتامَة: كنفدراليّة منطقة جيجل في العصر الوسيط**	
1- كُنفدراليّة كُتامة (أُكُوتَامَنْ)	135
❖ تسميَة كتامـة	135
❖ حقيقة الأمازيغ والبربر	140

❖ كتامة والمسلمُون الفاتحون 142
2- فروعها ومجالاتها 146
❖ كنفدراليّة كتامة: من التشكّل إلى التفكّك 147
❖ كنفدراليّة كتامة: من التفكّك إلى إعادة التشكّل 157
❖ مجالات كتامة: بين التوسع والانحسار 163
3- مواطن تبادل الهجرات مع كتامة منطقة جيجل 169
❖ دلّس (سباو) 169
❖ تلمسان 171
❖ المغرب الأقصى (قصر دنهاجة، البصرة، أزيلا، ملوثة، بني يستيتن، بني سدّات، بني يدر) 173
❖ طرابلس ليبيا (زواغة) 188
❖ الصحراء الغربية (الساقية الحمراء وواذي الذهب) 190
❖ الأندلس (الجزيرة الخضراء) 191
❖ اليمن (بني هلال وبني سليم) 192
❖ تونس (جزيرة جربة) 194
❖ مصر (القاهرة) 195
4- خلاصة في تشكُّل بنيَة الفرد الجيجلي في العصر الوسيط 197

الفصل الرابع/ **قبايل الحدرة: كنفدراليّة منطقة جيجل في العصر الحديث**

1- من كتامة إلى قبايل الحدرة 200
2- الروافد المشكّلة لكنفدرالية قبايل الحدرة بمنطقة جيجل 204
❖ الروافد الكتاميّة 204
❖ الروافد البربرية 206

❖ الروافـد العربيّة 209

❖ روافد رجال الشرفاء والأولياء الصالحين 219

❖ روافد الأسر الأندلسيَّة والتركيّـة 232

❖ روافد الأقليّات اليهوديّة والأوروبيّة 242

3- مغالطات الرواية الشفهيّة والتقارير الفرنسيّة 248

4- خلاصة في تشكُّل بنيَة الفرد الجيجلي في العصر الحديث 257

الفصل الخامس/ **أشهر المنتسب إليهم من الشرفاء والأولياء الصالحين**

1- نسب رجال الشرفاء 260

❖ عبـد العزيز 260

❖ أحمد العابد مولى الشقفة 264

❖ محمـد بن آمقران 270

❖ محمـد بن عبد الله بن الأحرش 276

2- نسب الأوليَاء الصالحين 284

❖ أحمـد بن ثابت 284

❖ يخلف بن حسـان 288

❖ بوجناح 290

❖ محمـد القلّيل 291

❖ المرابـط موسى 295

❖ سعـد العتيق 296

الفصل السادس/ **الأخلاط المتكنفدة بمنطقة جيجل**

1- الكيان القبليّ: قدر التدافع وسُنّة الاستلحام 302

2- أسس النسب في حال أخلاط منطقة جيجل 306
3- مسار تطور البِنيَة القبَليّة لمنطقة جيجل 311
❖ مرحلة التكنفُد والاستلحـام 311
❖ مرحلة التحصّن والهجرة والنفور 312
4- توزُّع مجالات الأخلاط المتكنفدة 315
❖ أخلاط مجالات كنفدراليّة دهَاجة (دناقْة) 317
أولاد عيدون 326
انفصال عرش أولاد علي عن أولاد عيدون 337
بني بلعيد 341
المشاشـطة 347
أولاد عطيّـة 351
أولاد مبارك 358
الأعشـاش 362
بني تيفوت 371
بني فرقـان 375
أولاد بوفـاهة 383
❖ أخلاط مجالات كنفدراليّة إجانة 388
بني خطاب 392
بني سيـار 398
انفصـال عرش أولاد عواط عن بني سيار 401
بني عيشة 404

بني فتح	409
بني أحمد	412
أولاد بلعفو	417
بني معمّر	421
بني يدر	425
بني حبيبي	433
بني مسلم	440
بني صالح	443
انفصال عرش الجناح عن بني صالح	447
بني عمران	450
انفصال عرش أولاد عسكر عن بني عمران	461
بني قايد	464
❖ أخلاط مجالات كنفدراليّة ملوسة	471
بني زُونداي (زلدوي)	472
انفصال قبيلة بني تليلان عن بني زُنداي	477
بني صبيح	479
بني سڨوال	481
بني فوغال	484
بني ورزدّين	490
بني خزر	492
أولاد تبّان	495

أولاد نابت 498

أولاد طافر 500

أولاد عبد الرحمن 503

❖ أخلاط مجالات كنفدراليّة جيمْلة 504

جيملة 506

بني عافر 508

بني سكفال (بني سكفان/بني سكتان) 513

بني زرارة (بني آجيس/ بني عجيس/عجيسة) 516

زواغة 521

ذيل الكتاب

خاتمة 525

المصادر والمراجع 529

الملاحق 539

تقريـــظ

د/ نور الدين قريمط

جامعة محمد بوقرة – بومرداس

مترجم وزارة الخارجيّة . الجزائر

هذا الكتاب محاولة للغوص في تاريخ منطقة جيجل وسبره، وبالخصوص بحث في أصول سكانها وفروعهم، وضبط الخلط الحاصل في هذا الشأن، اعتمد فيه المؤلف مبادئ البحث العلميّ، من تمحيص للوثائق وتحقيق للمخطوطات، فانتقى ما يثري تاريخ هذه المنطقة التي لم تُعطَ حقّها في كتب التاريخ المعاصرة، لعوز المصادر والمراجع، وكذا لاعتقاد بائسٍ سائدٍ بأن تاريخ منطقة جيجل حديث!! وأنه لا وجود لنصوص تاريخيّة مكتوبة، عدَا الأساطير الشفهيّة وبعض ما توارثته الأجيال!!

هذا الاعتقاد البائس قوّض جهود الباحثين والمؤرخين الذين سايروه، وأبعدهم عن جادّة البحث العلمي الموضوعي، فاكتفوا في أبحاثهم وكتبهم بما ورد في تقارير الفرنسيين التي ـ بالرغم من صحة الكثير من معلوماتها ـ حملت إجحافًا كبيرا في حق سكان هذه المنطقة، من حيث تناولت بالذكر فروعها دون أصولها، متبعة في ذلك سياسة (فرّق تسُد)، وأهملت ذكر بطولات أهلها وثوراتهم مثل (إمارة ابن الأحرش) و(مقاومة مدينة جيجل) وثورة (أولاد عيدون) و(ثورة مولى الشقفة).. وبالخصوص الإسهامات المتميزة والتضحيات الجسيمة التي بذلها سكانها الأحرار من مختلف الربوع إبان ثورة التحرير الجزائرة المجيدة.

هذا الكتاب تكملة للمسيرة الغرّاء للباحث أخي وصديقي الأستاذ سفيان عبد اللطيف، أستاذ وباحث في الترجمة والآداب والتاريخ والتراث، الذي لم يدّخر جهدًا في البحث عن المصادر والمراجع، وانتقاء الموثوق منها ابتغاء التعريف بتاريخ منطقة جيجل وتحديد أصول سكانها، فتتحقق بذلك المعرفة القويمة به، ويوحّد هذا البحث بين سكانها ويجمع شملهم، ويربط أجيال اليوم بأمجاد ماضيها العريق، وذلكم هدف الباحث من بحثه هذا، وأنا على ذلك شهيد.

وفي الختام أتمنى أن يكون هذا الكتاب ومؤلفه مثالا يحتذى به عند العزم على التأريخ لمنطقة جيجل، والتأصيل لتاريخها وسكانها، وأن يكون بادرة تعطي آفاقا جديدة لبحوث أخرى تضاف لموروثنا الثقافي، ويشرفني كذلك أن أتقدم بخالص الشكر والعرفان للباحث العزيز على قلوبنا جميعًا، لما له من يدٍ بيضاء أسهمت في التعريف بالمنطقة تاريخا وتراثًا.

الحدادة – جيجل في: 20 فيفري 2019

تقديـــم

د/ حسين بوبيدي
جامعة عبد الحميد مهري – قسنطينة2

يسعى الأستاذ الباحث سفيان عبد اللّطيف في هذا العمل على تقديم مقاربة تأسيسيّة حول موضوع القبائل والأعراش التي سكنت وتسكنُ المجال الجيجلي، وهي المقاربة التي تقدم العديد من الأجوبة على الأسئلة الملحّة التي يطرحها الكثير من الناس حول مسارات تعمير هذه المنطقة، والعلاقات الموجودة بين مختلف حواضرها وأريافها، وذلك عبر العودة إلى النصوص التاريخية التي يمكنها أن تقدم معلومات يسترشد بها وينطلق منها، ومع شح هذه النصوص؛ وعدم تغطيتها للسياقات الزمانية والمكانية، ووجود الكثير من الفراغات التي تمنع من متابعة مختلف التحولات التي حدثت في المجال من خلالها؛ فإن الباحث عمل على تجميع الشذرات وإقامة علاقات بين مختلف الإشارات؛ من أجل تجميع حلقات التاريخ، وتقديم صورة يستطيع القارئ من خلالها أن يربط بين فصول الماضي ويمدها نحو الحاضر.

لم يفت الباحث أن ينبه دوما إلى أن المجموعات التي تسكن المجال لم تعش خارج التجاذبات التاريخية والهجرات المختلفة، ولذلك يؤكد على أن المجال شهد تطعيما مستمرا لنواته السكانية الكتامية، مؤكدا على أن كتامة التي أمدت المغرب والمشرق برجالها في توسعاتها وهجراتها وحراكها بخلفياته المتعددة، قد اندمجت فيها مجموعات عديدة، وعادت إليها مجموعات منها هاجرت واختلطت بغيرها ثم رد

الحنين أحفادها إلى مجالاتهم الأصلية، وهي كتامة ذاتها التي انفتحت على الإسلام طواعية، وأسهمت في تاريخه وحضارته بفاعلية، واختار أبنائها لغة القرآن وفق سيرورة متدرجة لم تمنعهم من الاحتفاظ بخزان بالغ الأهمية من لسانهم القديم الذي لا يزال شاهدا في أسماء الأماكن والكثير من الألفاظ الدارجة.

إن هذا العمل بقدر ما يقدم أجوبة فإنه يفتح المجال للعديد من الأسئلة، ذلك أنه لتعقيده وصعوبته يحتاج إلى تفكيك مستمر لألغازه وعودة دائمة إلى مصادره، ومن هنا يبدو استثمار مختلف الوثائق الأرشيفية الإيطالية والاسبانية والعثمانية والفرنسية بالغة الأهمية من أجل تحصيل مادة جديدة ترصد لنا الحراك المتواصل في المجالات الكتامية الجيجلية، وتقيم الدلائل على مستوى التمازج الذي وقع في حواضر وأرياف وجبال المنطقة، وتسمح بقراءة أنواع المؤثرات الداخلية والخارجية التي شكلت الثقافة الجيجلية وصنعت موروثها الشعبي، وفي هذا السياق تبدو المقاربة الأنوماستيّة وخصوصا الطوبونيميّة ذات دلالة جد مفيدة من أجل قراءة العمق التاريخي وتفسير الحراك السكاني والتحول اللغوي.

لقد بذل المؤلف جهدا كبيرًا في هذا العمل، وقدم الكثير من الآراء التي ناقش من خلالها رؤى مخالفة لباحثين آخرين أو لروايات شفوية ذائعة بين السكان، ووظف في البحث عن الأصول والجذور مختلف الاستدلالات التي يستعملها المؤرخون، ومع ذلك فإن العديد من الآراء لا تعد نتائج نهائية ولا أحكامًا قطعية في موضوع من طبيعته تشعب الآراء وكثرة المقاربات، ويبقى العمل الأرشيفي والتدقيق المصدري

والمنطقية الاستدلالية وتنويع المقاربات التاريخية أدوات كل الباحثين الراغبين في الحفر عميقًا تنقيبًا عن تاريخ أجدادهم بعد أن وضع لهم المؤلف قاعدة هامة ينطلقون منها.

تاسيفت – الطاهير في: 23 فيفري 2019

مقدّمة المؤلف

د/ سفيان عبد اللّطيف
جامعة 8 ماي 1945 قالمة

بسم الله الرّحمن الرّحيم

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِن ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآيِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ" الحُجُرات (13)

لطالما كانت الكتابة في أصول القبايل وفروعها مجلبة الشك ومظنة السّوء عند الناس، لما يُعتقد فيها من نيّة الفتنة وقاعدة التفريق، ولكن ما يُنجي الباحث في حقل الأصول من هذا الشك هو أهميّة ضبط الأنساب في كل العصور، والتي تعدّ من الركائز الرئيسة لثقة الإنسان بنفسه واطمئنانه لهويته بعيدًا عن التمييز العرقيّ الممقوت، إذ لا يخالف عاقلٌ في أنّ الله عز وجلّ خلق شعوبًا كثيرةً مختلفةٌ ألوانهم وألسنتهم وأشكالهم، ولكنه سبحانه وتعالى ساوى بينهم تمام المساواة ودعاهم للتعارف والتخالط والتساكُن، ثم حدّد المقياس الوحيد الأوحد للتمايز بينهم وهو (التقوى) بمفهومها الذي يعني تحري البعد عن ما يغضبُ الله عزّ وجلّ، بفعل الخير والانتهاء عن الشر، وإذّاك لا جدوى من تخيّل فضلِ أحدهم على الآخر أو سبقِه له أو أقدميته عليه في أرضٍ هي لله يورثها من يشاء.

إن أهميّة معرفة الناس ببنيتهم النَّسَبيّة تكمنُ في ربط حاضر الفرد بماضيه الذي يكتسي طابع الأنظمة السياسية التي كان عليها، ولا يخفى على أحد من الدارسين أن أرض الجزائر عامّة ومنطقة جيجل خاصة ظلّت تحتكم للنظام السياسيّ القبليّ منذ وجودها الأول إلى غاية المرحلة الاستعمارية الفرنسيّة، حتى في أعظم عصور تحضرها، إذ كانت الأسر الحاكمة في المدن والممالك والدول هي رؤوس قبايل معينة يختارها الناس أو يخضعون لها بحد السّيف، وهذا ما يجعل معرفة الأفراد بأصولهم القبليّة مفتاحًا من مفاتيح ربطهم بتاريخهم الماضي القريب والبعيد.

أما منطقة جيجل فقد أدى غياب الدراسات المونوغرافية لها إلى تراكم قدرٍ غير يسير من الادعاءات الصّادمة المتناميَة، وحكمت فيها الرواية الميثولوجية الجمعيّة علم الأصول النسَبيّة زمنًا طويلاً، ما أدى إلى انتشار خلطٍ عظيمٍ يُنذر بالفتن المهلكة، وأنتج مجموعة من مظاهر تعديل الأنساب بما يتوافق مع مقتضيات كل دولة من الدول الإثنيّة، كالادعاء أن قبايل جيجل من السّاقية الحمراء ووادي الذهب بالصحراء الغربية تقرُّبًا للمرابطين الملثمين، وادعائهم في الأدارسة الشرفاء تقرُّبا للموحدين والمرينيين والحفصيين والعثمانيين، وادعائهم في مهاجري الأندلس أيضًا، وأخطر من هذا وذاك ادعاء بعض المحدَثين والمعاصرين أن منطقة جيجل هجرت ثم أعيد تعميرها، وأن سكانها أفرادٌ وأسرٌ تجمعوا من هنا وهناك لتتشكل بمرور الزمن قبايل جديدة، وهذه الادعاءات وغيرها منتشرة بين أهل المنطقة انتشارًا رهيبًا..

وفي ظل وجود هذا الزخم من الأساطير الموضوعة التي ما فتئ يصدّقها الناس طلبًا للحظوة وطمعًا في استنساب الأمجاد لأنفسهم، لدرجة خطيرة أصبحت فيها هذه الخرافات تزاحم الحقائق التاريخية المثبتة، وجدنا أنفسنا أمام الإشكال الآتي:

ما هي الروافد التي كوّنت البِنيَة النَّسَبيّة للفرد الكُتامي الجيجلي عبر العصور؟

إنه إشكالٌ معقّدٌ ومركّبٌ في مستويات متمايزة زمانيًّا ومكانيًّا وحدثيًّا، إذ كيف استطاع الكتاميون الصمود والحفاظ على كيانهم طيلة هذه العصور المليئة بالصراع والتدافع؟ ولماذا تقلبت فروعهم كل هذا التقلُّب بين تسمياتٍ كثيرة نجدها كل مرة مرتبطة بمقتضيات العصور؟ هل من تفسير لظاهرتي الانتشار والانحسار المجالي التي تبادلتها عليهم القرون؟ إلى أي مدى تستطيع المصادر البخيلة في حق منطقة جيجل أداء واجبها في نقل تفاصيل الحراك الديموغرافي والعوامل التي تحكمت فيها؟

إننا نفترض إمكانية الإحاطة بالروافد الأصوليّة المتكنفِدَة المشكّلة لبنية الفرد الكتامي الجيجلي، لأن المصادر التي تحدثت عن المنطقة – بالرغم من بخلها – منحتنا إحالات جادّة تتضمن الأسماء والأحداث والمنعرجات التاريخية الأهمّ التي مرت بها مراحل تشكُّل هذه البنية، مما يسمح على الأقل ببناء مقاربة تتحرى رصد الحراك الديموغرافي الذي كان له أثرٌ فعليّ على التركيبة السكانية لمنطقة جيجل، باستعمال الأدوات البحثية اللازمة حسب كل حالة، مع الالتزام دائمًا بتجريحٍ صارمٍ لما نقلته المصادر قبل استثماره في هذا العمل.

إن هذه الدراسة تهدفُ أساسًا إلى الاستجابة لضرورة تاريخية، هي كثرة الطلب على شأن الأنساب، لأن ادعاءات النّسب أصبحت بابًا من أبواب المفاضلة التي يجب أن نهرع إلى كيلِها ووزنها، ليحسّ كل الجزائريين في كل مكان من الوطن أنهم على قدم المساواة، ونخصّ بالذكر المناطق الريفيّة التي لا تزال القبليّة تأخذ منها نصيبًا جديًّا تُخشى منه الفتن والمهالك، ومن أجل تمتين أواصر الوحدة بين الجزائريين، من خلال عرض تجليّات الاندماج الذي يستحيل فرزه للروافد البربرية والعربيّة والأندلسيّة والتركية وغيرها.. المتكنفدة في مجتمع واحد، لتشاركهم في مصير واحد وأحداث تاريخية واحدة، بغض النظر عن اختلاف لهجاتهم وألوانهم وعوايدهم !!

وكذلك تتصدى دراستنا هذه للمشروع الاستدماري التفريقي العملاق المشتمل في سياسة (فرّق تسُد)، وأبرزُ عناصره قانون (التلقيب) الذي تسبب الفرنسيون من خلاله في إعداد خارطة قبَليّة جديدة تبدأ من الصفر، فتم فيه التفريق بين الأخ وأخيه والابن وأبيه بألقابٍ أكثرُها مشينٌ مهينٌ، وقُطِع فيه الخيط التاريخي الواصل بين أجيال اليوم وبين أصولها القديمة التي تحمل أمجادها ومفاخرها، حتى تصوروها في باب الأساطير والخرافات، لأن الاستدمار ألبسها ثوبًا تاريخيا جديدًا نسب إليه ما شاء من الحسن والقبيح، وكثيرا ما قابلنا ذلك في الوثائق الفرنسية التي تتحدث عن القبايل الجزائرية عند الفرنسيين أنفسهم، وعند بعض الجزائريين الذين أخذوا عنهم ببصائر عمياء وآذان صمّاء، كأن ما كتبوه وحيٌ غير قابل للنقاش !!

ولقد قصَرنا دراستنا هذه على مجال جغرافي محدّد هو منطقة جيجل لعدة أسباب، أولها صعوبة البحث المتسع الذي يتطلب من الباحث إفناء عمره لاستيفائه، وقد تصدّى لهذا الحجم من الدراسات عمالقة الدارسين الجزائريين من أمثال مبارك الميلي وموسى لقبال والدراجي بوزياني وغيرهم.. وثانيها رغبتنا في العمل على منطقة مبخولة الدراسة المونوغرافية، حتى تكون لبنة جادّة في بناء الصرح العلميّ لها.

وقد اتبعنا في بحثنا هذا منهج دراسة حالة، فجعلناهُ مصنفًا في مدخل يسير وستة (06) فصول، مرتبة ترتيبًا كرونومنطقي يسمح للقارئ الكريم بإدراك تعقيدات التشكُّل التي مرت بها البِنية الأصولية للفرد الجيجلي داخل مجاله الجغرافي، باستعمال الأدوات البحثية المناسبة، والتي أبرزها الجينيالوجيَا والأُنوماستيك والطوبونيميا والجيوسياسة والميثولوجيا والديموغرافيا.. وغيرها فكلُّها أدوات ناجعة في هذا الشأن.

أما المدخل فسخّرناه لـ(**مكانة الأصول العرقيّة في بنية الهويّة الوطنيّة**) حتى نشرح وجهة نظرنا من عنصر الأصول النّسَبيّة ودوره في بنيَة الهويّة الفردية ثم الجماعيّة الوطنيّة، والقوانين الكونيّة التي تتحكّم في مسار تطور هذا العنصر، وكذلك دوره في صناعة الشخصية ومنحها ركائز تحفظها من الاصطفاف غير الواعي، وكل ذلك لنُنجيَ هذا البحث من تهمة العنصرية العرقيّة، ونُصلحَ الأفكار الحائمة حوله حتى يكون في مفازة عن بلاَء التفكيك باستحيَاء الحميّات الجاهليّة، وبعث الأفضليّات الأسطوريّة التي ما فتئت العقول المغرضة تتخذها قواعد انمياز.

وأما الفصل الأوّل فعنوانه (**التواجد البشري بمنطقة جيجل في ما قبل التاريخ**)، وقد جعلناه نقاشًا للآراء الإثنية القديمة التي اعتمدت على عنصر واحد من مناهج الاستنسَاب، وأهملت العناصر الأخرى لمقاصد متعلقة دومًا بالطروحات السياسية السائدة، وذلك رجاء تهيئة قاعدة تنظيرية متينة تبعِدُ القارئ الكريم عن مفهوم العصبيّة العرقيّة غير المعقولة، وتجعله يؤمن بناموس الاختلاط النسبيّ ويسلّم بمفهوم التكنفُد ومقاربة الاستلحام القسري والإرادي في سيرورة التشكل الأصولي لكل ما يُخيّل إلينا اليوم أنه قبايل إثنية متمايزٌ بعضُها عن بعض.

وأما الفصل الثاني فقد وسمناه بـ(**أجناس منطقة جيجل في العصر القديم**)، وفيه نستعرض الحراك البشري الداخلي والخارجي الذي كان له أثرٌ مدلّلٌ عليه بمنطقة جيجل في العصر القديم، والذي مزج العناصر الأولى المشكلة لبِنيَة الفرد الكتامي الجيجلي في تلك المراحل الغائرة، بالرغم من عوز التفاصيل الدقيقة لهذه المرحلة التي تقل فيها المؤلفات المصدرية، وتعوضها اللُّقى الأثرية المتوزعة في نواحي المجال.

وأما الفصل الثالث فعنوانه (**كتامة: كنفدراليّة منطقة جيجل في العصر الوسيط**)، ويكتسي أهمية بالغةً في التأصيل للفروع القَبَليّة الموجودة اليوم وموضعتها في الأحداث التي صنعت وجودها، إذ تسعفنا فيه المصادر المتوفرة بالمنطلقات والدلائل الحدثيّة اللازمة لبناء مقاربة بشأن تلك الفروع، وهذه المواطن هي التي اصطلحنا على ما جاءت به من الأجناس بمصطلح (الروافد)، ويحسن تمييزها في الحقبة الوسيطية.

وأما الفصل الرابع فوسمهُ (**قبايل الحدرة: كنفدرالية منطقة جيجل في العصر الحديث**)، وفيه ندرسُ المرحلة الثالثة من التشكل الأصولي للمجال الجيجلي في العصر الحديث، والذي تمثله آخر عمليات التكنفُد التي بقيت خارطتها إلى زمن الفرنسيين واستمرت إلى يومنا هذا مع بعض التغييرات المدوّنة التي تحتاج إلى بحث منفصل لإيضاحها. وسيلاحظ القارئ لهذا الكتاب أننا لم نولِ الحركة الديمغرافية لزمن احتلال الفرنسيين والفُروع الحديثة المتفرعة خلالها، العنايةَ التي أوليناها للأصول الكبرى البعيدة، وذلك أن أهل الفروع الموجودة اليوم والأسر التي تنتمي إليها يحفظون أنسابهم في سجّلات الحالة المدنيّة للبلديّات، بينما تغيب عنهم أصول تشكل قبايلهم وهو الأمر الذي يشغلهم سائر الوقت، ويجتهدون أيّما اجتهاد في البحث عنه.

وأما الفصل الخامس الموسوم (**أشهر المنتَسَب إليهم من الشرفاء والأولَياء الصالحين**) فقد جعلناه خالصًا لتوضيح ظاهرة الانتساب في الشرفاء والمرابطين والأولياء الصالحين بالمفهوم الذي يتبنّاه المتصوفة، لأنها أبرز ظاهرة مازالت ممارسة إلى يومنا هذا، مما فرض علينا الغوص في المصادر المتوفرة للتحقيق في نسبِ كلّ واحد من هؤلاء بالأدوات العلميّة البعيدة عن التخريف والأسطرة، للخروج بمقاربة مقنعة تزيلُ اللبس عن هذه الموجة العامة التي لم يتخلف عنها أهلُ قبيلةٍ ولا سكانُ مدينةٍ.

وأما الفصل السادس وعنوانه (**الأخلاط المتكنفدة بمنطقة جيجل**) فنعرض فيه للإشكالات الجوهرية التي تعتري العمل الأصولي لمنطقة جيجل، ونؤسس نظريًّا لـ(**مقاربة الاستلحام**) التي أخذنا مصطلحها الخلدوني عن حسين بوبيدي، لنقترحها

في بحثنا هذا منهجًا مبنيًّا على أسس النسب العلميّة الصّارمة، ثم نكبّ على تفاصيل مكونات القبايل الموجودة اليوم، والمنقسمة بين مجالات غلبة أربع كنفدراليّات كتامية كبرى في المجال الجيجلي هي (دنهاجة، إجّانة، جيملة، ملّوسة)، بالرغم من تسبّب الأحداث السياسية الوسيطيّة في تقهقر هذه التسميات الكتاميّة إلى بطون الكتب واقتصارها على الجانب الطوبونيمي، ولكن جعلها عناوين للتصنيف الكنفدرالي من شأنه في اعتقادنا أن يساعد القارئ الكريم على إدراك هذا التحديد المجالي التداخلي بين هذه الكنفدراليات من جهة، ويوسّعُ فهمه لدواعي الفرار من تسميات هذه الجذور الحاملة للنسب الكتامي الذي طغت عليه الدُّول الوسيطيّة بتهمة التشيّع الذي لم يكن سوى مركبٍ سياسيٍّ ركبت به كتامة سدّة الخلافة.

إننا نسجل رغبةً مُلحّة وتشوّقًا عاصفًا لدى جمهور القرّاء لمعرفة الروافد الأصوليَّة التي أنتجت الفرد الجيجلي، وهو ما دفعنا إلى خوض غمار هذا البحث العسير، الذي حاولنا أن لا نترُك فيه مصدرًا يمكن الاتكال عليه في ربط أنسابهم إلاّ أوردناه، وقد سبقنا إلى هذا الموضوع علي خنوف الذي ـ بالرغم من مآخذنا عليه في اعتماده الحذر المقتصر على تقارير الفرنسيين ـ اعترف أن جمهور القراء طالبه عند إخراجه للطبعة الأولى من كتابه (تاريخ منطقة جيجل قديما وحديثا) سنة 2007، بإيراد كل ما أمكنه الوصول إليه في مسألة الأصول، فزاد في الطبعة الثانية لسنة 2011 المزيدة والمنقحة بعض تقارير الفرنسيين التي وجدها في الجرائد الرسمية والكتب تلبية لطلب أولئك القراء وأشار إلى ذلك في مقدمة تلك الطبعة.

إن مقارباتنا الواردة في كل مفصل من مفاصل هذه الدراسة لا تعدو أن تكون اجتهادات توخّينا فيه الاقتراب قدر الإمكان من منطق الإقناع، والاعتماد على الأُسس الأكاديمية لعلم الأنساب، ولكننا نؤكد على ما ذكره صديقنا حسين بوبيدي في آخر تقديمه لهذا الكتاب، بأن هدفنا من البحث ليس الوصول إلى أحكام قطعيّة ونتائج نهائية، لأن ذلك من قبيل المحال في موضوع الأنساب، ولكننا فقط نروم الوصول إلى ما من شأنه أن يقنعَ القارئ بوجهة نظرنا التي بنيناها على ما وصلت إليه أيدينا من المصادر كما هو مشار إليه في عنوان هذا الكتاب، وقد نُصيب في مقارباتنا فيكون لنا أجران، وقد نخطئ فيها فيكون لنا أجرُ الاجتهاد على الأقل، وليعلم كل من قرأ كتابنا هذا أن المقاربات الواردة فيه كلّها فوقها كلمةُ (والله أعلم)، وأننا إنما أردنا به الخير والصلاح، والله دليلنا في ذلك وهو الموفق، والحمد لله رب العالمين.

الخناق – الميليَّة في: 2019/02/27

مدخل:

مكانة الأصول في بنية الهويّة الوطنيّة

بمجيء عهد الدول الوطنية في عصرنا هذا، التي تعتمد على شرعيّة الأحداث التاريخية والديموقراطية التشاركيّة، أخلط الناس طويلاً في قضية (الهوية الوطنيّة) وأضلّهم الطامحون السياسيُّون بإثارة القلاقل الفكريّة التي تحاول أن تجعل الهوية كيانًا صلدًا جامدًا لا يتطوّر ولا يتجدّد، وتُحيطُه القدسيّة البالغة التي تهدد من يجترئ على مناقشته بالخروج على جماعته، فيُرمى إذاك بسوء النيّة والخيانة ويعاقب بالعزل والطرد وغيرها من تهم الزندقة المتجددة في كل عصر. هذا الفكرُ المرتاح للجمود تواجهه في الجهة المقابلة جماعاتٌ متخالفة تتبنى فكرًا تفكيكيًّا يوغلُ في محاولة إعادة فرز عناصر الهوية الوطنية المتمازجة كليًّا بعضُها عن بعض، والتعامل مع عنصر تختاره تعاملاً متطرّفًا ذاتيَ المذهبِ بداعي كونه أَوْلَى بالعناية والاعتماد من العناصر الأخرى، ومقدّمًا عليها وأكثر قدسيّة منها، فتهدد بهذا الفكر الراديكالي سلامة البِنية المجتمعيَّة المتعايشة وتثير مشاعر التعصُّب والحميّة الجاهلية عند عناصر الخليط البشري المكوّن للمجتمع.

والحق البيّن الذي لا يختلف عليه أحدٌ من المختصين أن المجتمعات كلّها في هذا الزمن قد تجاوزت قضيَّة المكوّن العرقي من خلال التسليم التام بنظرية اختلاط الأجناس، دون التغاضي عن بقاء علاماتٍ تدلّ على ظهور أحدِ العناصر على الأخرى واضحةً لمن يتحراها من منطلق هذا التسليم، ومن ثمة يناقش الأمر من منطلقات ثلاثة لا مفر منها، تكون حصرًا للإشكال في أُطُره المعرفيّة، وتشخيصًا لأحوال المتطرفين فيه، وعلاجًا نهائيًّا لهذه القضية.

1- الهوية الوطنية بِنيَة متطورة لا جامدة:

إن الهوية من منطلق كونها تمثُّلًا عاطفيًّا معتقديًّا لفكرةٍ مَا، لها علاقة بالذات البشرية الفرديّة والجماعيّة، تُصبح وطنيّةً عندما تتمازج تلك المعتقدات طوعًا وكَرهًا طيلة مدّة تاريخيّة معينة، وتُفضي في نهاية المطاف إلى تحقيق تعايش بينها ليتشكل بذلك مجتمع يتشاركها على فضاء جغرافي معيّن.

ولكن هذه الأفكار لا تكون ثابتة، إذ يعتريها بتطاول الدهور الحاجة إلى المراجعة، إمَّا للتأكد من ثبوتيتها ورصد حيثيات تطوّرها، أو للتخلص منها بوصف التطور المعتقديّ اكتشف ضلالها أو عدم صلاحها أو عدم تناسبها مع متطلبات العصر. ولكن عمليّة مثل هذه تكون في غاية الحذر والهدوء بوصفها تلامس عاطفة المؤمنين بهذه الأفكار فتثير الحميّة والصّراع، والسّبيل الوحيد إذاك هو فتح المجال للتوجيه الإلهي ثم للعقل البشري ليقتنع بها شيئا فشيئا، وتجربة ذلك أن أخلاط الشعوب السّامية في شبه الجزيرة العربية (الكنعانيين، القحطانيين، العدنانيين..) بعاصمتهم (مكة) تعايشت بينهم عناصر هوية منها:

✓ الأصول العرقية: إذ بالرغم من كونهم أخلاطًا قبليّة من عشائر شتى تتّحد فيما بينها في كل مرة لتكون قوة جديدة، إلاّ أنهم تقبلوا الأمر وتعايشت قبائلهم اعتمادًا على العودة إلى مشترك الانحدار من النبي إبراهيم عليه السلام.

✓ الوحدة اللغوية: كذلك كان اللّسان العربي أشتاتًا من لهجات مختلفة متباينة الألفاظ والأساليب التي لم تجتمع في لسانٍ واحد حتى نزول القرآن الكريم، ولكن ذلك لم يمنع الجاهليين من تقبّلها جميعها في شكل متعايش جعل الأجناس الأدبية حقلاً للتنافس في الفصاحة والإيقاع الفني.

✓ المعتقد الديني: كان لكل واحدة من تلك العشائر آلهة تعبدها، ولكن ذلك بعد زمن طويل من الحروب جعلها تتعايش فيما بينها بإدخالها كلّها إلى البيت الحرام، وجعلها كلها تُعبد تزلفًا إلى إله إبراهيم – في اعتقادهم – وهو ما وحدهم تحت راية واحدة تجتمع في موسم الحج.

✓ المجال الجغرافي: استطال الصراع على الأرض لعصور طويلة باسم شرعيات مختلفة، ولكن في النهاية تعايش الناس على جعلها مجالات مشتركة يتبادلون فيها المعيشة (النجع للماء والكلأ)، ويعتمدون على التجارة على الخصوص باستعمال قوافل تتبادل الاتجاهات حتى تقرّ المعيشة للجميع بعدالة.

كل هذه كانت أفكارًا شكلّت بنية الهوية الوطنيّة لهذه الشعوب، واستطالت مقدّسة ردحًا من الزمن، حتى حان حين التغيير ببعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلّم الذي قدّم أفضل أنموذج لمراجعة عناصر الهوية، فناقش بوحي الله تعالى كلّ هذه الأفكار نقاشًا يحرر العقل من الجمود، فأثبت منها الحسن وأنكر القبيح، واستعمل في ذلك المهادنة والصراع حتى انتهى الأمر إلى تطور بنية الهوية الوطنية عند هؤلاء إلى معتقد

تساوي الناس وإسقاط التفاضل النسَبي (في محور العرق)، وتأسيس لسان عربي موحد تكتنف فيه كل اللهجات العربية (في محور اللغة)، وتوحيد الله بالعبادة وإسقاط الآلهة من الأنداد والوسائط المتزلف بها (في محور الدين)، واحترام الملكية الشخصية وتحريم العدوان (في محور الأرض). هذه المراجعة طبعًا اصطدمت بالكثير من المتعصّبين غير المنفتحين على إعمال العقل، ولكنها في النهاية أقنعت وظهرت على هؤلاء.

ويظهر لنا هذا المثال العام أن الانفتاح على مراجعة عناصر الهوية ومناقشتها على سبيل التثبيت أو التجديد أو الإلغاء في كل عصرٍ أمرٌ معقُول، ما دام النشاط العقلي الذي ترعاه الفطرة كفيلٌ بتمييز الحق، ولكن في جميع الأحوال يكون الأمر نِسبيًّا، لأن كل عنصر من عناصر الهوية الوطنيّة يتقوى أو يضعف في ظروف عصره بشكل منفرد ومنعزل عن العناصر الأخرى، فيحدث (التدافع) وينتج (الظّهور).

2- مفاهيم (التّدافُع) و(الظّهور) و(التعايش) في الهوية الوطنية :

لا شك أن حقّ الإنسان في الحياة والاعتقاد مبدأ إنساني لا يخالف عليه أحد، شرط أن يقابله انفتاحه على مناقشة أفكاره ومعتقداته بالتحكم قدر المستطاع في عاطفته اتجاهها وضمان موضوعيّة هذا النقاش وعقلانيته وهدوئه، لأن التجربة نقلت إلينا عاقبة التعصُّب والتطرّف لعنصر من عناصر الهوية بالتقديس الذي لا يقبل النقاش، كما نقلت إلينا حيثيات تدافع الأمم لزرع أفكارها طوعًا وكرهًا دون استثناء، وأن عامل الشهوات البشرية (الحميّة، السلطة، المال، الحسد...) عدوّ هذا التدافُع.

ويتلخص مفهوم (التدافع) في مجموع الظروف والحيثيات الواقعيّة التي تمرّ بها أمة من الأمم، وتصيغُ عناصر هويتها وترسم معالم تعايش هذه العناصر على بقعة جغرافية معينة، وهو ناموس كونيّ يسيّره الله جل جلاله وحدهُ: "**وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ**" (البقرة، **251**)، ثم يأتي مفهوم (الظّهور) ناتجًا في المقام الثاني لهذا التدافع، إذ من بين المعتقدات المنتشرة بين الجماعات المكونة لجسد أمّة مَا، تساعدُ تلك الظروف والحيثيات الطوعيّة والكرهيّة بعض الأفكار لتظهَر على سائر الأفكار وتغلُب عليها، وتصبح في زمان ومكان معينين عناصر هوية مشتركة تقتنع تلك الجماعات باحترامها حتى تستطيع (التعايُش) في سلام على تلك البقعة الجغرافيّة، ويُستثنى من هذا الطرح إلى حدٍّ ما الفكرُ الديني الذي يكون فيه مفهوم التدافع أكثر حِدَّة وبروزًا واستمراريّة.

إن توجيه هذا التدافع بوصفه ناموسًا كونيًّا لا مفرّ منه، يكون بأن تحترم كلّ أمّة الأمم الأخرى وتنفتح على مناقشتها بالمختصين العارفين بمناهج الموضوعية التي لا تؤذي المشاعر ولا تثير العصبيّة، ويمكن أن نرى نتاج هذا الاحترام في مظاهر (ظُهُور) متبادلة ترعى تعايش عناصر الهوية تحت راية التسليم بقدر الاختلاط، كما يمكن أن نقدّم على ذلك أمثلة من الجزائر، إذ نجد فيها تعايشًا أنموذجيًّا بين عناصر الهوية الوطنيّة، ونجد مجالاتِ ظهور لعناصر مختلفة أنتجتها ظروف تدافعٍ قروسطي، ثم انتهت بتعايشٍ واعٍ ونهائيّ في عصر الدّولة الديموقراطية، وأنتجت ثراءً وتنوعًا في هوية الفرد الجزائري حتى اشتهر باستدعائها والتحمس لها في مواقف مختلفة.

ولأن الهوية مختزنة في عاطفة الإنسان فإن عناصرها الكثيرة إنما تُستدعى وفق المواقف التي يواجهها ذلك الإنسان، ويمكن استنهاض عنصر من هذه العناصر بتهييج المشاعر له وإذكاء الغيرة عليه، فنلاحظ أن الجزائري مثلاً بهويته البربرية العربيّة الإسلامية الأفريقية.. كلّما أثيرت واحدة من هذه العناصر تحمّس لها بقوة وانساق وراءها بجنون غير مبرر، وخصوصًا إذا حضر طرفٌ آخر يسعى إلى إلغائه، فهو يتحمّسُ لجزائريته عندما يعبّر عن رفضه لقوى الاستعمار في العالم، ويتحمّس للتراث البربري عندما توضع بنيته العوائدية على محك النقاش، ويتحمّس للّغة العربيّة عندما يقف في مواجهة التيار التغريبيّ المفرنس، ويتحمّس للإسلام عندما يرى ما يعانيه العالم الإسلامي من الاضطهاد، ويتحمّس لأفريقيا عندما يرى التعامل العنصريّ مع الأفارقة.. وهكذا، كل ذلك بالشّكل نفسه الذي يتحمّس له عندما يشجع فريقه المفضل في مباراة كرة قدم!![1]

ولا يختلف الأمر كثيرًا عندما يتعلق بجماعات أصغر داخل جسد الأمة، إذ يستشعر الأستاذ مثلاً "انتماءً" لفئة الأساتذة بشكل يجعله يتصور أنهم إخوة في أسرة واحدة فيتحمّسُ لنصرة المظلوم منهم، والصحفي والإداري كذلك، والطالب والفلاّح والتاجر.. وغيرهم، وهذه المشاعر الفطرية الصادرة عن عاطفة المعتقد الهوياتي لا بدّ أن يكبح جماحها بالتعقل والحكمة فيما يصطلح عليه بـ(التعايش)، حتى لا تصل إلى حدّ

[1]– **أنظر**: **رشيد بلحبيب**: الهويات اللّغوية في المغرب من التعايش إلى التصادم، في اللغة والهوية في الوطن العربي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2013، ص249.

التعصب والعنف، ولا تتعدى حد التعبير عنها بالشكل الذي يجسد معنى الاحترام وقبول الآخر تحت سقف (الأخوة الإنسانية)، هذه التي لا مفرّ من استحضارها عند المواقف التي يُخشى فيها وقوع الانزلاقات والفتن، أو الاستغلال المؤدلج من أطراف مغرضة لا تبحث إلا عن تحقيق مصالحها.

هذا المفهوم العام لممارسة الهوية يشمل كل ما يجوز في حقه حكم "الانتماء"، من أصل نَسَبي ولسان لغوي ومعتقد ديني وولاء مجتمعي وانخراط سياسي.. وغيرها، ويحتاج في هذه الممارسة إلى ضابط العقل وتمثّلٍ عميق لمفهوم الإنسانية بوصفها العنصر الأعلى للهوية العالميّة، بالإضافة إلى قيم العدل الذي هو أساس التعايش.

وبالرغم من تواصل حراك التدافع بين عناصر الهويَّة في مستواه الشعبيّ الطبيعي، إلا أنه أحيانًا يسجّل حدّةً وتجاوزات عندما لا يتحلى الناس بالتمثّل الكافي لمفهوم التعايش، أو عندما تكون وراءه تيارات أيديولوجية هدّامة أو لوبيات سياسية تضغط بتجنيد الحشود، إلاّ أن هذه الممارسات التدافعيّة على الرغم من مساوئها الكبرى، تساعدُ من حين لآخر على إظهار أهميّة التعايش والتوعية بعواقب المبالغة في الحماس لأحد عناصر الهوية دون احترام العناصر الأخرى، لأن فسح المجال لظاهرة (الظّهور) من خلال حراك التدافع الشعبي الطبيعي العفويّ على المدى الطويل يكون أسلم وأكثر هدوءًا من التوجيه القسريّ، بالنظر إلى السهولة الإجرائية لعمليتي التأثير والتأثر الاعتباطيتين بين المتحمسّين لعناصر داخل الهوية الوطنيّة الواحدة.

أكذوبة النقاء العرقي:

عرفت هذه الأزمنة المتأخرة إشكالية هوياتية عميقة الأثر، عندما أصرّ بعض المتحمّسين لعنصر النَّسَب على المبالغة في هذا الحماس، وعدم الرّضى بنتيجة حراك التدافع الشعبي الطبيعي التي لم تُتِح لبعض الروافد النَسَبيّة فرصة الغَلَبة والظّهور، وهذا الحماس الذي استثمرت فيه بعض التيارات التفكيكيّة التي تدعو إلى الفتن والمهالك دخل –للأسف– في عمق البحث العلميّ فأبعده عن الموضوعية وأدخل عليه أدلجة شديدة، فصار يقدّم نتائج معدّة مُسبقًا لتوافق هذه الطروح ثم يسعى لترتيب المحتوى المعرفي وقراءته وفق هذه النتائج حتى يظهر للناس أنه مقاربات علميّة حقيقيّة ومبنيّة، بينما هو التدليس بخلط الحقائق مع الغلائط لتفضي إلى ما يريده هؤلاء.

وإن قضيّة الأنساب لهي من أعقد المسائل التي يستثمر فيها التفكيكيّون، بوصفِها صعبة التمثّل على المتلقّي البسيط، ولأنها تحتوي على ثغرات كثيرة ينفخون فيها، وهذه الممارسة المغرضة موروثة من مشاريع سياسيّة متمذهبة تعود للعصور الوسطى، وأُعيد استدعاؤها من جديد في هذه الأزمنة للأغراض نفسها بالرغم من تطور العقل البشري وتحصيله لآليات فهم وإدراك أكثر دقة. إنّ علم الأنساب بقي متّهمًا بالتفكيك حتى لم يُتح للباحثين استنباط معايير له، فتركوه مشتتًا بين ممارسات الأسطرة الشعبيّة واستثمار السياسة وأدلجة علماء التاريخ والآثار والأحياء، فسادت فيه فوضى عارمة وادعاءات صادمة أبرزها أكذوبة النقاء العرقي.

ولعلّ أبسط قاعدة يمكن أن تنسف هذه الأكذوبة وتدحض أحكامها وتحبط أتباعها هو كون الإنسان في أصل جبلّته ناتجُ عملية اختلاط بين عنصرين يجب أن لا ينتميَا إلى أسرة واحدة (لا تربطهما علاقة أمومة أو أبوة أو أخوة أو عمومة أو خؤولة أو جدودية) في علاقةٍ نصطلح عليها بالزواج، وعملية تمازج جماعتين أسريتين لإنتاج عناصر جديدة فيما نسمّيه المصاهرة، فهذه أبسط عمليّة تمازج عرقي يخرج فيها الانسان من هذا الصفاء المدّعى، لأن الفطرة تحكم باقتسام مورثاته بين جهة أبيه وجهة أمه، وتبدأ هذه الصيغة الاختلاطية بالتوسع في مستويات أعلى وأعلى حتى تبلغ اختلاط الأجناس من خلال الحراك الديموغرافي العفوي.

ولقد أثبتت التجربة التاريخية أن الأجناس منذ ما قبل التاريخ لم ينشأ كل واحد منها بمعزل عن الآخر، وأن مفهوم الجماعة الإثنية اندثر بمجرد بلوغ أبناء الأسرة الواحدة سن الزواج ودخول العناصر الجديدة، وفي مستوى أعلى أدت حيثيات التدافع في مسار تطور الجماعات البشرية بمختلف أحجامها إلى ظهور بعضها على بعض في إطار قوانين ديناميّة الكون، فحدث استلحام عناصر كثيرة، ويحدث ذلك في كل زمان ومكان ويكون بطريقة اعتباطية يستحيل التحكم فيها، لذلك نشأت مسلّمة النسَب الكنفدرالي المشكّل من روافد نَسَبيّة متعددة، ونشأ مفهوم ظُهُور الرافد الذي أسعفته الأحداث التاريخية إلى ذلك، واندثار الكثير من الروافد الأخرى، وتعايش الروافد الباقية الأقل حظّا في الظّهور عبر المسار الطويل للتدافع البشري، وقد صنّف هذا الكتاب ليستجلي بعمق أنموذجًا حقيقيّا لهذه المقاربة.

ما أبأس الاعتقاد بأن علم الأنساب يعملُ على تفكيكِ الجماعات البشريّة المتكنفدة المتلاحمة والفصلِ بين عناصر بِنْيَتها وإعادتها إلى أصولها البائدة، فهذا محالٌ وجنونٌ ومن قبيل الوقوف في وجه ناموس إلهيّ كونيّ حتميّ هو الاختلاط!! إنما نصحّح هذا المعتقد البائس بالقول أنّ علم الأنساب هو الذي يرصُد (روافد) تشكُّل (الكنفدراليّات القَبَليّة) وحيثياته في كل منعرج تاريخي، حتى يتيح للناس فرصة استبصار هذا التلاحم البشري واستثماره في تفسير الكثير من الظواهر الإنسانية، ويوظف غريزتهم في الإحسان لذي القربى أحسن توظيف عندما يرفعها لدرجة القربى الإنسانية، ويحميهم من الوقوع في (الاصطفاف) وراء نداءات التطرّف المهلِك والتعصُّب المغرِض والحميّة الجاهليّة، ومن العيش في عالم دون أسس يقودهم فيه الأشرار دون أن يشعروا إلى خدمة الخراب والجنون.

إن مفهوم (الإنسانية) سيبقى غير ذي فائدة إذا أصرّ الناس على إنكار ناموس الاختلاط في علم الأنساب، وألحُّوا على التعصّب لرافدٍ نَسَبيّ بعينه ورفضِ الروافد الأخرى أو التقليل من شأنها، والأصل العرقيّ إذاك هو أكبر عناصر الهوية حاجةً إلى المراجعة والتجديد في كل عصر بشكلٍ يَضمنُ كبح جماحه التفاضلي الذي تهيّجه الغرائز الجاهلة والمشاريع التفكيكية المغرضة، ويُظهرُ حقيقته التشاركيّة الرائعة التي تُطَمْئِنُ الناس إليه وتجعلهم متعايشين تحت قناعته في الوحدة والسّلام والرخاء، مما يسمحُ لهم بالاستقرار والاهتمام بالتنمية الاجتماعيّة والاقتصادية.

مكيدة العصبيّة اللغويّة :

لم يكن موضوع الهويّة اللّغويّة يثير الخلاف في عصور مضت بالشكل الذي أصبح يثار في هذه الأيام، وذلك أنه منذ دخول الاستعمار الأوروبي إلى البلاد المغاربيّة وفي غياب مبادئ رصينة ومقنعة تضبط قضايا الهويّة، بزرت اللغة لتُصبح ميدانًا كبيرًا للصراع بين أهل الأرض وبين المستعمرين الذين سعوا إلى طمس لغتهم العربيّة التي اصطفاها الرحمن بالوحي واختاروها هم بالحضارة، واستبدالها بلغاتهم الفرنسيّة أو الإيطالية أو الإسبانية أو الإنجليزية حتى تستلب منهم حضارتهم تلك وتستدمجهم بأداة اللغة، فلمّا عجزوا عن ذلك أغروا بهم أهل الألسن البربرية القديمة التي لم يسعفها التاريخ للحضور الرسميّ والعلميّ، فاكتفت بأن تكون ألسن التواصل اليوميّ في بعض النواحي، وعاشت إلى جانب اللغة العربيّة بمودّة وتبادل احترام ثم ما فتئت تمتزج بها بهدوء تبعًا لامتزاج العناصر العربية والمستعربة مع العناصر البربرية من لدن زمن الفتوح، ولكن هذه المكائد الاستعمارية أنشأت فتنًا مصطنعة مبنية على الفراغ ونفخت نارها فيما يسمّى بـ"الظهير البربري" الذي يسعى أصحابه لاستبعاث ألسنٍ بائدةٍ اختصروا فيها الهويّة كلّها، وجعلوا العصبيّة إليها انتماءًا عرقيًّا وثقافيًّا وسياسيًّا، ففككّوا معالم الامتزاج والتعايش اللذين صقلتهما القرون الطويلة بين الألسن البربرية واللغة العربية، ليفتحوا مشروع مزج الألسن البربرية بلغات الأوروبيين وعلى رأسها الفرنسيّة ليفكُّوا رابطتهم الحضارية بالشرق ويربطوها بالغرب، وهم يعلمون جيّدًا أنّ ما جمعته يد الله لا تفرّقه يد الشيطان!

إنّ هذا النموذج تتشاركه بلدان القطر المغاربي على السواء، ولم أر في جديّة التعاطي مع هذا الإشكال أحسن من الدراسات التي أنجزها المغاربة عبد الرحمن الفاسي الفهري ورشيد بلحبيب ومحمد الأوراغي[1]، حيث قدّموا توصيفًا رائعًا وعادلاً لظاهرة الامتزاج الحضاري بين الألسن البربرية واللّغة العربية والعوامل التي ساعدت على ذلك، والحال النهائية التي أفضى إليها هذا الامتزاج حتى صار من المحال والوهم والمغالاة السّعي إلى محاولة إعادة تفكيكه.

لقد عبّر بلحبيب عن هذا الوضع بعبارة عادلة وجميلة تعبّر عن براغماتية الوظيفة اللغوية قال: "**تحدث الانسان عن تعلقه بهويته اللغوية واعتبر التفريط فيها تفريطا بإنسانيته (..) تجعل اللغة من الأمة الناطقة كلاًّ متراصًّا (..) وهي بمنزلة بيت الكائن البشري، بها ينظم أمور معاشه وفيها يخزن رموزه وثرواته، إنها تؤويه وتحفظ أسراره ومنها يرى العالم ويدركه**"[2]، وهذه القيمة الجوهرية للغة منحتها طبعا أولوية العناية عند السلطات السياسية الباحثة عن استقرار الأمّة ووحدتها واطمئنان مكوناتها للتعايش بعيدًا عن الفتن والقلاقل، فتسعى إلى توحيد الجميع تحت "**نظام لغوي**

[1]– **أنظر**: **عبد القادر الفاسي الفهري**: لغة الهوية والتعلم بين السياسة والاقتصاد نموذج تماسكي تنوعي تعددي، اللغة والهوية في الوطن العربي، م س، ص397، والديمقراطية اللغوية المأمولة في المغرب، هيسبريس، 8 جوان 2011، **وانظر**: **رشيد بلحبيب**: الهويات اللّغوية في المغرب من التعايش إلى التصادم، في: اللغة والهوية في الوطن العربي، م س، ص247، **وانظر**: **محمد الأوراغي**: التعدد اللغوي وانعكاسه على النسيج الاجتماعي، منشورات كلية الآداب بجامعة محمد الخامس، الرباط، 2003.

[2]– **رشيد بلحبيب**: الهويات اللّغوية في المغرب من التعايش إلى التصادم، م س، ص251.

جامع، يجري به التواصل، وتتحقق به المصالح"[1]، ذلك الذي أفضى إليه التدافُع طيلة عصور وأسعفه التاريخُ فظَهَر على غيره من النظم اللغوية وركنت إليه جميع مكونات الأمّة في المستويين الرسمي والمعتقدي على الأقلّ، دون أن تتخلّى هذه المكونات عن ألسنتها المحليّة في مستوى التواصل اليومي والممارسة الثقافيّة.

ومن الأوهام المنتشرة التي يتصوّرها الناس أنه بعد القرون الطويلة والعصور الكثيرة والأحداث العظيمة والهجرات الضخمة منذ حلول الإنسان بالأرض، بقيت بعض اللّغات متفرّدة على شاكلتها الأولى ولم يعتريها التطور والاختلاط بلغاتٍ أخرى بالاقتراض والتبادل والتداخل الناتج عن تشكل المجتمعات المختلطة والأمم المركّبة، فعاد من غير المجدي الحديث عن لغة صافية، بل عن كنفدراليّات لُغويّة ظَاهِرة ومُستَلحِمة لكثير من الألسن المحليّة التي تتمظر بشكل أكثر وضوحًا في تنوعاتها الدّارجَة المستعملة عند العوام في تواصلهم، ومن ذلك صار "**التعدد اللّغوي والتنوع الثقافي سمة ملازمة للمجتمع البشري، يتعذر معها الحديث عن مجتمع أحادي اللغة أو الثقافة**"[2]، إلا أن هذا التسليم يجرّ معه شروط التعايش التي توزع التعدد الألسني من المنظور الوظيفي على مستويات العمل الرسميّ والمعتقدي والتواصلي والثقافي بما يضمن لكل لسان محليّ فضاءً يتحرك فيه، ليطمئن مستعملوه أن لهويتهم اللّغوية مكانًا داخل جسد الأمة، وأن ولاءهم للّغة الظّاهرة لا ينقص من ذلك شيئا.

[1]– **رشيد بلحبيب**: الهويات اللّغوية في المغرب من التعايش إلى التصادم، م س، ص251.

[2]– م ن، ص252.

ومن وجه آخر، يستثمر التفكيكيُّون في قدرة اللغة على صناعة وحدة الجماعات لاستعمالها في شكل سلطة جاذبة وأداةً لغزو الشعوب المتخلفة حضاريًا واستلحامها، لأن للغة علاقة قوية بالمكانة الحضارية لأصحابها، ومن أبرز وجوه التدافع فيها أن اللّغة التي يتقدم أصحابها في العلوم والمكتشفات تفرض على أصحاب اللغات الأخرى مسايرتها وتعلّمها للاستفادة من هذا التقدم، وأخطر من ذلك عندما تصبح اللغة أداةً سياسية اقتصادية لا يوصل إلى فهم نظام الحكم إلا بها، ولا يتم الانتفاع بالموارد إلاّ من خلالها، فحينها تصير في واقع الناس "**وسيلة انتقاء**" يستعملها المهيمنُون[1]، وتثور عليها الألسن المحليّة كما يثور المستضعفون على هذه الهيمنة!

والحاصل أن حال الأمة الجزائرية مع اللغة العربيّة والألسن البربرية المحليّة وتمظهرات المزيج الدارج وتيار الفرنسة، هو حال أكثر الأمم المستضعفة التي اعتراها ابتلاء التفكيك الموروث من زمن الاستعمار، فقد عاشت اللغة العربيّة عزيزةً في المجال البربري المغاربي وتمازجت وتداخلت مع ألسنته المحليّة في مستوى شعبيّ عفويّ آل إلى مزيج من اللّهجات الدارجة التواصليّة اليوميّة، ولم يكن للدول المتداولة أي سياسة معلنة لتعريب المجال أو لمحاربة الألسن المحليّة، لذلك تشكلت الهوية اللّغويّة المغاربيّة من هذا المزيج المتعايش الذي صنعته العفوية الشعبيّة وقسّمت له الأدوار والوظائف.[2]

---

[1]– **أنظر**: **رشيد بلحبيب**: الهويات اللّغوية في المغرب من التعايش إلى التصادم، م س، ص253.

[2]– **أنظر**: م ن، ص254.

الفصل الأول:

التواجد البشري بمنطقة جيجل

في ما قبل التاريخ

إن محاولة تأصيل الوجود البشري بمنطقة محددة جغرافيًّا أمرٌ عسيرٌ جدًّا، خصوصًا مع التسليمِ أنه كلّما غُصنا أكثر إلى العصور الوسيطة إلى القديمة إلى البائدة زاد اتساع رقعة الحركة الديموغرافية والهجرات البشرية، وزاد معه شحّ المادّة الخبرية عن هذه الأجناس الأولى، ولكنّ ذلك لا يمنع – إلى حدٍّ مَا – من محاولة وضع بعض المقاربات المسنودة بجهود علماء الآثار والمختصين في علوم الإناسة، على سبيل الإجابة عن هذا الإشكال العميق المعقّد الذي يسكنُ عقول الناس.

ولا تخلُو منطقةُ جيجل الممتدة من شواهد ماديّة متوزعة على مراكز دقيقة من مجالها، وهو ما ساعدَ علماء الآثار في البحث أساسًا عن ما يتعلق بعصور ما قبل التاريخ وفجر التاريخ والتاريخ القديم والوسيط، وسمحَ لنا بوضع مقاربات جادة ومؤسّسة عن الوجود البشري الأول بالمنطقة من جهة، والتأكيد أو التشكيك في الكثير من المقاربات الكتابيّة التي وصلت إلينا من جهة أخرى.

في هذا الفصل سنحاول أن نستنطق المصدر الأثري والكتابي الذي نعتمدهُ منطلقًا لتأصيل الوجود البشري والحركة الديمغرافية بمنطقة جيجل، وذلك حتى نستبين عُمق قضية الأصول العرقيّة، وجديّة مسار (الاستلحام) الذي مرت به منذ العصور البائدة إلى يومِ الناس هذَا، بينمَا نؤكد على أن مصادرنا أوليّة وما تزال في حاجة للدراسة العميقة والربط بما توصل إليه البحث في مناطق أخرى تتشارك معها في التواريخ والأحداث والشخوص.

1- الروايات الأسطورية (Mythologie):

لا يمكن الحديث عن أصول الأجناس التي تحولت في المجال الجيجلي في هذه الأزمنة إلاّ بالمرور على الرّوايات الأسطُورية التي تحدثت عن أصل البربر عمومًا، ما دامت الكنفدراليات الجيجليّة المتعاقبة معدودةً منهم، ولكن الواقع أن جميع الذين صرفوا جهودهم على مرّ العصور لضبط أصلٍ واضحٍ وقطعيّ للبربر من خلال الروايات الأسطوريّة أجمعوا على ذهاب جُهدهم هباءً منثورًا، نظرًا لغياب الشواهد الغائرة في غياهب التاريخ، وانعدام المؤلفات المصدريّة التي تضبط شأنهم بشروط الدراسة العلميَّة، لذلك يقول موسى لقبال (ت.2009م): "..**البحث عن أصل البربر بحث عقيم وغير مجد ومسدود المنافذ**.."[1]، ويسندُ رأيه هذا غور الموضوع في أزمنة انعدم فيها التدوين واندفن فيها التأريخ.

ولكن هذا اليأس العلميّ المبرّر لا يمنع من استعراضِ أهمّ ما نقله المؤرخون والنسابة من العصور الغابرة إلى اليوم، ومناقشةِ أشهر التيارات المتساجلة في أصل البربر لإدراك منطلقاتها وبواعثها، والوصول إلى مفاصلها القصوى التي يمكن أن تقودنا إلى مقاربةٍ أكثر إقناعًا، وذلك كلُّهُ في سبيلِ تقصّي الروافد المشكلة لبنية كنفدراليات إنسان المجال الجيجلي من لدُن الأزمنة الغابرة، حتى يتسنّى بعد ذلك فهم آليات هذا التشكُّل، ورصد تطوره في العصور التالية ودوره في بناء العنصر البشري الجيجلي.

---

[1]– **موسى لقبال**: دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1979، ص53.

❖ تيار الأصل السّامي :

تعود نشأة هذا التيار على ما يبدو إلى حقب ظهور الحضَارات الشرقيّة وبروزها محورًا للأحداث العالميّة، إذ تعودُ أول روايةٍ تنسب البربر لأصولٍ شرقيّة إلى القرن 11 ق.م الذي حدثت فيه الحرب بين جالوت (Goliath) ملك الكنعانيين وطالوت (Sha'ul) ملك العبرانيين، وهي القصة التي ذكر القرآن الكريم بعض جزئياتها في سورة البقرة (الآيات من 246 إلى 251)، وهو كذلك الحدث الذي تدور حوله معظم الروايات الأسطورية التي نقلتها المصادر الإسلامية للأنساب، على الخلاف بينها في انتماء البربر إلى سلالات الأصول الساميّة، وإليك بيان ذلك.

❖ روايةٌ تنسب البربر إلى يقشان ابن إبراهيم عليه السلام، أي تجعلهم ساميين مندمجين في أمم الكنعانيين أهل مُلك جالوت[1]، وأنهم هربوا إلى بلاد المغرب بعد هزيمتهم في الحرب التي ذكرنا، ولكن لا وجود لدليل منطقيّ يعضُد هذه الرواية، لذلك ردّ عليه ابن خلدون بأن داوود عليه السلام من نسل إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام وبينهما عشر آباء فقط، فكيف إذن وجد النبي داوود عليه السلام أهل تلك الأمم البربرية الكثيرة المتشعبة مع ملكهم جالوت في صراعه معه؟[2] هذا الرأي ضعيف بكل المقاييس.

---

[1]– **مبارك إبراهيمي الميلي**: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، ص82.

[2]– **عبد الرحمن ابن خلدون**: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت–لبنان، ج6، ص126.

❖ روايةٌ تنسب البربر إلى أخلاط الكنعانيين والعماليق سكان الشام، أي في الساميّين، هربوا بعد انهزام ملكهم جالوت أمام جيش العبرانيين بقيادة الملك طالوت، ومنعهم ملوك مصر من دخولها فقطعوا النيل وسكنوا أفريقيا والسواحل، ومنهم من يقول أن أفريقش نقلهم بعد هزيمتهم من الشام وغزا بهم أفريقيَا، وهذا الرأي بعيدٌ أيضا يدحضه تشعب أممهم وكثرتها وتباعد فصائلها، وقد أنكر ذلك ابن خلدون نفسه وتعجّب منه قال: "**قول ساقط يكاد يكون من أحاديث خرافة**"[1]، ولعلّ هذه الرواية يعود منشؤها إلى ادعاء الفينيقيين الذين أرادوا أن يجمعوا البربر إلى أصلهم عند نزولهم بأفريقيا في القرن 10 ق.م، ولا يُنكَرُ أن مدينة جيجل التي بناها هؤلاء الفينيقيون مع البربر في القرن 06 ق.م قرّب كثيرًا هذا الاعتقاد عن أصل أهلها، ولكنه لا يمكن الأخذ به إلاّ بجزئيّة الاختلاط، لأن الفينيقيين لم ينزلوا في أرض خلاء، بل أسسوا المدينة بالتشارك مع أهلها من البربر، فكيف يكونون هُم أصلهم الأول؟

❖ رواية تنسب البربر إلى حِمْيَر بن سبأ من اليمن، أي ساميين، وبعض أهل هذه الرواية يرون أنهم أوزاع من غسان أو لخم وجذام تفرقوا بعد سيل العرم وقصدوا موطنهم بالمغرب، وآخرون منهم يدّعون أن التّبع أفريقش بن قيس بن صيفي قادهم في جيش غزا به المغرب وجعلهم في أفريقيا التي سُميت بعدها باسمه، وكل هذه الأحاديث أساطير أهل اليمن، وقد أنكرها ابن حزم قال: "**وادعت طوائف منهم إلى اليمن، إلى حِمْيَر، وبعضهم إلى برّ بن قيس عيلان، وهذا باطل ولا شك فيه، وما علم**

[1]– **ابن خلدون**: كتاب العبر م س، ج6، ص127.

النسابون لقيس عيلان ابنا اسمه برّ أصلاً، ولا كان لحمير طريق إلى بلاد البربر إلا في تكاذيب أهل اليمن"[1]، ووافقه ابن خلدون كذلك قال: "**وأفريقش الذي نقلهم يذكرون أنه وجدهم بها، وأنه تعجب من كثرتهم وعجمتهم وقال ما أكثر بربرتكم، فكيف يكون هو الذي نقلهم؟**"[2]، والظاهر أنها روايات عجائبيّة استحدثت أو استُدعيت للتخفيف من حدّة الصراع على بلاد المغرب أيام الفتوح وبعد هجرة (بني هلال وبني سُلَيم) في القرن 12م، ولكن ابن خلدون ساق لنا في هذا الرأي استثناءً شمل (صنهاجة)، و(كتامة) التي هي كنفدراليّة المجال الجيجلي، وذلك نقلاً عن الجرجاني وابن الكلبي والمسعودي والطبري وغيرهم قال: ".. **ولا خلاف بين نسابة العرب أن شعوب البربر الذي قدّمنا ذكرهم كلهم من البربر إلا صنهاجة وكتامة، فإن بين نسابة العرب خلافًا والمشهور أنهم من اليمنيَّة، وأن أفريقش لما غزا أفريقيا أنزلهم بها**.."[3]، ثم في الصفحة الموالية أظهر ارتيابه وعجزه عن الترجيح، قال: "**وعندي أنهم من إخوانهم والله أعلم**.."، واحترازه صحيحٌ لأنه راجعٌ إلى اقتصار عملِه على الرواية الأسطوريّة التي يعوزها الشاهد، وافتقار زمانه إلى آليات البحث الإناسي الذي من شأنه دعم أيّ ترجيح.

---

[1]– **محمد ابن حزم**: جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، المطبعة الأدبية بمصر، ج4، ص495.

[2]– **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص127.

[3]– م ص ن.

❖ تيار الأصل الحامي :

وهو التيار الذي يدعمه نسّابة البربر فيما نقلته المصادر عنهم، فيميّزون نسبهم عن غيرهم من أجناس المشرق وأوروبا ويربطونه بنسل حام ابن نوحعيد السلام، فمنهم من يجعلهم أصليين ببلادهم المغرب من شمال أفريقيا، وينكرون كونهم منقولين إليه من بلدان أخرى، ومنهم من يعدّهم حاميين لكن اجتمعوا إلى شمال أفريقيا من بلدان متفرقة، وإليك بيان ذلك:

❖ رواية ترجعُ إلى أعماق غائرة من أساطير إعادة توزيع البشر على الأرض بعد طوفان نوحعليه السلام، ويعتقد أصحابها أن البربر أصليون على أرضهم منذ قسم نوح الأرض بين أبنائه الثلاثة بحسب قول اليعقوبي (ت بعد.905م): "**وقسم نوحٌ الأرض بين ولده، فجعل لسام وسط الأرض، والحرم وما حوله واليمن وحضرموت إلى عمان إلى البحرين إلى عالج وبيرين ووبار والدو والدهناء، وجعل لحام أرض المغرب والسواحل (..) ونزل يافث بن نوح ما بين المشرق والمغرب..**"[1] ، والعجبُ من أين نقل اليعقوبيّ هذا الكلام، فأين هو زمنه في القرن التاسع من زمن النبي نوح! وهل يعقلُ أن تتناقلَ روايةٌ موثوقة طوال هذا الزمن؟ لا يستطيعُ أن ينقل معطياتٍ عابرةٍ للعصورِ كهذه إلا الوحيُ الإلهي، ولم نجد في الكتب التي يعتمدها اليهود ولا النصارى —على تحريفها— أخبارًا بهذا التفصيل، ولا في ظاهر القرآن أيضًا ما يفصّل في ذلك.

[1]– **أحمد بن إسحاق اليعقوبي**: تاريخ اليعقوبي، تعليق وحواشي خليل المنصور، منشورات محمد علي بيضون ودار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، د/ت/ط، ج1، ص 05.

ومن منطلق موضعهم ببلاد المغرب الذي تجعله الأسطورة كما ينقلها كتاب اليعقوبي في مجالات حام بن نوح، فإنه يذكرهم باسمهم ويربطُ نسبهم بنسبه: "**البربر والأفارقة وهم أولاد فارق بن بيصر بن حام بن نوح..**"[1]، ولا يذكر اليعقوبي من أين جاء بهذه السلسلة النسبيّة، لكنه يجعلهم من ولد فارق بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام، ويستعرض في الوقت نفسه تبرئةً لذمته آراء بعض النسابة الآخرين ممن ينكرون الأصول الحاميّة ثم يؤكد على استحالة الإتيان بدليل القطعي على هذا الرأي فيقول "**والله أعلم بالحق في ذلك**"[2]. بينما ابن الأثير (ت.1232م) فيأتي بسلسلة نسبية أخرى تفضي إلى حام يقول: "..**وأما حام فولد له كوش ومصرايم وفوط وكنعان، فمن ولد كوش نمرود بن كوش، وقيل هو من ولد سام، وصارت بقية ولد حام بالسواحل من النوبة والحبشة والزنج، ويقال أن مصرايم ولد القبط والبربر..**"[3] وهو إذاك يلحقهم بقبط مصر، في مصراييم بن حام، وكذلك لا دليل عند أهل هذه الرواية يثبت سلاسل النسب التي أوردوها، ولا مصدر لهم سوى روايات بني إسرائيل أو ما تناقلته الرواية الجمعية عن الأنساب التي ابتدعها الناس في عصور مختلفة لأغراض تطلبتها منافعهم، أو ما ذكره لهم أهل الكهانة والعرافة وأصحاب الجن والشياطين من ادعاءات بمعرفة أخبار الأمم السالفة.

---

[1]– **اليعقوبي**: تاريخ اليعقوبي، م س، ج1، ص 74.

[2]– م ن، ص74.

[3]– **ابن الأثير (علي بن أبي الكرم)**: الكامل في التاريخ، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، د/ت/ط، ج1، ص75.

❖ رواية تعتمد على لون بشرتهم في نسبتهم إلى حام بن نوح عليه السلام، فتعتقد أن حام كان لونه أسودًا، يقول أبو الفدا (ت.1331م): "**وحام أبو السودان** (..) **القبط من ولد حام ابن نوح، وولد لحام أيضاً مازيغ وولد لمازيغ كنعان**"[1]، أي أنّ أبناء حام كلهم (سودان) بشرتهم تميل إلى السُّمرة والسواد، وينقل ابن خلدون (ت.1403م) في ذلك رأي الصّولي البكري يقول: "**وقال الصولي البكري إن الشيطان نزغ بين بني حام وبني سام، فانجلى بنو حام إلى المغرب ونسلوا به. وقال أيضاً إن حام لما اسودَّ بدعوة أبيه فرّ إلى المغرب حياءً واتبعه بنوه..**"[2]، وإذاك فدخول اللّون الأبيض على خلقتهم هو نتاجُ اختلاطهم بالأجناس الغازية في العصور المختلفة ! وهذا الرأي سهلُ الدحض، إذ واضحٌ اعتماده على ملاحظة ألوان البشر، بين البيض أبناء سام والصفر أبناء يافث والسود أبناء حام، وهذا التصور الذي تدعمه الأسطورة بقصص عجائبية عن صراع سام وحام وعن دعوة نوح عليه السلام على ابنه بعدما انكشفت عورته ولم يسترها فاسودّ وجهه، وضلال هذه التأويلات واضح إذ من التقبيح لشأن الزنج أن تنسب إليهم قصص كهذه، والقرآن الكريم يصرح بوضوح على كون ألوان البشر من معجزات الله تعالى في خلقه، وليس ثمة في الفطرة ما يمنح أفضلية لون على آخر كما لا سبب ولا عذر يؤدي إلى ذلك، وإذاك فهذه الرواية مريبة بكل المقاييس وبعيدة عن المعقول.

---

[1]– **أبو الفدا إسماعيل بن علي**: المختصر في تاريخ البشر، مكتبة المصطفى الإلكترونية، نسخة مطابقة للمطبوع، ص04.

[2]– **عبد الرحمن ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص123.

❖ رواية تعتقدُ أن الكنعانيين الموجودين بالشام هم أبناء كنعان بن مازيغ ابن حام، وأن البربر منهم وملكُهم جالوت، وانتقلوا إلى المغرب بعد هزيمتهم أمام العبرانيين في القرن 11 ق.م كما أسلفنا ذكره، وقتْل داوودعليه السلام لملكهم جالوت، يقول أبو الفدا (ت.1331م): "**كنعان هو ابن مازيغ بن حام بن نوح وكان كنعان من جملة الذين اتفقوا على بناء الصرح فلما بلبل الله تعالى ألسنتهم (..) تفرقوا، نزل كنعان في الشام ونزل في جهة فلسطين وتوارثها بنوه وكان كل من ملك من بني كنعان يلقب جالوت إلى أن قتل داود جالوت آخر ملوكهم وكان اسمه كلياد**[1](..) **فتفرقت بنو كنعان وسار منهم طائفة إلى المغرب وهم البربر..**"[2]، فهو إذن وإن كان يثبت نسب البربر في حام، إلا أنه على خلاف الروايات الحاميّة يجعلهم منقولين من الشام لا أصليين ببلاد المغرب، وهذا الرأي كما هو ظاهرٌ رأي مركّبٌ أيضًا حاول الجمع بين روايات عدّة تشتمل على قصص كثيرة منها قصة بناء صرح بابل وبلبلة ألسنة الناس، وقصة نزول الكنعانيين بفلسطين والشام على الأخلاط الساميّة، وقصة ملك جالوت وقتله من داوودعليه السلام، وهذا التركيب غير مدلل عليه بما من شأنه أن يعضده منطقيًّا، كما لم يجتمع مع أبي الفدا أحدٌ في جعله كنعان ابنًا لمازيغ، لأن جميع من ادعوا وجود الجد مازيغ جعلوه ابنًا لكنعان وليس العكس، لذلك نعتقد أن رأيه هذا بعيدٌ كل البعد عن الصواب.

[1]– **كُلياد**: لعلها الترجمة العربيّة لاسمه الأعجمي (Goliath)

[2]– **أبو الفدا**: المختصر في تاريخ البشر، م س، ص74.

❖ رواية انفرد بها ابن خلدون (ت.1403م) في أصل البربر، وجمع فيها من آراء سابقيه ما اعتقد أنه الأقرب إلى المنطق، ويقول فيها: "..**والحق الذي لا ينبغي التعويل على غيره في شأنهم أنهم من ولد كنعان بن حام بن نوح كما تقدم في أنساب الخليقة، وأنّ اسم أبيهم مازيغ وإخوتهم أركيش وفلسطين إخوانهم بنو كسلوحيم بن مصراييم بن حام، وملكهم جالوت سمة معروفة له (..) فلا يقعنَّ في وهمك غير هذا، فهو الصَّحيح الذي لا يعدل عنه.**"[1]، ولا ندري ما المنهج الذي اعتمده ابن خلدون في هذا الترجيح، فلعلّه نظر في ما أجمع عليه أكثر النسابة، أو تدبّر في جنس البربر وامتيازه عن أجناس الأرض في كل شيء: موطنًا وخلقةً ولسانًا وثقافةً وغيرها.. إلاّ أننا نلمسُ عنده بعض الاحتراز والميل في فكرة الاختلاط والاستلحام، إذ حاول أن يفتح باب الاستثناء لبعض القبائل التي دفعتها الظروف السّياسية عند وصول الفتوح[2] إلى ادعاء نسبها في العرب، ثم أعادت استدعاء نسبها البربري على زمن ابن خلدون فرارًا من انتقام أصحاب الدولتين الحفصية والمرينية، وهما صنهاجة صاحبة الدول الزيرية والحمادية والمرابطية، وكتامة صاحبة الدّولة الفاطميّة، لكنّه ارتاب في شأن إصرارهما على هذا النسب، قال: "**ولا خلاف بين نسابة العرب أن شعوب البربر الذي قدَّمنا ذكرهم كلهم من البربر إلا صنهاجة وكتامة. فإن بين نسابة العرب خلافًا والمشهور أنهم من اليمنيَّة، وأن أفريقش لما غزا أفريقيا أنزلهم بها (..)**

---

[1]– **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص127.

[2]– **علي ابن أبي زرع الفاسي**: الذخيرة السنيّة في تاريخ الدول المرينية، تحقيق محمد بن أبي شنب، مطبعة جول كربونل، الجزائر، 1920، ص15.

والحق الذي شهد به الموطن والعُجمة أنهم بمعزل عن العرب، إلا ما تزعمه نسابة العرب في صنهاجة وكتامة وعندي أنهم من إخوانهم والله أعلم."[1]، ولم يكن لابن خلدون من أدوات ردّ هذا الادعاء الغالب عند النسابة العرب إلا النّقد الداخلي المقارن الذي حاول أن يعضده ببعض العلوم المساعدة، كالجغرافيا وعلم اللّسان وغيرها.. ولكن هل يكفي ذلك للتعامل مع رواية أسطورية بهذا الغور الزمني في غياب علم الإناسة والآثار والكتابة المصدرية التي كان من شأنها أن ترجّح هذا الرأي أو ذاك؟

وفي المحصلة فإن أصحاب الرأي الحاميّ بالرغم من توكُّئ أساطيرهم على تميّز الخصائص الجسدية والموروث المادي والمعنوي للبربر عن غيرهم لجعل هذا الجنس منفردًا في الخليقة، إلا أن رأيهم هذا نِسْبيّ لا يؤخذ بكليته، إذ بالغ أيضًا في الادعاء الجينيالوجي الخرافي، فلا وجود في كتب القدماء وآثارهم لجدّ اسمه مازيغ بل هو تعريب اسم كنفدراليّة مازيڤ (Mazices) الفلاحيّة التي هي إحدى كنفدراليّات شمال أفريقيا الكثيرة (باقواط، باربار، مَاسنيت، مازيڤ، مَاشْوَشْ، أوسيس..)، ونسّابة الفاتحين المسلمين هم الذين نقلوا عن رواتهم تسميتي (باربار) و(مازيغ) من بقايا هذه الأسماء، لأنهم وجدوها على زمن دخولهم إلى البلاد المغاربية، فاعتقدوا أنها أصل هذه الشعوب ثم عمّموها في تسمية كافّة أجناس المغرب، ثم اصطنعوا لها أنسابًا جينيالوجية خياليّة ونقلوها في كتبهم.

---

[1]- **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص127.

❖ تيار الأصل الأوروبي :

وينقل إلينا مبارك الميليّ (ت.1945م) في هذه المسألة ملخصًا نافعًا لمجموع الخرط المعرفي الكبير الذي بنى عليه الأوروبيون مقارباتهم، وقسمه بحسب مادته إلى قسمين اثنين: قسم اعتمد على نقل الأساطير التاريخية والبناء عليها، وقسم آخر حاول الاعتماد على التقدم العلمي في مجال دراسة المتغيرات الإناسيّة كالخلقة واللغة والعادات وغيرها.. ثم تفرقوا فرقًا كثيرة، وإليك بيان ذلك.

❖ رواية يعتقدُ أصحابها بأن البربر من من أهل أوروبا البدائيين، وأنهم انفصلوا عن أهل أوروبا عند انفصال أفريقيا عنها ! أو ربما هاجروا إليها في العصور السَّحيقَة وعمروها، وهذا الرأي يدحضه بعدُ الزمن بين انفصال القارة الأفريقية ووصول البشر إليها، كما يردُّه اختلاط خلائق البربر وبعدُ لغتهم وعاداتهم وحتى أسفارهم عن أوروبا، ولو كانوا انتقلوا من أوروبا في العصور السّحيقة عبر البحر كما يقول هؤلاء لأحوجهم ذلك إلى دراية بعلوم البحر وسير الرياح والإبحار بالسفن وهي عوائد كان يعوزها البشر في تلك الأزمان السحيقة. ومن هؤلاء أيضًا فريق يجعل البربر مهاجرين من سكان بحر إيجه (Egée) من أمثال هوميروس الذي تحدث في الأوديسة عن هجرة أقوام من الفياسيين (Phéaciens) من جزيرة كورفو (Corfou) اليونانية إلى شمال أفريقيا ليكونوا أقوام البربر[1]، وهيرودوت وديودور الصقلي كذلك عدُّوهم من أقوام بحر اليونان، وهذا الرأي

[1]– **أبو عبيد الله البكري**: المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، تحقيق حماه الله ولد السالم، دار الكتب العلمية بيروت– لبنان، هامش ص86.

بعيدٌ كل البعد عن الصواب، لأن الأحداث التي تحدث عنه هوميروس في الأوديسة حديثة جدًّا مقارنة بوجود البربر على الخارطة البشرية لأفريقيا واختلاطهم بملوك بابل وفراعنة مصر لزمن طويل كما تدل عليه الاكتشافات الأثرية الحديثة، بينما نرى أن ادعاءات ديودور الصقليّ أقلّ حدّة وأكثر منطقًا بوصفه نقل عن كتابات دوريس اليوناني، ووجد أخبار الغزوات اليونانية على شمال أفريقيا وأبرزها غزوة آڤاثوفليس في القرن 04 ق.م والتي وصلت إلى جبال منطقة الميلية شرق المجال الجيجلي، ولكنه أيضًا طرحٌ غير منطقي بوصف دوريس ذكر بأن آڤاثوفليس نفسه وجد شعوبًا محليّة في شمال أفريقيَا فكيف يكون اليونان هم أصلهم وهم موجودون من قبل؟!

❖ رواية نقلها مبارك الميليّ وغابرييل كامب عن سالوست (Salluste) (ت.35ق.م) في روايته (حرب يوغرطة)، أنه أخذ من كتب قرطاجيّة كانت بحوزة الملك النوميدي هيمبسال (Hiempsal) قصةً تخبر بأنّ الميد والأرمن والفرس جاءوا إلى أسبانيا بقيادة الملك هرقليس (Hercule)، فلما مات هذا الملك تفرّقوا واختلطوا بالجيتول والليبيين في شمال أفريقيَا، وتنقّل هذا الخليط الجديد في بلاد المغرب فسمّوا أنفسهم (النوماد) أي الرّحل، ومنه اشتق اسم بلادهم (نوميديا)[1]، واندمج بهم من كان قبلهم في هذه

[1]- **Voir** : **Henri TAUXIER**: Ethnographie de l'Afrique Septentrionale au temps de Mahomet, Revue Africaine, A. Jourdan, Libraire-Éditeur, Alger, n°06, 1862, p441, **A voir aussi** n°07, 1863, p24. **وانظر**: **سالوستيوس**: الحرب اليوغرطية، ترجمة محمد المبروك الدويب، منشورات جامعة بنغازي -ليبيا، ص ص 31-32-33-34 **وانظر**: **مبارك إبراهيمي الميلي**: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، م س، ص81، **وانظر**: **غابرييل كامب**: البربر - ذاكرة وهوية، تر عبد الرحيم حزل، دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب، 2014، د/ط، ص55.

النواحي، وشكلوا جنس البربر الذي عرفه الرومان، ويحاجج سالوست بأن هذه الرواية معتمدة عند البربر في زمنه. وزاد بعض النسابة العرب نقل عنهم ابن خلدون بأن عمّموا الحكم على البربر بأن أصلهم من الفُرس، وجعلوا جالوت ملكًا للفرس وجعلوا البربر جميعًا أبناءه[1]، والردّ على هذا الرأي سهل ما دام هؤلاء المقبلون وجدوا شعبًا نزلوا عنده، فمن ثمة ليسوا هم أصله، إنما هم داخلون في الأجناس المنضافة إليه.

❖ رواية تنسب البربر إلى الأسبان والباسك والڤوليين اعتمادًا على تشابه أجسادهم ولون عيونهم ووجود الشُّقر فيهم، ويردُّ رأي هؤلاء جميعًا أن التشابه في الجزء ليس حجةً كافيةً لانتماء الكلّ في أصل واحدٍ وهو ما ذهب إليع ستيفان ڤزال في إنكار هذا الرأي، ومنهم من اعتمد على الدراسات اللسانية المقارنة فنسبهم إلى أوروبا، ورجح لويس رين أنهم من من الهنود والأوروبيين نظرا للتشابه بينهم في بعض أسماء الأعلام والقبائل والتراكيب اللغوية![2] فأما تشابههم في الخليقة فلا يمكن التغاضي عن مرور الكثير من الغزوات الأوروبية التي كثر فيها الاختلاط مما أنتج أقليات شبيهة بسكان أوروبا، وأما اللغات فمن أسرع المتغيرات الإناسية سرعة في الفقد والاكتساب، ومن ثمة لا طائل من الاعتماد عليها، والظاهر أن هذه الروايات من أكاذيب الأمم الأوروبية التي تبحث عن الشرعيّة التاريخية لاستعمار الدول البربرية.

---

[1]– **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص126.

[2]– **انظر**: **مبارك إبراهيمي الميلي**: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، م س، ص83-84.

إن جميع هذه الروايات الأسطورية لا تعدُو أن تكون في ظنّنا تحصيل حاصل لأوضاع توزع الأجناس التي كان ينقلها التجار وأصحاب الرحلات، ورصد الحراك غير المتناغم للجماعات البشرية الكبرى في مجالاتها، ثم حوّله المدّعون شيئا فشيئا إلى أساطير تتجاذب نسب البربر، لجهلهم بمسارات تشكل المجموعات البربرية وهجراتها في الأزمان البائدة. فما دليل أهل هذه الروايات أن الكنفدراليات البربرية كانت حاملةً لهذه الأسماء في ما قبل التاريخ؟ ومن أين لهم بسلاسل الأنساب التي وضعوها والتي يرجع معظمُها إلى زمن نوحعليه السلام؟ وبتحديد أدقّ، ما الشاهدُ أو الدليل أو المصدر الموثوق الذي جعل أصحاب الروايات الأسطوريّة يعتقدون أن الكنفدراليّة الكتاميّة كانت موجودة وبهذا الاسم في ما قبل التاريخ؟ أو حتى في فجرِ التاريخ (القرن 11 ق.م) على زمن صراع طالوت وداوودعليه السلام مع جالوت؟ إن هذه الآراء القطعيّة تعاملت بإثنية مبالغ فيها وأغفلت واجب التسليم بأن الأجناس البشريّة لم تنشأ في معزل كل واحدة منها عن الأخرى، إنما وقع من حوادث الدهر ما أرغمها على الهجرة والاختلاط، والاشتراك في المهالك العظيمة التي تفنى فيها أجناسٌ وتتدامج أخرى، وتنكرُ أجناسٌ أخرى أصلها وتنتمي في غيرها طلبًا للحظوة.. لذلك نرى أنّه من غير المجدي الحديث عن أصول الجنس الكتامي الجيجلي من هذا المنطلق الأسطوري المؤدلج دون العودة إلى أبحاث الإناسيين، بحثًا عن شواهد علمية حقيقيّة تسهمُ في ترجيح مقاربة مقنعة ورصينة، وإن تكن الرواية الأسطورية الغالبة في المصادر تثبتُ أن الكتاميين خليط من روافد بشريّة عدّة، فإن هذا الرأي بحاجة إلى أدلّة إناسيّة.

2- المعطيات الإناسية (Anthropologie):

إنه لأمرٌ عسيرٌ الإيغالُ في البحث عن النوع البشري الذي تفرع عنه الإنسان الكتامي الجيجليّ من خلال اللُّقى الأثريّة للأزمنة الغائرة في الماضي السّحيق، وباستثمار معطياتِ علم الإناسة[1] التي تتجاذبها التيارات الأيديولوجيّة، ولكن المكتشفات المتوصل إليها لحدّ الآن مُنتظِمةٌ في شكلٍ يسمح ببناء مقاربة يُستأنس بها في هذا الشأن، وتصلُحُ لأن تكون منطلقًا للحديث على الأقل عن إرهاصات الوجود البشري بالمنطقة، استنادًا لأحدث الدراسات التي تتبعت مسار الإنسان فيها.

❖ **آثار الإنسان المنتصب:** HOMO ERECTUS

يبدو من مسحٍ عامّ لمعطيات الجغرافيا بمنطقة جيجل أنها كانت منذ القديم تحتوي على متطلبات الحياة البدائية للبشر والحيوانات، من غذاء وفره غطاؤها النباتي ومحتواها الحيواني، وملجأ وفره طابعها التضاريسي شديد التنوع، وهذا ما جعل – ربما – معالم الوجود البشري المبكّر تظهرُ فيها، ويبرز ذلك في الدراسات الأثريّة التي أجرَاها الأثريان الفرنسيّان كاميل آرامبورغ (Camille ARAMBOURG) سنة 1926م، وليونيل بالو (Lionel BALUT) سنة 1952م، وبعدهُما الأثريان الجزائريان ك.براهيمي وم.مديق[2] على (مغارة تازة) غرب جيجل وعلى ثلاث مغارات تحيط بها، والتي أفضت إلى نتائج على قدر عظيمٍ من الأهمية، إذ كشفت أبحاثهم عن كثيرٍ من بقايا الأدوات الحجرية

---

[1]– **ك.براهيمي وم.مديق**: أستاذان بمعهد الآثار بجامعة الجزائر.

[2]– **علم الإناسة**: أو الأنثروبولوجيا (Anthropologie)، هو العلم الذي يتخذ الإنسان مادّةً لدراسته.

من حجر الصوان المصقول (Silex taillé) بأنواعها: محك (grattoir)، مكشط (racloir)، سكين (lame)، ثنائية الأوجه (biface)، ريشة الرند (Feuille de laurier) في طبقة سفليّة استطاعت التحاليل أن ترُجعها إلى العصر الحجري القديم الأوسط (Paléolithique moyen) أي ما بين 2000.000 و40.000 سنة قبل الحاضر، وأمكن تصنيفها في ما يطلق عليه بالحضارة البدائية (Oledway).

إن هذه النتائج بالرغم من غياب بقايَا العظام البشرية فيها، تكفي دليلاً على تجوّل صانعٍ بشريّ بالمجال الجيجلي وما حوله في هذا الزمن السّحيق، وهو نوع من أنواع "الإنسان العاقل" بأفريقيا، ويطلقُ عليه الإناسيون اسم: **الإنسان المنتصب** (هومو إريكتوس Homo erectus)، وهو إنسانٌ صحراوي اكتشفت عظامه أساسًا في تنزانيَا وأثيوبيَا، وتسمّى حضارته التي استعمل فيها صقل الأحجار **الحضارة البدائيّة** (Oldway)، اعتمد فيها على الصّيد والثمار، وتعلّم استعمال النار.

اكتشافٌ كهذا من شأنه أن يسمحَ بالقول أن أوّل جنس تجوّل بالمنطقة هو جنسٌ أفريقيٌّ زنجيٌّ، وهو الذي يسمّيه غابرييل كامب (Gabriel CAMPS) سلف الجنس البربري، ويظهر من دراسة المواقع التي عثر فيها على عظامه أن تنامي التحولات المناخية بشرق وسط أفريقيا دفعته إلى التنقل في اتجاهين مختلفين: شرقًا في اتجاه قارة آسيَا (الصين وأندونيسيا خصوصًا)، وشمالاً باتجاه السواحل أين التجأ إلى الكهوف والمغارات، وهنالك عُثر على بقايا صناعاته الحجرية بمواقع متوزعة في كامل الساحل المغاربي، ومنه موقع مغارة تازة غرب مدينة جيجل، ويؤكدُ مقاربتنا هذه أنه

عثر على بعض عظامه في طبقات مختلفة من الحفريات التي أجريت على موقع (سيدي عبد الرحمن) بالدار البيضاء بالمغرب الأقصى.

وفي مرحلة ثانية، كشفت الحفريات التي أجراها مديق بمغارة تازة1 عن طبقة سميكة من الحصى تعلُو الطبقة التي وجدت فيها آثار الإنسان المنتصب، وهي خاليةٌ من اللقى الأثرية، مما يوحي –حسبه– بحدوث تغيّر مناخي طويل على السواحل أبعدَ الإنسان المنتصب منه إلى الداخل، ويدعمُ هذه الفرضيّة اكتشاف سليله المنحدر منه في الدّاخل بمنطقة (بئر العاتر) تبسّة، وهو ما أُطلِق عليه **الإنسان العاتري** (Atérien) وحضارته الموستيرية، وهو الذي يدخله الإناسيون في نوع "الإنسان العاقل العاقل" (Homo sapien sapien)، ويعود إلى العصر الحجري الوسيط ما بين 45.000 و20.000 سنة قبل الحاضر، ويقرّ غابرييل كامب أنه نوع محلّي[1] منحدرٌ من سلالة "الإنسان المنتصب" للتشابه الكبير في فزيونوميّة عظامهما المعثور عليها، على مستوى الطّول وسعة الجمجمة ومساحة الوجه. إن هذا النوع البشري واسع الانتشار في كل مجالات شمال أفريقيا، لذلك استطاع أن يتغلب نسلُه فيها وأن ينشر ثقافته الموستيريّة، لكن طبقة الحصى الخالية من الآثار البشرية، والتي اكتشفها مديق بمغارة تازة توحي بغياب غير أكيد للإنسان العاتري عن مجال منطقة جيجل لصالح أنواع أخرى عاصرته على ما يبدو، إذ نلاحظ فيها تواجد نوع الإنسان الإيبيرومغربي الذي يتشارك مع العاتري انحداره من الإنسان المنتصب، ويتداخل معه في أزمنة تواجده، ولكن

---

[1]– **أنظر**: **غابرييل كامب**: البربر – ذاكرة وهوية، م س، ص75.

الاحتمال الأقرب إقناعًا لحد الآن هو فرضيّة مغادرة الجنس البشري لمنطقة جيجل لمدة طويلة ثم عودته إليها، بوصف الطبقة السميكة من الحصى تدل على غياب تام للحياة في المجال، وربما تدلّ على كارثة مناخية طويلة المدى قضت على الأنواع البشرية التي كانت موجودة بمنطقة جيجل، واستطالت أمدًا مديدًا لآلاف السنين حتى عادت الحياة إليها مع الإنسان الإيبيرومغربي، وهذه الأحكام لا تعدُّ قطعيّة ولا نهائية، بل هي قراءة مبنيّة على المكتشفات المعثور عليها لحدّ الآن.

حجر الصوان المصقول المعثور عليه بمغارة تازة غرب جيجل

❖ **آثار الإنسان الإيبيرومغربي:** IBEROMAURUSIEN

في عام 1970م أجرى الأثري ك. براهيمي حفريّة على مغارة تازة، ويذكر الموقع الالكتروني لمديرية الثقافة بولاية جيجل أنه أعلن في مؤتمر أديس ابابا (أثيوبيا) عام 1971م أن في الموقع إشاراتٍ جادّة على وجود بقايا للإنسان الإيبيرومغربي الشبيه بذلك المعثور عليه في (وهران) بالجزائر أو بموقع (تافوغالت) بالمغرب، وهو ما جعل زميله محمد مديق رفقة فوج من الأثريين يجري حفريات أخرى على الموقع نفسه عام 1987م، أين كشف عن طبقة ثالثة فوق طبقة الإنسان المنتصب وطبقة الحصى الخالية من اللُّقى، وعثر فيها على جمجمة بشرية لامرأة بالغة، سمحت اختبارات الإشعاع الكربوني بتقدير انتمائها لطبقة تعود إلى 16.100 سنة قبل الحاضر[1] (أي إلى حوالي 14.100 سنة قبل الميلاد) وهي حسب ما ذكره مديق في مقال له عن الموقع نشره بمجلة آكار (C.R.Acard)، شبيهة بجماجم شمال أفريقيا التي تم العثور عليها في موقع (آفالو بورمل) بجاية، وموقع (تافوغالت) بالمغرب، وموقع (حاسي العيبود) بمالي، وهو ما يصنفها في جنس الإنسان الإيبيرومغربي الذي يعود إلى العصر الحجري القديم الأعلى (Paléolithique supérieur) ما بين 16.000 و12.000 قبل الحاضر، وهذا النوع البشري غالب الانتشار في ساحل الأطلسي وفي أراضي المغرب الأقصى والغرب الجزائري، ولذلك يعدّ اكتشاف وجوده في مغارة (تازة) بمنطقة جيجل أمرًا فريدًا يطرحُ الكثير من التساؤلات عن كيفية انتقاله إلى هذا المكان وعن الطريق التي قادته إليه.

---

[1]– **أنظر**: مقال عن مغارة تازة بالموقع الرسمي لمديرية الثقافة لولاية جيجل www.dc-jijel.com، **وأنظر**: مجلة C.R.Acard, T323, serie II A, 1996, p825-831.

من جهة أخرى، وفي خرجة اعتياديّة إلى موقع آمسّاغا (Ampsaga) قرب تالفدور بالميليَّة، قادتنا رفقة الأثريين توفيق عمروني وسميرة بودراع[1] ومجموعة من طلبة معهد الآثار بجامعة الجزائر المرخص لهم بزيارة الموقع يوم 2017/12/30م لإنجاز مذكرات ماستر، انتبهنا إلى أشغال حرث أحد المزارعين المجاورين أسفل الموقع على مقربة من المسار المائي (Aquaduc) للمدينة، فعثرنا من سبيل الصدفة على قدر كبير من حجر الصوان المصقول (silex taillé) استطعنا أن نميز منه: محك (grattoir)، مكشط (racloir)، ثنائية الأوجه (biface)، ويبدو من صغر شكلها أنها تعود "للحضارة الوهرانية" التي عاشها الإنسان الإيبيرومغربي والتي تتميز بصغر أدواتها[2]، وهي موجودة في طبقة قريبَة جدًّا من السّطح، وذلك منطقيّ لوقوعها في تلة تالفدور المكشوفة التي تتعرض للتعرية بفعل الأمطار، وذلك ما يجعلنا نعتقدُ بانتمائها إلى حقبة أحدث، أي إلى العصر الحجري القديم الأعلى (Paléolithique supérieur) ما بين 20.000 و12.000 سنة قبل الحاضر، الحقبة التي عاش فيها الإنسان الإيبيرومغربي معالمَ حضارته الوهرانية، وقد تسلمتها مديرية الثقافة لولاية جيجل في اليوم نفسه للحفظ والدراسة. إن الفرق بين موقع تازة الكهفي وموقع تالفدور المفتوح يطرحُ إشكال طبيعة حياة هذا

[1]– **توفيق عمروني**: أستاذ بمعهد الآثار بجامعة أبي القاسم سعد الله الجزائر، **سميرة بودراع**: رئيسة مصلحة حفظ التراث بمديرية الثقافة لولاية جيجل وأستاذة باحثة بمعهد الآثار بجامعة أبي القاسم سعد الله الجزائر.

[2]– **أنظر**: **مصطفى أعشي**: جذور بعض مظاهر الحضارة الأمازيغية خلال عصور ما قبل التاريخ، دار طارق بن زياد للنشر، الرباط- المملكة المغربية، ط1، 2002، ص 24.

الإنسان، ويوحي بحركته من حياة الكهوف إلى حياة الطبيعة المكشوفة، ولكن هذا يبقى مجرد احتمال يحتاج تأكيدُه إلى المزيد من الأدلة الإناسية.

ويعتقدُ الأثريّ جميل حمداوي أن هذا الإنسان الذي أطلق عليه بالاري (Pallary) تسمية (الإيبيرومغربي) اعتقادا منه أنه انتقل إلى المغرب من شبه جزيرة أيبيريا (إسبانيا والبرتغال)، لا علاقة له بإنسان نِيُونْدِرتال وكرومانيون الأوروبيين، للاختلافات الجذرية في فيزيائية آثارهم المعثور عليها، بينما يعتقد أنه تطوّر محليّ للإنسان العاقل العاتري لتشابه بنيتهما الفيزيونوميّة[1] نسل منه واختلط به وعاصر وجوده، فورث عنه الانتشار في سواحل الجزائر والمغرب خاصّة، أين عثر له في موقع تافوغالت على أكثر من 200 هيكل عظمي، ولذلك مال بعض الباحثين إلى تسميته بـ(الإنسان الوهراني).

إن (إنسان تازة) الإيبيرومغربي من أندر الآثار المعثور عليها لهذا النوع الإنساني في الشرق الجزائري، وهذا ما يجعلنا نعتقد بأن سلفه "الإنسان المنتصب" بعدمَا انتشر جنوبًا وغربًا لآلاف السنين بسبب التغيرات المناخيّة، عاد إلى التواجد بالمجال الجيجلي وطوّر فيه حضارته الوهرانية، بينما يبدو جليًّا أن حركته كانت من غرب جيجل إلى شرقها أين نجد بقاياه الحجرية بموقع تالفدور وبمواقع غير بعيدة قرب منطقة ميلة في (غار الداموس) بالمشيرة، و(غار الظلام) بدراجي بوصلاح، و(بني فيلان) بعين الملوك، مما يحيلنا على بعض الاستنتاجات الأوليّة:

[1]– **أنظر**: **جميل حمداوي**: أنثروبولوجية الإنسان الأمازيغي، صحيفة المثقف، العدد 4241، 2018/04/16

- ❖ الانتشار الغالب لنوع الإنسان الإيبيرومغربي وحضارته الوهرانية بمنطقة جيجل.
- ❖ حركة انتقال تواجده من الغرب (ساحل الأطلسي) إلى الشرق (منطقة جيجل).
- ❖ خروجه من حياة المغارات والكهوف إلى حياة البناء في الأرض المكشوفة.
- ❖ تأسيسه لمعالم "ثورة نيوليتية" محليّة يوحي بها شكل الأدوات المعثور عليها.

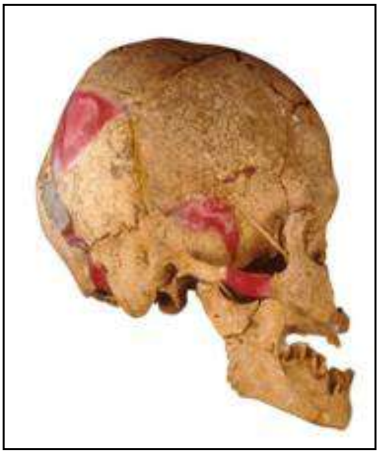

جمجمة الإنسان الإيبيرومغربي المعثور عليها بمغارة تازة غرب جيجل

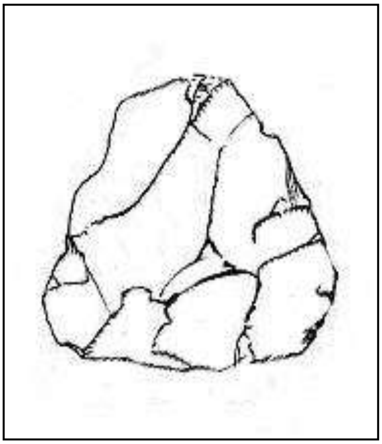

رسم تقريبي لإحدى أحجار الصوان المعثور عليها من توفيق عمروني بمدينة آمساغا الأثرية قرب الميليّة

❖ **آثار الإنسان القفصي:** CAPSIEN

غير بعيد عن المجال الجيجلي، تطوّر – بالموازاة زمانا ومكانًا مع الإنسان الإيبيرومغربي – جنسٌ آخر من صنف الإنسان العاقل، انتشر في تونس وشرق الجزائر وأطلق عليه اسم إنسان الحضارة القفصيّة (Capsienne) نسبةً إلى مكان العثور عليه بولاية قفصة التونسية، وهو محليٌّ ينحدر من الإنسان العاتري أيضًا[1]، ويتميز بكونه زنجيًّا صحراويًّا شرع في الهجرة شمالاً بسبب تغير المناخ الذي بدأ يحول الصحراء إلى منطقة قاحلة تدريجيًّا[2]. ونجد أثر هذا النوع البشري في الجمجمة المعثور عليها بموقع (مشتى العربي) شلغوم العيد، والتي حددت بأقدم من 7.000 سنة قبل الحاضر أي إلى العصر الحجري الحديث (Néolithique).

لكن بوصف هذا الموقع قريبًا جدًّا من المجال الجيجلي بمقاييس ذلك العصر، فلا شكّ في نظرنا أن يكون هذا الجنس قد وصل إليه. وإذا استجزنا حصر ترابط هذه المكتشفات داخل المجال الجيجلي، بوصف هذه الأنواع وجدت فيه لأزمان متطاولة كافيّة لصناعة نوع بشري مميز، فإنه يمكن – إلى حدّ ما – القول بأن اختلاط الانسان الإيبيرومغربي بحضارته الوهرانية والإنسان القفصي بحضارته الموستيرية، أنتج في هذه المراحل البائدة إنسانًا جيجليًّا عاش على هذه الأرض إلى غاية العصر الحجري

---

[1]– **أنظر**: **محمد حقي**: البربر في الأندلس، شركة النشر والتوزيع، الدار البيضاء -المغرب، ط1، 2001، ص 20، عن **جميل حمداوي**: أنثروبولوجية الإنسان الأمازيغي، م.س.

[2]– **أنظر**: **مصطفى أعشي**: جذور بعض مظاهر الحضارة الأمازيغية خلال عصور ما قبل التاريخ، م س، ص 11.

الحديث، وشاركت مجموعاته في بناء الأسس الأولى لما أطلق عليه فيما بعد بالمجموعات البربرية، وتجاذبته تصنيفات كنفدراليّة حكمها السلم والصراع.

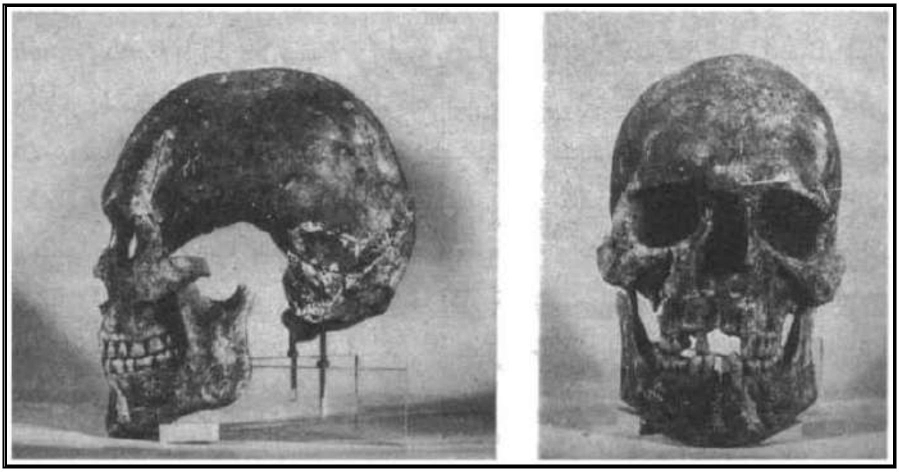

جمجمة الإنسان القفصي المعثور عليها بـ(مشتى العربي) شلغوم العيد (عن غابرييل كامب)

إن هذه الحقائق الأثريَّة تحدّثنا عن نصيب جيجل من هذا الإنسان القديم، ولكن البحث الإناسي المتعلق بالوجود البشري في منطقة جيجل سكت عن المراحل التي تلت ذلك إلى غاية فجر التاريخ، عندما انبعثت الكتابة على زمن صراع الفراعنة والعاموريين في المشرق، والذي بقيت جيجل على ما يبدو بعيدة فيه عن متناول الشعوب الغازية برًّا أو بحرًا.

ولكن هذا الطرح —وإن كان دليلاً دامغًا على كون الوجود البشري في المنطقة أقدم بكثير من القرن 11 ق.م الذي قدّره ابن خلدون نقلاً عن النسابة العرب— يحيلنا على إشكالٍ شائك موضوعُه علاقة هؤلاء البشر القدامى بكنفدراليات الإنسان الجيجلي الذي بدأ ذكر وجوده في المنطقة على زمن المؤرخين اليونان، وهو ما يفتحُ الأمرَ على احتمالين اثنين:

✓ كون الإنسان الجيجلي سليلاً مباشرًا لهذا الجنس المختلط البائد، أي مغاربيًّا أصليًّا تجول بمنطقة جيجل شرقًا وغربًا منذ هذا الزمن، وتطور طوال العصر الحجري الحديث إلى مجموعات متكنفدة تواصل وجودها بالمجال إلى فجر التاريخ، وهو احتمالٌ يحتاج تأكيدُه إلى دلائل إناسية وأثرية أكثر، وإلى دراسة جينيَّة دقيقة.

✓ كون الإنسان الجيجلي جنسًا آخر غير هذا الجنس البائد، أي بربريًّا منضافًا إلى المجال الجيجليّ، واستلحم بقاياه —إن كان بقي له بقايا— عند نزوله بمنطقة جيجل في مجموعة من الهجرات البشرية التي يبدو أنها بدأت عند انخراط أهل المنطقة في الصراع الفرعوني العاموري في القرن 11 ق.م، والذي قدّره المؤرخون العرب للحديث عن أجناس مشرقية كثيرة انضافت إلى المجال، وهذا الاحتمال وارد أيضًا لكن تأكيده يحتاج أيضًا إلى دراسات جينية تستعيض غياب الدّليل التاريخي.

3- المجال الجيجلي في مسار تشكل المجموعات البربريّة :

يبدو أن الباحثين في قضية سيرورة تشكل الأنواع البشريّة بشمال أفريقيا، أو ما أطلق عليه فيما بعدُ (شعوب البربر)، قد أدركتهم الأدلجة والذّاتية وانساقوا وراء المقاربات الأحادية التي أهملت ظروف التشكُّل ومكوناته وروافده البشرية، لصالح نظرياتٍ تريد أن تستقلّ بهذه الشعوب وتوغل في جعل تشكّلها منفردًا بمعزلٍ عن الحضارات الإنسانيّة، ونظرياتٌ أخرى تريد أن تربط أصول هذه الشعوب بهذه الجهة أو تلك لأغراضٍ لا تعدو الرغبة في استدماج هذه الشعوب واستنساب أراضيها وأمجادها، وذلك ما حاد بالحقيقة عن سكّتها، وأنمى مشاعرَ العصبيّة والتطرف لدى الناس بشكل أصبحُوا فيه يتصارعون على نصرة هذه الآراء القاصرة.

إنّ الإشكال الذي طرحه العربي عقون[1] في قضية الهوية جدّ مهم، فـ"**إذا كانت الهوية في كل الأقطار عامل استقرار وتضامن واتحاد فكيف تكون في شمال أفريقيا عامل قلق واضطراب؟**"[2]، هل يرجع ذلك إلى غياب الجانب المصدري في البحث عن أصول البربر؟ أم إلى أدلجة قراءة المصادر الموجودة؟ أم إلى غرضٍ بائس يستخفي وراء جعلها كذلك؟ وإذاك، هل يمكن تقصي أهمّ أسس التكنفد التي قامت عليها المجموعات البربرية بحسب ظروف كل عصر؟

1– العربي عقون أستاذ الآثار والتاريخ القديم بجامعة عبد الحميد مهري قسنطينة.

2– **العربي عقون**: الأمازيغ عبر التاريخ، نظرة موجزة في الأصول والهوية، الموقع الإلكتروني إينوميدن (http://www.inumiden.com)، يوم 09 ماي 2018، سا 23:08.

إن زبدة الرأي في شأن أصل البربر في رأينا أن مبتدأهم أفرادٌ انبثوا بشمال أفريقيّا في الأزمنة البائدة، ومن المحالِ معرفة جنس كل واحد من هؤلاء الأولين بشكلٍ دقيق في غياب الشواهد الإناسيّة الكافية، ثم تطوّروا إلى جماعات بشرية بدائيّة كما تدلّ عليه المكتشفات الأثرية، وعلى مرّ عصور ما قبل التاريخ بدأ يحدثُ لهذه الجماعات البشرية ما يصطلح له حسين بوبيدي بظاهرة (**الاستلحام**)[1]، فتشكلت كنفدراليات مختلطة من هذه الجماعات، وبدأت تنشئ لنفسها لغاتٍ خاصة وتطلق على نفسها أسماءَ بطرائق شتى تستند إلى جدّ مؤسس أو معتقد مقدس أو طوبونيميا منطقة وغيرها... ومع مجيء فجر التاريخ ووصول أجناس القارات الأخرى إليهم بالهجرة أو الغزو نقلوا إلينا هذه الأسماء وأطلقوا عليهم تصنيفات جديدة أخرى كلٌّ بحسب غرضه، وتواصل فيهم مسار الاستلحام بأن انضافت إليهم أجناس شتى من آسيَا وأوروبا فاستذابوها واستلحموها، ونشأت في كل مرحلة من هذه المراحل كنفدراليات جديدة ورثت التي سبقتها وحملت تسمياتٍ جديدة وتصنيفات وتموضعات للقبائل نفسها، وتكررت هذه الظاهرة في كل عصر، فنقلتها إلينا البقايا الأثرية والكتابات التاريخية مرتبّة، مع ما دخل عليها من الأسطرة والتحوير المؤدلج بحسب الحاجات الاقتصادية والسياسية لشعوب كل عصر، وهو الأمر الذي لا يمكن أن نستثني منه أي قبيلة من قبايل البربر.

---

[1]– **حسين بوبيدي**: أستاذ التاريخ الوسيط بجامعة عبد الحميد مهري قسنطينة. **الاستلحام**: مشتق من اللّحمة والتلاحم، وهو ذوبان جنس أو جزء منه في جنس آخر، حتى يصير مندمجا فيه ومعتدًّا في عداده، وهي ظاهرة لم يسلم منها جنس من الأجناس البشرية، وهذا المصطلح من وضع (ابن خلدون) ومن انتقاء حسين بوبيدي.

إنّ عملنا على المجال الجيجلي المحدد جغرافيًّا لن يكون ذا فائدة دون المرور بحيثيات تشكّل المجموعات البربرية الكبرى التي انتمى إليها المجال، ومن خلال ما ناقشناه سابقًا عن أصول البربر يبدو واضحًا أن هذه المجموعات المتكنفدة كانت تتشكّل في كلّ عصر بحسب المعطيات السياسية والاقتصادية في مجموعات تتنقل بين المجالات وتتلاحم وتتخذ لنفسها في كلّ مرة مسمّيات جديدة، أو تُطلَقُ عليها من الغزاة المقبلين، ولذلك فإن البحث عن أصولها من خلال التقصي الإثني التقليدي المقتصر اعتمادُه على السلاسل العرقيّة لن يفضي إلى نتائج قريبة من الصواب ما دامت أسس التشكُّل في غالب الأحيان غير ثابتة، بل لابد – في ظل شحّ الشواهد القطعيّة – أن ينطلق أي باحث في هذا الشأن من قناعة كون هذا الجنس البشري خليطًا متمازجًا يتمفصل ويتكنفد بشكل غير منتظم ولا يحكمُ حركته أيّ منطق ما عدا التدافع الحضاري وبالخصوص منه في الجانبين السياسي والاقتصادي، كما لم يكن متوفرًا في ذلك الزمن السّحيق من الشواهد ما يكفي ليسجل التفاصيل الكثيرة الجمّة لهذه الحركة غير المنتظمة، لذلك لا يسعنا فوق هذه القناعة سوى التسليم للاجتهاد الأنوماستي المدلل عليه بالآليات الأخرى المساعدة، وتتبع تطور تسميات كنفدراليّات البربر المتشكلة على مر العصور من خلال ما وصلنا من الآثار والأخبار عن ما كان يحيط بها من الأحداث الفاعلة والمؤثرة، وبعد قراءة طويلة جدًّا ومتقصيّة أمكننا أن نقسم هذا التطور إلى ثلاثة مراحل:

❖ **أجناس العصر الحجري الحديث** (Néoli-gentes):

لا يختلف أحدٌ على الخلاصة التي وصل إليها كامب بأن بدايات التكنفُد الجاد لمجموعات البربر لا تتعدى العصر الحجري الحديث (النيوليتي من 9000 ق.م إلى 4500 ق.م)، وهي المرحلة التي برزت فيها في شمال شرق الجزائر معالم حضارة الإنسان القفصيّ[1]، وهو سليل الإنسان منتصب القامة الزنجيّ المختلط مع الروافد الشرقية الزاحفة إلى شمال أفريقيا عبر صحاري مصر وليبيا، ولم تستطع الأدوات الحلزونية ونقوش بيض النعام والصوان المصقول وحتى رسومات الكهوف التي صنعها هؤلاء الأسلاف أن تنقل إلينا أسماء يمكن أن نعتمد عليها في توجيه الجانب الأصولي، ما عدا كونهم مجموعات متكنفدة تشكلت وبدأت في ممارسة حياة جماعيّة وأنشطة صيدية وزراعية وصناعيّة، وشرعت في تدجين الحيوانات، لذلك فضّل الإناسيون إطلاق تصنيفات وصفيّة لها (الرسامون، أكلة الحلزونات، ركاب الخيول... إلخ).

لا يمكن الحديث في هذا العصر المبكّر لبناء المجموعات البربرية عن أسس التكنفُد التي من الواضح أنها كانت تقليديّة جدًّا، تعتمدُ أساسًا على المصير المشترك وضمان مستلزمات الحياة، مع جزء يسير من الاعتقاد بوجود تكتلات أسريّة بدأت تعتمدُ على الأساس الإثني من منطلقات فطريّة، ويجدر الذكر بأن هذه المجموعات المتنائية تشكلت بتقاطعات روافدية أصوليّة متنوعة أنتجت لنا من الناحية الإناسية (أخلاطًا) غير متجانسة في البنى الجسدية وألوان البشرة والممارسات الحياتية، مما يجعلُ

---

[1]– **أنظر: غابرييل كامب**: البربر – ذاكرة وهوية، م س، ص80-81.

من القُصور المعرفي طبعًا الحديث عن أصول قطعيّة لهذه الشعوب من خلال تشابه هذه المتغيرات مع شعوب العالم الأخرى إلا من باب دراسة تبادل التأثير والتأثر.

إن قرب البقايا العظمية للإنسان القفصي المعثور عليها بمشتى العربي – شلغوم العيد من المجال الجيجلي تجعلنا في حيرةً من إمكانية تشكُّل جماعات بربرية بمجالاتها في هذا الزمن، خصوصًا مع ما تتمتع به من وفرة لظروف المعيشة الآمنة ووسائلها، ولكن تأكيد هذه المقاربة يحتاجُ إلى أدلّة أكثر لاشكّ أنها لا تزال مخبوءة في بطون الكهوف وأعماق المواقع الأثرية التي تحتاج إلى تنقيبات أكثر.

❖ **أجناس فجر التاريخ** (Proto-gentes):

يبدو أن أوّل ذكر لإحدى الجماعات البربرية في فجر التاريخ هو ما وُجد بالمقبرة المكتشفة من بلزوني (BELZONI) للفرعون سيتي مرنبتاح (ت.1279ق.م)، من النقوش التي ترسم انتصاراته على العاموريين واللّيبيين والحيثيين والزنوج وغيرهم.. إذ تظهر فيها صورهم واضحة وكتابات نجدُ فيها تسميَة **(ليبُو)** للدلالة على كنفدراليّات الشعوب التي كانت الجارة الغربيّة لمجالات الفراعنة، ولكن هذا الاسم العام لم يكن في اعتقادنا سوى تسميةِ كنفدراليّةٍ بربريةٍ كبيرة حكمت مجال شمال أفريقيَا فظهرتْ تسميتُها على الكنفدراليَّات الأخرى الداخلة تحت حكمها والتي ذكرتها نقائش المسلاّت الفرعونية بتسميَات (تاحومو/تمحو/تمحنو، ريبو، لشبط، بقن، مشوش..)، ويبدو من هذا الزمن البعيد ببضعة آلاف من السنين عن بداية تشكل المجموعات البربرية أن هؤلاء البربر قد بلغوا مستوًى لا بأس به من التحضّر في حياتهم وأنشطتهم،

بحكم إبداعهم في تطويع مواطنهم واحتكاكهم بالحضارات القريبة، وذلك ما يجعلنا لا نستبعدُ وقوع هجرات شرقيّة وأوروبية باتجاه مواطنهم ونشوء أقليّات مستلحمة فيهم ومغيبة تحت تلك التسميات العامة، خصوصًا بعد بداية التحالفات بينهم وبين العاموريين وزعيمهم جالوت (كُليَاد Goliath) لمواجهة بني إسرائيل والفراعنة في القرن 11 ق.م، حتى أنّ ابن خلدون جعله أحد ملوكهم نقلاً عن مؤرخي العرب[1]، وقال عثمان الكعاك أن البربر أخذوا هذه التسميَة وصاروا يلقبون بها ملوكهم (أقليد) إلى مجيء الفينيقيين[2]، ونلاحظ أن أسماء هذه الكنفدراليات البربرية الكبرى لم تتغير في المصادر طيلة هذه العصور، لنتفاجأ بضمورها إلى جماعات صغيرة وبروز أسماء أخرى بعد نزول الفينيقيين وبمجيء المؤرخين اليونانيين، وسيأتي ذكر ذلك.

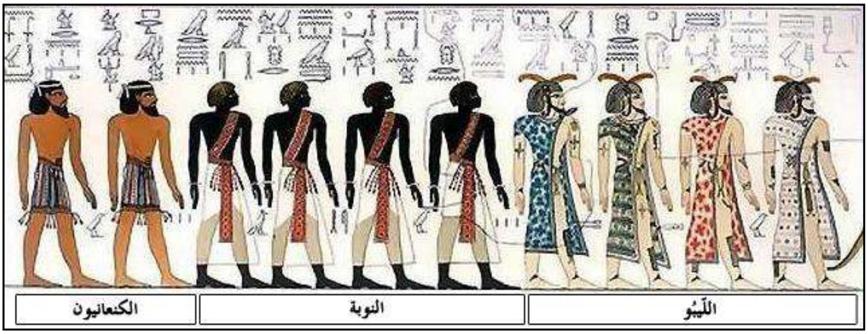

أفراد من الليبو 1279 ق.م في نقوش ضريح الفرعون سيتي الأول مرنبتاح (من الأسرة 19)

[1]– **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص127.

[2]– **عثمان الكعاك**: البربر، نشر تامغناست، ج1، ص52.

❖ **أجناس التاريخ القديم** (Antico-gentes):

بعد مجيء الفينيقيين إلى شمال أفريقيا انطلاقًا من 815 ق.م انفتحت أبواب الكتابة التاريخية عن مجموعات الليبُو، وخصوصًا للمؤرخين والجغرافيين اليونان، ونلاحظ أن أقدمهم تفصيلاً لبلاد البربر كان هيرودوت (ت.425 ق.م) ومن جاء بعده في القرن 05 ق.م، عندما قسمهم إلى تصنيفات متعددة، فعلى الأساس الجغرافي قسم شعب الليبيين إلى (النوماد شرقًا، الجيتول في الوسط، الفاروسيون غربًا)، كما نقل لنا الكثير من تسميات كنفدراليّات البربر الذين عاصروه ومنها: (ماكسيس، أوسخير، قابالة، غرامنت، ناسامون، ماغ، غندانة، نبق، ماخلوه، أوسة، ماكوة، زواغة.. إلخ).[1]

أما عند مجيء الرومان في 46 ق.م، فنجد ملاحظات سالوست (ت.30م) الذي كان أوّل من تحدث عن بعض الهجرات الأوروبية إلى بلاد البربر من طرف الميد والأرمن والفرس، فهؤلاء قصدوا المنطقة في أقلياتٍ استلحمها البربر وذابت في أخلاطهم وأنتجوا تسميةً جديدة علَتْ على كنفدرالية الفاروسيين بأقصى المغرب وهي المور، وبطليموس (ت.168م) الذي كتبت لنا جغرافيته الكثير الجمّ من أسماء القبايل البربرية التي لا يتسع المقام لذكرها جميعًا، ولكنه حافظ على تقسيم هيرودوت وسالوست، وتواصل اتضاح الأسماء وبدأت معالم ظروف تشكل الكنفدراليّات البشريّة الجديدة تبينُ أكثر مع خريطة بوتنجر المنجزة في حوالي 350م والنقوش التي ما فتئ

---

[1]- **Voir** : **Hirodote**: Histoire, trad par LARCHER, Charpentier Libraire éditeur, Paris, 1850, T1, chap iv, pp 390-400.

يجدها الأثريون على النصب الجنائزية ولوحات التدشين الرومانية فنجد كنفدراليّات كبيرة مثل: (ماصيل، مازيس، مور.. إلخ) استطاعت أن تؤسس دولا، وكنفدراليّات أخرى مثل (موزولام، باربار، جيتول، سلاسي، زيميز.. إلخ)، هذه التسميَات تظهر عليها أحيانًا أسماء فروعٍ بعينها لتصبح أسماء لكنفدرالياتٍ كُبرى، أو تؤخذ من طوبونيميَا المجال أو عادات الأجناس، تنحسر في مرحلة سياسية أخرى لتبرز مكانها أسماء جديدة تستطيع أن تشمل المحليين ومن ينضاف إليهم بفعل الهجرة من الشرق أو الجنوب أو من أوروبا، كالكنعانيين والأثيوبيين والحِمْيَريين والميد والفرس والأرمن والإغريق والرومان وغيرهم.. وتفاصيلهم كثيرة جدًّا ليس هذا مقام ذكرها.

إنه من العسير جدًّا تتبع تفاصيل الإضافات التي دخلت على أجناس شمال أفريقيا في العصر القديم، لتُشكل معها الأمّة التي سمّاها المسلمون "البربر"، وهي الكلمة التي ما يزال تأويلُها يثير الخلاف، ولكن أقصى ما يمكن فعلُه هو التقفّي الأنوماستي لأسماء التصنيفات البربرية عند كل عصر في الآثار المعثور عليها ولدى المؤرخين الذين نقلوها، لمحاولة فهم مصادر هذه التسميات ومميزاتها، وأثرها في صناعة البنية البشرية لكنفدراليات منطقة جيجل موضوع دراستنا، وحتى يستوعب القارئ مسار تشكّل البنية النسَبيّة للفرد الكتامي الجيجلي، والتقاطعات التي تربطه مع الأجناس البشرية الأخرى في جميع مراحل التاريخ القديم، وفيما يلي تفصيل ذلك.

الفصل الثاني:

أجناس منطقة جيجل في العصر القديم

إن الآثار المبعثرة في مختلف نواحي المجال الجيجلي، والمتعلقة بالوجود البشري وتحركاته في التاريخ القديم، استطاعت أن تقدّم لنَا معلوماتٍ غايةً في الأهميّة، إذ استطاع الأثريُّون بواسطتها معرفة أحداثٍ ضخمة وقعت في تلك الأزمنة القديمة، وكان لها علاقةٌ وتأثير على الحركة الديمغرافية بالمنطقة، وهو ما أتاح لنا في مقامٍ ثانٍ تقصّي مكونات هذه الحركة وطبيعتها في كل مرحلة، بينمَا جاءت كتُب مؤرّخي تلك الحقب لتؤكد هذه المقاربات بشكلٍ دقيقٍ ومتصّل، حتى وإن كان ذلك مميزًا بالعموم ومهمِلاً للتفاصيل، بوصف فعل التأريخ كان مركزًا وشديد الارتباط بالأحداث.

1- كنفدراليَّات الحقبَتين اللّيبيّة والبونيّة :

ينطلق بنا البحثُ من القرن 13 ق.م الذي تحدثت فيه النقائش التي عثر عليها بلزوني (BELZONI) بضريح الفرعون سيتي مرنبتاح (ت.1279ق.م) عن تسميَة (**ليبُو** Libou)، وهي على ما يبدُو الكنفدراليّة التي كانت تضمّ مجموع الأجناس المجاورة لمصر من الجهة الغربيّة، ولعلّ (ليبُو) هي لقب العائلة الحاكمة لهذه الكنفدراليّة أو هي تسميةٌ وصفيّةٌ حاملةٌ لمعنًى لا نعلمُه وتندرج تحتها هذه الأجناس التي نذكر منها (تاحومو/تمحو/تمحنو، ريبو، لشبط، بقن، مشوش..) وغيرها، وهذه الأسماء على ما يبدو لم تتكن تتعدى صحراء ليبيَا الحالية، لأنه لم يكُن متوفرًا آنذاك بالناحية الغربية من شمال قارة أفريقيَا الأدواتُ اللّغويةُ التي تسمحُ بمعرفة أسماء شعوبها، ما عدَا هذه المذكورة في النقوش الفرعونيّة، وذلك بالرغم من اتساع مجالات اللّيبو الذين وصلوا إلى حكم مصر سنة 950 ق.م عن طريق مصاهرة الفرعون لابن كهنة قبيلة

المشْوَشْ (شيشَق الأوّل حدج خبرع) الذي تَفَرْعَنَ وأسس الأسرة 22، والمذكورة أخباره وانتصاراته على نقوش معبد سرابيوم وجدارية معبد الكرنك وبوابة شيشَق، وقاد معه غزوات كثيرة لكنها اتجهت جنوبًا في بلاد النُّوبة، أو شرقًا إلى بقايا مملكة النبي سليمان عليه السلام التي انقسمت بين إمارتي (بني إسرائيل) و(يهودا)، فقد نقل اليهود ذلك في التلموذ (سفر الملوك الأول): "وَفِي ٱلسَّنَةِ ٱلْخَامِسَةِ لِلْمَلِكِ رَحُبْعَامَ صَعِدَ شِيشَقُ مَلِكُ مِصْرَ عَلَى أُورُشَلِيمَ، لِأَنَّهُمْ خَانُوا ٱلرَّبَّ، بِأَلْفٍ وَمِئَتَيْ مَرْكَبَةٍ وَسِتِّينَ أَلْفَ فَارِسٍ، وَلَمْ يَكُنْ عَدَدٌ لِلشَّعْبِ ٱلَّذِينَ جَاءُوا مَعَهُ مِنْ مِصْرَ: لُوبِيِّينَ وَسُكِّيِّينَ وَكُوشِيِّينَ، وَأَخَذَ ٱلْمُدُنَ ٱلْحَصِينَةَ ٱلَّتِي لِيَهُوذَا وَأَتَى إِلَى أُورُشَلِيمَ.."، وهو ادعاءٌ – حتى وإن كان صادقًا تاريخيًّا – فإنه من العجب أن يُنسب إلى التوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام في حوالي القرن 14 ق.م قبل هذه الأحداث بأربعة قرون !! وإنه ولا شك ممّا أضافه بنو إسرائيل في التلموذ، وأيًّا يكن الأمر فإنه لم يُشهد لهؤلاء اللّيبو غزواتٌ إلى غرب شمال القارة، لذلك يبدو من المحال القول بوصول كنفدراليّة اللّيبو إلى المجال الجيجلي في هذا الزمن، وتعميم هذا الاسم على سائر شعوب غرب شمال أفريقيا أمرٌ لا مسوّغ له إلا من باب سدّ فراغ الغائب بالموجود.

وينطبق ذلك أيضًا على القول بإمكانيّة مشاركة ساكنة المجال الجيجليّ في جيش شيشق حدج خبرع، إذ لا دليل على ذلك إلاّ في باب الأسطُورة التي تجعلُ لهذا الفرعونِ مقامًا في أعلى جبل جيملة على الطريق بين جيجل وفرجيوة، يسمى (سيدي وشناق) أو كما تنطقه اللّهجة المحليّة (وشناك)، ذكر القاضي النعمان تسمية

قريبة منه هي (وشنوك) قلعة عاليَة بضواحي سطيف هاجمها أبو عبد الله في بداية دعوته للشيعة فدحرج أهلُها عليه الصّخور[1]، ولعلّه المزار الذي عند جبل جيملة كان يقصده السكان والمسافرون عبر هذا الطريق إلى القَبلَة جنوبًا، لذلك سجّله فيرو وذكر أنه وجد عنده حجرًا كتب عليه أحد المرابطين: "**يا سيدي وشناك، راني ماشي للقبلة في حماك، إذا رجعت على خير وعافية، نعطيك الوعدة، خبيزة دي بومعراف، واحد الشميعة وزوج سردي دي الجاوي**"[2]. هذا العنصر الثقافي يطرحُ إشكالاً، فهل لروايةٍ تلموذيّة عن فرعونٍ بهذا القِدَم أن تعيش طوال قرون لتكون دليلاً على مشاركة قبايل المجال الجيجلي في هذه الأحداث؟ أم أنها قصة أسطورية نُقلت إلى أهل المنطقة في زمن آخر وشاءت لها الذاكرة الجمعيّة التخليد بهذا الشكل؟ أم أنها محض تشابه في التسمية بين (شيشق حدج خبرع) و(وشناك) و(وشنوك)؟

إن هذه المعطيات الأثرية والأسطوريّة ليست كافيةً لتمنحنا تسميَة ساكنة المجال الجيجليّ وروافدهم الأصوليّة في الحقبَة اللّيبيّة، وكان علينا الانتظار إلى مجيء الفينيقيّين في القرن 10 ق.م، بعد زمن يسير من القرن 11 ق.م الذي وقع فيه صراع داوود عليه السلام مع جَالوت، لنشهد نشوء أسطُورة تشكّل كنفدراليّة (مازيغ) حسب ابن حزم وابن خلدون نقلاً عن نسّابة البربر، إذ نجد الأسطورة الفينيقيّة تذكر وجود كنفدراليّة (مازيف Mazices) نهاية القرن 11 ق.م، قبل وصول (اللّيبو Libou) لحكم

---

[1]– **أنظر: أبو حنيفة النعمان التميمي**: افتتاح الدّعوة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات لبنان، 2005، ص 75.

[2]– **L. Charles FERAUD**: Histoire Des villes De la Provence de Constantine-Djidjelly, Kessinger Publishing, LLC, 2010, p38.

مصر، فيذكرها جوستينيوس بتسمية (Maxitani) في أسطورة تأسيس قرطاج سنة 1000 ق.م، قال إن ملك الماكسيتاني طلب يد إليسا ديدون الملكة الفينيقية التي أسست قرطاج[1]، ويظهر من هذه الرواية أنّ المقاربة التي وصل إليها كارات (CARETTE) في شأن هذه التسميَاتِ مقنعة جدًّا، إذ يعتقدُ أن مؤرخي الحقبتين اللّيبيّة والبونيّة وجدُوا كنفدراليّات شعوب شمال أفريقيَا حاملة لأسماء تصنيفيّة بحسب الأنشطة التي يمارسونها في حياتهم[2]، لأن ذلك على ما يبدو تواصلٌ للتصنيفات الإناسيّة لإنسان ما قبل التاريخ، فلاحظ كارات أن رحلة سيلاكس (Scylax) في القرن 06 ق.م وهيرودوت في القرن 05 ق.م قد قدمتَا تسمياتٍ وصفيّة بهذا الشكل تضم شعوبًا كثيرة تتشارك نشاطات بعينها، مثل كنفدرالية باربار (Barbares) الغربيّون في المغرب الأقصى، وكنفدرالية أُوس (Auses) الرّعاة شرق شط ملغيغ، وكنفدراليّة ماكسي (Maxyes) أو مازيف (Mazices) الفلاّحين غربه.. وغيرهم[3].

هذه المعلومات المتأخرة عن هذه الأزمان القديمة سمحت لنا بتقدير انتماء ساكنة المجال الجيجلي في تلك الأزمنة إلى فضاءات توزع كنفدراليّة مازيف (Mazices) الفلاحيّة، قبل أن تدرك تسميتَها التصنيفاتُ الإغريقيّةُ وتتفرق على الأقطار، حيث

[1]– **Voir** : **JUSTIN** : Histoire Universelle, trad. Jules PIERROT, éditions C.L.F, Panckoucke, Paris, MDCCC XXXIII.

[2]– **Voir** : **E.CARETTE** : Origine Et Migrations Des Principales Tribus De L'Algérie, Paris, Imprimerie Impériale, M DCCC LIII, p15.

[3]– **Ibid**, p13-14-15.

تنتشر في سائر المناطق الجبلية والصحراوية بتصحيفات كثيرة ومختلفة: (Mazyes, Mazices, Maxyes, Mazicei, Maxitani, Mazacenses, Tamazucenses, Mazazeces...)[1]، وقد استطاعت هذه التسمية الوصفيّة الصّمود إلى غاية زمن الفتح الإسلامي بصيغة (مازيغ)، ولكنها ميّزها عمومٌ جعلنا نتسائل بشكل أكثر دقة عن هويّة ساكنة منطقة جيجل داخل هذه الكنفدراليّة والاسم الذي كانوا يحملونه قبل وصول الفينيقيين في القرن 06 ق.م، التقدير الذي خرجت به الدراسات التي أجراها بروسبي آلكييه (Prosper ALQUIER) وزوجته جينات (Jeanette) سنة 1929م، ومريم آستروك (Miriam ASTRUC) سنة 1935م[2]، وعُدَّ في الرواية الرسميّة تاريخ أقدم تواجد للفينيقيين بمنطقة جيجل. هذا الإشكال تجيبنا عنه دراسة النقائش الأثرية الغائرة في القدم المعثور عليها بمنطقتي الميليّة وجيملة، والتي أحالتنا مباشرة على ما نعتقدُ أنه مختصراتٌ لتسميَة (كوتاما) الصيغة التي أدركها التعريب فيما بعد في جانبها النطقي والكتابي فسُجّلت بصيغة (كُتَامَة).

---

[1]– **موقع**: https://tutlayt.com، يوم 2018/08/18، 11:34.

[2]- **Voir** : **Jeannette et Prosper ALQUIER** : Tombes phéniciennes à Djijelli (Algérie), Revue Archéologique, N° 31, 1930, pp 1-17. Et **Miriam ASTRUC** : Nouvelles fouilles à Djijelli (Algérie), Revue Africaine, Op.cit, Vol 80, N° 371, 1937, pp 199-253.

❖ **كوتاما** (KUTAMA):

نقل ابن خلدون عن رواة البربر في عصره أسطورة بروز (كُتامَة) بمنطقة جيجل في القرن 11 ق.م داخل مجالاتِ كنفدراليّة المازيف الفلاحيّة، أي في زمن الحرب عالميّة الضخمة التي تزعمها طالوت وحلفاؤه من جهة، وجالوت وحلفاؤه من جهة أخرى، ويبدو أن شعوب اليمن وشمال أفريقيَا لم يتخلفوا عن هذه الحرب، لذلك تذكر أساطيرهم الكثير من تبادلات الحراك السياسي والبشري الذي في خضمه برزت (كّتامَة) و(صنهاجة)، ولكن هذه الأطروحَة الأسطوريّة احتاجت لتأكيدها إلى دليلٍ فِعليّ أسعفَها إليه البحثُ الأثريّ بنقيشتين عثر عليهما الفرنسيّون، وترجعان على ما يبدو إلى الحِقبة اللّيبيّة السابقة للفينيقيين، الأُولى وُجدت بوسط مدينة الميليّة قرب البرج الفرنسي، وتُمثل الجزء السّفلي من لوح مكسور كُتبت عليه رموز ليبيّة واضحة، والثانية وجدت بفج (فدولس) قرب جيملة، وتتمثل في لوح كامل عليه كذلك رموز ليبيّة واضحة، وبعد استقراء دقيق لمقابلات أصوات هذه الرموز في اللاتينية والعربيّة، استطعنا إيجاد رمز يُحتمل أنه يدلُّ على القبيلة التي كانت تسكن المنطقة في الزمن الذي سبق الفينيقيين، وهو رمز الذي يقابل صوت (**K**) اللاّتينية و(**ک**) العربيّة، ونعتقدُ أنه مختصر تسميَة قبيلة (كوتاما)، خصوصًا وأنه موجود على النقيشتين، ويعوُد إلى فترة حكم الجماعات القبليّة التي تُسجل أسماءها بمختصرات الرموز ليبيّة، ومن ثمة أمكننا الارتياح إلى مقاربة ابن خلدون في نشأة (كتامة).

وما عدا تسمية (كوتاما) المرموز إليها في النقيشتين المذكورتين، لم نجد في الكتب أو الآثار أسماء قبايل أخرى كانت تسكن المجال الجيجلي من القرن 11 ق.م إلى زمن هيرودوت في القرن 05 ق.م، الذي شهد بعد خمسة قرون من وصول الفينيقيين تقسيمًا مختلفًا تضخمت فيه كنفدراليّات جديدة داخل مجال المازيف، فاستقلت بنفسها وبرزت، ومنها كنفدراليّة (كوتاما)، كما سيأتي تفصيلُه.

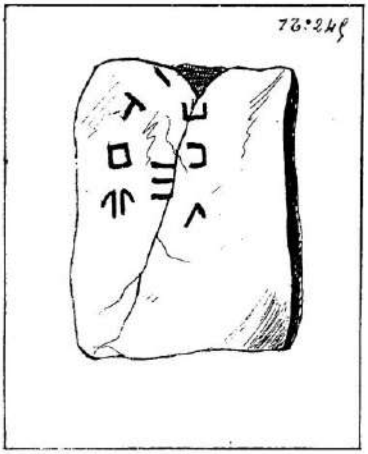

النقيشة الأثرية اللّيبيّة المعثور عليها قرب برج الميليّة من الفرنسي (Empérauger) وأُعيد رسمها من (L.Arnolet) سنة 1875م

فيها رمز (ᛁᛏ) مقابل صوت (ک) لعله مختصر كلمة (كوتاما)

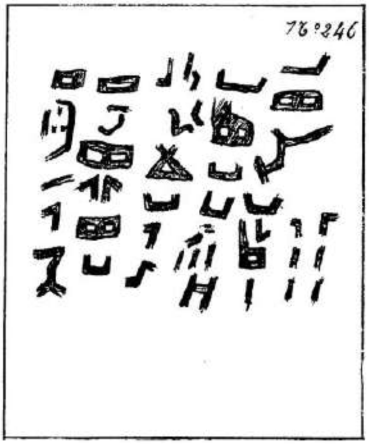

النقيشة الأثرية اللّيبيّة المعثور عليها بفج فدولس (جيملة) من الفرنسي (De Verneuil) وأُعيد رسمها من (L.Arnolet) سنة 1875م

فيها رمز (ᛁᛏ) مقابل صوت (ک) لعله مختصر كلمة (كوتاما)

هذه الشواهد الأثرية تنضافُ إلى الأحداث الأسطوريّة للقرن 11 ق.م لتجعلنَا نستأنسُ ببروز جنس (كوتاما) مع أجناس كثيرة أخرى في هذا الزمن، ولكنّها بالمقابل تؤكدُ على كون هؤلاء (كوتاما) جنسًا شمال أفريقيّ كان موطنه جبال المجال الجيجلي منذ الحقبَة اللّيبيّة على الأقلّ، ويبدُو أن مشاركته مع شعوب شمال أفريقيا في حرب هذا الزمن أكسبته خبرة وتجربة ساعدته على البروز، كما أكسبته روافد جديدة من كنعان وحِمْيَر وغيرها، فلما قويت مواطنه بجبال جيجل ازداد تأثيره وامتدَّ انتشاره حتى بلغ (كيرتا) على عهد الفينيقيين، وهو ما أظهرتهُ النقيشة البونيّة المكتشفة في منطقة (الحفرة) بوسط مدينة قسنطينة، والتي حملت لنا إشارة جادّة نجدها في المختصر (KT) الذي أوّلته كلثوم قيطوني دحو بـ(KUTAMA)[1]، وهذا الاكتشاف يؤكد اعتقادنَا بانتماء جنس (كوتاما) إلى كنفدرالية مازيڤ التي أصبحت (كيرتا) تمثل عاصمة لها على زمن الفينيقيين، كما يعطينا دليلاً على التعايش الذي كان موجودًا بين هذا العنصر المحلّي والعنصر الكنعاني الطّارئ على المجال، خصوصًا بعد اختلاطهما في حرب القرن 11 ق.م وتبادلهما التأثير والتأثر لقرون طويلة بعد ذلك، وهو ما يجيب حتى عن إشكال سبب اختيار الفينيقيين لساحل شمال أفريقيا لتأسيس مراكز حضارية كبرى بعد سقوط عاصمتهم (صيدا).

1- **Voir**: **Hosni KITOUNI**: La Kabylie Orientale dans l'Histoire, Casbah éditions, Alger, 2013, p 50.

النقيشة المعثور عليها بمنطقة (الحفرة) قسنطينة المذكور فيها (KT) ولعله مختصر تسمية (KUTAMA)

ويبدو أن الفينيقيين الذين وصلوا إلى المجال الجيجلي في القرن 06 ق.م وأسسوا مع سكانها المحليّين حواضر (إيڤيلڤيلي، طوتشا[1]، صيدا...)، لم يجدوا في هذا الموطن غير جنس (كوتاما)، والدّليل على ذلك غيابُ شاهد أثريّ أو مكتوب يدلّ على وجود جنس آخر غيرهم، ويُستثنى من هذا الحكم طبعًا الأفرادُ الأجانب الذين كانوا يقصدون المنطقة للتجارة، والذين لا نعتقد أنهم تركوا ما يمكن أن يكون له تأثير واضح في أنوماستيّة التشكيلة القبليّة والأصولية للمنطقة.

[1]– ايجيلجيلي (Igilgili) هي مدينة جيجل اليوم، وطوتشا (Tucca) قرب مدينة (الجمعة بني حبيبي) اليوم وأخرى (Tucca Fine) فوق حمام بني هارون، وصيدا (Sydwn) قرب مدينة جيملة اليوم.

وبمجيء هيرودوت في القرن 05 ق.م، شهد تفكُّك كنفدراليّة مازيف لصالح السُّلَطْ المتمركزة في مدن الدولة البونيَّة، ونشوء كنفدراليّات قَبَلية ريفيّة جديدة، فتحدث عنها بشيء من الموضعة الجغرافيّة انطلاقًا من حدود مصر إلى الأطلسي، وفيما يتعلق ببلاد المغرب فقد قسّمه جغرافيا بين ثلاث كنفدراليات كبرى هي: النوماد شرقًا، الجيتول في الوسط، الفاروسيون (المور) غربًا[1]، ويقع المجال الجيجلي قيد دراستنا في الحدود بين كنفدراليّة النوماد وكنفدراليّة الجيتول، لذلك تجاذبتها هاتان الكنفدراليتان بعدمَا تحولتا إلى إمارتين، ما جعل الفرنسيين يعدُّون كلّ القبائل التي تحولت بالمجال الجيجلي من أصول جيتولية وهو تصنيفٌ فيه نظر، لأن هؤلاء النوماد الذين كان يتزعمهُم فرع الماصيل (MASSYLI) ظهر اسمهُ عليهم فانتسبوا فيه، وهؤلاء الجيتول الذين قادهم فرع القدال (GEDALUS) أخذت كنفدراليتهم المختلطة اسمه، وهاتان الكنفدراليتان نشأتا بعد قرون طويلة من وجود جنس (كوتاما) بالمجال الجيجلي فكيف يكونون هُم أصلَه؟ ربّما قصد هيرودوت بهذه النسبة وجوده تحت سلطة كنفدرالية الجيتول على زمنه فذلك إذنْ أمرٌ معقولٌ، لأن هذه السُّلطة أورثت في كوتاما فروعًا من أصول جيتولية ذكرها بَطْلِيمُوس فيما بعد.

ويتحدث ديودور الصقلّي في القرن 01 ق.م نقلاً عن أخبار المؤرخ اليوناني دوريس في القرن 04 ق.م أن قبائل (كوتاما) انحسروا في هذا الزمن جنوبًا إلى السلسلة

---

[1]- **Voir** : **Hirodote**: Histoire, trad par LARCHER, Charpentier Libraire éditeur, Paris, 1850, Tome 4, pp 390-400.

الجبلية الواقعة بين جيجل وقسنطينة وسطيف، إذ عندما غزا آڤاثوقليس على منطقة الوادي الكبير (الميلية) وجد بعض قبايلهم معتصمةً هنالك، ويعتقد طوكسييه أن وصفه يوافق تمامًا الفروع القبَليّة الساكنة بمنطقة (مولى آدمامن) من دوار تيسميران في أعالي جبل بولحمام قُرب الميليّة، إذ تحدث عن بعض عوايدهم في تقديس الحيوانات[1]، ولم ينقل إلينا ديودور ولا دوريس أن آڤاثوقليس وجدَ جنسًا آخر غير هؤلاء في تلك الجبال، وبذلك يمكننا القول أن الوجود البشري بالمجال الجيجلي انحسر في هذا الزمن جنوبًا هروبًا من الغزوات الشمالية الآتية من جراء الصراع البحري بين الفينيقيين واليونان والفرس وغيرهم من شعوب المتوسط.

وتثبت هذا الطرح إلى حدّ مَا النقيشة الفخارية التي عثرنا عليها شخصيًّا في خرجة إلى موقع (بوخداش) الأثري في أعلى من جبل بولحمام، والذي يبدو أنه مركز التجمع الكتاميّ الشرقيّ الذي تحدّث عنه ديودور، خصوصًا وأنه يقع في تقاطع الطريقين القديمين قسنطينة-الميليّة ميلة-القل، وذلك خلال مرافقتنا لخرجة رسميّة نظمتها مديرية الثقافة لولاية جيجل إلى هذا الموقع يوم 2018/10/01، وهذه النقيشة تسلّمتها المديريّة في اليوم نفسه، وتحتوي على ما نعتقد أنه زخرفة بحروفٍ خليط بين اللّيبيّة والبونيّة، على النّحو الآتي:

1- **L.GOLEAUD**: Animaux-Totem Nord-Africains, Revue Africaine, Op.cit, N°76, 1935, p325.

إعادة رسم الحروف المنقوشة على نقيشة بوخداش

النقيشة الفخاريّة التي عثرنا عليها بموقع (بوخداش) بالميليّة، والمزخرفة بخليط من الحروف الليبيّة والبونيّة

لقد استمرّ الحديث عن الوجود البشري بهذه السلسلة الجبليّة وما والاها إلى ساحل البحر بمنطقة جيجل منحصرًا في جنس (كوتاما) حتى انطلاق الصراع بين ممالك المجال، أي بين ماصيليَا ومازيسيليَا وموريطانيَا في أواسط القرن 02 ق.م، وخصوصًا عند وصول الرومان إلى المنطقة سنة 46 ق.م، فقد سمحت هذه الصراعات والحروب المستمرّة بين ممالك البربر المتحالفة مع الفينيقيين تارة، ومع الرومان تارة، والثائرة عليهم جميعًا تارة أخرى، للكثير من الأجناس البشرية بالهجرة إلى المجال الجيجلي والتدافع عليه كما سيأتي ذِكرُه.

❖ **ماصيل** (MASSYLI):

وهذا الجنس من قبايل شمال أفريقيا مغمورُ النّسب، وغلب ذِكرُ أخباره السياسيّة على ذكر جانبه الأصولي، خصوصًا بعد تولّي ماسينيسا (ماسنسن) وسلالته قيادة أسرة الماصيل ومقاليد حكم مملكة نوميديَا الشرقيّة لزمن طويل، وقد حاول نيجل باقنل (Nigel Bagnall) تقديم المقاربة الوحيدة الموجودة في شأن أصل هؤلاء، فذكر أنهم كنفدرالية بربرية تأسست بامتزاج فروع قبَليّة كثيرة خلال القرن 04 ق.م[1].

ولا شكّ في أن هذه الكنفدرالية الممتزجة في مجال نوميديا الشرقيّة قد ضمت فروعًا من أصول كثيرة، ولكن مقاربةً أُنُوماستية تجعلُنا نطمئنُّ إلى أن الفرع القبليّ الذي تولّى قيادة هذه الكنفدراليّة هو (**ماصيل**) ثم ظَهَر اسمُه على الفروع الأخرى بحكم غلبته عليهم وقيادته لهم، والدليلُ على ذلك هو بقاء اسمه في شكل فروع صغيرة متوزعة حتى بعد انهيار المملكة، لكننا وإن صدقت هذه المقاربة نصطدم بإشكاليّة أكبر هي إلى أي الجماعات في عصره كان ينتمي هذا الفرع أصلاً؟

ويكادُ يُجمِعُ الأثريّون في تقدير المجالات التي بدأ فيها حكم هؤلاء عند جبل أوراس خنشلة الحاليّة، بحكم اتفاق أكثرهم على أن ميلاد الملك ماسنسن كان هناك، ومنه

[1]– "The Massylii or Maesulians were a Berber federation of tribes in eastern Numidia, which was formed by an amalgamation of smaller tribes during the 4th century BC." **Nigel BAGNALL**: The Punic Wars, ancient and medieval, p270.

انتقل بحكمه إلى (كيرتا) حتى مات ودفن في ضريحه قريبًا منها بمنطقة الخروب الحاليّة، ولم نجد لحدّ الآن في المكتشفات ولا في الأبحاث شيئًا يؤكد هذا الطرح أو ينكره، وأيًّا يكن الأمرُ فإن أسرة الماصيل تحوّلت إلى كنفدرالية قبليّة توارث مشيختها (يلماس) وابنه (زيلاسن)، ثم تحولت إلى مملكة في عهد ابنهما (ڤايا) وابنه (ماسنسن) الذي ذكرنا، ثم انقسم الحكم بين ابنيه (ميكيبسا) و(مستنبعل) وبعدهُما بين بنيهم (هيمبسال الأول) و(عزري بعل)، ثم لأخيهما (يوغرطة)، ثم بعد مقتله انتقل الحكم لابنه (هيمبسال الثاني)، ثم لحفيده (يوبا الأول) الذي كان آخر ملوكهم المستقلّين قبل أن يقتله الرومان سنة 46 ق.م ويستولوا على مملكته نوميديا ويجعلوا عليها ولاّةً من عندهم وهم رجال (سيتيُوس)، ثم يولّوا عليها (يوبَا الثاني) الذي نشأ في كنفهم وابنه (بْطُليمُوس) تحت حكمِهم وحمايتهم.

ومنذ سنة 46 ق.م التي انهزم فيها وقتل (يوبا الأول)، لم تفلح عائلة الماصيل في استرجاع مملكتها المستقلّة بالرغم من ثورة آخر أمرائها (عرابيون) عام 44 ق.م على استعمار رجال (سيتيوس) للكنفدرالية السرتيّة، ولعلّ العاقبة أن انسحبت هذه الأسرة إلى المنطقة الجبليّة الحصينة بين مجالات كوتاما ونڤموس في منطقة فرجيوة الحاليّة واستقرت هناك، ثم تحولت إلى فرع قبليّ عرفه مؤرخو العصور الوسطى باسم (مصالة/مزالة) ونسبت إليه المنطقة التي حملت تسميَة (فج مزالة) بعد ذلك، وعدّها الوسيطيون في فروع كنفدراليّة كتامة وداخل مجالاتها.

❖ **شيتواي** (CHITUÆ):

ومن بين فروع الكُنفدراليّة الجيتوليّة التي دخلت على المجال الجيجلي قبل وصول الرُّومان جنس الشيتواي (CHITUÆ) الذي ينطقُه الإغريق اليونانيون خيتواي (KHITOUAI)، ذكرهم بْطُلِيمُوس في القرن 02م عند مصب آمسّاغا، شمال الجبال التي يسكنها (أُكُوتَامَنْ)، ولكن وجودَهم في هذا المكان على زمن صراعات الممالك البربرية يجعلُنا نعتقدُ أنهم جنس طارئ على الموطن، انتقل إليه من موطن آخر، خصوصًا وأنه لا أحد من المؤرخين تحدّث عنه قبلَ بْطُلِيمُوس، ولم يرد في خريطة مصدريّة أخرى تبّين مجالاته قبل انتقاله إلى منطقة جيجل ولا بعدَ رحيله عنها، وهو ما فتح باب التأويل للمؤرخين وعلمَاء الآثار لتقصي حقيقة هذا الجنس الذي لم يعرفوا عنه سِوى أنه كان يتجول في المجال الجيجلي على زمن بْطُلِيمُوس.

فأمّا دافيزاك (D'AVEZAC) فقد حاول مقاربة التسميَة من شيتواي (CHITUÆ) إلى خيتو (KHITOUES)[1] بالنطق الإغريقي، واتبعهُ طوكسييه وفيرو في ذلك فسموهم خيتون (KHITONES) وذكرا موقعهم في مصب الوادي الكبير وقالا أنه كان لهم دور في الصراع بين ممالك المازيسيليين والموريطانيين وأدركهم دخولُ الرومان[2]، ولكن مقاربة التسميّة بهذه الصّيغة الإغريقيّة تحيلُ هؤلاء الأقوام من منطلق

[1]– **M. D'AVEZAC**: L'AFRIQUE, Esquisse Générale de l'Afrique et Afrique Ancienne, Firmin Didot Frères, éditeurs, Paris, 1844, p171.

[2]– **Henri TAUXIER**: Ethnographie de l'Afrique Septentrionale au temps de Mahomet, Revue Africaine, Op.cit, N°08, 1864, p68, **et L. Charles**

لغويّ على اللّباس اليُوناني المعروف (شِيتُون/خِيتُون CHITONE / KHITONE)، فتوُحي للمتلقّي أنهم حمَلُوا هذه التسميَة نسبةً إليه، ومن ثمة تجعلُهم إمَّا جنسًا من أصلٍ إغريقيّ، أو أُطلقت عليهم تسميةٌ إغريقيّة، ولا يبتعد ابن خلدون عن ذلك عندما يذكرُ: "**الخبر عن اللّطينيين وهم الكَيْتَم المعروفون بالروم من أمم يونان وأشياعهم وشعوبهم**..."[1]، فلعلّ كلمة (الكَيْتَم) ترجمةٌ عربيّةٌ لاسم هذا الجنس، وعنده التصريحُ واضحٌ أنهم من الإغريق اليونانيين، ولكن هذه المقاربة الأنوماستيّة تتطلّب التأني، فهل يُعقلُ أن يكون هؤلاء هم بقايَا تركتهُم غزوة آڤاثوقليس عند مصب آمسّاغا في القرن 04 ق.م؟ هل لتسميَة (تاكيتونت) التي يحملها جبل جيجل علاقةٌ أيضًا بهذا الجنس تبَعًا لهذا التأويل؟

وأمَّا ماك كارتي (Mac CARTHY) فيذهبُ مذهبًا آخر في تأويل التسميَة، ويقاربها من شِيتواي (CHITUÆ) إلى شِيتوان (CHITOUENS)[2] كما هو نطقها اللاتينيّ، وذلك يحيلنا مباشرة على طوبونيميا منطقة تلمسان التي حفظت هذه التسمية في بلديّة (شتوان) الداخلة في نطاق كنفدراليّة الجيتول، فيفتحُ الباب لإشكالات كثيرة عن علاقة المجالين الجيجلي والتلمساني منذ العهد الفينيقي، وهل

FERAUD: Histoire Des villes De la Provence de Constantine- Djidjelly, Op.cit, p30.

[1]– **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج2، ص ص232-234.

[2]– **Voir** : **O. Mac CARTHY** : Africa Antiqua- Lexique de Géographie Comparée de l'Ancienne Afrique, Revue Africaine, Op.cit, n°31, 1887, p226.

هؤلاء جيتول انتقلوا من تلمسان إلى جيجل قبل القرن 02م زمن بْطُلِيمُوس، أم هم قوم رحلوا من جيجل إلى تلمسان بعد دخولهم الصراع مع ممالك البربر والرومان؟ فما هو أصلهم إذن؟ يرى لابورت (LAPORTE) أن الطرح الأوّل أقربُ إلى الصّواب، عندما يرسم – نقلاً عن جغرافية بْطُلِيمُوس– مسار حركة هؤلاء شيتواي من جهة بجاية إلى جيجل[1] أي من الغرب إلى الشرق، فهم بذلك من كنفدرالية الجيتول، ولعلّه جاء بهم الملكُ (سيفاكس) من غرب مازيسيليا في إطار الصراع العسكري بينه وبين الملك (ماسينيسا) قبل مجيء الرومان، ولكن هذا الطرح أيضًا يبقى مُريبًا بالنظر إلى اقتصار اعتماده على تشابه التسميَة، ولا يمكن الجزم به في غيابِ الدّليل القطعي، كما لا يمكن إنكاره بوصفهِ طرحًا جادًّا يحاول إيجاد حلّ للإشكال.

وبالعودة إلى العصر الوسيط، نجد أيضًا تسميةً معرَّبةً قريبةً من هؤلاء شيتواي (CHITUÆ)، وهي (هشتيوة) التي ذكرها ابن خلدون في كتاب العبر بهذه الصيغة، وعدّها نقلاً عن نسابة البربر في فروع كنفدراليّة كتامة على زمنه قال: " **ويعدُّ البرابرةُ من كتامة بنو يستيتن وهشتيوة ومصالة وبني قنسيلة..**"[2]، وهذه الفرضيّة تُحيلُنا على كون هذا الفرع الذي لم يبق منه بالمجال الكتامي إلاَّ بعض الأسر الحاملة منذ القديم للقب (هشتيوي/شتيوي/شتوان) والمتفرقة بنواحي سطيف وجيجل وقسنطينة وقالمة وبسكرة، يُحتملُ أنه انتقل في العصر القديم على زمن بْطُلِيمُوس إلى منطقة جيجل

[1]- **Voir** : **Jean-Pierre LAPORTE** : Ptolémée et la Maurétanie césarienne. Op.cit, p181.

[2]- **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص169.

كما ادّعاهُ ماك كارتي ودولابورت، فدخل في الكنفدراليّة الكتاميّة وعرفهُ فيها نسّابة البربر فتناقلُوا ذلك إلى العصر الوسيط زمن ابن خلدون، بالرغم من أنه كما يبدُو انتقل تارِكًا المجال الكُتامي إلى مجالات أخرى مثل تلمسان في منطقة (شتوان)، وليبيا في منطقة (الخمس) أين يسمّى (الشتاوى)، ومصر في منطقة (شتيوة)... وغيرها، ولعل ذلك كان في زمن الفتوح والصراعات البيزنطي-البربري-الفاتحي.

هذه الفرضيَّة قويّةٌ إلى حدّ مَا، وتوازي في قوتها فرضية (الخيتون/الكيتون) التي حاول أن يسوّق لها دافيزاك وطوكسييه وفيرو، ولكننا نبقى نتأرجح بينهمَا بالسّواء ما دام لم يقع بين أيدينا إلى الآن ما يجعلنا نميل إلى أحدهما، خصوصًا مع عوز الوثائق وقلة الشواهد، واقتصار تحقيقنا على العمل الأُنُوماستي.

وأيًّا يكن أصلُ هؤلاء شيتواي (CHITUÆ) فإنهم سكنوا منطقة جيجل مع الأُكُوتَامَنْ، وكان لهم ما ذكرهُ فيرو: "**وأقدم القبايل البربرية الشرقيّة (الصغرى) هم الخيتون** (Khitones) **على قول بطُلِيمُوس، سكنوا مصب آمسّاغا (الوادي الكبير) وكان لهم دولٌ مع المازيسيليين ثم الموريطانيين الغربيين، ثم وقعوا في احتلال الرومان، ثم وضع الغزو الجيتولي حدّا لوجودهم، وسكن في مساكنهم الجداليون**"[1]، ولكن في قوله هذا نظرٌ، إذ كيفَ يمكن أن يوردهم بطُلِيمُوس على خريطته في القرن 02م و(الجداليون) وهم أهل قبيلة (قْدالة) إحدى فروع كنفدراليّة

[1]- **L. Charles FERAUD**: Histoire Des villes De la Provence de Constantine-Djidjelly, Op. cit, p30-31.

الجيتول الصنهاجية قد قضوا على وجودهم بمنطقة جيجل منذ زمن الاحتلال الروماني سنة 46 ق.م؟؟ فكيف إذن عرفهم النسابة الوسيطيون في فروع كتامة إذا كانوا قد اندثروا في هذا الزمن الغائر كما يدّعيه فيرو؟؟ كلّ ذلك يؤكّد أنّ وجودهم بجيجل تواصلَ على الأقل إلى مجيء الفتح الإسلامي، ثم أُرغِموا على الانتقال في خضم هذا الصراع إلى مجالات أخرى حتى لم يبق ما نعتقدُ أنهم بقاياهم إلاَّ بعض العائلات التي ذكرنا حملها للنسبة إليهم في جيجل وقسنطينة وقالمة وسطيف وتلمسان وليبيَا ومصر. وفي المحصلة لم يستطع هؤلاء الشيتواي (CHITUÆ) الصمود أمام هرج الصراع في أيّام الفتوح، فدثروا واستذابتهم الأقوام ولم يبق منهم ما يمكن أن يكون رافدًا أصوليًّا لأي فرع قبليّ من سَاكنة منطقة جيجل.

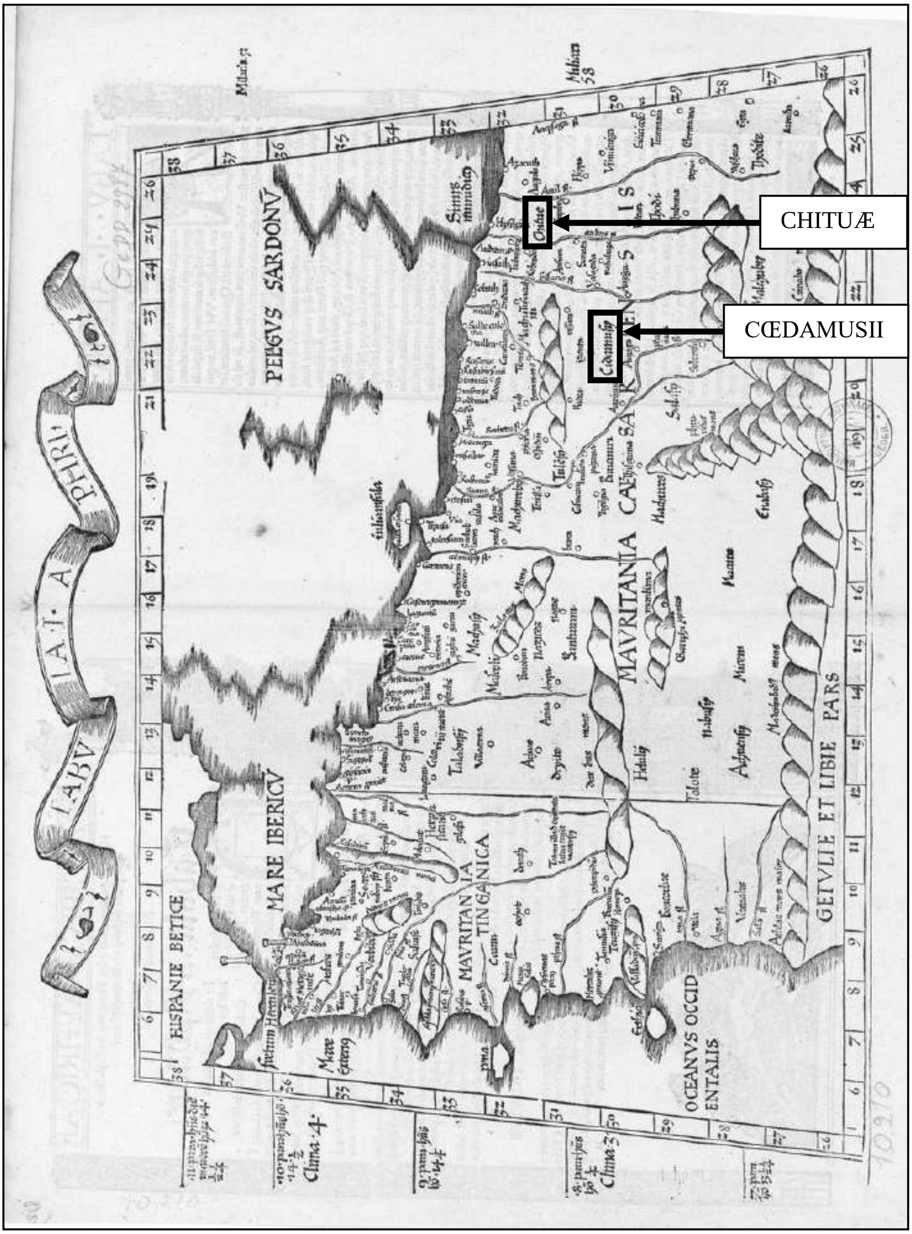

خارطة بْطُلِيمُوس لموريطانيا القيصريّة في القرن 02م تظهر جِنسَيْ (CŒDAMUSII) و(CHITUÆ)

❖ **جيميلاّي** (GEMELLÆ):

ذُكرت هذه التسمية أولاً في القرن 01م عند بلين الكبير (PLINE l'ancien) على أساس كونها حصنًا جيتوليًّا يتواجدُ في مجالات حكم قبائل الغرامنت، ويحمل اسم (Oppidum NegliGEMMELA)، ويرجعُ بناؤه في الأصل إلى ما قبل الاحتلال الرومانيّ، ثم استطَاع كورنيليوس بَالبُوس (Cornelius Balbus) رفقة عمّه بَالبُوس الكبير (Balbus majore) احتلاله سنة 19 ق.م مع الكثير من مدُن الغرامنت، والاحتفال بذلك وسط مدينة روما تحت حكم أغسطس[1]، وقد استعمل بلين لهذا الحصن أسماء كثيرة في مواضع أخرى متفرقة من كتابه المذكور: جِيمِيلاًّ الأوغسطيّة (Augusta GEMELLA)، الهضاب الجيميليَّة (GEMELLOS Colles)، جِيمِيلاًّ (GEMELLA)[2]، ثم ما فتئ أن استعملهُ لتسميَةٍ جنسٍ بشريّ هو جِيمِيلاَّنس (GEMELLENSES)[3]، ولا شك أنهم سكان هذا الحصن الذين تفرّقُوا على الأقطار بعد انهزامهم أمام الغزو الروماني عليهم، ومن ثمة يمكننا القول بأن هذه الكلمة أصبحت منذ نهاية القرن 01 ق.م تسميةً لمدينةٍ وجنس بشريّ معًا، ثم انتشرت لتشمل مواقع أخرى ذُكرت بعد ذلك مع ما أصابها من تحريفات نطقيّة.

---

[1]– **Voir** : **PLINE l'ancien**: Histoire Naturelle, trad É.LITTRÉ, FIRMIN-DIDOT et CTE Lbraires, Paris, T 01, p214 (Livre V-v.7).

[2]– **Voir** : **Ibid**, T 01, p155 (Livre III-ii.8) **et** p168 (Livre III-xiv.3) **et** p552 (Livre XV-xv.2).

[3]– **Voir** : **Ibid**, T 01, p158 (Livre III-iv.9).

ويموضعُ بوتنجر (Peutinger) في خريطته جِيمِيلاًّ (Ad Gemellas)[1] قريبا من شط ملغيغ، وهو ما قاد راقو (W. RAGOT) إلى تحديدها بمنطقة بسكرة في بلدية أورلاَّل وبالضبط بموقع (مْليلي) على ضفّتي (وادي جدّي)، حيث استطاع الأثريون الفرنسيّون العثور على بقايا سور الحصن ومبانيه ومخيم الجُند الرومان ونقيشة تحمل جملة (Raetia Gemellas Regressi)، فهو إذن الموقع الأصلي لهذه الساكنة، والذي كان يمثّل الحدُود الجنوبية لنوميديَا (Praepositus Limitis Gemmellensis)[2] على زمن الرومان، ولكن هؤلاء الجيميلاَّيين المنتمين إلى كنفدرالية الجيتول عندما انهزموا أمام الرومان في القرن 01 ق.م، انتقل جزءٌ منهم على ما يبدوُ شمالاً ناحيَة لامبيز (Lambaesis) أين تم العثور على نقيشة أخرى تذكر (شعب وبلديَّة الجِيمِيلاَّنس): (Res publica Gemellensium …. Un decurio municipii Gemellensis) بالإضافة إلى ما ذكرهُ ڨزال عن نقيشتين مطابقتين لهذه عُثِر عليهما بزاوية بني بربار[3]، وهو ما يثبتُ فرضيّة توجه هؤلاء إلى شمال نوميديَا على طريق لامبيز، وصولاً إلى مدينة كويكول (Cuicul) القريبَة من العَلمة حاليًّا، أين عُثِر على موقع أثريّ مهمّ قرب

---

[1]– **Voir** : **Table de Peutinger**: Segment V-1.

[2]– **Voir** : **W. RAGOT**: Le Sahara de la Provence de Constantine, Recueil des Notices et Mémoires de la Société Archéologique de la provence de constantine, Vol 6, 1873-1874, L. ARNOLET Libraire-éditeur, constantine, p284 et suite.

[3]– **Voir** : **Stéphane GSELL**: Atlas Archéologique de l'Algérie, Adolphe JOURDAN Imprimeur–Libraire–Éditeur, Alger, 1911, p485.

(القلتة الزرقاء) على الضفة اليُسرى لوادي بن زرار الذي يضمُّ مباني وقبور بربريّة[1]، وهو الذي يعتقدُ ثروسيه (P. TROUSSET) أنه مدينة (Episcopus Gemellensis) التي شاركت في أزمنة متأخرة قليلاً (القرن 05م) في عقود المؤتمرات القرطاجيّة لسنة 411م[2]، أي أنه صار لهؤلاء الجِيمِيلاَّنس في هذا الزمن شأنٌ كبيرٌ في المنطقة. وهذا المسار المتجه شمالاً هو ما قادهم على طريق كويكول-إجيلجيلي إلى الإنتشار بين سهول العلمة وجبال جيجل وجعلهم يدخلُون في كنفدراليّة أُكُوتَامَنْ وإمارتها الناشئة على زمن البيزنطيين، بدليل أن الفاتحين المسلمين ترجموا تسميتهم إلى (جِيمْلَة / جِمِيلَة) كما يعتقد علاَّوة عمارة، وذكروهم في فروع (كُتامة) التي كانت لها كثرةٌ وسيادةٌ في زمن قيام الخلافة الفاطميّة.[3]

ويصف طوكسيه أصولهم الجيتوليّة في الصحراء، وغزوتهم رفقة جنس النقموس (Negmous) على مجالات جيجل في القرن 02م أي في زمن الرومان، وصراعهم مع جنس (شيتواي)[4]، ويوافقه فيرو في هذا الرأي، ثم ينقله عنه بقوله: "... **ثم وضع الغزو الجيتولي حدّا لوجودهم** [أي شيتواي]، **وسكن في مساكنهم الجداليون نزحوا**

---

[1]- **Voir** : **Stéphane GSELL**: Atlas Archéologique de l'Algérie, Op.cit, p193 (Feuille 16–N° 416, p29).

[2]- **Voir** : **P. TROUSSET**: Gemellae, Encyclopédie Berbère, 20 Gauda – Girrei, Aix-en-Provence, Edisud, 1998, p3008-3013.

[3]- **أنظر**: **أبو حنيفة النعمان**: افتتاح الدَّعوة، م س، ص 71.

[4]- **Voir** : **Henri TAUXIER**: Ethnographie de l'Afrique Septentrionale au temps de Mahomet, Revue Africaine, Op.cit, n°08, 1864, p68.

إليها من الصحراء وسكنوا السواحل المحيطة بجيجل"[1]، ولعلّ هؤلاء الجدَاليين كما ذكرنا فرعُ قبيلة (قدالة) التي عرفها الوسيطيّون في كنفدراليّة صنهاجة الجنوب، وكانت كنفدراليتهم الضخمة هذه متوزعة في نواحي الصحراء البربرية الكبرى، ثم انتقلت فروع منهم شرقًا إلى نوميديَا ضمن كنفدراليّة (جيتول) التي أخذت منهُم تسميتها بحُكم ظُهُورها، ومازالت تسميتهم في طوبونيميَا قرية (قديلة) ناحية جمُّورة بمنطقة بسكرة على طريق (جِيمِيلاّي) التي تحدثنا عنها أين كان انتشارهم وتوزعهم قبل أن يتجهُوا شمالاً، وقرب وهران أيضًا مدينة (قديل)، ولعل نزوح هؤلاء الصّنهاجيين إلى منطقة جيجل حدث في القرن 02م بالذات لأنهم كانوا أنصار المازيسيليين والموريطانيين الذين وصلوا إلى حدود آمسّاغا على زمن بْطُلِيمُوس.

❖ **زواغ** (ZEUGHITANA):

وهذا الجنس البشري قديمٌ جدًّا، يعودُ أوّل ذكر له إلى زمن الفينيقيين في القرن 05 ق.م عند هيرودوت الذي نطقهُ زواكس (ZAUÈCES)[2] ومَوْضَعهُ بين مجالاَت اللّيبيين النوماد شرقًا واللّيبيين الماكسي غربًا، أي في المنطقة المحيطة بمدينة صبراتة الحاليّة، والتي لا يزال جنس (زواغة) رافدًا بشريًّا يشغلُ فيها نصيبًا كبيرًا.

[1]- **L. Charles FERAUD**: Histoire Des villes De la Provence de Constantine-Djidjelly, Op. cit, p30-31.

[2]- **Voir** : **Hirodote**: Histoire, Op.cit, T1, chap iv, p 397-398.

ولكن لم يكُن وجودُ هذا الجنس البشريّ محصورًا في الموطن الذي ذكرنَا، بل نجدُه يمتدُّ غربًا إلى شمال نوميديَا بدايةً من القرن 01م وما بعدهُ، فيذكرُ بلين الكبير (PLINE l'ancien) في هذا الزمن فرعًا ضخمًا سمّاهُ زوغيطانا (ZEUGHITANA) وحدّد مجالاته عند وادي طوسكا (Tusca)[1] أو (وادي النجاة) حاليًّا الذي يمرُّ قرب فرجيوة ويصبُّ في آمسّاغا (الوادي الكبير) قرب حمّام بني هارون في موقع هنشير الأبيض الذي يضمُّ بقايَا مدينة طوتشا الحدوديّة (Tucca fines) عند بوتنجر[2]، وهذا التحديدُ الدقيقُ هو الذي بقي موطنهم طوال العصر الوسيط بشهادة ابن خلدون الذي جعل مكانهم قريبًا من قسنطينة قال: "**وفي جهات قسطنطينة أيضًا رهط من زواغة**"[3]، ولا تزال تلك مجالاتهم إلى اليوم في سلسلة جبال (زواغة) الممتدّة جنوب المجال الجيجلي بين بني هارون وفرجيوة ، وهو ما ينبئُ بأن وجودهم عريقٌ في المنطقة منذ القرن 01م على الأقل، الزمن الذي وجدهم فيه بلين هنالك، وليس كما تدّعي الرواية الميثولوجية بأنهم سكنوا المنطقة على زمن الحفصيين، والظاهر أن الزواغ حافظوا على استقلاليتهم في جبالهم عبر العصور، ولم يُسْتَلحَمُوا في كنفدراليّة أُكُوتَامَنْ، رغم وجود بقايا تشبه تسميتهم (ZEUGHITANA) كما يبدو غير بعيد في الجبل القريب من جيجل (مزغيطان).

---

[1]- **Voir** : **PLINE l'ancien**: Histoire Naturelle, Op.cit, T 01, pp211-212 (Livre V-ii.1 et III.1).

[2]- **Voir** : **Stéphane GSELL**: Atlas Archéologique de l'Algérie, Op.cit, p74 (Feuille 08-N° 72-73, pp06-07).

[3]- **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص 170.

2- كنفدراليَّات الحقبَة الرومانيّة:

لقد شهد المجال الجيجلي في الحقبة الرومانيَّة حركةً ديمغرافيّة نشيطة جدًّا ميّزها الصّراع الشديد والتدافُع، نتيجة وقوعها آنذاك في منطقة حدوديّة بين مملكتين متصارعتين هما نوميديَا وموريطانيَا، والتي كان يمثلها وادي آمسّاغا (Ampsaga) ومدينة طوتشا الحدودية (Tucca fines)، ولأن هذا الصراع كان يتمُّ بتدافعاتٍ بشريّة فقد تداولت على منطقة جيجل أجناسٌ كثيرة من أنصار هؤلاء وأولئك، وكنّا قد أسلفنا الحديث عن بعضهم ممّن كان لهم وجودٌ سابقٌ لاحتلال الرُّومان ثم أدركهم هذا الاحتلال مثل: (كوتاما، شيتواي، جيميلاّي، زواغ، ماصيل)، ولكن الصراع الحاد الذي وقع على زمن الرومان أنهك بعضهم، وأبادَ بعضهم، ودفع آخرين للهجرة إلى مجالاَت أخرى، وجاء بأجناس جَديدة من أوروبَا وأقاصي نوميديا وموريطانيا، وهو ما سنحاول تفصيل حيثياته في هذا العنصر من الكتاب.

وتجدُر الإشارة إلى أن هذه المرحلة الزمنيّة لم تشهد فترات استقرار طويلة، بل ميّزتها الحروب والقلاقل الدائمة، لذلك كان من العسير على مؤرخي الحقبَة ضبط تفاصيل الحراك الديموغرافي بشكل دقيق، بل اقتصر ذكرهُم على الأحداث الكبيرة القريبة من مراكز الحكم وبؤر الصراع، لذلك استنجدنا بالشواهد الأثريّة التي وجهت عملنا وقدّمت لنا معلوماتٍ لا بأس بها، مما أتاح الفرصة لربط الحيثيات وتقصّي العلاقات، ومن ثمة رصد مسار تشكل البنية البشرية لجنس المجال الجيجلي آنذاك.

❖ **سيتيان** (SITTIANI):

في سنة 46 ق.م، أعلن الإمبراطور الرُّوماني يوليوس قيصر (Julius cesarus) شمال القارة الأفريقيّة ولايةً رومانيَّة وسماها **أفريقيا الجديدة** (AFRICA NOVA)، ومنحَ الجزء الشمالي الغربي من مملكة نوميديا (شمال ماصيليا) لمرتزقة **سيتيوس** (Sittius)[1]، الذين شاركوا في حرب رومَا على الملك يوبا الأوَّل (Juba I)، واستولوا على سيرتا مثلما ذكرهُ بلين الكبير على زمنه: "**مستعمرة سيرتا الملقبّة بمدينة جنود سيتيوس**"[2] ثم امتدت سلطتهم على عموم الكنفدراليَّة السّرتية التي تضّم: سيرتا وميلاف وشولو وروسيكاد، وهؤلاء (**السيتيان**) هم مرتزقة بحريّون متجولون في البحر المتوسط من أصول متعددة نسبوا إلى زعيمهم سيتيوس (Sittius)، وقد رأى القيصر فيهم تحصُّنا من ثورات النوميديين اعتبارًا بما حدث مع يوبا الأوَّل، إذ علم بأنّ هذه الغنيمة المقدَّمة لهم ستكون بمثابة وطن لن يتوانوا في مدافعة النوميديين عنه، فيكفّون الرومان عناء ثوراتهم، يقول بشير شنيتي: "... **ثم إنه ليس بمستبعد على قيصر أن يدرك بما لديه من بعد نظر أن هؤلاء المرتزقة سوف يستميتون في الدفاع عن تلك المنطقة التي حصلوا عليها غنيمة حرب، فهي مكسب ثمين بالنسبة إليهم، لأن وجودهم سيرتبط بها لكونهم لا يملكون أرضا غيرها ولا يشدهم أي وطن آخر إليه**

[1]– مرتزقة سيتيوس هم جماعة من البحارة والقراصنة مرتزقة الحروب، لا بلاد لهم، ووطنهم البحر ما بين إسبانيا وموريطانيا، كانوا يؤجرون أنفسهم للحروب مع القوى الكبرى.

[2]– **Voir** : **PLINE l'ancien**: Histoire Naturelle, Op.cit, T 01, p211 (Livre V-ii.1) et Note 8 du livre V-p 236.

غير هذا الذي انتزعوه من أهله بحد السيف..."[1]، وقد بدأ هؤلاء (السيتيان) بالاستيطان فورًا، فاستولوا على المدن والمجالات الفينيقيّة والبربرية القديمة، وشرعوا في بناء مستعمرات فلاحيّة ومزارع جديدة، يواصل شنيتي **(وكان أن شرع جماعة سيتيوس في إقامة المستعمرات الفلاحيّة بمنطقة سيرتا فور حصولهم عليها، كما استولوا على المدن والقرى الواقعة شمالي سيرتا إلى سواحل البحر، وحوّلوها إلى مستوطنات رومانية بمساعدة الجاليات الرّومانية واللاتينية المقيمة هناك منذ عهد بعيد)**، ومن ثمة يبدو أنه في هذا الزمن بدأ العنصر الأوروبي بالتغلغل جدّيًّا في منطقة جيجل، والعاقبة أن نشأ إشكال استلحام هذا الرافد الأصُوليّ من جديد، ولكن الظاهر من الأحداث التي جاءت بعد ذلك أنه لم يستطع التغلغل في الجماعات القبليّة البربرية التقليديّة إلا بشكل فرديّ بسيط غير مؤثر في بنيتها الإثنية، بالرغم مما أورثه ذلك من المواصفات الجسديّة.

ولمحاصرة القبايل السّرتية وتشتيت وحدتها، منح يوليوس قيصر لحليفه بوكوس (Bocchus) ملك موريطانيا في هذه السَّنة 46 ق.م الجزء المازيسيلي من مملكة نوميديًا، فصارت موريطانيا تصلُ إلى آمسّاغا، وأصبح بوكوس مجاورًا لمقاطعة المرتزقة.[2]

---

[1]– **محمد بشير شنيتي**: الإحتلال الروماني لبلاد المغرب، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية-الجزائر، 1985، ص66.

[2]– م ن، ص130.

لم يدُم وجود هؤلاء السيتيان في جبال جيجل إلاَّ لسنتين فقط، إذ بمجرّد فقدهم لدعم الامبراطوريّة بعد مقتل القيصر عام 44 ق.م، ظهر الأمير الماصيلي عرابيون (Arabion)، وتحالف مع القائد الروماني سيكستيوس (Sixtius) الطامح لملك شمال أفريقيا، فبدأ بمحاربة السيتيان واجتمعت إليه القبايل المحليّة حتى نجح في طردهم وإبادة وجودهم من مجالات الكنفدراليّة السرتية، فلم يبق منهم سوى بعض التجار في المدن، ثم سار إلى نوميديا الغربية فأزاح بوكوس ملك موريطانيا منها واستعادها، فعادت أرض نوميديا إلى ما كانت عليه قبل تقسيم القيصر، ولكنّ الأمير عرابيون اغتالهُ حليفهُ سيكستيوس وأعاد تقسيم القيصر.

لم تكن مدة السنتين التي مكثها هؤلاء السيتيان الخليط المرتزقة كافيةً ليشكّلوا أقليّات مستقرّة كان يمكن أن تتطور إلى روافد أصوليّة كبيرة في المنطقة، وذلك لأنهم لم يستطيعوا في ذلك الزمن بناء مدن أو مستعمرات كبيرة تضمن لهم هذا التواجد، كما لم تسمح لهم العداوة التي كانت بينهم وبين القبايل المحليّة بالتغلغل في بنيتها الإثنية، بدليل ثورتها السريعة عليهم مما تسبب في اندثارهم، وإذا خصصنا الحديث عن المجال الجيجلي، فبالرغم مما ذكرنا لا يمكننا إنكار وقوع اختلاط إرادي أو قسري بين هؤلاء سيتيان وقبايل كوتاما وشيتواي التي كانت موجودة هناك في هذه المرحلة، ولكنّه يبقى اختلاطًا محدودًا لا يتجاوز حدّ وقوع زواجات قليلة أو أخذ سبايا حروب من الجانبين، مما أورث بعض الصفات الجسدية التي لا تكفي لتكون دليلاً على وجود رافد قَبَلي سيتياني في بنية سكان منطقة جيجل.

❖ **كويداموزي** (CŒDAMUSII):

تحدث بْطُلِيمُوس في منتصف القرن 02م عن جنس (كوتَاما) بتسميَة جديدة محرفة هي كويداموزي (CŒDAMUSII) التي ينطقها الإغريق اليونان بصيغة (KADAMUSIENS) ويترجمها الخوارزمي بـ(**كدمان**)، فقد ذكر وجودهم على زمنه غرب آمسّاغا (الوادي الكبير) في الحدود الغربية لمجالات موريطانيا القيصريّة[1] بينها وبين نوميديَا، ولكنه مَوضَعَهُم عند السلسلة الجبليّة الواقعة بين جيجل وميلة وسطيف، وهو أحد مراكزهم التي استطاع وجودُهم الصّمود فيها طيلة العصور القديمة والوسيطة إلى يومنا هذا، فقد حملت هذه الجبال تَسمِيتهم على زمن الرومان كما تذكره عقود المؤتمرات القرطاجيّة لسنة 411م، والتي ذكرت لهذه الجبال تسميَة "كيراموزا" (CERAMUSA) وللجنس الذي يسكنها صيغة "شعب الكيراموسانس" (CERAMUSENSIS PLEBS)[2]، ونشير هنا إلى أنّ جعل مركز هؤلاء غرب وادي آمسّاغا لا يعني أن مجالاتهم محصورة هناك ولا يقصي فروعهم الكبيرة الموجودة شرقه،

---

[1]- **Voir** : **Jean-Pierre LAPORTE** : Ptolémée et la Maurétanie césarienne. In: Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 147e année, N° 1, 2003, p181.

[2]- **Voir** : **Actes de la conférence de Carthage en 411** : Trad. Serge LANCEL, Collection Sources chrétiennes, Belles Lettres, 1991, Tome IV, p360.

لأن بْطُلِيمُوس اعترف بجهله لتسمياتهم عندما عدّهم من القبايل (السّرتية)[1]، ودليلُ ذلك نقيشة الميليّة ونقيشة (الحفرة) بقسنطينة، وكذلك غزوة آڤاثوقليس التي ذكرها ديودور الصقلي على جبال الميليّة، ولعلّ ما ذكره بْطُلِيمُوس صحيحٌ جزئيًّا لأن الفروع التي بقيت في المجال النوميدي شرق آمساغا دخلت في حلف القبايل السرتيّة، وبقيت كذلك إلى العصر الوسيط مثلما يذكره ابن حوقل (ت.977م) في القرن 10م قال: "**وأما القسطنطينية التي لكتامة فهي مدينة قريبة الأمر تداني ميلة**"[2].

إن تواصل وجود هذا الجنس طيلة زمن الرّومان في مكان يعجّ بالصراعات والثورات، وبين شعوب كثيرة أبيدت وأخرى اختفت من الوجود، يطرحُ إشكالات محيّرة أهمها: ما هي العوامل التي ساعدته على البقاء والاستمرار على زمن مستدمر بحجم الامبراطورية الرومانية؟ وفي عصر ميزته الأساسية هي صراعات الاستلحام والإبادة؟ لا مناص من الاعتقاد بأن عراقة هؤلاء كوتاما في الموطن ومعرفتهم بجباله الحصينة على الغزو، وعددهم الكبير المعتمد على نظام الجماعات القبَليّة المتضامنة المتوزعة في الجبال، هو ما ساعدهم على مناورة الجيوش والإفلات في كلّ مرة من الخضوع للسُّلط أو الزوال في الحروب الإبادية.

---

[1]- **Henri TAUXIER**: Ethnographie de l'Afrique Septentrionale au temps de Mahomet, Revue Africaine, Op.cit, N°08, 1864, p69.**A voir aussi** n°06, 1862, p441, **A voir aussi** n°07, 1863, p24, **A voir aussi** n°09, 1865, p458.

[2]- **أبو القاسم ابن حوقل**: صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت–لبنان، 1992م، ص91.

❖ **كويرينا** (QUIRINÆ):

في سنة 29 ق.م تولّى أوكتافيانوس أوغسطس (Octavianus Augustus) على روما، وتبنى نظرة استيطانية فدأب على بناء مستعمرات رومانية على أراضي نوميديا وموريطانيا، فضمّ إليه المدن البربرية والفينيقيّة القديمة، وأسس مستعمرات جديدة[1] منحها للقبايل الفلاحيّة الرومانيّة لاستثمارها، وهي قبايل كثيرة كانت أقواها نفوذا بالمجال الجيجلي قبيلة كويرينا (Quirinæ)، فقد ذكر أرنست مرسيي أن هذه القبيلة كانت قوية جدًّا وموكل إليها (إمارة) سيرتا، قال: (**الإمارة... وهي شبه اتفاقية بين المدينة والشخص الذي تريد تشريفه... وقد كانت موكلٌ أمرها إلى قبيلة قوية جدّا من قبايل الوطن، وهي جنس كويرينا...**)[2]، وقد وجدنا اسم هذه القبيلة في آثار متفرقة عن جميع مناحي الحياة في تلك المرحلة، ففي معجم الكتابات الدينية لمدينة كويكول (Cuicul) الرومانيّة قرب العلمة أكثر من خمس لوحات تذكر أبناء هذه القبيلة في مسؤوليات سامية وعُليا في المدينة، منها لوح تدشين كتب عليه: (**إلى الإله حامي مجلس مدينة كويكول، وضعها لوكيوس بومبيوس نوفيلوس إبن ماركوس من قبيلة كويرينا، مسؤول الحياة الثقافية والإجتماعية، مسؤول بلدي ثنائي، عراف،**

[1]- **انظر: محمد بشير شنيتي**: الإحتلال الروماني لبلاد المغرب، م س، ص133.

[2]- **Ernest MERCIER**: Histoire de Constantine, J.MARLE et F.BIRON Imprimeurs-Editeurs, Rue Damrémon, Constantine, 1903, p38.(ترجمتنا الخاصة)

كبير العرافين..)[1]، ومما يوحي بانتشار هذه القبيلة الإيطاليّة في كل المدن الواقعة شمال سيرتا ومنها منطقة جيجل، ما ذكرهُ فيرو عن لوح تدشين روماني عثر عليه بمدينة شوبا (Chuba) زيامة المنصوية، كتب عليه: **(تحت حكم الإمبراطور القيصر لوسيوس سبتميوس سيفيروس الرشيد، الملقب برتيناكس أغسطس، بنيت حمامات المواطنين الأحرار لملحقة أليوس ـ شوبا للمنفعة العامة، وبإهداء من الدومفيرسيين: ل. أبديوس ابن ماركوس من قبيلة كويرينا، الملقب فكتور، وماركوس أمليوس ابن (..)، من قبيلة الأرنيين، الملقب هونوراتوس، عام 157)**[2]، وكذا النصب الجنائزية المعثور عليها بمدينة باتْشِيَنيس ماتيديَا (Paccianis Matidiæ) عند عين تسيليل بمنطقة سطارة، ومنها:[3]

D*(iis)* ***M****(anibus)*
M*(arcus)* ***CLODIVS***
C*(aii)* ***F****(ilius)* ***Q****(uirina)* ***VICT***
OR V*(ixit)* ***A****(nnis)* ***C****(entum)*
O*(ssua)* ***T****(iene)* ***B****(ene)* ***Q****(uiescant)*

« Aux Dieux Mânes, Marcus Clodius, fils de Caius, de la Quirina tribu, surnommé Victor, a vécu cent ans, que tes os reposent en paix »

(إلى الأرواح الآلهة، ماركوس كلوديوس ابن كايوس، من قبيلة كويرينا، الملقب فكتور، عاش مائة سنة، لتنم عظامك بسلام)

---

[1]– **انظر**: الكتابات الدينية بمدينة كويكول، الديوان الوطني للمتاحف والمواقع الأثرية الجزائر، مخطوط خلية الإعلام بموقع كويكول العلمة – ولاية سطيف.

[2]– L. **Charles FERAUD**: Histoire Des villes De la Provence de Constantine- Djidjelly, ibid, p98-99.(ترجمتنا الخاصة)

[3]– **www.Jijel-Archeo.123.fr**: Jijel Archeonat Moseum, 2009, 01-09-2010, 18:25.

(كويرينا/كويريناي/كيرينا) هي قبيلة إقطاعيّة فلاحيّة من أصول إيطاليّة، انتشرت في المستعمرات الرومانيّة القريبة من سيرتا منذ 29 ق.م، واستمرّ وجودها بالمنطقة 459 سنة، أي طيلة المرحلة الرومانيّة إلى غاية مجيء الوندال عام 430م، وذلك ما يطرح الكثير من الإشكالات عن طبيعة حياتهم في المجال الجيجلي وعلاقتهم بالسّكان المحليّين (أُكُوتَامَنْ وشيتواي وجِيمِيلاَّي ومن جاء بعدهم)، وتسمحُ لنا مراجعةٌ دقيقةٌ للأطلس الأثريّ الجزائريّ الذي جمعه ڤزال بالقول أن المستعمرات الرومانيّة الموجودة بالمجال الجيجلي قسمان:

المدن والحصون: وعادةً ما يمنع القبايل المحليّون من سكنها أو التجول فيها في شكل جماعاتٍ من شأنها أن تشكل خطرًا على الجالية الرومانية الموجودة بها.

المزارع والمستثمرات: ويقوم فيها هؤلاء القبايل المحليّون بدور العمّال القائمين على الإنتاج، والتجار الذين ينقلون السّلع والبضائع إلى المدن والمناطق الأخرى.

وقليلةٌ هي المواقع التي نجدُ فيها مؤشراتٍ من طرائق البناء وطقوس العبادة والدفن وغيرها... تثبت حدوث اختلاط جادّ بين هذين العنصرين، بَل أبعَدَ مِنْ ذلك استطال بينهما تنافرٌ شديد، مثلتهُ كراهية عميقة عند القبايل المحليين لهذا العنصر المستعمر، وحذرٌ يَقِظٌ وحيطةٌ لدى الرومان من هذا العنصر المحليّ الثائر في أي لحظة، لذلك ذهب بعضُ المؤرخين من أمثال محمد المهدي شغيب إلى أن البربر انضمّوا إلى الوندال عند مجيئهم لطرد هؤلاء الغزاة، وقد يصدقُ ذلك على منطقة جيجل التي طردوا منها الكويريين وخرّبوا مدائنهم عن آخرها واستعادوها، فلم يبق إلا آثارهم

الموزعة ومقابرهم الكثيرة[1]، ومن ثمة لا طائل من القول بأنه بقي لهؤلاء المستدمرين رافدٌ بشريّ يمكنُ أن يكون قد تحول إلى فرع قَبَليّ في منطقة جيجل، ونستثني من هذا الحكم بعض الأفراد المستلحَمين في المجال بحكم مخالطتهم لمدة 459 سنة، وهو زمن غير يسير في التعايش الاجتماعي ولو كانت صبغته العداوة، ولا يمكن كذلك أن ننكر وجود علاقات ارتباط بين هذين الجنسيين، مما أنتج تنوعًا في الألوان والخلائق، ولكن ذلك لم يُفسد احتفاظ كلّ جنسٍ منهُما بذاته قائمًا منفصلاً في العُصور التالية.

❖ **زيميز** (ZIMISES):

❖ في مطلع القرن 02م، تظهرُ على الخريطة القبليّة للمجال الجيجلي تسميَة زيميز (Zimises)، ولكن المعلوماتِ قليلَةٌ عن هذا الجنس، إذ لا نملك عنه إلاّ نقيشة رومانيّة عثر عليها النقيب الفرنسي بُونيُو (Bugnot) أثناء عمليات حفر أساسات سور جيجل الدّفاعي الجديد، مؤرخة في سنة 128م، وتذكرُ أن نائب الامبراطور الروماني المسمّى (ماركوس فيتيوس لاترو) منع هؤلاء (زيميز) الاقترابَ من حصن (إڤيلڤيلي) أو من (كاستالوم فيكتوريا) خوف مهاجمتهم لأفراد الجاليَة الرومانيّة الذين مُنِحت لهم الأراضي السهليّة الزراعيّة المحيطة بالقلعتين.

[1]– **انظر**: **محمد المهدي شغيب**: أم الحواضر في الماضي والحاضر، مطبعة البعث قسنطينة، ص 17، يقول: (أما سياسة جنسريق مع هؤلاء البربر فكانت سياسة لطف، ومجاملة، وتأليف القلوب. وبهذا الأسلوب من المعاملة استطاع أن يستميل إليه برابرة البلاد، ويكسب عطفهم عليه، فمالوا إليه وأعانوه على أعدائه الذين هم أعداؤهم الأقدمون الرومان، وانخرط عدد منهم في سلك الجيوش الوانداليّة).

تعيّن الحدود بين سكان إڤيلڤيلي في تخومهم عند قلعة فيكتوريا وبين الزيميز، ليعلم الزيميز أنه بقرار من ماركوس فيتيوس لاترو، نائب الامبراطور، لا يحق لهم التواجد حول القلعة على بُعد 500 قدم من سورها. كُتب سنة 89 بتقويم المقاطعة. القنصلان توركواتوس و ليبون	TERMINI POSITI INTER IGILGILITANOS IN QVORVM FINIDVS KAS TELLVM VICTORIAE POSITVM EST ET ZIMIZI VISCLANT ZIMISES NON PLVS IN VSVM SE HABER EX AVCTO RITATE M VETTI LA TRONIS PROC AVG QVA IN CIRCVTV AMVRO KAST P D PR LXXXIX TOR QVATV ET LIBONE COS

نسخ نقيشة سور جيجل المؤرخة سنة 128م المذكور فيها جنس زيميز (ZIMISES)[1]

هذه المعلومات بالرغم من أنها نقلت إلينا خبر تواجُد هؤلاء (زيميز) بالمجال الجيجلي في القرن 02م، وطبيعة العلاقة بينهم وبين السّلطة الرومانيّة بجيجل، إلاّ أنها لم تذكر لنا بالتحديد أصلهم ولا زمن نزولهم، لذلك عدّها علي خنُّوف من الفروع الكتاميّة التي كانت تحوز على الأراضي السهليّة المحيطة بقلعة إڤيلڤيلي، ثم انتزعها منها الرومان سنة 107م، يقول: "..**استولت السلطات الرومانية على الأراضي السهلية القريبة من مدينة جيجل التي انتزعتها بالقوة من القبيلة الكتامية التي كانت تعرف آنذاك بالزيميزيس وسلمتها للجنود المسرحين**.."[2]، لا أدري من أين جاء خنّوف بهذا النسب، إلاّ أن يكونَ قد اعتقد بنشوء هذا الفرع داخل الكنفدراليّة

---

[1]– **Voir** : http://www.jijel-archeo.123.fr, le 23-05-2017, à 09:33.

[2]– **علي خنوف**: تاريخ منطقة جيجل قديما وحديثا، دار الأنيس، دالي ابراهيم الجزائر، ط2، 2011، ص 51.

الكتاميّة وبروز اسمه ودوره في هذا الزمن بالذات، وهي مقاربةٌ قويّة يعضُدُها غِيابُ ذِكرِ هذا الجنس في أي مكان آخر من كتب المؤرخين وخرائطهم، ما عدَا في المجال بين إقيلقيلي (Igilgili) وشولو (Chullu) كما نقلتهُ إلينا خريطة بوتنجر (Peutinger) في القرن 04م، وهذا يعني بقاء هذا الجنس في منطقة جيجل بين أهلها أُكُوتَامَنْ لمدة قرنين منذ نقيشة سور جيجل، دون أن يُذكر جنسٌ آخر معه، مما يوحي أنه فرعٌ من كُنفدرالية أُكُوتَامَنْ برز دورُهُ فسجّل التاريخ اسمُه.

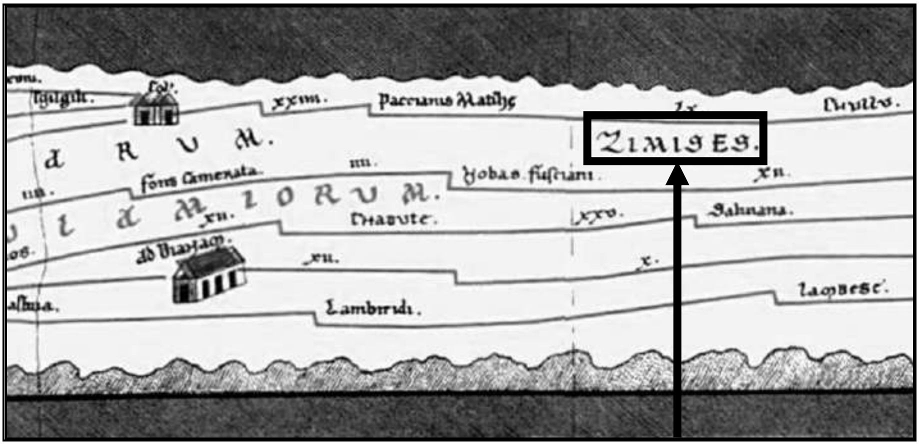

جنس زيميز (ZIMISES) بين إقيلقيلي وشولو في القرن 04م على لوحة بوتنجر المُحققة

ويخالف طوكسييه وفيرو هذا الرأي تمامًا، إذ يعتقدان أن هؤلاء زيميز (Zimises) من الشعوب الجيتوليّة الصحراوية وانتقلوا إلى جيجل بداية من القرن 02م، يقول طوكسييه: "**في هذه الحقبة، كانت تعيش في الصحاري الجنوبيّة شعوبٌ تسمى زاماز (ZAMAZES) أو زيميز (ZIMISES)، من أصول جيتولية على الأرجح، لمّا كان القُدال مستولين على نواحي جيجل، نزلوا في جبال القلّ أين تظهرهم خارطة بوتنجر، هذا كلّ ما نعرفه عن تلك الشعوب**"[1]، وانظُر إلى تحوير التسميّة عند طوكسييه الذي جعلهم من الجيتول، ثم حاول على ما يبدُو التّدليل على مقاربته أُنوماستيًّا من خلال تقريب اسم (Zimises) إلى (Zamazes) التي تربطنا مباشرة بمنطقة (Zama) قرب مدينة سليانة التونسيّة، والتي وقعت فيها المعركة الشهيرة الفاصلة في الحرب البونيّة الثانية بين حنبعل وسكيبيون الأفريقي سنة 202 ق.م، لكن هذا الرأي غير منسجم بحكم بُعدِ هذه المعركة عن ظهور اسم (زيميز) بأربعة قرون، وحتى مدينة (Zama) القرطاجية واقعة في شمال أفريقيّة (Africa) بعيدًا عن مجالات الجيتول في الصحراء! لذلك فضّل فيرو عدم المجازفة إلى هذه المقاربة واكتفى بالقول أنه جنس جاء من الجنوب، قال: "**في الوقت الذي كان القُدال الرّحل مكتنفين بضواحي جيجل، أقبلت قبايل أخرى من الجنوب يسمون الزاماز (ZAMAZES) أو الزيميز (ZIMISES) وسكنوا مصب آمسّاغا في الجبال بينها وبين القل، وقد أظهرهم بوتنجر هنالك في خريطته، ثم ما فتئ هؤلاء أن وسعوا مجالاتهم إلى غرب جيجل**

[1]– **Voir** : **Henri TAUXIER**: Ethnographie de l'Afrique Septentrionale au temps de Mahomet, Op.cit, n°08, 1864, p69.

كما يبدو من الموضع الذي مازال يحمل تسميتهم زيامة إلى اليوم ما بين جيجل وبجاية.."[1].

وإذا كان طوكسييه وفيرو قد جانبا الصواب في حصر وجود جنس (زيميز) بالجبال بين مصب آمسّاغا والقلّ، إذ كانت مجالاتهم تبلغ سهول جيجل بدليل نقيشة السور، فإن مقاربتهُما أصلَ هؤلاء (زيميز) في شعوب الجيتول جزافيّة ولا دليلَ عليها، وأقوى منها مقاربة خنّوف التي تجعلهم تطورًا طبيعيًّا لفرعٍ محليّ من فروع كُنفدراليّة أُكُوتَامَنْ المتحكمة في المجال منذ زمن سحيق.

يبدو أنّ هؤلاء (زيميز) انحسروا بعدها إلى غرب جيجل حيث سكنوا مدينة شوبا (Chuba) التي حملت اسمهم (زيامة) في العصر الوسيط قبل أن يجددها المنصُور فتُنسب إليه (زيامة المنصورية)، ولكنّ موضعهم هذا يطرحُ إشكال مآلهم وعلاقتهم بفرع (**بني سڤوال**) الكتاميّ السّاكن في زيامة، والذي ذكره ابن خلدون في القرن 14م في كنفدراليّة سدويكش، وإخوانهم (**سڤدال**) مازالوا مكتنفين بقبايل (موية) قرب مدينة ڤرارم ڤوڤة جنوب جبال القلّ، في الموضع نفسه الذي أظهر فيه بوتنجر جنس (زيميز) على زمنه، فهل يُعقلُ أن يكونوا جنسًا واحدًا تغير اسمهُ منذ ذلك الزمن السحيق؟ الله أعلم.

[1]– L. **Charles FERAUD**: Histoire Des villes De la Provence de Constantine-Djidjelly, Op. cit, p30-31.

❖ **إيزافلانس** (ISAFLENSES):

وهذا الجنس من القبايل البربريّة داخلٌ في حلف كينكيجانتان (Quinquegentane)، وهي خمسة قبايل تحالفت لحرب الامبراطور ماكسيميَان، ثم اعتصمت على عهد الامبراطور قسطنطين في حوالي القرن 04م بجبال جرجرة التي كانت تسمى آنذاك فيراتوس (Ferratus) دافعة عنها جنس النااب (Nababes). وفي زمن الامبراطور فالينتينيان ثارت هذه القبايل بقيادة فيرموس، وحاربها الكونت ثيودوز ولكنه لم يقض منها وطره، وبقيت سيدة جرجرة إلى مجيء المسلمين وإلى يومنا هذا[1]، وهذه الأعراش انتظمت فيمَا بعد في كنفدرالتي (زواوة) و(صنهاجة) اللّتان ذكرهما ابن خلدون في العصر الوسيط، وهي كالآتي: فراوسن (Fraxinenses)، مسيسنة (Massinissenses)، (Jubalenies)، (Iesalenses)، فليسة أو إفليسن (Isaflenses)، ويقتصرُ عملنا على هذا الجنس الأخير.

(فْلِيسَة) وفي الجمع البربري (إفْلِيسَنْ) الذي ينطقه اللاّتينيون إيزافلانس (Isaflenses)، ذكرهم المؤرخ الرّوماني أميَان مَارسُلان (Ammien MARCELLIN) في القرن 04م على زمن ثورة فيرموس في موضعهم قرب (Auzia) وهي سور الغزلان

1– **Henri TAUXIER**: Ethnographie de l'Afrique Septentrionale au temps de Mahomet, Revue Africaine, Op.cit, n°08, 1864, p67.**A voir aussi** n°06, 1862, p441, **A voir aussi** n°07, 1863, p24, **A voir aussi** n°09, 1865, p458.

الحالية قرب مدينة (حمزة)[1] الوسيطيّة، وذلك قبل أن ينتقلُوا في إطار هذا الصراع إلى جرجرة وينقسمُوا بين (فليسة أوملّيل) قرب ذراع الميزان و(فليسة البحر) على ساحل تيڤزيرت. إن موضعهُم الأصليّ الأوّل في سور الغزلان (Auzia) يجعلُنا في شكّ من رأي النسابة البربر الذين ذكروا لابن خلدون هؤلاء (فليسة) في فروع إيسّودَا من كنفدراليّة أُكُوتَامَنْ، قال: "**فمن يسّودة فلاسة ودنهاجة ومتوسة وآوريسن..**"[2]، فهل كانت مجالات أُكُوتَامَنْ في جبال جيجل وسطيف تبلُغ هذا الموضع؟ أم أن هؤلاء فليسة (Isaflenses) كانوا في موضعٍ آخر من مواطن أُكُوتَامَنْ بضواحي سطيف قبل القرن 04م، ثم انتقلوا منه إلى سور الغزلان من جراء الصّراعات بينهم وبين الرومان ليجدهم أميَان مَارسُلان هنالك على زمنه؟

إن غيابَ هؤلاء عن كتب المؤرخين الّذين سبقُوا مَارسُلان يُوحي بكونهم فرعًا قبليًّا تطوّر وبرز دوره في هذه المرحلة، ولكنّ نسبتهُ لجنس أُكُوتَامَنْ بالرغم من بُعدِه عن مجالاتهم يُلغي الاعتقاد بأنه من جنس آخر ومستلحمٌ في كنفدراليتهم، لأن ذلك يقتضي وجوده في مجالاتهم، إنما وجوده في مجالات زواوة وصنهاجة وذكرُهُ في فروع كتامة من نسّابة البربر أنفسهم يجعلُنا نستأنسُ برأي ابن خلدون في كونهم كتاميّين هجروا موطنهم في القرن 04م إلى سور الغزلان ثم إلى جرجرة والله أعلم.

[1]- **L.MARCUS et DUESBERG**: Géographie Ancienne des états Barbaresques, Librairie encyclopédique de RORET, Paris, 1842, p475.

[2]- **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص196.

❖ **بافار** (BAVARES):

وهذا الجنس من أكبر أجناس العهد الروماني، ولعلّه كنفدراليّة قبليّة للضخامة التي وصفه بها الباحثون، وقد ظل مقاومًا للوجود الروماني طوال القرن 03م حتى غاب ذكره في الآثار والكتب، مما يعني تفككه وزواله من التأثير في الحياة السياسية والعسكرية في المجالات التي كان يشغلها، ومن بينها مجالات الجبال الجنوبية الغربية لمنطقة جيجل قيد دراستنا.

ويتحدث غابرييل كامب في مقال مطوّل خصصه لهذا الجنس عن أكثر من خمسة عشر نقيشة ووثيقة تتحدث عن هذه الجماعة البشرية الضخمة، وتتفق في جعلها كنفدراليّة تتنقل في المجالات بسبب صراعها الدائم مع الرومان ولمهاجمة حصونهم ومدنهم، ويخلصُ بعد تناوله لكل الاحتمالات التي ناقشها قبله: كانيا، قزال، ثوفنو، كورطوا.. إلخ إلى تقسيم هذا الجنس بحسب النقائش الأثرية والمصادر التي تذكره إلى قسمين[1]:

- **(البافار الغربيون)** وهم الأقدمُ ذكرًا وانتشارهم ما بين وهران إلى شرشال إلى وادي ملوية إلى جبال الونشريس، ويدخلون في مجالات الموريطانيتين القيصريّة والطنجيّة.

[1]-**Gabriel CAMPS** : Les Bavares, Peuple de Mauritanie Césarienne, Revue Africaine, Op.cit, N° 99, 1955, p241-284.

- **(البافار الشرقيون)** وموضعهم شمال منطقة سطيف بينها وبين ميلة وجيجل وجبل قرقور، ويدخلون في مجالات موريطانيا السّطيفيّة.

ونلاحظ أن الأخبار السياسية والعسكرية عن هؤلاء (البافار) قد طغت تماما على الجانب الأصولي، وإنّ توزع ذكرهم في القرون الأول والثاني والثالث الميلادي يجعلُنا في حيرة من نسَبهم وزمن تشكّل كنفدراليتهم، خصوصًا وأننا نجهل طبيعة حركتهم هل هي من الغرب إلى الشرق أم العكس، ويسعِفُنا إلى حل هذا الإشكال خيارٌ أنوماستيّ بالرجوع إلى نصّ بلين الكبير الذي يذكر صنفًا آخرًا شبيه التسمية بهؤلاء **(البافار)** وهو جنس **(ساباربار)**[1] الذي يموضعه في القرن 01م جنوب نوميديَا، ويذكره بعدهُ بطُلِيمُوس في القرن 02م باسم **(سابوربور)** ثم يموضعه في الصحراء الجيتولية جنوب سيرتا يقول: "**فإذا رجعنا إلى جنوب السرتين ونوميديا** (..) **وجدنا وراء جبال ثاميس قبايل سابوربور..**"[2]، وفي مقام آخر: "**خلف جبل وزرڤلة نجد بعض قبايل سابوربور..**"[3]، وجبال (ثاميس) على ما يبدو واقعة في مجال (وزرڤلة) المعروفة بعد ذلك بـ(واركلان) أي مدينة (ورڤلة) الحاليّة، وهو الرأي الذي حذى بطوكسييه إلى القول بأن منطلق هؤلاء (البافار) الذين تحول اسمهم عن (سابarbار) أو

[1]- **Voir** : **PLINE l'ancien**: Histoire Naturelle, Op.cit, T 01, p213 (Livre V-iv.5).

[2]- **Henri TAUXIER**: Ethnographie de l'Afrique Septentrionale au temps de Mahomet, Revue Africaine, Op.cit, N°08, 1864, p 69.

[3]- Ibid, marge p69.

(سابوربور) هو الصحراء الواقعة جنوب نوميديا، وبذلك فهو يعدّهم من كنفدراليّات الجيتول، وربّما انتشروا شمالاً وغربًا خلال مشاركاتهم في الصراعات النوميديّة قبيل دخول الرومان، ثم لمقاومة الوجود الروماني بعد دخوله، ومن ذلك نزولهم بالجبال الجنوبية لمنطقة جيجل ومهاجمتهم للمدن حولهم (ميلاف، كويكول، سيتيفيس..) حوالي سنة 260م أي في منتصف القرن 03م كما تظهره النقيشتين المعثور عليهما بتازولت (Lambese) وعين آرنات (Macdonald)، ثم تحالفهم مع الكينكيجانتان بجبال جرجرة لقتال ثيودوز في القرن 04م.[1]

ويحاولُ طوكسييه ربط تسمية هؤلاء (بافار) بتسمية جبال (بابور) معتقدًا أنها أخذت تسميتها منهم، ولكن ڤزال وكامب يرفُضان هذا الطرح بالرغم من تشابه التسميّة، بينما يختفي هؤلاء البافار تماما نهاية القرن 04م، ونجد في مكانهم بجبل بابور زمن الفتح الإسلامي فرع (بني زلدوي) من قبيلة (مالوسة) الكتاميّة، ولعلّ قبايل أُكُوتَامَنْ طردوهم أو استلحمُوهم عند قيام إمارتهم زمن الوندال، فلم نجد بعد ذلك بقاياهم إلا في مجالات الأوراس بمدينة (**بابار**) ناحية خنشلة، و(**أولاد بابار**) أيضا ناحية ڤالمة وسوق أهراس و(**بني بربار**) أيضًا، ربما اتخذت فروعهم الأخرى أسماء جديدة في العصر الوسيط عند تفكك الكنفدرالية، لذلك نستبعد بقاء أحد فروعهم في جبال جيجل إلا مُستلحَمِين في كنفدرالية أُكُوتَامَنْ الوسيطيّة.

[1]– **Henri TAUXIER**: Ethnographie de l’Afrique Septentrionale au temps de Mahomet, Revue Africaine, Op.cit, N°08, 1864, p69.

3- كنفدراليَّات الحقبَتين الونداليّة والبيزنطيّة :

يبدو أن ساكنة المجال الجيجلي لم تهضم السياسة الاستيطانية للعناصر الرومانيّة الغازية، والتي جردتهم من أهم أراضيهم ومدائنهم الأساسية، لذلك اضطرّوا بعد مشاركتهم في ثورات كثيرة فاشلة (عرابيون، فيرموس، تاكفاريناس..) إلى التحالف مع غزاة آخرين هم الوندال، فأحسنوا معاملتهم وأعانوهم على طرد الرومان وإبادة بقاياهم[1]، وذلك لأن هؤلاء سعوا للقضاء على القواعد الخلفيّة التي كانت تدعم جيوش الرومان أثناء حروبهم معهم في البحر المتوسط، لذلك نلاحظ في زمن الوندال اندثار الروافد الأوروبية في المجال الجيجلي وتدمير المدن والمستعمرات التي شيّدها الرومان، في مقابل عودة سلطة الكنفدراليات القبَليّة التقليديّة، ومنها كنفدراليّة كوتاما التي استلحمت في هذه الحقبة كلّ من كان في مجالاتها واستفردت بالمجال الجيجلي من جديد على ما يبدو بدعم من هؤلاء الغزاة الجدد. وكذلك استطاع مركزهم في الجبال بين جيجل وميلة وسطيف الصّمود، بل يبدو أن الوندال احترموا هذا المركز وكنفدراليته القبَليّة وتعاملوا معه كما تدلّ عليه مصادرهم، مع الأخذ في الحسبان قضيّة تحوير تسميتهم إلى ما يناسب اللسّان الوندالي.

[1]– **انظر**: **محمد المهدي شغيب**: أم الحواضر في الماضي والحاضر، م.س، ص 17، يقول: (أما سياسة جنسريق مع هؤلاء البربر فكانت سياسة لطف، ومجاملة، وتأليف القلوب. وبهذا الأسلوب من المعاملة استطاع أن يستميل إليه برابرة البلاد، ويكسب عطفهم عليه، فمالوا إليه وأعانوه على أعدائه الذين هم أعداؤهم الأقدمون الرومان، وانخرط عدد منهم في سلك الجيوش الوانداليّة).

❖ **أُكُوتَامَنْ** (UKUTAMAN):

عاد هذا الجنس العريق إلى الواجهة من جديد في زمن الوندال، فَظهر على جميع الروافد التي مرّت بالمجال الجيجلي، واستلحمُها تمامًا فاندمجت فيه وأصبحت كنفدرالية واحدة تحت حكمه، ذكرها فيكتور دوفيتا (Victor de Vita) سنة 484م في جبالها الأصليّة الحاملة لاسمها بين جيجل وسطيف وميلة "جبال كيداموسانس" (MONTANUS CEDAMUSENSIS) عند موضعها القديم في مجالات موريطانيَا السطيفيّة، ويبدو أنّ بروزهم بهذا الشكل واحتكاكهم مع الوندال بالمعاملات جعلهم ينشؤون عندهم مؤسسة مسيحيَّة كاثوليكيّة هي "أبرشيّة كيداموسانس" (DIOECESIS CEDAMUSENSIS) التي يختصرونها أحيانا في لفظ "كيداموزا" (CEDAMUSA) التي ينطقها البيزنطيُّون اللاّتينيون "تشيداموزا"[1].

ولا شك أن كل الصيغ النطقيّة التي تناقلها مؤرخو هذه العصور لا تعدُو أن تكون تحريفاتٍ صوتيّة للاسم البربري (كوتاما) إلى صيغ تتواءم مع النطق اللاّتيني والوندالي (كويداما/كيداما/تشيداما/كيراما)[2]، لأنه بمجيء زمن البيزنطيّين كانت الكنفدراليّة الكتامية قد تحولّت إلى إمارة مستقلّة وقوية جدًّا ومعتصمة في مجالاتها، ما

[1]- **Voir** : **Victor DE VITA** : Histoire de la persécution vandale en Afrique, Trad Serge LANCEL, Belles lettres, Paris, 2002, p270, N°29.

[2]- **Voir** : **Alfred BAUDRILLART et Autres** : Dictionnaire d'Histoire et de Géographie Ecclésiastiques, Librairie LETOUEZEY et ANÉ, Paris-VI, 1953, Tome 12, p42.

جعلها تتعامل بِندّية مع سلطة البيزنطيين في ميلة وقسنطينة، وقد دلّنا بالضّبط على موضع هذه الإمارة الكنفدراليّة وتسميتها الصّحيحة ومكان جبالها والأبرشية الموجودة بها، النقيشةُ المسيحيّة البيزنطيّة التي عَثَر عليها الفرنسيُّون بمنطقة فدولس قريبًا من جيملَة، والتي كُتبت عليها جملٌ بالرموز البونيّة وتحتها ترجمتها باللاّتينيّة، ومن أهم ما كُتب عليها:

(... REX GENTIS UKUTAMANORUM ...)

ترجمتها (... **مَلِك إمارة جنس أُكُوتَامَنْ** ...)[1]

و(أُكُوتَامَنْ) هي صيغة جمع اللّسان البربريّ لاسم (كوتاما) القديم، ويمكننا بسهولة التخمين بأن كاتب هذه النقيشة من أصلٍ كُوتاميّ، لذلك نقل الاسم بصيغته الصّحيحة دون تحريفاتٍ عند ترجمته، كما يمكننا من خلال هذه النقيشة استنتاج أن كنفدراليّة (كوتاما) أسّست (إمارة أُكُوتَامَنْ) في مجالاتها كلّها، وأصبح لها في هذه المرحلة مَلِكُ يَدينُ بالمسيحيَّة الكاثوليكيّة، ومركزُها القوي هو جبل جِيمْلَة بالضبط، ولكن تعوزنا إلى ذلك الحين المعلومات الدقيقة عن هذه الإمارة حتى أدركها الفتح الإسلامي في القرن 07م.

---

[1]– **L. Charles FERAUD**: Notice Historique sur la tribu des Oulad Abd-Ennour, Typographie et Lithographie ALESSI et ARNOLET, 1861, p30. **Et L. Charles FERAUD**: Histoire Des villes De la Provence de Constantine-Djidjelly, Op.cit, p30-31.

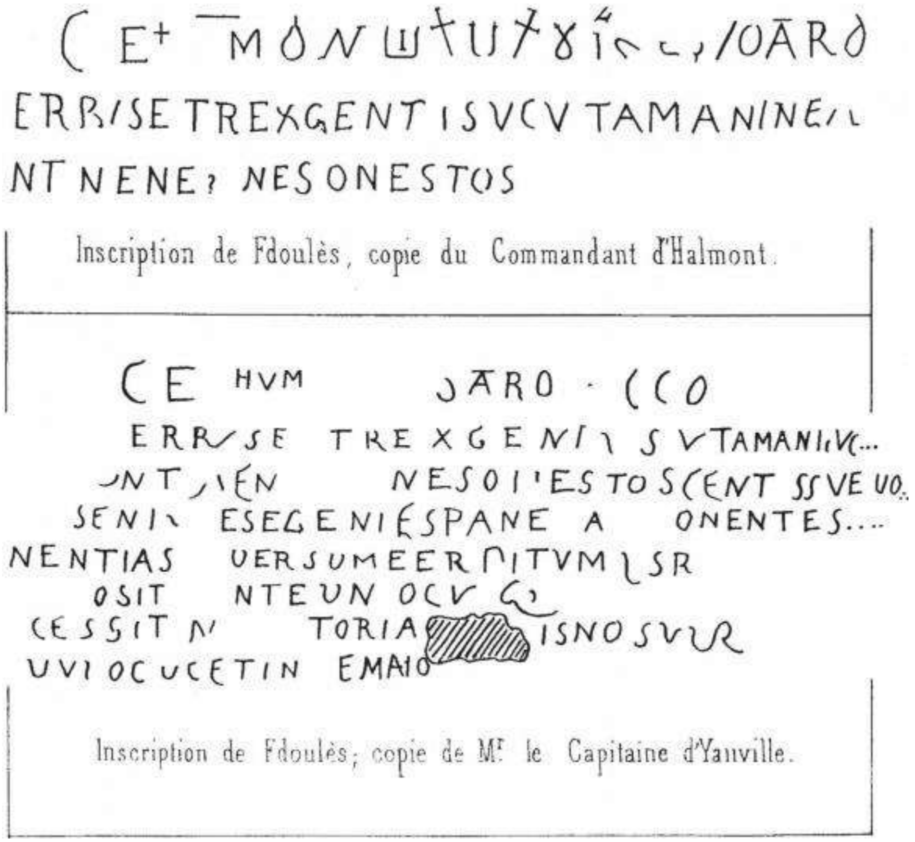

نسخ نقيشة فدولس التي ذكرت فيها إمارة أُكُوتَامَنْ (UKUTAMAN) بالصيغتين البونية واللاّتينية[1]

[1]– **Le Capitaine D'YANVILLE** : Lettres au Secrétaire de la Société Sur l'Inscription du Col de Fdoulès, ANNUAIRE de la Société Archéologique de la Provence de Constantine, Vol 02, 1856-1857, BASTIDE et AMAVET, Libraires-Editeurs, Constantine, p55 et pl 11.

4- خلاصة في تشكّل بنيَة الفرد الجيجلي في العصر القديم

في المحصلة، بدأت منطقة جيجل بربريّة كتاميّة منذ زمن سحيق، ثم حدثت فيها هجرات كثيرة بربرية وأجنبيّة جاءت بها الحروب من منتصف القرن 03 ق.م إلى مطلع القرن 05م، فجلب ذلك روافد كثيرة أسهمت في تشكيل (كنفدراليّة كتاميّة) أكبر وأوسع تحوّلت إلى إمارة مستقلة بمجيء الوندال سنة 430م، واستطاع هؤلاء أُكُوتَامَنْ أن يحافظوا على وجودهم من جهة وظُهورهم من جهة أخرى، وأن يستَلحِمُوا كل هؤلاء المقبلين عليهم ويستذيبوهم في عدادهم، بالرغم مما أحدث ذلك فيهم من الاختلاط الذي أدخل عليهم خصائص خَلقيّة ولسانيّة وعوائديّة جديدة، وقد كان هذا الاستلحام إباديًّا لم يبق من زمنه الغائر أثرٌ لوجودِ فرعٍ واضح من هؤلاء النازلين المستلحَمين، ولذلك لا نرى للباحثين في أصول قبايل منطقة جيجل عذرًا في القول بأن أيّ عرش من أعراشها من أصل فينيقيّ أو لاتينيّ أو رومانيّ أو حتى بربريّ اعتمادًا على صفات الخليقة من بياض الوجه أو سمرته، وضيق الخصر أو عرضه، وطول القامة أو قصرها.. وكل ما كان من هذا الباب، فهو جهدٌ ضائع لا طائلَ منهُ ولا يؤخذُ به إلاَّ من باب واحد، هو ثبوت حدوث اختلاط جنس أُكُوتَامَنْ بهؤلاء الأقوام الذين توافدوا عليهم واستلحِمُوا فيهم أو طردوا عن آخرهم أو أبيدوا عن بكرتهم، بوصف تلك الحروب الإبادية لم تكن تسمحُ ببقاء شيء منهم يكون سببًا لحروب أخرى، وهذا الشكل الكنفدراليّ هو الذي ركم عند الكتاميين خبراتٍ عظيمة ساعدتهم في تأسيس إمارة قويّة في زمن الوندال والبيزنطيين وأدركها الفتح الإسلامي.

الفصل الثالث:

كُتامَة

كنفدراليّة منطقة جيجل في العصر الوسيط

رغم الحركة الاستيطانية النشطة التي عاشتها منطقة جيجل في العصور القديمة، والتي كانت تأتيها من جهة البحر أو من جهة قسنطينة، إلا أنّ تلك الحركة نقصت قليلاً بعدما انتقل التأثير إلى أعماق الجهة الجنوبية كون المنطقة شديدة الحصانة في جبالها، ولقد هدأت تلك الحركة تماما في العصور الأولى للفتح الإسلامي واتسمت بشيء من الحريَّة، ولكنها عاودت نشاطًا كبيرا بعد وفود الداعي الشيعي وقيام الدولة الفاطمية عند كتامة في القرن 09م، نتيجة تطاحن بطون كتامة بين مؤيد له ومعارض لفكره من جهة، ودخولها حلبة الصراع مع سلطة دولة الأغالبة المركزة بمدينة ميلة القريبة منها وغيرها من كبار حواضر كتامة من جهة أخرى.

ولعلّ أبرز من وصف حركيَّة الاستيطان بتلك المرحلة مؤرخ الفاطميين القاضي النعمان (ت.974م)، ومن جاء بعده من الجغرافيين كابن حوقل (ت.977م) والبكري (ت.1094م) والإدريسي (ت.1166م)، ثمّ فصل فيها القول ابن خلدون (ت.1403م) فلم يهمل منها كبيرة ولا صغيرة، ولكنه لم يذكر الأسماء الدقيقة لفروع القبايل الموجودة اليوم إلاَّ قليلاً مكتفيًا بذكر الفروع الكبرى الأبرز تأثيرا والأكثر مركزية من المنظور السياسي لنظام الدولة الذي كان قائمًا في عصره، وقد برزت في هذه المرحلة مجموعة من الهجرات من منطقة جيجل وإليها، سنذكر أبرزها وأشدها تأثيرا على الخارطة القبلية للمنطقة، وإليك بيان ذلك.

1- كنفدرالية أُكُوتَامَنْ (كتامة) :

❖ تسمية كتامة

أمّا تسميّة (كُتَامَة) فهي تعريبٌ لمصطلح بربري، على عادة النسابة والجغرافيين والمؤرخين العرب الذي جعلوا أسماء القبايل البربرية كلها على هذا النحو التأنيثي مثل (هنتاتة، صنهاجة، أوربة، هوارة..إلخ)، ونرجّح أن المصطلح البربري لجذر (**كتامة**) أصلُه (**كوتام**) لأنه بالعودة إلى ما قبيل مجيء العرب في الفتح الإسلاميّ أي على زمن البيزنطيين، يشير لوح فدولس إلى تسمية إمارة كتامة بلفظ (UKUTAMAN) ونطقُه (**أُكُوتَامَنْ**)، وهو الجمع البربري لكلمة (**كُوتَامْ**) أو (**آكُوتَامْ**) التي يقصد بها البربر في لغتهم "..**آكوتام: هو المكتئب، الحزين، المُتألم**"[1]، وهي تسميةٌ وصفيّة غير بعيدة عن ما ذكره النسابة البربر لابن خلدون (ت.1403م) في شأن هؤلاء: "..**وهم عند نسابة البربر من ولد كُتَامْ**.."[2]، ومن هذا المنطلق يبدو أن تسمية كتامة مشتقة من هذا المعنى بطريقةٍ ما، لأنه يتعدد عُرف التسمّي عند البربر بين الانتساب في أماكن محددة أو في أحداث بعينها أو في جدّ مؤسس أو في أمور أخرى كثيرة، ويعوزنا الدّليل هنا للفصل في القضيّة، فينفتح مجال التقصّي لتقدير ما يمكن أن يكون سببًا في حمل الجنس أُكُوتامن لهذه التسميَة.

---

[1]- **J.M. DALLET** : Dictionnaire Kabyle-Français, Editions SELAF, Paris, 1982, p 428.

[2]- **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص195.

ويميل بعضُ المختصين في الطوبونيميَا إلى استقصاء أصل كلمة (كتامة) المعرّب من لفظ (**كُودام**) عند بْطُلِيمُوس الذي ذكره بصيغة كويداموزي (CŒDAMUSII) وترجمه عنه الخوارزمي بـ(**كدمان**)[1]، ثم ترجمه فيرو للفرنسية (Kédamisiens)[2]، فيميل عبد الله عيسى لحيلح[3] إلى أن (**كدمان**) جمع بربري مشتق من كلمة (**آكودَام**) أو (**آكدَم**) الذي صحّفه اللاّتينيون والعرب عن مصطلح (**آڨودام/آڨدم**) أو (**آيودام/آيدم**) وهو نوع مخصوص من التضاريس الجبليّة ما تزال الكثير من مناطق جبال القلّ والميليّة وجيجل تحمل تسميتها، ومن ثمة فهو يُخرجُ اللفظ إلى تسمية وصفيّة لجماعات قبليّة اشتركت في سكن تضاريس جبليّة، فيصير لمصطلح (**أُكُوتَامَنْ**) أو (**أُكُودَامَنْ**) معنى وصفيٌّ شرحُه (قبايل الجبل).

ونجدُ أيضًا في بيئة (كتامة) تسمية بربرية قريبة هي (**آكتم**) التي تعني في لغتهم (النبات البرّي)، وهذا التشابه يحيلنا مباشرة على موطن القبيلة المكتنف بجبال وعرة وغابات كثيفة، فمن المحتمل أيضًا أن تكون قد نُسِبت إلى خصوصيّة هذا الموطن ووصفت به، والله أعلم.

[1]– **كلوديوس بطليموس**:(الجغرافيا) صورة الأرض من المدن والجبال والبحار والجزاير والأنهار، ترجمة أبي جعفر محمد بن موسى الخوارزمي، مخطوط رقم 4247 بالمكتبة الوطنية الجامعية – ستراسبورغ.

[2]– **L. Charles FERAUD**: Histoire Des villes De la Provence de Constantine-Djidjelly, Op.cit, p30-31.

[3]– **عبد الله عيسى لحيلح**: أستاذ اللغة العربيّة وآدابها بجامعة محمد الصديق بن يحيى جيجل.

وتأتي في مقابل هذا التأويل الطوبونيمي قراءة لوح فدولس من زمن البيزنطيين، المنقوش عليه جمل بالحرف البونيّ مرفُوقة بترجمة لاتينيّة، جعلت (**أُكُوتَامَنْ**) تسمية جنس بعينه من البربر له إمارة على الحدود مع مدينة ميلة، ومحتواه: (ERRISET REX GENTIS VKVTAMANORVM)، وتفسيرها في العربيّة (...**إمارة جنس أُكُوتَامَنْ**) أي (إمارة جنس الكتاميين)، وهو دليل يسمحُ بالقول أن لفظ (أُكُوتَامَنْ) كان عند البيزنطيين على الأقل اسمَ (جنس) بشريّ، وليس تسميَةً وصفيّة لجماعات قبليّة مجتمعَة في الجبال كما يدّعيه الاجتهاد الطوبونيمي السابق.

ولا ريبَ أن النسابة والمؤرخين العرب عند فتحهم لبلاد المغرب وجدوا هذه التسمية البربريّة، فصحّفوها إلى ما يناسب نطقهم العربي من (**أُكُوتَامَنْ**) إلى (**كُتَامَة**)، وسعوا إلى إيجاد تأصيل لغوي لها فافترضوا وجود جدّ لهذه القبيلة اسمه (**كُتَامْ**) أو (**كَتْم**) وجعلوه من أبناء برنس بن مازيغ بن كنعان بن حام بن نوحعليه السلام، أي أن مصدر التسميّة في هذا الحال هو الاشتقاق، وقد ذكر ابن خلدون (ت.1403م) هذا الرأي قال: "..**وهم عند نسابة البربر من ولد كُتَامْ بن برنس، ويقال كتم**.."[1]، وإن كنَّا نشير إلى أن هذا الرأي الخلدوني الذي يرجعه إلى نسّابة البربر أنفسهم لا العَرب قريبٌ جدًّا من تسمية (**آكُوتَام**) التي افترضناها في بداية هذا التقصّي، ما عدَا الفرق البسيط في تحقيق المدّ بين (**كُتَامْ**) المعرّبة و(**آكُوتَام**) البربرية، ولكننا نرى من المبالغة الادعاء بأن كتامة كلها بفروعها الكثيرة المتوزعة راجعة إلى جدّ واحد، لأن الراجح هو

[1]– **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج 6، ص195.

كونها كنفدراليّة ضخمة تشكلت وفق سياقات تاريخية قبل وصول التدوين الأصوليّ إلى المنطقة، وحتى وإن صدق افتراض نسابة البربر المنقول على لسان ابن خلدون، فـ(آكوتام) عندها قد يكون الجدّ المؤسس لكنفدرالية القبيلة من الناحية السياسية ولذلك نُسِبَتْ كل الفروع إليه، ولكن أن يكون جدّ الفروع كلّها كأن القبيلة كانت صافية العرق معزولة عن غيرها من الأجناس، فهذا غير معقول بدليل وجودها في محور نشيط الحركة الديموغرافية، واندمجت فيه الكثير من الفروع القبليّة من نواحي شتى كما أوردناه من قبل في الفصلين الأول والثاني من هذا الكتاب.

وقد أورد أهل اليمن قديمًا تفسيرًا آخر بإرجاع هذه الكلمة إلى الجذر العربي **(ك ت م)** وجعلها مشتقة المعنى من (الكتمان) وهو الإخفاء، وقد دعمت هذا الرأي رواية أبي عبد الله الداعي الذي أخبر وجهاء كتامة أن اسمهم مشتق من الكتمان، وأن المهدي آخر الزمان سيأتيهم تمهيدًا لمجيء سيّده عُبيد الله المهدي قال: "**إن للمهدي هجرة تنبو على الأوطان، في زمان محنة وافتتان، ينصره فيها الأخيار من أهل ذلك الزمان، قوم مشتق اسمهُم من الكتمان**"[1]، وهذه الرواية غريبةٌ لا دليل عليها، وليس ثمة ما يبررها إلا محاولة الدّاعي مقاربة تسمية كتامة البربريّة بأدوات الاشتقاق العربيّة وهو أمرٌ لا يصحّ، خصوصا في هذه المرحلة التي كانت فيها كتامة لا تزال في بربريتها ولم ينل منها التعريب بعدُ إلا نَصيبًا ضئيلاً، وربما أراد الداعي دعم مقاربة

[1]– **فرحات الدشراوي**: الخلافة الفاطمية بالمغرب، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 1994م، ص86، عن **أبو حنيفة النعمان**: افتتاح الدَّعوة، م س، ص 37.

الأصل الحِمْيَرِيّ العربيّ لكتامة، إذ لا يُمكنُ إغفال كون عبد الله الداعي من تلاميذ أبي القاسم داعية اليمن، الذي لعلّه يعرف أساطير ادعاء أنساب البربر في تبابعة اليمن وملوك حِمْيَر، وهذه المقاربة ضعيفَةٌ من باب غياب الأدلة القطعيّة عليها، إلاّ أن أبا عبد الله استعملها كما يبدو في حملته السياسية لإقناع شعوب هذه الناحية بوجود صلة لهم بالمشرق ولو من الجانب الإسمي.

وقد ذكر موسى لقبال (ت.2009م) شيئا من الخلط الموجود بين اسم (كُتامة) و(الكَيْتَم) عند ابن خلدون (ت.1403م)، وهو الذي ذكرهم في تسمية اللاّتينيين عند إعادة بنائهم لقرطاجة قال: "**الخبر عن فتنة الكَيْتَم مع أهل أفريقيا وتخريب قرطاجة ثم بنائها على يد الكَيْتَم وهم اللّطينيّون**"[1]، ولكن بُعد هذا الرأي واضحٌ، إذ شرح ابن خلدون أن كلمة الكَيْتَم تدلّ دلالةً شاملة على سكان شبه جزيرة إيطاليا واليونان وما إليهما[2]، وحاولنا في الفصل الثاني من هذا الكتاب ربط هؤلاء بجنس (الشيتواي) الذي كان من البقايا القبليّة في المنطقة لما نعتقدُ أنه غزوة يُونانية قادها آڤاثوفليس في القرن 04 ق.م، وقد سبق شرح ذلك في الفصل الثاني من هذا الكتاب فانظر هناك تجده، لذلك لا طائل من الربط بين تسميَة هؤلاء (الكَيْتَم) وتسمية (أُكُوتَامَنْ) وتعريبها (كُتَامة)، ولا شأن لهذه المقاربة في قضية الأصل ولا في التسميَة.

[1]- **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج 2، ص398.

[2]- **موسى لقبال**: دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، م س، ص94.

❖ **حقيقة الأمازيغ والبربر** :

ولا نفوّت في هذا المقام أن نورد مقاربتنا في تسميتي (الأمازيغ) و(البربر) واللتين تثيران الجدل في زمننا هذا، وذلك بادعاء الناس الانتماء إليهما بوصفهما نسبًا جِينيالوجيًّا مميزًا وعِرقًا متشكّلاً بمعزل عن أعراق العالم، وهذا من الأكاذيب العظيمة التي بلغت الآفاق، ولم نجد لها في ما بحثنا مبرّرًا ولا أصلاً، إذ لا تدلّنا المكتشفات الأثرية والكتابات القديمة إلى مجيء المسلمين إلاّ على مسارٍ اعتباطي للتطور البشري عند شعوب شمال أفريقيا، فهي تتشكّل من تحالفات أخلاط وفق معطيات اقتصادية وسياسية ودينية، وتحمل أسماء كثيرة، ثم تتفكك للمعطيات ذاتها وتعاود التشكل من جديد بتحالفات جديدة من الفروع المتفككة للأخلاط القديمة، وتتخذ لها أسماء جديدة وهكذا في كل عصر، ولذلك نجد أسماء كثيرة للأجناس نفسها تظهر وتضمر ويتصور الجهّال أنها قبائل إثنيّة جديدة في المجال !!

فأما تسمية (المازيغ) فهي سابقة لتسميَة (البربر)، لأنها تعريبُ كلمة (مازيڤ) التي هي كنفدراليّة (Mazices) الفلاحيّة من أخلاط أصوليّة كثيرة استطاعت التوحّد بفضل حصانة مواطنها ووفرة اقتصادها الفلاحيّ منذ القرن 11 ق.م حسب أسطورة جوستينيوس، ونجحت في تأسيس مملكة قويّة في القرن 04 ق.م بقيادة فرع الماصيل (Massyli) الآتي من شعوب الرُّعاة التي تقع جنوبًا وهي كنفدراليّة النوماد (Nomades) فحملت اسم مملكة نوميديَا، ثم على إثر الصراعات الداخليّة بين النوماد الرّعاة مؤسسي المملكة والمازيڤ الفلاّحين أصحاب المجال، تفككت نوميديا

إلى إمارتين: أتباع الماصيل وحملت إمارتهم اسمه (ماصيليا) شرقًا، والمازيف حملت إمارتهم اسم (مازيڤيليا) أو بالنطق اللاتيني مازيسيليا غربًا، ثم بعد صراعهم جميعا مع القرطاجيين والرومان في الحروب البونية وما بعدها انهزموا أمام تحالف ماسنسن مع الغزاة الرومان، وتفرقوا في المواطن غربا وجنوبا بأسماء فيها تصحيفات كثيرة: (Mazyes, Mazices, Maxyes, Mazicei, Maxitani, Mazacenses, Tamazucenses, Mazazeces...)[1]، وحفظت أذهان نسّابتهم هذا التاريخ القديم فنقلوه إلى الفاتحين المسلمين على أنه أصلهم العرقيّ ونسبهم الجينيالوجيّ.

وأما تسمية (البربر) فهي أيضًا تسمية كنفدراليّة كانت متركزة في أقصى شمال غرب قارة أفريقيا باسم (باربار) أو (ساباربار) وقد ذكرهم بلين هنالك بهذا الاسم (Barbares)، ثم هاجروا في حملات كبرى إلى الصحاري حتى ذكرهم بطليموس هنالك باسم (سابوربور)، وتصارعوا كثيرا مع الرومان الذين أوردوهم في النقائش الأثرية باسم (البافار) (Bavares)، وهم أوّل من وجدهم المسلمُون في فتوحهم للمغرب بجنوب ليبيَا، والظاهر أن نسابتهم هم الذين أخبروهم بهذه التسمية المختصة بهم فعمّموها على سائر شعوب المغرب[2]، واتخذها الذين لم يجدّوا البحث في هذا الموضوع نسبًا جينيالوجيًّا!

[1]– موقع: https://tutlayt.com، يوم 2018/08/18، 11:34.

[2]– **Allaoua AMARA** : Peuplement et arabisation au Maghreb médiéval: l'exemple du pays des Kutãma, ALBORÁN, GRANADA, 2018, p 274.

❖ كتامة والمُسلِمُون الفاتحُون :

يبدُو أن التحسُّس من قضية صراع إمارة كتامة ذات الطابع البربريّ مع العرب الفاتحين، حرمَ الباحثين من معلومات كثيرة عن طبيعة بداية اختلاط هؤلاء البربر بالجنس العربيّ والمستعرب في بداية دخوله لبلادهم، فقد غيّب المؤرخون جزءًا غير يسيرٍ من هذه الصراعات ولم ينقلوا إلينا تفاصيل الصراع الثلاثي (كتامي – بيزنطي – فاتحي)، ومن ساند من في السّياقات السياسيّة التي كانت سائدة آنذاك، وتركّز الحديث كله على معارك الفاتحين برًّا وبحرًا مع جرجير (Grigore) والي قرطاجة للبيزنطيين وملكُه هرقل (Hercule)[1]، ثم صراع عقبة بن نافع مع كسيلة (آكسل) ملك أوربة، وحسان بن النعمان مع (ديهيا) كاهنة جراوة بجبل أوراس[2]، فلم نستيقظ إلاّ على اليعقوبي (ت بعد. 905م) والقاضي النعمان (ت.974م) وهما يذكران لنا ميلة في حكم موسى بن العباس من (بني عبد الصمد) وقبايل السناجرة العرب، وسطيف في حكم علي بن حفص من (بني عسلوجة) وقبايل بني جلامة العرب، وهما أهمّ حاضرتين كتاميتين في ذلك الزمن، فغابت عنّا للأسف تفاصيل استيطان قبايل العرب لهذه المواطن، ووجب التقصي عن موقف كتامة منطقة جيجل من وجود أخلاط العرب في المدن من حولها.

[1]– **انظر**: **ابن عذاري المراكشي**: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، طبعة مكتبة المصطفى الالكترونية، ج1، ص90-91.

[2]– **انظر**: **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج4، ص ص 237-238.

إن الإجابة على هذا السؤال ستجرّنا إلى الحديث عن زحف الفتح العربيّ الإسلامي على القبايل الواقعة في مجالات إمارة أُكُوتَامَن، فقد وصل أبو المهاجر دينار إلى ميلة عام 55هـ/675م، وهي حاضرة كتامية كانت آنذاك مستعمرةً للبيزنطيين، فصوّره المؤرخون يجاهد البربر لنشر الإسلام، والحقيقة أنه كان يجاهد السلطة البيزنطيّة ومجنديها من قبايل البربر الذين خرجوا لقتال هذا الغازي الجديد المقبل من بعيد، لجهلهم في البداية بماهية رسالته الدينيّة، وقد استولى أبو المهاجر على (ميلة المدينة) وبعض المدن المحيطة بها وطرد منها البيزنطيين فأسلم له سُكانها، وبنى فيها مسجدًا وترك فيها شيئا من الجالية العربيّة التي رافقت جيشه، لكنها كانت قليلة غير ذات تأثير على التركيبة البشرية للمنطقة على الأقل في هذه المرحلة.

ثم انشغل الفاتحون العرب المسلمون بقتال سُلطة الرّوم البيزنطيين حتى سقطت قاعدتهم قرطاجة عام 78هـ/698م، وفرّ من فيها من الروم والبربر إلى باجة وبونة فأتبعهم حسان بن النعمان إليهما، ثم عرّج على الكتل القبليّة القريبة، فيبدو أنه في إطار هذه الحملة أدرك حدود مجالات إمارة كتامة في السنة نفسها 78هـ/698م، لأنهم كانوا على ما يبدو يضايقون حكم المسلمين في ميلة، خصوصًا عند خروجه من باجة وبونة إلى غزو حواضر جبل أوراس ولقاء جيش ديهيا الكاهنة، ولكن هذه المناوشة على حدود كتامة كانت مجرّد تَدافُع بين فروعها وجيش الفاتحين الذي كان قصده القضاء على سلطة البيزنطيين قبل الانتقال في خطوة ثانية لإخضاع إمارات البربر، لذلك لم تترك دليلاً على سكن جنس العرب بهذه المنطقة في هذا الزمن.

ويسعفنا ابن عذاري المراكشي (ت.1296م) بنصّ يتحدث فيه عن غزو آخر على كتامة قاده (موسى ابن نصير)، فيقول: "..**سنة 83هـ[702م] (..) ثم فتح موسى هوارة وزناتة وكتامة فأغار عليهم وقتلهم وسباهم فبلغ سبيُهم خمسة آلاف رأس..**"[1]، وفي هذه السنة حدثت الدبرة على كتامة فانهزمت لابن نصير، وأخذ منها الكثير من السبايَا واستعملهم في فتوحه لبلاد المغرب والأندلس، ويبدو أن كتامة هادنته على أن يجعل في مدنها ولاةً من قبايل العرب يتبعون حكمه، ويرسل في أعماق مجالاتها فقهاءً من العرب يعلمونهم الإسلاَم، ذكر ابن خلدون (ت.1403م) أن ذلك وقع عام 91هـ/710م قال: "**وقدم موسى بن نصير إلى القيروان والياً على أفريقيا (..) وأنزل معه سبعة وعشرين ألفاً من العرب، واثني عشر ألفا من البربر، وأمرهم أن يعلموا البربر القرآن والفقه**"[2]، ومع هذا الحدث يمكن استنتاج بداية تغلغل العنصر العربي في مجالات كتامة منطقة جيجل، إذ لم يسكن (جيجل المدينة) في هذا الزمن شيء من العرب، بل سكنوا حواضر ميلة وسطيف وقسنطينة، وإنما توزع في جبالها هؤلاء الفقهاء، وإذّاك ينشأ إشكال إنتماء إحدى قبايل المنطقة إلى هؤلاء، مثلما ادعاه الفرنسيون في القرن 19م على قبيلة (بني فتح) نقلاً عن لسان مشيختهم، ولكن في قولهم هذا نظرٌ طويل لكونه أمرًا يعسرُ تأكيدُه وتنفقد دلائله للأسباب الآتي ذكرها:

[1]– **ابن عذاري**: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، م س، ج1، ص 21.

[2]– **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص144.

❖ غياب الدليل الأثري أو الكتابيّ الدامغ، أو حتى من الناحية الطوبونيميّة.

❖ بُعدُ القرن 08م عن القرن 19م بأحد عشر قرنًا سادته الصراعات والحروب، وهو ما يجعل وجود رواية شفهيّة استطاعت الصمود إلى القرن 19م أمرًا شبه محال.

❖ اعتياد هذه الأسر الفقهية على كتابة شجرة نسبها وتوريث علمها للأبناء، وهو ما غاب عن هؤلاء النازلين بمنطقة جيجل غيَابًا تامًّا، وحرمنا معرفة مصائرهم.

ولعل هؤلاء الفقهاء انتقلوا بعد أداء مهامهم الدعويّة إلى مناطق أخرى، أو انصهروا في أعراش قبيلة كتامة بالمنطقة فلم يبقَ لهم أثر، أو التحقوا بجهاد الفاتحين قريبًا منهم فاندثروا هنالك أيضًا، لأنه لا وجود لقبيلة بمنطقة جيجل تدّعي نسبها في هؤلاء الفاتحين العرب وفقهائهم الذين أرسلهم موسى ابن نصير إلاّ قبيلة (بني فتح) الموجودة ببلدية (بوراوي بلهادف) من حوز منطقة الميليّة، وهي قبيلة صغيرة لا تملك لهذا الرأي دليلاً ما عدا الرواية الميثولوجية الجمعيّة، وهو ما يجعلنا في ارتياب من هذا الانتساب، وسنذكر تفصيله عند حديثنا عن هذه القبيلة في الفصل المخصص لذلك من هذا الكتاب.

2- فروعها ومجالاتها :

أمَّا فروع (كنفدرالية كتامة) فقد سكتت عنها كتب التاريخ القديم، فيما عدا ذكرها للاسم العام (UKUTAMAN) وإظهاره في الخرائط والنقائش الأثريّة، والسبب راجعٌ في نظرنا إلى ظهورها في شكل حلف قبلي حامل للاسم العام، فلم يكلّف النسَّابة القدامى أنفسهم عبء التحقيق في فروعها، ونستثني من هذا الحكم الفروع التي كانت فاعلة مثل فلاسة (Isaflenses) المذكورين في القرن 04م في حلف قبايل الكينكيجانتان بجبال جرجرة، الذين قادوا مقاومة على احتلال الامبراطور ماكسيميَان، وقبايل مصالة/مزالة (Massyli) الذين حملت الدولة البربرية الشرقية اسمهم (ماصيليَا)، وقبايل جيملة (Gemellæ) الذين ذكرهم علاوة عمارة في جنوب الأوراس عند قرية أورلال قرب بسكرة، وقبايل (Zimises) الذين حملت مدينة شوبا (زيامة المنصورية) تسميتهم، ثم توقف ذكر هذه الفروع وعاد كل النسابة والمؤرخين من الوندال والبيزنطيين والفاتحين المسلمين إلى ذكر الاسم العام لكتامة، حتى مجيء اليعقوبي (ت بعد.905م) في القرن 09م، الذي أورد لنا ذكر فرع (بني خطاب) قُرب جيجل، وبعدَه بنحو سبعين سنة أخرج القاضي النعمان (ت.974م) كتاب (افتتاح الدعوة) وفصّل فيه القول عن فروع كتامة التي وجدها الداعي أبو عبد الله زمن تأسيس دولة الفاطميين بين جيجل وميلة وسطيف، ثم اعتمد عليه من جاء بعده من الجغرافيين والمؤرخين: ابن حوقل (ت.977م)، البكري (ت.1094م)، الإدريسي (ت.1166م)، ابن عذاري (ت.1296م)، ابن خلدون (ت.1403م).. وغيرهم.

❖ كنفدراليّة كتامة: من التشكّل إلى التفكّك

تحدّث لنا مؤرخو العصور القديمة والوسطى عن فروع كتامة، لكنّ العقل التصنيفي لهؤلاء كان يستعمل مصطلح (كتامة) بمفهوم (القبيلة الإثنيّة) ذو الطابع الأصولي ومفهوم (الكنفدراليّة القبليّة) ذو الطابع السياسي بالشكل نفسه وعلى حدٍّ سَواء، باعتبار أن كلّ قبيلة تَظهَر سُلطتُها السياسية يرتفعُ ذِكرُها، ولا تجدُ باقي القبايل المضطهدة من حولها حرجًا في ادعاء النسبِ فيها طمعًا في الأمان والقرب من السلطة، فيسجّلُ المؤرخون والنسابة هذا الادعاء في باب الانتماء العرقيّ ويتناقلونه، وهو ما أنتج لنا في كل مرحلة قبايل بأسماء جديدة تشكل خارطة سياسيَّة قبليّة جديدة فاقدة العلاقة مع أسماء قبايل الخارطة التي سبقتها، فيبدُو الأمر على أنه وجود بشري جديد في المجال نفسه[1]، بينما هو في الحقيقة القبايل نفسها تتقلّبُ في كل مرحلة بين الانتماءات والتسميَات.

ومن أمثلة ذلك أنّ قبيلة الماصيل (Massyli) التي حكمت عائلتها المملكة البربرية الشرقيّة الحاملة لتسميتها (ماصيليا) لزمن طويل[2]، بعد انهزامها وتقهقرها وسقوطها بيد الرومان في نهاية القرن 01 ق.م انحسرت واكتنفت بجبال فرجيوة في

---

[1]– هذا الطرح وقع فيه الفرنسيّون خلال أبحاثهم عن أصول القبايل الجزائرية، فتصوروا أنها تجمعات بشرية جديدة، ولم يستطيعوا ربطها بالقبايل البربرية القديمة لانفقاد العلاقة الواضحة وعوز المصادر عنهم، **انظر**: **Hosni KITOUNI** : La Kabylie Orientale dans l'Histoire, Op.cit, p61-62.

[2]– **انظر**: **فتيحة فرحاتي**: نوميديا من حكم الملك غايا إلى بداية الاحتلال الروماني 213ق.م– 46ق.م، منشورات أبيك الجزائر، طبعة خاصة بالجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007، ص 46-47.

مجالات (النقموس) حينها، ثم وجدناها مذكورة في فروع كتامة تحت تسمية (مصالة/مزالة) بعدما دخلت في إمارتها المستقلة المتمركزة بهذه الجبال، فأورثنا ذلك أن النسابة والمؤرخين الوسيطيين عدّوها في فروع كتامة العرقيّة ونقلوها كذلك في كتبهم، ويسوق لنا علاوة عمارة معتقدًا شبيها بهذا الحال في نسب فرع (جيملة) الذي يعتقد أنها (Gemellæ) الواقعة جنوب الأوراس عند مدينة (جيميلاَّ) الأثرية بقرية أورلال قرب بسكرة، ثم انتقل أهلها منها قبل الفتح الإسلامي بقرون طويلة إلى جبال جيجل ودخلوا في نسب كتامة فوجدهم مؤرخو المسلمين كذلك، وقد لا تكون هذه حال (الماصيل) و(الجيميلاي) لوحدهم، بل ربّما حال الكثير من الفروع القبليّة التي ذكرها مؤرخو العصور الوسطى في عرق كتامة، بينما لا يعدو انتماؤها أن يكون تكنفُدًا، قبل أن تستذيبهم وتستلحمهم هذه القبيلة في أخلاطها، وتتشكل تدريجيّا (الكنفدرالية الكتاميّة) بالصورة التي وجدها عليها مؤرخو الفتح الإسلامي.

وعند بروز إمارة الكنفدراليّة الكتاميّة إلى واجهة الأحداث عند مجيء أبي عبد الله الداعي في القرن 08م، نقل إلينا المؤرخون الوسيطيّون وبالخصوص القاضي النعمان وابن خلدون ناتج أخلاط (كنفدرالية كتامة) في جماعتين اثنتين هما: **يسُّودة وغرسن**، ونطقهُما البربريّ على الأرجح (**إيسُّودا**) و(**آغَرْسَنْ**)، ويبدو أن آغرسن هو صيغة الجمع البربري لمصطلح (**آغريس**) أو (**غريس**).

ثم تتفرع هاتان الجماعتان إلى فروع مصغّرة مندمجة أيضًا في هذا الخليط، فذكر من جماعة **يسُودة** قبايل فلاسة(فليسة) ودنهاجة(دناقة) ومتوسة وآوريسن(أورسة). ومن

جماعة **غرسن** مصالة(مزالة) وقلاَّل وماوطنت وبني معاذ وإيان وينطاسن(بني ينطاس) ويناوة، ثم تفرع من إيان: ملُّوسة(مالّوس)، ومن يناوة: لهيصَة وجيملة ومسالتة، ومن مسالتة: عفنيت وأزاية(أزاون)، ومن ينطاسن: إجّانة(وجانة/ارجانة) ولطاية وأوفاس(إيفاسن) وغشمان(عثمَان)، وزواوة أيضًا داخلة سياسيًّا في كنفدرالية كتامة[1].

والظاهر أن هذه الفروع القبليّة المشكلة لكنفدرالية كتامة تبادلت الهجرات مع قبايل أخرى في كثير من المناسبات والأحداث، ذكر ذلك ابن خلدون (ت.1403م) في تاريخه، قال أنَّ بعض قبايل كتامة انتقلت في فتوح المغرب الأقصى، وأخرى مع موسى بن نصير في طريقه إلى الأندلس، ومعظمها ذهبت فيمن ذهبوا إلى مصر والشام على عهد الدَّولة الفاطميَّة، وذكر مبَارك الميلي (ت.1945م) أنَّ بعضهم هجروا إلى نواحي دلّس من أرض زواوة، وإلى بلاد المِغرب الأقصى أيضًا، "**وبقي في مواطنهم الأولى بجبل أوراس وجوانبه من البسائط بقايا من قبايلهم على أسمائها وألقابها، والآخرون بغير لقبهم وكلهم رعايا معبدون للمغارم إلا من اعتصم بقنة الجبل مثل بني زلدوي بجبالهم وأهل جبال جيجل وزواوة أيضاً في جبالهم**"[2]، وبعد حدوث الفتنة بين خليفة الفاطميين وشيوخ قبيلة كتامة حدثت الدبرة على هذه الفروع،

[1]– هذا رأي ابن خلدون الذي عبَّر عنه في كتابه نقلا عن ابن حزم، ولعل لقبيلة زواوة أصلاً كنفدراليًّا بربريا آخر لكنها دخلت في الحلف السياسي لكنفدرالية كتامة كما ذكرنا، فتصور ابن خلدون أنها فرع من فروعها الإثنونيمية استنادا إلى موقعها قريبًا من مجالات كتامة القديمة وتحكمها في الطرقات التجارية بين مدن الداخل والمراسي. **انظر**: **ابن حزم**: جمهرة أنساب العرب، م س، ص 501.

[2]– **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص196.

وانتقل الحكم من أيديها إلى صنهاجة، فتعرّضت للغزو والإبادة والتشتيت وانحسر وجودها البشري ومجالها الجغرافي إلى جبالها القديمة التي انطلقت منها في مربع جبال الرحمن بالقلّ والميلية وجبال جيجل وجبال بابور وفرجيوة، فانهارت كنفدرالية كتامة وتفرقت وتشتتت فروعها القديمة إلى بقايَا، منها ما اكتنف بقبايل أخرى ومنها ما اعتصم بالجبال وحافظ على وجوده بتسميته القديمة أو بتسمياتٍ جديدة.

ومن خلال بحث أنوماستي وطوبونيمي في بقايا تلك القبايل بالجزائر، يمكن مقاربة وجودها اليوم متفرقة أكثرها بموطنها القديم بين جيجل وميلة وسكيكدة وبجاية وقسنطينة وقالمة وسطيف، وقليل منها مكتنف بقبايل أخرى بضواحي أوراس باتنة وخنشلة وعين البيضاء والمسيلة وتيزي وزو وبومرداس وعنابة، يحسُن في ذكرها – إضافة إلى ما حققنا– الاعتماد على ما وجده موسى لقبال والدراجي بوزياني.

فأما من فرع **يسُّودة**، فقبيلة (**فلاسة**) وتنطق أيضا (فليسة)، وأهلُها إفليسن فرعان (فليسة البحر) قرب تيڤزيرت و(فليسة أملّيل) الساكنون جنوب دلّس ناحية ذراع الميزان، ذكرهم بطليموس هنالك في القرن 02م وسماهم (Isaflenses)، كما ذكرهم ابن خلدون (ت.1403م) في القرن 14م قال: "**فمن يسّودة فلاسة ودنهاجة ومتوسة وآوريسن..**"[1]، وذكرهم كذلك أحمد ابن المبارك ابن العطار (ت.1870م) على زمن العثمانيين قال: "**وفي أيام أحمد باي كانت واقعة فليسة المشهورة وذلك أن جبل فليسة وبني عباس خرجوا عن طاعة السلطنة (..) وخرجت محلة من الجزائر**

[1]– **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص196.

واجتمعوا بفليسة وتصايحت عليهم أهل جبال تلك الناحية.."[1]، ولهم فروع كثيرة داخلة في كنفدرالية صنهاجة هناك، فأما فليسة البحر فبطونهم (بني زرارة وبني زواوة وبني أحمد والتيفرة)، وأما فليسة أُملّيل فبطونهم (بني بوشناشة وبني عمران وبني بورُوبة وغُمراسَة وبنو ملكة ورافة وألَمْناس وبني يحي بن موسى وبوازون ومقير وبني عريف وبني شلمون، وفرع من لطاية، وفرع من مزالة) ولهم بطون منهم في منطقة جيجل بمدينة بني آجيس اسمهم (بني زرارة) وقرب مدينة جيجل فرعهم (طب زرارة)، وفي ضواحي مدينة جيجل أيضا فرع (بني أحمد) وكلاهما من فليسة البحر، ومن شرقيّ جيجل في مدينة الأمير عبد القادر بطن آخر اسمهم (بني عمران) من الشرفاء النازلين المستَلحَمين في فليسة أملّيل التي قرب دلّس.

وأما **دنهَاجة** والأصل في تسميتهم (دنّاقة) بالكاف الأعجمية (g)، ولكن العرب عربت اسمهم فصار (دنهاجة) ليسهل نطقه، وذلك حال مثيلتها في النطق قبيلة (صنهاجة)، فقد ذكر بن خلدون (ت.1403م) أن أصلها (زنّاقة)، قال: "**وأما ذكر نسبهم فإنهم من ولد صنهاج وهو صنَّاج بالصاد المشمة بالزاي والكاف القريبة من الجيم، إلا أن العرب عربته وزادت فيه الهاء بين النون والألف فصار صنهاج.."**[2] ومعنى الفعل (**دنَّڨ**) في لغة كتامة (نظَر) أو (اطَّلع)، ومازالت تستعمل إلى اليوم بهذا المعنى في سطيف ونواحيها، وهؤلاء هم فرع كبير مفرّق اليوم بين جبال

[1]– **أحمد بن المبارك بن العطار**: تاريخ بلد قسنطينة، تحقيق وتعليق وتقديم عبد الله حمادي، دار الفائز للطباعة والنشر والتوزيع قسنطينة، ط2011، ص137/138.

[2]– **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص201.

الميليّة (جبال الرحمن) إلى ساحل البحر، بطونهم أولاد عيدون وبني فرڤان وبني بلعيد وغيرهم، ولهم هنالك (مرسى دنهاجة) المسمى بعد ذلك (مرسى الزيتونة) ثم (مرسى واد زهور).. وبين بلاد الهبط بالمغرب الأقصى ولهم هنالك مدينة (القصر الكبير) الضّخمة على نهر اللوكس، وبطنٌ صغير منهم اسمه (دنهاجة) مكتنف بقبيلة زردازة في دوار بوالطيب جنوب مدينة سكيكدة.

وأما (**متوسة**) فهي قبيلة ضخمة ذكر علاوة عمارة أن فروعها متوزعة عند قصر النعجة القديم بجبل سڤاو شمال قسنطينة، ولهم فرع ناحية (سوق الاثنين) ما بين جيجل وبجاية، ومنهم فرع أيضا مكتنف بقبايل الحراكتة الشاوية قرب (عين البيضاء)، وفرع آخر يدعى (متوسين) مندرج في قبايل جيملة بين جيجل وفرجيوة.

وأما (**آوريسن**) وهي جمع (أورسة) فبقاياهم قبيلة (الأُوريسيّة) في بلدية أوريسيا شمال شرق سطيف، وقرية (يوريسن) ناحية زيامة المنصورية بجيجل.

أما أبناء **غرسن** فمنهم قبيلة **مصالة**(مزالة) وموطنهم منطقة فرجيوة، والأصل في تسميتها (فجّيوة) نسبة وتصغيرا في الكلام لـ(فج مزالة) ثم زادت كتامة حرف الراء تخفيفا للنطق[1] فصارت فرجيوة، ولهم فرع مندمج في فليسة أملّيل ناحية بومرداس، وبضواحي تلمسان فريقٌ منهم أيضا، وقبيلة (**قلاّن**) وقد ذكر لقبال (ت.2009م) أن لهم

[1]– تخفف لغة كتامة نطق حرف الجيم المشدد باستعمال الراء، وقد وجدنا ذلك في كثير من الأسماء مثل قبيلة (إجّانة) التي تصحفها كتامة إلى (إرجانة) و(فجّيوة) التي تصحفها إلى (فرجيوة) وغيرها.. وهي خصوصية لغوية كتامية في هذه المجالات.

مدينة صغيرة ناحية سطيف تسمى (قلاّل) بتصحيف النون، وقبيلة **(ماوطن)** وهم بين فرجيوة وسطيف قريتهم تسمى (ماوطنت)، وقبيلة **(معاذ)** وهم قبيلة (بني معاذ) كانت بلادهم قديمًا منطقة بوخضرة شمال تبسة، ثم رحلوا من هناك واندثروا، وبقاياهم قبيلة (بني معاذ) المندرجة في قبيلة بني فوغال ناحية العوانة غرب جيجل، ومنهم قرية جنوب غرب الميليَّة يسمون (بني معاذ)، ومنهم قبيلة بناحية قالمة يسمون (التوابشة)، وأمَّا **إيان** فسلالته في قبيلة **(مالُوس)** وتنطقها العرب **(ملوسة)** بلادهم ممتدة من شمال قسنطينة ما بينها وبين سكيكدة إلى جبل بابور، ومن بقاياها مدينة (تامالوس) جنوب القل، وفي ناحية جبل بوخداش بالميلية قرية (ملوسة/تامالوس) تطل على موضع بني تليلان وتاغزامالوس أيضًا قريبًا من قرية عجنق بها، و(ملُّوزة) شمال المسيلة بينها وبين سطيف، و(ملُّوثة) بالمغرب بين سبتة وطنجة وهم مندرجون في قبيلة أنجرة، ومن بطونهم المشهورة **(بني زلدوي)**، كانت بلادهم ممتدة في بسائط القرارم قوقة اليوم بجانب ميلة والجبال بينها وبين القل، ثم هجروا منها إلى جبال بابور غرب جيجل ويسمّون اليوم (بني زُنداي) وهم فروع كبيرة متوزعة بين جيجل وسطيف، وبقاياهم بجبال الميلية في بلدية غبالة يسمّون (بني تليلان) ذكر ابن خلدون رياستهم في (أولاد ثابت)، ومنهم بطن آخر يسمى (ملُوسة) في أولاد عبد النُّور ناحية تاجنانت.

ومن **ينَّاوة** قبيلَة **(لهيصة)** ولم نجد من آثارهم إلا فرعًا مندرجًا في قبيلة أولاد يعقوب من قبايل العمامرة الشاوية بجبل أوراس خنشلة، وأما **(جيمْلة)** فهم في تقدير علاوة

عمارة قبايل (Gemellæ) الصنهاجيين، انتقلوا من الأوراس مطلع زمن الرومان واندمجوا في كتامة، وبقاياهم مدينة (جيملة) على ضفاف وادي جندين، ومن بطونهم هنالك بني عافر وبني سكفال وبني حسان وغيرهم، ومن بقاياهم كذلك فرع آخر ناحية العلمة اسمهم (بني سكفان) في منطقة (جميلة) على المدينة الأثرية (كويكول) وقرب حمام دباغ في ڤالمة فرع (بني سكفال) أيضًا، وأما قبيلة **(مسالتة)** فقد ذكرهم القاضي النعمان (ت.974م) في القرن 10م بجبال ڤرڤور بين سطيف وبجاية، وذكر بوزياني الدراجي أن بقاياهم قبيلة بهذا الاسم مندرجة في قبيلة تالة إيفاسن شمال سطيف في جبل ڤرڤور نفسه، ومنهم أيضا قبايل ناحية (وادي مسالقة) بين ڤالمة وعزابة ينتسبون إليهم، وفرعهم (أزاية) لعلّه قرب جيجل يحمل اسم (أزاون) ولهم بطن صغير في جبال (سدّات) يسمون (بني فتح) لعلهم ينتسبون إلى (فتح بن يحيى) رئيس قبيلة مسالتة المكنى بـ(الأمير)، والذي قُتِل بناحية (طبنة) القديمة في القرن 10م على عهد حرب الأغالبة وأبي عبد الله، كذلك أظنّهم والله أعلم.

ومن **ينطاسن** فرع باسم (بني ينطاس) الحاملين اليوم لقب (ڤوطاس) بالميليّة، ومنها قبيلة **(لطايَة)** وبقاياهم اليوم في مدينة (الطاية) قرب حمام السخنة بسطيف، وقريبا من حمام دباغ قرية (لطاية)، وفي الجزائر العاصمة لهم مدينة (عين طاية) لعلها تصحيف (عين لطاية)، وقبيلة **(إجَّانة)** بقاياهم في ضفاف (وادي إرجانة) غرب الميليّة ومن بطونهم بني خطاب الشراقة وبني عيشة وأولاد عواط، وفي جبل جيجل بلدية لهم اسمها (وجّانة) قبايلها بني خطاب الغرابة وبني سيار، وناحية برج بوعريريج

مدينة لهم اسمها (مجّانة) ويمتد سهلها إلى أن يبلغ ميلة ومن أخلاطهم التلاغمة وأولاد عبد النور والعلمة وبني بوطالب، وناحية جبال أوراس خنشلة تنتمي إليهم قبيلة (وجانة) وفروعها بوحمامة ويابوس وشلية وتاوزيانت، وفي عين العربي قرب قالمة لهم فرع (أوجانة)، وفي الحدود بين سوق أهراس وتونس آثار (قلعة مجّانة) القديمة على وادي ملاق وتسمى اليوم (قلعة يسر)، وقبيلة (**غسمان**) أو (**غشمان**) أو مثلما ذكر بوزياني تعريبها إلى (**عثمان**)، بلادهم القديمة عند قلعة تازروت بين سطيف وبرج بوعريريج، ثم انتقلوا منها وهم اليوم جنوب شرق ميلة في مدينتهم (العثمانية) على (وادي العثمانية)، وبالمغرب الأقصى لهم قبيلة (بني عثمان) ينتسبون فيهم[1]، وقبيلة (**أوفاس**) أو (أوفاست) لهم بلاد (تالة إيفاسن) شمال ماوكلان بين سطيف وبجاية.

[1]– **أحمد بن القاضي المكناسي**: جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط –المغرب، د/ط، 1973، ص438.

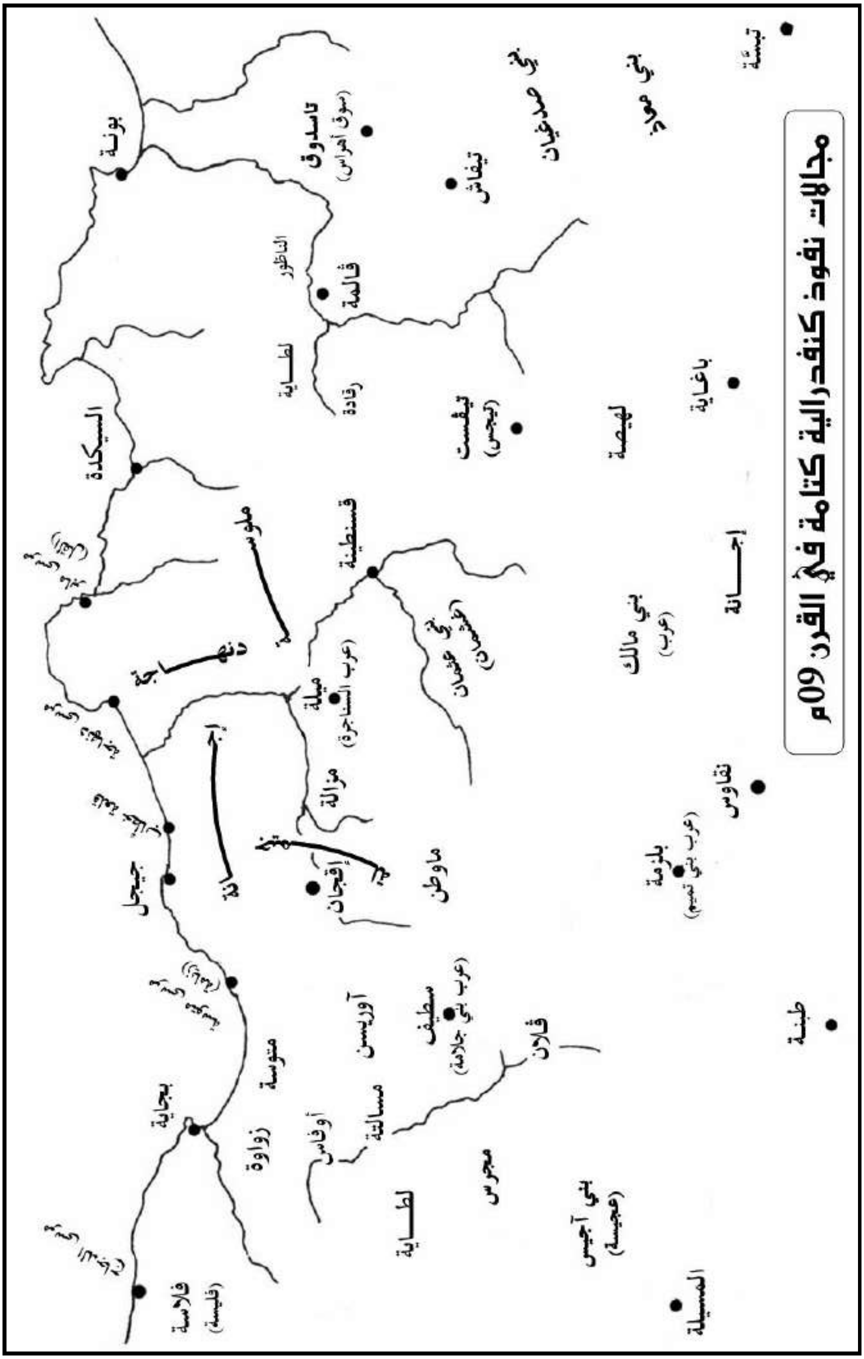
مجالات نفوذ كنفدرالية كتامة في القرن 09م
بونة
تاسدوق
(سوق أهراس)
تيفاش
قالمة
تبسة
السكيكدة
قسنطينة
ميلة
جيجل
بجاية
متوسة
زواوة
سطيف
مسالتة
مجرس
المسيلة
طبنة
بلزمة
نقاوس
باغاية
بني مالك
(عرب)

❖ كنفدرالية كتامة: من التفكّك إلى إعادة التشكّل

يبدو من كلام ابن خلدون أنَّ كُنفدرالية كتامة بعد تشتتها وانحسارها لموطنها القديم بالجبال، انسحبت من الحياة السياسيّة وسَعتْ إلى استنقاذ نفسها من الخراب الذي لحقها لأربعمائة سنة: من عهد الفاطميين أنفسهم، إلى عهد الحفصيين والمرينيين[1]. ولكن في نهاية زمن الموحّدين رجعت كتامة إلى واجهة الأحداث في شكل جماعتين سياسيتين جديدتين تمثلان بقايَا الكنفدراليّة الكتاميّة القديمة، التي استرجعت كيانها بأسماء فروع جديدة استقوت في المجال[2]، واستلحمت من حولها روافد بربرية وعربيّة فصارت تتنافس النفوذ مع التواجد الهلالي والسُّلمي القويّ بالمنطقة، وهما:

❖ **(جماعة سدويكّش)** المتحكمة في مجالات السهول الواقعة جنوب ميلة وفرجيوة والهضاب العليا إلى جبل ڨرڨور وبرج بوعريريج.

❖ **(جماعة أولاد ثابت بن تليلان)** المتحكمة في السلسلة الجبلية الكتاميّة الممتدة من جبال القل والميليّة إلى جيجل وبابور وفرجيوة.

ويبدو أن عودة الكنفدراليّة الكتاميّة بهذا الشكل إلى حياة السياسة كان مردُّها محاولة التموضع من جديد بالمنطقة، مستغلّة في ذلك الصراع القائم بين الحفصيين والمرينيين[3]

---

[1]- **انظر: ابن خلدون:** كتاب العبر، م س، ج6، ص199-200.

[2]- **انظر: موسى لقبال:** دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، م س، ص 123.

[3]- **انظر: ابن الحاج النميري:** فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، دراسة وإعداد محمد بن شقرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت –لبنان، ط1، 1990، ص 284.

على توسيع النفوذ، ولكن تجدرُ الإشارة هنا إلى أن جماعة (أولاد ثابت) لم تكن تحتاجُ إلى تشكيل كنفدراليّة قبليّة تستلحمُ فيها الفروع التي حولها، لأن مجالها الجبليّ بين الميليّة وفرجيوة محدّد بالتضاريس وحصين ومتحكّمٌ فيه بالرغم من دخول بعض الروافد العربيّة عليه، لذلك سهل على ابن خلدون معرفة أصلها في (بني تليلان من بني زلدوي من ملوسة من كتامة)، بينما احتاجت (جماعة سدويكّش) إلى عقد حلف قبليّ كبير ممتدّ من شمال تبسّة إلى جبل أوراس إلى جبل ڨرڨور جنوب بجاية لتكوين (كنفدرالية سدويكّش) التي تضمُّ بقايا فروع كتامة القديمة وفروعٌ مستلحمةٌ من غيرها، وذلك للقدرة على مواجهة القبايل العربيّة القويّة التي تشاركها هذا المجال، لهذا عدّها ابن خلدون في كتامة ولكنه لم يعرف إلى أي الفروع القديمة تنتمي بالضبط[1]، بينما حدّد مجالاتهم في بلاد ميلة وقسنطينة إلى سطيف والمسيلة في البسائط منها، كما ذكر فرجيوة في مجالات سدويكّش، وعدّ منها على زمنه: **سيلين وطرسون وصدغيان ومَوليت وبني ڨشة وبني لمائي وكايازة وبني زعلان والبؤرة وبني مروان وآركسن وسڨوال وبني عياد**، وفيهم بعض بطون **لماية ومكلاتة وريغة**، والرياسة على جميعهم في بطن منهم يعرفون بـ **أولاد سواق**.

ومن خلال تقصي أنوماستي طوبونيمي وجدنا شيئا لا بأس به من امتدادات هذه الفروع، فأما (**سيلين**) أو (بني سليان) وموطنهم قرب بجاية يسمون (بني سيلين)

[1]– **انظر**: **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص198.

ولهم فرع آخر قرب فرجيوة على قلعة إيكجان القديمة بالاسم نفسه[1]، ومدينة (سليانة) المسماة اليوم (عنوش علي) قرب القرارم قوقة، وفي تونس لهم مدينة (سليانة) القديمة قرب مدينة الكاف على وادي سليانة الحامل لاسمها، وأما **(طرسون)** فقد ذكر مرسيي أن بلادهم قريب من قسنطينة ولا ندري تماما مكانها كما لم نجد لهذه التسمية فيما بحثنا أثرًا، وأما **(صدغيان)** فبلادهم الأصليّة منطقة سوق أهراس ذكرهم القاضي النعمان (ت.974م) هنالك في فروع بني هراش ثم رحلوا عنها وهم ساكنون جزيرة جربة، وأما **(موليت)** فهم (بني إمولة) وهم بين بجاية وسطيف وبرج بوعريريج، وأما **(بني قشة)** فهم بجبال فرجيوة وقرب قالمة، وأما من فيهم من بطون **لماية** فهم **(بني لمائي)** ولهم قبايل (المُوية) شرق ميلة، ومن فروعهم بني هارون وحمالة والبادسي والوصّاف وقطارة، ولهم فرع بجبال بني تليلان اسمه (بني مُوية) و(آلماين) بين برج بوعريريج وبجاية، وأما **(كايازة)** فهم (قاريصة) بين عنابة وسكيكدة، وأما **(بني زعلان)** فهم بين سكيكدة وقالمة، وأما **(البؤرة)** لهم البلدية المنسوبة إليهم ناحية سطيف، وقال لقبال (ت.2009م) أنها (البويرة) وهي مدينة جنوب تيزي وزو كانت تسمى قديما (حمزة) وهي اليوم ولاية جزائرية، وأما **(بني مروان)** فموطنهم بين فرجيوة والعلمة، وأما **(بني عياد)** فمواطنهم ناحية آقبو ببلاد بجاية، وأما **(سقوال)** فهم **(بني سقوال)** في ساحل البحر وبلادهم مدينة زيامة المنصورية غرب جيجل، ومنهم دوار صغير بين القرارم وقسنطينة يسمونهم **(سقدال)** بتصحيف الواو، وأما **(أولاد سواق)**

---

[1]– **محمد بن إبراهيم الزركشي**: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصيّة، تحقيق محمد ماضور، المكتبة العتيقة، الزيتونة –تونس، ص ص139، 146.

فهم بطون كثيرة كانت مواطنهم في مدينة بوخضرة شمال تبسة، ثم انتقلوا منها وتفرقوا ومن بطونهم اليوم (**أولاد علاوة**) الساكنين بجبل المعاضيد شمال المسيلة، و(**بني سڤين**) بجبال بابور بين جيجل وفرجيوة وبجاية في منطقة بني آورار المسماة (تاوريرت) ذكرهم مرسيي هناك، ومنهم (**السَّڤنية**) وبلادهم مدينة (**واد سڤان**) جنوب ميلة، وبطن ضخم اسمهم (**السَّڤنية**) بمنطقة عين كرشة مكتنفون بالشاوية الحراكتة، وشمال مدينة باتنة فرع (**سڤانة**) منهم وهو معدود من الشاوية أيضا، و(**بني عباس آعزيز**) وأرضهم في جبال البيبان بين سطيف وبرج بوعريريج، في قلعتهم المشهورة (قلعة بني عباس)، ذكرهم ابن العطار (ت.1870م) هنالك وذكر شيوخهم بني آمقران الأدارسة، و(**بني عيسى آعزيز**) في سهل مجانة بين سطيف والبيبان، و(**بني طلحة**) في جبال فرجيوة مع بني ڤشة.

وأما قبايل (**زواوة**) فقد كانت على ما يبدو منقسمة بين مجال النفوذ الكتامي بجيجل وسطيف، ومجال النفوذ الصنهاجي بتيزي وزو والبويرة، ولكنّ ابن حزم (ت.1064م) عدّها من فروع كتامة، خصوصًا وأنه توفي عام 1064م قبل أن تبرز قوة زواوة السياسيّة على زمن الناصر بن علناس الحمادي (ت.1088م) الذي أعاد بناء بجاية في مجالاتها، وبالرغم من ذلك وافقه ابن خلدون (ت.1403م) في هذا النسب معتمدًا على موقع زواوة قُربَ كتامة، وعدّد فروعها قال: "**ومن قبايلهم المشهورة لهذا العهد: بنو يجرو وبنو مانڤلات وبنو بترون وبنو ماني وبنو بوغردان وبنو يتورڤ وبنو بو يوسف وبنو عيسى وبنو بوشعيب وبنو صدقة وبنو غبرين وبنو كشطولة.**

ومواطن زواوة بنواحي بجاية ما بين مواطن كتامة وصنهاجة، (..) بني غبرين بجبل زيري، (..) بني فراوسن وبني يراثن.."[1]، غير أننا نرى في رأيه هذا مبالغة، لأنه يغلبُ عندنا الظن بأن زواوة كنفدراليّة تشكلت في العصر القديم بمعزل عن كتامة، إلاّ إذا كان يقصدُ أنها داخلة في النفوذ السياسي لكنفدرالية كتامة فذلك ممكن والله أعلم.

وأدخلَ نسَّابون كثرٌ في نسب كتامة الموجودة بالجزائر وبالمغرب الأقصى قبايل أخرى مثل **عجيسة**[2] **وبني يستيتن وقنسيلة وهشتيوة**، ولكننا نعتقدُ أيضًا أنها جماعات قبليّة مستلحَمةٌ داخلةٌ في (كنفدرالية كتامة) المتشكلة على زمن الفاطميين، فقبيلة عجيسة مفرقة اليوم في جبال جيجل (بني آجيس/بني عجيس/عجيسة)، كما وجدنا ليون الأفريقي (ت.1537م) يذكر **(جبل بني يستيتن)**[3] بالمغرب الأقصى، وقرب مدينة الأبيض سيد الشيخ بولاية البيّض الجزائرية اليوم مدينة **(استيتن)**، وهشتيوة لعلها بقايا جنس شيتواي القديم كما سبق ذكرُهُ والله أعلم.

---

[1]– **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص169.

[2]– ذكر ابن خلدون قلعة بني حماد في مجالات كتامة قال: " **وكان المنصور بلكّين قد عقد لأخيه حماد على أشير والمسيلة (..) اختطّ مدينة القلعة بجبل كتامة سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة، وهو جبل عجِيسة وبه لهذا العهد قبائل عياض من عرب هلال**"، **انظر**: **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص227.

[3]– **الحسن بن محمد الوزان الفاسي (ليون الأفريقي)**: وصف أفريقيا، ترجمة د.محمد حجي ود.محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت –لبنان، ط2، 1983م، ج1، ص359.

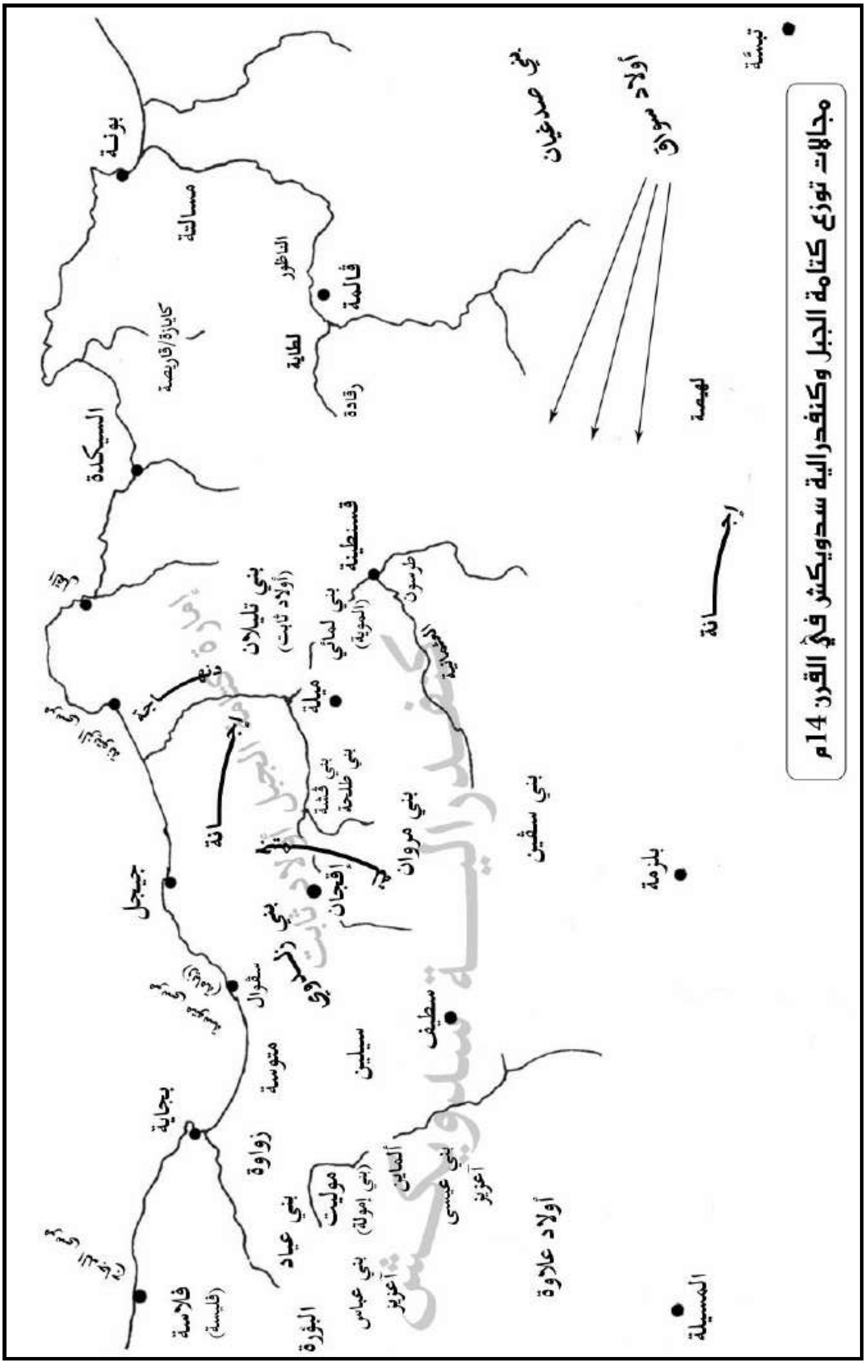
مجالات توزع كتامة الجبل وكنفدرالية سدويكش في القرن 14م
بونة
قالمة
السيكدة
جيجل
بجاية
قسنطينة
ميلة
سطيف
بلزمة
المسيلة
تبسة

3- مجالات كتامة: بين التوسع والانحسار

وأمّا (المجالات) بوصفها من المتغيرات الأبرز في زمن الدول الإثنيّة، فإن مجالات وجود قبيلة كتامة وتحكّمِها –كغيرها من القبايل الأخرى – تطوّرت بالتوسع والانحسار بحسب الظروف السياسيّة والاجتماعية والمنعرجات الأساسية التي مرّت بها هذه القبيلة، والتي نجملها في ثلاثة مراحل:

❖ مرحلة الظّهور والتوسع:

وهي التي بدأت من مجالات جبال قبيلة كتامة الموجودة شمال قسنطينة، وتوسعت جنوبًا إلى قسنطينة انطلاقًا من زمن الفينيقيين، بدليل النقيشة البونيّة التي ذكرناها بمنطقة (الحفرة) في قسنطينة، خصوصًا وأن الفروع الكتاميّة القديمة بسلسلتي جبال البابور بجيجل وجبال الرحمن بالميلية استطاعت بشهادة ديودور الصقلي[1] الصمود في جبالها أمام الحملات المتتالية لليونان والرومان والوندال، بينمَا استطاعت على ما يبدو تكوين إمارة قبليّة مستقلة متحصّنة لا تتعدى مجالاتها حدود مدينة ميلة، ولها قيادة غرب الوادي الكبير بدليل اللوح الأثري المعثور عليه بمنطقة (فدولس) قريبًا من جيملة، ولذلك جعل بْطُلِيمُوس مجالات كتامة في خرائطه محصورة غرب الوادي الكبير، ثمّ بعد ضعف مُلك البيزنطيين وتركّزهم في المدن تاركين الأرياف والمجالات لقبايل الوطن، توسّعت هذه المجالات أكثر بدخول فروع قبليَّة أخرى تحت

[1]- **L.GOLEAUD**: Animaux-Totem Nord-Africains, Revue Africaine, Op.cit, N°76, 1935, p325.

حُكم كتامة في بداية الفتوحات الإسلاميّة، فتحوّلت من إمارة جبليّة محددة المجال إلى كنفدراليّة سياسيّة تتصرّف في مجالات واسعة من سهول سطيف إلى ڤالمة ومن ساحل البحر إلى حدود جبل الأوراس، لذلك اصطدم بها (أبو المهاجر دينار) في بداية الفتح، ثم (موسى ابن نصير)[1] الذي وجدها في تحالف مع زناتة وهوارة، وقد حاول ابن خلدون (ت.1403م) وصف المجال الذي كانت كنفدراليّة كتامة في الحقيقة تتشاركه مع قبايل بربرية أخرى في بداية الفتوحات فقال: "**..موطّنين بأرياف قسطنطينَة إلى تخوم بجاية غرباً إلى جبل أوراس من ناحية القبلة. وكانت بتلك المواطن بلاد مذكورة أكثرها لهم وبين ديارهم ومجالات تقلّبهم مثل ايكجان وسطيف وباغاية ونقاوس وبلزمة وتيڤست وميلة وقسطنطينة والسيكدة والقلّ وجيجل.. من حدود جبل أوراس إلى سيف البحر ما بين بجاية وبونة**"[2]، وفي قوله هذا نظر، لأنه لم يقصد أنها كانت في زمن الفتح تعيش لوحدها في هذا المجال، ولكنه قصد أنه كان لها ظهورٌ وغلبةٌ فيه لكثرة فروعها ووفرة رجالها، إذ يوضح ذلك في موضع آخر يقول: "**فأمّا كتامة فشعب عظيم كانوا من لدن الفتح معتزين بكثرتهم لا يسومهم الأمراء بهضيمة..**"[3]، ويدعمه مبارك الميلي يقول: "**فأما كتامة فأحد أكثر قبايل البربر عددًا وأشدّهم قوة، وأطولهم باعًا في الملك..**"[4]، ولذلك نجدهُ

1– **ابن عذاري**: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، م س، ج1، ص 21.

2– **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص195.

3– م ن، ج6، ص94.

4– **مبارك الميلي**: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، م س، ج1، ص100.

يحاول استدراك هذه المبالغة في موضع آخر يشرح نسبيّة هذا التحديد الواسع يقول: "**وأما بلاد بجاية وقسطنطينة فهي دار زواوة وكتامة وعجيسَة وهوّارة..**"[1]، ويوافقه الإدريسي (ت.1166م) هذا الرأي بقوله: "**وقبيلة كتامة تمتد عمارتها إلى أن تجاوز أرض القل وبونة**"[2]، يقصدُ تمتدّ من موطنها القديم بجبال سطيف وجيجل والميلية والقلّ إلى أن تتجاوز سكيكدة وبونة(عنابة)، وقد استمرت سطوة كتامة في هذا المجال طوال زمن الأغالبة بالرغم من صراعها مع الفاتحين المسلمين المستقرّين بالمدن التي كانت قبلهم تحت إمرة البيزنطيين مثل ميلة وقسنطينة وسطيف، باعتبار أن (القاضي النعمان) وصف لنا نزول الداعيين (الحلواني) و(أبي سفيان) بـ(الناظور) قالمة و(سوفجمار) قسنطينة في مجالات كتامة، وهو اختيار لا نظنه اعتباطيًّا لقبيلةٍ تغلبُ على مجال واسع، من رجلين يحضّران لبناء دولة جديدة استثمر فيها بعدهُما أبو عبد الله الداعي الذي نزل في قلب موطن كتامة القديم بجيجل وعند أسيادها لإقامة الدولة الفاطميّة، ثم استمرّ نفوذهم أيضًا وتوسع أكثر في زمن أخذ رجال هذه القبيلة بمفاصل حكم الدولة الفاطميّة.

1- **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص134.

2- **الشريف الإدريسيّ**: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، الهيئة العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1971، ص121.

❖ مرحلة التقهقر والانحسار:

بعد هجرة معظم فروع الكنفدراليّة الكتامية في توسعات الفاطميين إلى تونس والمغرب ومصر، ثم حدوث العداوة بين كتامة والخلافة الفاطميّة ووقوع التمرّدات[1]، تعرضت فروع هذه القبيلة لعمليّة نزع سلطات وهجومات إبادة من القائم بأمر الله بن المهدي ثم من صنهاجة التي خلفتها على خدمة الفاطميين، وذلك بداعي إخضاعها وخوفًا من خروجها عن الفاطميين واستئثارها من جديد ببلاد المغرب، فانقسمت كتامة إلى قسمين واعتصمت بمجالاتها القديمة: في قمم جبال جيجل شمالا وفي قمم جبال أوراس جنوبًا، فانحسرت مجالاتها من جديد، وكان طغيان صنهاجة عليها زمن الزيريين شديدًا، فاستعملت تقنيات تغيير الأسماء والنفور من نسب كتامة للنجاة من البطش. وتفاقم هذا الانحسار بعد إرسال المستنصر لسيول بشريّة من بني هلال وبني سُليم بسطت سلطتها على السهول والهضاب، فلم يبق لكتامة حينها إلا الجبال، وتناقص عددهم كثيرًا حتى صاروا قلّة، شهد بذلك الإدريسي (ت.1166م) الذي عاصر تفاصيل هذه المرحلة قال: "..**ولم يبق من كتامة في وقت تأليفنا لهذا الكتاب إلا نحو أربعة آلاف رجل وكانوا قبل ذلك عدداً كثيراً وقبايل وشعوباً**.."[2]، بالرغم من مأخذنا عليه في هذا العدد المبالغ في تقليله، بالنظر إلى الوضع الديمغرافي الذي كان سائدا آنذاك، والذي كان فيه الفرع القبلي لوحده يتجاوز الآلاف، إلاّ إذا كان قَصْدُ الإدريسي وصف عدد رجالهم المحافظين على نسب القبيلة بصفةٍ معلنة، لأن أكثر

[1]– **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص196.

[2]– **الإدريسيّ**: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، م س، ص 121.

الفروع أنكرته أو تفرقت في الأقطار أو اندمجت في قبايل أخرى، أو كان قصدُه عدد الرجال الذين رآهم على سواحل الموطن الأول لكتامة بجبال جيجل، باعتباره جاء مع روجار الصقلّي ورأى المنطقة من ناحية البحر، ومعظم الفروع الكتاميّة المكتنفة بتلك الجبال احتجبت عن السواحل والحواضر الجنوبيّة خوفًا من الغزو، وقد اعترف الإدريسي نفسه بذلك عندما وصل إلى ناحية (مرسى الزيتونة) في مصب واد زهور، فقال أنه لا يبقى بالسواحل في زمن الصيف إلا الرّجال[1]، ووافقه ابن الأثير (ت.1232م) في ذلك عندما وصف هذا الغزو فقال أن أهل البلد هربوا إلى البراري والجبال[2]، لذلك نتصور أن العدد كان أكبر بكثير من أربعة آلاف، لكنّه متفرق مشتت بالشكل الذي ذكره ابن خلدون (ت.1403م) في قوله: "**وبقي في مواطنهم الأولى بجبل أوراس وجوانبه من البسائط بقايا من قبايلهم على أسمائها وألقابها، والآخرون بغير لقبهم وكلهم رعايا معبدون للمغارم إلا من اعتصم بقنة الجبل مثل بني زلدوي بجباهم وأهل جبال جيجل وزواوة أيضاً في جباهم..**"[3]، واستمرّ هذا الانحسار والطغيان على كتامة بعدَ عودة دولة الزيريين إلى المذهب السنّي، والتصاق تهمة التشيُّع بكتامة حتى لم يبقَ فرعٌ من فروعها ينسب نفسهُ فيها.

---

[1]– **الإدريسيّ**: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، م س، ص 123.

[2]– **ابن الأثير (علي بن أبي الكرم)**: الكامل في التاريخ، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، د/ت/ط، ج9، ص326.

[3]– **انظر**: **موسى لقبال**: دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، م س، ص 577-590.

❖ مرحلة العودة والتوسع:

ثم رجعت الفروع الكتامية بأسماء جديدة ونَفَسٍ جديد لتوسيع مجالاتها بعد عودتها إلى الحياة السياسية أواخر زمن الموحدين وفي زمن الحفصيين والمرينيين، من خلال بسط أسرة (أولاد ثابت) سلطتها على جبال القلّ والميليَّة وجيجل وفرجيوة، وبروز (كنفدرالية سدويكش) التي تكونت من تحالف جديد لمدافعة بني هلال وبني سُليم على مجالات ميلة وقسنطينة وسطيف، وقد عرفها ابن خلدون (ت.1403م) هنالك قريبًا من عصره فقال: "**وأما البسائط فأشهر من فيها منهُم قبايل سدويكش**.."[1]، وقد استمر هذا التدافع بين الكتاميين الجُدد وشيوخ القبايل العربيّة في خدمة الدولتين الحفصيّة والمرينية دهرًا طويلاً إلى زمن العثمانيين، وتغلغل معهم من السهول والهضاب إلى أعماق الفجاج والجبال في بيئتهم القديمة، وهو ما أسهم في تشكّل الخارطة الجغرافية والقبَليّة للمجالات الكتاميّة بشكلٍ مختلط أصبح معيار الاستلحام فيه هو التحصّن والتموقع، ولذلك لحظنا عند مؤرخي العهد العثماني مجالاتٍ مختلطة جدا، سواءِ في السهول والهضاب أو في المناطق الجبليّة التي دخلت عليها روافد جديدة، واستطال هذا الاختلاط الإرادي والقسري بين الروافد الكتامية القديمة والروافد الأخرى إلى زمن دخول الفرنسيين، حتى صار من المحال التمييز بين هذه الروافد، ولم يبق إلاّ اعتراف الباحث بترجيح مفهوم (الظُّهور) في محاولة للإحاطة بروافد كل فرع يجدُه في المجالات الكتاميّة القديمة، ومنها مجالات منطقة جيجل.

1– **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص196.

4- مواطن تبادل الهجرات البشرية مع منطقة جيجل :

ويلاحظ القارئ أننا فضلنا استعمال مصطلح (تبادل)، لأن الهجرات البشريّة كانت من منطقة جيجل وإليها في العصر الوسيط، وحدث على إثرها اختلاط كبير في الخلائق والصفات واللسان والعوايد وغيرها، فذهب بعض الباحثين في الأصول إلى الاعتماد عليها في نسب قبايل المنطقة وهو سعيٌ غير كافٍ تمامًا، بوصف هذه الأمور من المكتسبات المتغيّرة التي تتأثر بالتعايش والتساكن والاختلاط، بل حريٌّ بهؤلاء الباحثين الغوص في عمق هذه الهجرات المتبادلة واستنطاق العناصر المكونة لهذا الخليط البشري الساكن بمنطقة جيجل، والذي نورده كالآتي:

❖ **دلّــس** (سباو) :

وتسكن في ناحية دلّس على وادي سباو قبيلة (فليسة) وهي فرع (فلاسة) من كتامة، ذكرهم ابن خلدون (ت.1403م) هناك قال: "**ومن بقايا كتامة أيضاً قبايل أخرى بناحية تدلس في هضابه مكتنفة بها**"[1]، أظهرتهم هنالك خرائط القرن 04م في حلف قبايل الكانكيجانتان باسم (Isaflenses)، ويبدو أنه التحقت بهم بطونهم المتفرقة بناحية جيجل على عهد الموحدين، فقد وصف مبارك الميلي (ت.1945م) ذلك قال: "**وانتقل بعضهم إلى المغرب الأقصى ونزل فريق منهم نواحي تدلس من وطن زواوة**"[2]، وهم اليوم فرعان رئيسان: (**فليسة البحر**) في تيقزيرت، وأعراشهم: بني زرارة

---

[1]– **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص199.

[2]– **مبارك ابراهيمي الميلي**: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، م س، ج2، ص 217.

وبني زواوة وبني أحمد والتيفرة، ولهم في مدينة بني آجيس فرع (بني زرارة) وقرب مدينة جيجل فرع (طب زرارة) وفرع (بني أحمد). و(**فليسة أُملّيل**) قرب ذراع الميزان، وأعراشهم: بني بوشناشة وبني عمران وبني بورُوبة وغُمراسَة وبنو ملكة ورافة وألَمْناس وبني يحيى بن موسى وبوازون ومڤير وبني عريف وبني شلمون، ومنهم بمدينة الأمير عبد القادر شرق جيجل شرفاء (بني عمران) وفي نسبهم خلاف، فكون هذه القبيلة فرعًا من فليسة يجعلها حسب ابن خلدون (ت.1403م) بطنًا من البطون الكتاميّة، بينما يعتقد بوزياني أنها بحكم موضعها الجغرافي فرعٌ من صنهاجة، ويعتمد أهلها في جيجل على روايتهم الشفهية فينسبونها إلى بني عمران شرفاء المغرب وهو الرأي الذي تأكدنا منه في كتب الشرفاء وسيأتي بيانه.

ويطرحُ إشكال نسبةُ ابن خلدون قبيلة (فليسة) إلى كنفدرالية كتامة في قوله: "**فمن يسّودة قبايل فلاّسة**.."[1]، مع أن موضعها بعيدٌ عن مجالات السطوة الكتاميّة، ومندمج في كنفدرالية زواوة منذ القرن 04م زمن الرومان، ونراها تحالفت مع قبايل الكينكيجانتان هنالك، لكن لا نجد أثرا لخبر انتقالها إلى ذلك الموضع أو لكونها أصليّة فيه، ولكن معلومة الانتقال وردت في العصر الوسيط على لسان نسابة البربر لابن خلدون نفسه!! فلذلك نجد أنفسنا أمام مقاربة كون (فليسة) فرعًا كتاميًا انتقل إلى جبال زواوة، وتحالف مع قبايل الكانكيجانتان لمحاربة الامبراطور ماكسيميان، وبقي متصلاً بكنفدراليته الكتاميّة الأصليّة فحفظت له نسبه بالرغم من بقائه هنالك

[1]– **مبارك ابراهيمي الميلي**: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، م س، ج2، ص 217.

واستلحامه من كنفدرالية زواوة، ونقل نسّابة البربر إلى ابن خلدون خبره فأخذه عنهم، ثم يبدو أنه التحقت بهذا الفرع بعض الجماعات الكتاميّة الأخرى على زمن الدويلات الإسلامية التي جاءت بعد الفاطميين فرارًا من طغيانها على كتامة بتهمة الشيعة، فذكرها ابن خلدون كذلك ونقلها عنه مبارك الميلي.

❖ تلمسان :

والمهاجرون من تلمسان إلى منطقة جيجل هم **(بني خزر)** ملُوك مغرواة من زناتة، وهم حلفاء الأمويين على عهد صراعهم ببلاد المغرب، وقد اشتهر منهم (محمد بن خزر) وابنه (الخير بن محمد) وحفيده (محمد بن الخير بن محمد)، وقد كانت لهم دول مع بلكين بن زيري ذلك الزمن حتى قضى على دولتهم.

وقد أورد ابن خلدون (ت.1403م) في غير ما موضع هؤلاء (بني خزر) وقصتهم مع الأمويين وبلكين بن زيري، فقال[1]: "**وأغزاهم صاحب تلمسان من أعقاب محمد بن خزر جيوشه مع وزيره أبي سعدى خليفة اليفرني فهزموه، وقتلوه بعد حروب طويلة**"، وقال في موضع آخر: "**وجهز صاحب تلمسان من بني خزر قائده أبا سعدى اليفرني فكانت بينهم وبينه حروب إلى أن قتلوه بنواحي الزاب، وتغلبوا على الضواحي في كل وجه**"، وقال كذلك: "**وكان مشاهيرهم (أي البربر) بذلك من أهل الطبقة الأولى: بلكين بن زيري الصنهاجي عامل أفريقيا للعبيديين، ومحمد**

[1]– **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص 22/27/137/141/171..

بن خزر والخير إبنه، وعروبة بن يوسف الكتامي القائم بدعوة عبد الله الشيعي"، وقال: "**..من ملوكهم وزمار بن صقلاب جدّ بني خزر، وهو يومئذ أمير مغراوة وسائر زناتة ورفعوه إلى عثمان بن عفان فأسلم على يده..**" وقال: "**واجتمع مع بني خزر أمراء مغراوة على ولاية المروانية..**"، ومواضع أخرى.

وبعد انهزامهم أمام (بلكين بن زيري) وذهاب دولة الأمويين بتلمسان، انتقل أولئك (بني خزر) إلى سبتة على الساحل الشمالي للمغرب الأقصى، ومنه التحقوا بسلطة الأمويين بالأندلس ونزلوا جزيرة سبتة، ذكر ذلك ابن خلدون (ت.1403م) قال: "**ثم غزا (بلكين) جموع زناتة بسجلماسة وأوقع بهم، وتقبضّ على ابن خزر أمير مغراوة فقتله، وأجعل ملوكهم أمامه مثل بني يعلى بن محمد النفري وبني عطيّة بن عبد الله بن خزر وبني فلفول بن خزر، ويحي بن علي بن حمدون صاحب البصرة وبرزوا جميعاً بقياطينهم إلى سبتة..**"، ولما كانت لقبايل كتامة شهرة حصانة فقد حدث بين هؤلاء بني خزر وبينها علاقات، ويبدو أنه انتقل فريقٌ منهم عبر البحر إلى موطن كتامة في زمن غير معلوم بعد هذه الفتن، واكتنف بمنطقة جيجل في قبايل بني فوغال فهم فيهم هناك إلى اليوم، وآخرون نزلوا قرب مدينة سكيكدة اسمهم كذلك (بني خزر) إلى يوم الناس هذا.

ومن تلمسان كذلك انتقلت قبايل (بني يدر) وفي نسبهم خلاف بين كتامة ومصمودة، و(بني قايد) و(بني عمران) الشرفاء إلى دلّس وبجاية ثم إلى جيجل على زمن الزيانيين، وقد ذكر ذلك العشماوي (كان حيا.1729م) وغيره، وسيأتي تفصيله.

❖ المغرب الأقصى :

وهذا الموطن فيه كلام طويل، لأن التهاجر إليه ومنه مع منطقة جيجل كان نشيطا جدًّا، وهو ما خلق الادعاء بأن قبايل منطقة جيجل من أصول مغربية، خصوصا مع اجتماع تشابه اللّسان بينهما، وكثرة الأولياء الصالحين الذين تعود أصولهم إلى المغرب، وهذا الادعاء منطقيّ من بابين اثنين نذكرهما كما يأتي:

- إذا كان موروثا عن العصور القديمة وخصوصًا زمن الرومان، وإن كان يبدو عهدهم غائرا في التاريخ القديم، وصعب الوصول بالتواتر إلى لسان شيوخ أعراش اليوم، فتاريخ الهجرة الأولى من المغرب إلى منطقة جيجل يعود إلى زمن صراع سيفاكس وماسينيسا بقسنطينة نهاية القرن الثالث قبل الميلاد، لأن سيفاكس على الأرجح هو من استعان بالجيتول (**الجدال**) و(**البابار**) الذين كانوا يسكنون جبالهم بالمغرب الأقصى وأوصلهم إلى منطقة جيجل، ولكن هذه الحقيقة التاريخية لا تصلح أصلاً في هذا الباب لأن المؤرخين الرومان أنفسهم ذكروا أن هؤلاء انزاحوا عن منطقة جيجل بفعل مناجزة الكتاميين لهم، وقد أسلفنا بيان ذلك.

- إذا كان موروثا من المراحل الإسلامية المرابطية والموحدية والحفصية، التي كان لها اتصال وثيق مع منطقة جيجل، من خلال نزول الكثير الدعاة والمهاجرين الذين لا يزال العامة يقدسون قبورهم ويسمونهم الأولياء الصالحين، ثم تحول هذا الاتصال إلى تبعية لدولة الموحدين (1147م-1269م) على يد شيخ بني تليلان (**أبو بكر بن ثابت**) الذي التحق بخليفة الموحدين بمراكش ونجع له بالطاعة والقياد، وفرض الضرائب على

أهله (كتامة الجبل)، وقد ذكر ذلك ابن خلدون (ت.1403م) قال: "**ومن بطون كتامة وقبايلهم أهل الجبل المطل على القل ما بينه وبين قسطنطينة، المعروف برياسة أولاد ثابت في حسن بن أبي بكر من بني تليلان، ويقال إن أبا بكر هذا الجدّ هو الذي فرض المغرم على أهل هذا الجبل لأيام الموحّدين، ولم يكن قبل ذلك عليه مغرم، فلما انقرض ملك صنهاجة وغلب الموحّدون على أفريقيا وفد أبو بكر هذا على الخليفة بمراكش ونجع بالطاعة والانقياد، وتقرب إليه بفرض المغرم على قبيلهِ بالجبل.**."[1]، وهو ما جعل قبايل المنطقة تدّعي أنها موصولة النسب بالمغرب الأقصى تقربا لهؤلاء الموحدين، خصوصا وأن جميع الدول التي جاءت بعد الدولة الفاطمية إلى دولة العثمانيين كانت تطغى على كتامة لاتباعهم الشّيعة، ذكر ذلك أيضا ابن خلدون (ت.1403م) قال: "..**حتى صار كثير من أهل نسبهم يفرون منه، وينتسبون فيمن سواهم من القبايل فراراً من هجنته والعزة لله وحده.**"[2]، وهو سبب وجيه لادعاء كهذا لرفع الجور عن بقايا فروع كتامة، ولكنه لا يمنع أنه حدثت هجرات على هذا العهد أورثت بعض القبايل من كتامة المغرب الأقصى، وهي موجودة إلى اليوم بجبال منطقة جيجل مثلما سنذكره في حينه.

---

[1]– **ابن خلدون:** كتاب العبر، م س، ص 199. ويخلط بن خلدون في نسب أولاد ثابت، فيذكر (أولاد ثابت **بن** حسن بن أبي بكر)، والأصحّ (أولاد ثابت **في** حسن بن أبي بكر) لأن ابن حاج النميري يصحح نسب هؤلاء في (حسن بن إبراهيم بن أبي بكر بن ثابت بن تليلان).

[2]– م ن، ج6، ص199-200.

وتعود بداية الهجرة إلى المغرب الأقصى لانتقال بعض العائلات الكتامية الصَّغيرة في عهد الفتح الإسلامي، أي على زمن ولاية موسى ابن نصير وتسييره للجيوش إلى فتح الأندلس مطلع القرن الثامن الميلادي، ولكن هذه المرحلة لم تؤثر كثيرا على الخارطة القبلية لمنطقة جيجل، هذا إذا ثبت تقديرُنا بأن أسرًا منها قد تبعته فعلاً على طرح ابن عذاري المراكشي. والحدث الأكبر الذي هاجرت فيه قبايل منطقة جيجل إلى المغرب الأقصى هو انتشار دولة الفاطميين وتوسعهم إليه، لأن كتامة كانوا مع صنهاجة أكبر جنودهم وحلفائهم، ويوافقنا في رأينا هذا موسى لقبال (ت.2009م) يقول: "**غير أنه يبدو أقرب إلى الصواب القول بأن وجود معظمها (أي القبايل الكتامية) في هذه المناطق من شمال المغرب الأقصى إنما يرجع إلى فترة ظهور الحركة الإسماعيليَّة في أفريقيا (تونس) والمغرب الأوسط (الجزائر)، ثم فترة توسعها في المغرب الأقصى والأندلس**"[1].

وقد ذكر ابن خلدون (ت.1403م) ذكرا مفصلاً أحداث انتقالهم على هذا العصر وسنينها قال: "..**ولى عبيد الله المهدي على سجلماسة إبراهيم بن غالب المزاتي من رجالات كتامة، وانصرف إلى أفريقيا. ثم انتقض أمراء سجلماسة على واليهم إبراهيم فقتلوه ومن كان معه من كتامة سنة ثمان وتسعين ومائيتن، وبايعوا الفتح بن ميمون الأمير بن مدرار، ولقبه واسول، وميمون ليس هو ابن التقي الذي تقدم ذكره، وكان أباضياً. وهلك قريباً من ولايته لرأس المائة الثالثة، فولي أخوه أحمد**

[1]– **موسى لقبال**: دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، م س، ص163.

واستقام أمره إلى أن زحف مصالة بن حبّوس في جموع كتامة ومكناسة، إلى المغرب سنة تسع وثلثمائة، فدوخ المغرب وأخذهم بدعوة صاحبه عبيد الله المهدي. وافتتح سجلماسة وتقبّض على صاحبها أحمد بن ميمون بن مدرار.."[1]

فهذا الزحف الأول هو الذي على الأرجح كان فيه انتقال بعض بطون كتامة المعنية بالهجرة إلى المغرب، أي في سنة (309هـ/921م) على إثر هذه الغزوة الفاطميّة، ثم أورد ابن خلدون (ت.1403م) في الصفحة ذاتها من الكتاب قولاً لابن حزم عن غزوةٍ ثانية للفاطمين سنة (347هـ/958م) شارك فيها قبايل كتامة وصنهاجة واستولوا فيها على مدن المغرب وصحراء سجلماسة، يقول: "..**حتى إذا أفزع له بنو عبيد وحمت الفتنة زحف جوهر الكاتب أيام المعز لدين الله معدًّا في جموع كتامة وصنهاجة وأوليائهم إلى المغرب سنة سبع وأربعين وثلثمائة، فغلب على سجلماسة وملكها**..". وقد اختصت بالهجرة إلى المغرب الأقصى قبايل معينة دون غيرها وهي **دنهاجة وملوسة**، وإلى الأندلس **زواوة**، بينما توجهت الفروع الأخرى إلى مصر، وأهم مواضع تبادل الهجرة بين منطقة جيجل والمغرب الأقصى ما يلي:

السوس (جبال جزولة):

وهذه المنطقة هي مركز انتشار الحركة الإدريسية التي تسمى أيضا (حركة الشرفاء)، وتحظى بالإجلال والتقديس من العوامّ وبالحظوة والمكانة من الدول، بالنظر إلى

1– **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص 173.

علاقتها بآل بيت عليّ وفاطمة رضي الله عنهما، ولذلك طفقت القبايل إلى الانتساب في أي فرد يقبل عليها مدّعيًا علاقته بهذا النسب، طمعًا في تلك الحظوة، وقد بلغ هذا المدّ الانتسابيُّ منطقة جيجل منذ القرن 13م على زمن إمارة (أولاد ثابت) التيلالانيين، وظل يتسرب في قبايلها طيلة تلك القرون إلى بداية سقوط الأندلس ومجيء حملة هجرات لمجموعة من الموركسيين الذين قصدوا أقطار بلاد المغرب، واتصل علماؤهم بالحركة الإدريسيّة ثم توزعوا مع الشرفاء في المواطن، وهذا الحدث حقيقيٌّ كما يؤكده العلويّ في كتابه (الأنوار الحسنيّة)، والعشماوي (كان حيا.1729م) في كتابه (التحقيق في النسب الوثيق) وابن مريم في كتابه (البستان) وغيرهم كثير جدًّا، ولكنه لم يكن بالضخامة التي صورتها الذاكرة الميثولوجية الجمعيّة، لأنه حدث في زمن متأخر بدءًا من القرن 13م وما بعده، وأصاب قبايل منطقة جيجل بعض تلك الهجرات، فَظهر ادعاءُ انتسابها في هؤلاء المهاجرين الموركسيين والشرفاء، وتنافسوا في إنكار أنسابهم وتأصُّل أيّ مهاجر يقبل عليهم مدّعيًا ما ذكرنا صدقًا أو كذبًا، والذين لم ينزل عندهم أحدٌ اختلقوا لأنفسهم أجدادًا وهميّين ألبسوهم هذا النسب، أو غرّهم بعض المرابطين أو المشعوذين بكرامات وهميّة فصدقوه وانتسبوا فيه، واصطُنِعت مبالغةٌ عظيمةٌ مؤدَّاها القولُ بأن جميع سكان منطقة جيجل من مهاجري الأندلس أو شرفاء السّوس كأنها كانت فارغة من السكان قبل مجيئهم!! وغالط جدًّا من يعتقدُ أن النسابين أهملوا كتابة نسل هؤلاء الشرفاء المقبلين على المنطقة وأن الرواية الشفهية الميثولوجية هي الأساس الوحيد للنسب، لأننا تأكدنا من ذكر بعض أهل

منطقة جيجل ممن ثبت أصلهم الشريفي في أكثر من 40 كتابًا من أمهات كتب أنساب الشرفاء، وهي اليوم في متناول من يروم البحث والتنقيب.

وقد اعتمد الفرنسيون على هذه التقديرات الأصولية اعتمادا كليًّا، فاعتبروا أصول كلّ سكان جيجل من المغرب الأقصى ونشروا ذلك بين قبايل المنطقة، وقد وجدنا أكثر كبار السن الذين عايشوا الفرنسيين يدعون أن أصولهم من شرفاء المغرب، وهو ادعاء غالط نسبيًّا، ولا يصحُّ إلا على من تثبته له المصادر الموثوقة وسيأتي ذكر ذلك.

قصر دنهاجة (القصر الكبير) :

أو (قصر عبد الكريم) ويسمى اليوم (القصر الكبير)، ويقع في إقليم الهبط شمال غرب المغرب الأقصى على الضفة الشمالية لنهر اللوكس، ذكره الجغرافيون والمؤرخون هنالك، قال عبيد الله البكري (ت.1094م): "..**ثم تسير إلى قصر دنهاجة، وهو على تلّ وتحته نهر عظيم وفيه آثار للأول وبه كان ينزل ملوك المغرب في قديم الدّهر وجبل صرصر بقبلى هذا القصر ينزله بطون كتامة وإصادة**.."[1]، وقال عنه الإدريسي (ت.1166م) في نزهة المشتاق: "**ومن بلاد مكناسة في جهة الغرب إلى قصر عبد الكريم ثلاث مراحل، وقصر عبد الكريم يسكُنُهُ قوم من البربر يُسمّون: دنهاجة، وهي مدينة صغيرة عامرة بأخلاط دنْهاجة وهي على نهر ألُوكس ويجري منها في جهة الجنوب وبينها وبين البحر نحو من ثلاثة أميال في أرض أكثرها رمل**

[1]– **البكريّ**: المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب، م س، ص 110.

ولها مزارع وخصب وصيود بر وبحر وبها سوق عامرة وجمل صناعات "[1]، وابن خلدون (ت.1403م) قال عنه في كتاب العبر: "**وإلى دنْهاجة تُنسب قصور كتامة بالمغرب لهذا العهد**"[2].

وتجده كذلك بتسمية (**قصر عبد الكريم**)، وعبد الكريم هذا هو الذي أسس القصر، وقد حكى الحسن الوزان الفاسي (ت.1537م) قصة بناء القصر على يد **يعقوب المنصور** ملك الموحدين، وذلك غير صحيح لأن ملكه كان ما بين (1184م و1199م) وهو زمن مخالف لزمن الجغرافي البكري (ت.1094م) الذي ذكره في كتابه الصادر عام (1062م)، ولعل المنصور أعاد بناء المدينة وتسويرها في عصره لأنه اشتهر بالعناية بتشييد المدن وتحصينها، كما أن الموحدين أولوا قصر دنهاجة عناية عظيمة فوسعوا عمرانه وبنوا فيه فندقين عظيمين.

والقصة الحقيقية لبناء قصر عبد الكريم أن ملك الجيوش الفاطميّة، ولعله مصالة بن حبُوس الذي ذكره بن خلدون (ت.1403م) سنة (309هـ/921م)، فوجئ ذات يوم وهو يصطاد بعاصفة عزلته عن حرسه وأوغل به حصانه في الظلام فلم يدر أين هو واضطر للمبيت في العراء، ثم عثر عليه عبد الكريم هذا وهو رجل فقير من دنهاجة يشتغل في صيد الأنقليس، فأكرم مثواه وذبح له جدي معزاته الوحيدة وهو لا يعرف من يكون، فلما كان الصباح انطلق به فوجد حرسه مذعورين يبحثون عنه فعرف أنه الملك،

---

[1]– **الإدريسي**: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، م س، ص 109.

[2]– **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص 196.

واستحيى من وضاعة شأن بيته الذي أضافه فيه، فأمر الملك ببناء مدينة له في ذلك المكان وولاه عليهَا وسماها باسمه (قصر عبد الكريم)، وأسكن فيها قومه دنهاجة. ولا يخفى على الدارس أن وراء بناء ابن حبُوس لهذه المدينة غرض سياسي ينضاف إلى إكرام منقذه، ويتمثل في خلق حصن كتامي يحمي الفاطميين من انقلابات الإباضيين بمنطقة الهبط فلا يحدث ما حدث في سجلماسة التي قتل أمراؤها الوالي واضطر الفاطميون إلى إخضاعهم من جديد.

ويسمى قصر دنهاجة اليوم (القصر الكبير) لتمييزه وتفريقه عن (القصر الصغير) الذي يقع شمالا ناحية سبتة، وهؤلاء دنهاجة أصلهم من ساحل منطقة جيجل عند جبال الرحمن، ولعل بقاياهم هنالك إلى اليوم بمنطقة الميليَّة (بني فرڤان وأولاد عيدون وأولاد علي وبني بلعيد) ذكرهم اليعقوبي (ت بعد.905م) على عهد الأغالبة في القرن 09م في كتاب البلدان في مراسي ميلة قال: "**وسواحل البحر تقرب من هذه المدينة ولها مرسى يقال له جيجل ومرسى يقال له قلعة خطاب، ومرسى يقال له أسيكدة، ومرسى يقال له مابر، ومرسى يقال له مرسى دنهاجة، وهذا البلد كله عامر كثير الأشجار والثمار، وهم في جبال وعيون**.."[1]، ثم انضموا إلى جيش الفاطميين وانتقلوا معهم إلى كل مكان، وصف ذلك القاضي النعمان (ت.974م) على عهد الفاطميين قال: "**فعبى أبو عبد الله من معه ومشى إلى ناحية كتامة وميلة، وهم**

[1] – **محمد بن إسحاق اليعقوبي**: البلدان، دار المعارف بيروت –لبنان د/ت/ط، ص190.

إجانة ولطاية وجيملة وملوسة ودنهاجة وعثمان .."[1]، وقصر دنهاجة هو أكبر حواضر كتامة بالمغرب الأقصى، وعليه تدور مدن كتامة الأخرى، وبه كان ينزل ملوك المغرب للاستجمام والراحة، فادّعى نتيجة لذلك دنهاجة جبال الميليّة أنهم من أصل الملوك وذلك غير صحيح وإنما الصحيح ما نذكره، ولا يزال الاتصال بين دنهاجة القصر الكبير بالمغرب ودنهاجة الميلية بمنطقة جيجل إلى عهد العثمانيين بأداة الحج.

البصـــرة :

وهي مدينة صغيرة بناها الكتاميون لمواجهة الحملات النورماندية من ساحل الأطلسي، وتقع جنوب قصر عبد الكريم، وورد ذكرها كثيرا عند الجغرافيين كالإدريسي (ت.1166م) قال: "**يخرج أحدهما من بلد دنهاجة من جبل البصرة**"[2] وابن خلدون (ت.1403م) قال: "**وقبيلة أخرى بناحية الهبط مجاورون لقصر عبد الكريم**.."[3]، وقد ذكر المؤرخ لقبال (ت.2009م) عن كبار المؤرخين أن مدينة البصرة استبحر بنيانها وضرب لها بسور عظيم له عشرة أبواب، ولها جامع عظيم بلغ سبع بلاطات، قد عرفت بتجارة الكتان.

[1]– **أبو حنيفة النعمان المغربي**: افتتاح الدَّعوة، م س، ص 71.

[2]– **الإدريسي**: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، م س، ص 243.

[3]– **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص 199.

ولم يرد إلينا اسم الفرع الكتامي الذي استوطن هذه المدينة ولعله دنهاجة كذلك حسب الإدريسي (ت.1166م)، ولم نعلم عن اسم سكانها إلا اسم القبيلة الأم كُتامة، ولذلك أمكننا استبعاد وجود اتصَال بين هذه المدينة التي اختلط أهلها بالتجار وذابت عنهم القبلية فجنحوا إلى التمدن، وبين منطقة جيجل التي نحن قيد دراستها.

أصيــلا (أزيـــلا) :

وهي الأخرى مدينة بناها الكتاميون على ساحل البحر الأطلسي على جبل صرصر شمال قصر عبد الكريم، ويسكنها أيضا بربر كتامة ولكن لا نعلم أي فرع منهم، وقد ذكرها الجغرافيون ذكرا كثيرا فقال البكري (ت.1094م): "**وجبل صرصر بقبلى هذا القصر ينزله بطون كتامة وإصادة.**."[1]، وذكرها الإدريسي (ت.1166م) قال: "**ومن مدينة طنجة إلى مدينة أزيلا مرحلة خفيفة جداً وهي مدينة صغيرة وما بقي منها الآن إلا قدر يسير وفي أرضها أسواق قريبة وأزيلا هذه ويقال أصيلا عليها سور وهي متعلقة على رأس الخليج المسمى بالزقاق وضرب أهلها من مياه الآبار**.."[2]، وذكرها كذلك ليون الفاسي (ت.1537م) وأورد شأنها مع حروب البرتغاليين والنورمانديين، ومدافعة المسلمين لهم، ولكن موقع هذه المدينة واختلاط أهلها عن طريق التجارة والتمدن مثل نظيرتها البصرة، يجعلنا نستبعد أي ارتباط بينها وبين منطقة جيجل.

---

[1]– **البكريّ**: المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب، م س، ص110.

[2]– **الإدريسي**: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، م س، ص 243.

ملوثـة (ملـوسـة) :

وهي قبيلة ملوسة التي تحدث عنها المؤرخون، ولكن أهل المغرب الأقصى يصحّفون حرف السين حرف ثاء، وأهلها يدعون نسبهم في كتامة، وموضعهم ناحية **تيطوان** في قرية **مجاز فكان**، ذكرهم البكري (ت.1094م) هناك قال: "**ويتصل هذا الجبل إلى مدينة باب اليم إلى البحر الغربي ومجاز فكان وهو موضع ملوثة**"[1]، وقال لقبال (ت.2009م) أنهم اليوم مندمجون في قبيلة **أنجرة** متعايشون معهم، وغير بعيد منهم فرع من فروعهم اسمهم **تافوغالت** في كدية تافوغالت المندمجة في حكم صنهاجة هناك، ذكرهم كذلك البكري (ت.1094م) بعدهم في الصفحة ذاتها: "**وهو موضع ملوثة يركب لهم خمسمائة فارس وهناك الموضع المعروف بالرصافة وكدية تافوغالت**"، وجنوبا ناحية سجلماسة فرع مندمج في قبيلة مكناسة اسمهم (بني فوغال) ذكرهم ابن خلدون (ت.1403م) هناك وعدهم فرعا منهم قال: "..**وكذلك عدوا في بطون مكنة: بني يصلتن وبني تولالين وبني ترين وبني جرتن وبني فوغال، ولمكناسة عندهم أيضاً بطون كثيرة**"[2]

وأحسَبُ أن هؤلاء ملوثة وفروعهم (بني فوغال) ما يزالون على اتصال بأرضهم الأصلية القديمة بالبسائط ما بين ڤالمة والمسيلة، فإن في جبال جيجل قبيلة (بني فوغال) كبيرة مندمجة في قبيلة بني زونداي، وهي فرع كبير جدّا من ملوسة عاد من

[1]– **البكريّ**: المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب، م س، ص 108.

[2]– **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص 170.

المغرب وانتشر هناك، وفي ضواحي مدينة الفجوج قرب قالمة كذلك فرع كبير اسمه (بني فوغال) أبدلهم إياه الأتراك ثم الفرنسيون على زمنهم ليستولوا على تجارة خشب الكراستة (القرّيطة) في موطنهم بجيجل، وفي ضواحي مدينة بسكرة مدينة (فوغالة) كذلك تشابههم في التسمية، وسيأتي تفصيل ذلك في حينه.

بني يستيتن :

وهم يسكنون جبلهم الذي يقابل جبل بني يزناسن وهم فرع من كنفدرالية كتامة بشهادة ابن خلدون (ت.1403م) قال: "**وعدَّ النسابون من كتامة بني يستيتن**"[1]،وقد ذكر لقبال (ت.2009م) أن هؤلاء مندمجون اليوم في قبيلة (بني كلال) جنوب مدينة وجدة في إقليم بني يزناسن من إمارة دبدو القديمة، ولم نجد لهم في الجزائر سوى فرع صغير في مدينة (**أستيتن**) قرب مدينة الأبيض سيدي الشيخ بولاية البيّض، ولا وجود لرابط بين هذه القبيلة ومنطقة جيجل، ولعل هؤلاء رحلوا على قبايلهم إلى المغرب الأقصى، مثلما فعل فرع بني صدغيان في جزيرة جربة بتونس، ولذلك فادعاء قبايل جيجل الانتساب فيهم لا دليل عليه في ما اطلعنا عليه من المصادر.

بني سدَّات :

وهؤلاء (بني سدَّات) من قبايل كتامة في إقليم الحسيمة بالمغرب الأقصى إلى اليوم، والتي لا تزال كتامة فيها تحتفظ باسم القبيلة الأم في قرية (ثلاثاء كتامة) وفروعها

[1]– **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص 196.

هناك: (إسّاقن) و(عبد الغاية السواحل) و(تامساوت) و(مولاي أحمد الشريف) و(القبيلة) و(بني سدّات)، ذكرهم هنالك لقبال (ت.2009م)، قال ببادية المزمة قرب مدينة نكور القديمة، وذكر معهم إخوانهم من فروع صنهاجة السراير: (بني أحمد) و(بني يشير) و(بني بوشبيت) و(تاغزوت) و(بني خنوس).[1] وأضاف بوزياني إليهم (بني زرقت)[2].

وغير بعيد عن هؤلاء كتامة بالمزمّة نجد بالتوجه شمالاً مجالا آخر على اتصال بهن جنوب تيطوان قرية (ثلاثاء بني يدر)، ويبدو أن الاتصال بين (بني سدّات) المزمّة و(بني يدر) تيطوان ومنطقة جيجل موجود، فالجبل بين بلديات الشقفة وبلهادف وبني حبيبي يسمى **(جبل سدّات)**، وبالمنطقة أسطورة لالة سدّات المرأة الصالحة من الأصول المغربية، وهي أسطورة غريبة لا ندري محلّها من الصحة، ولكن في هذا الجبل بمجالات كتامة جيجل قبيلة (بني يدر)، لذلك نرجح وجود اتصال بين المنطقتين.

بني يدر :

وهؤلاء (بني يدر) هم ملوك السُّوس بالمغرب الأقصى، ذكرهم ابن خلدون (ت.1403م) في فصل كامل من كتاب العبر عنوانه **(الخبر عن بني يدر أمراء السوس من الموحدين)**، وهم فرع من قبيلة بادس من قبيلة هنتاتة فرع كنفدرالية مصمودة البربرية، وأشهرهم (علي بن يدر) أمير السوس على عهد الموحدين وخليفته أخوه

[1]– **موسى لقبال**: دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، م س، ص118.

[2]– **الدراجي بوزياني**: القبايل الأمازيغية، دار الكتاب العربي، ط4، 2010، ج2، ص64.

(هلال بن يدر)، ثم ابن أخيه (عبد الرحمن بن حسن بن يدر) وأخوه (علي بن حسن بن يدر)، يقول ابن خلدون (ت.1403م) في الفصل الذي ذكرنا: "**كان أبو محمد بن يونس من علية وزراء الموحدين من هنتاتة (..) وكان من أهل قرابته علي بن يدر من بني بادس، ففر إلى السوس وجاهر بالخلاف سنة إحدى وخمسين وستمائة**"[1]، لكنه ذكر رواية أخرى يتناقلها هؤلاء (بني يدر) ينسبون أنفسهم فيها إلى العرب، ويصلونه بنسب أبي بكر الصديق رضي الله عنه، قال: "**.. عبد الرحمن بن الحسن بن يدر من بقية الأمراء على السوس من قبل بني عبد المؤمن (..) وتزعم بنو يدر هؤلاء أنهم مستقرون بذلك القطر من لدن عهد الطوالع من العرب، وأنهم لم يزالوا أمراء بها يعقد لهم ولاية كابر عن كابر. ولقد أدركت بفاس على عهد السلطان أبي عنان وأخيه أبي سالم من بعده شيخا كبيرا من ولد عبد الرحمن هذا، فحدثني بمثل ذلك. وأنهم ولد أبي بكر الصديق، والله أعلم.**"[2]، ولكن في ادعائهم لمثل هذا النسب نظر، خصوصًا بعد نكبتهم مع الموحدين ثم المرينيين من بعدهم إلى زمن (عبد الرحمن) المذكور، ولعلهم فرّوا من نسب المصامدة اتقاء الفتنة مع بني مرين كما فرّ الناس من نسب كتامة اتقاء الفتنة مع الزيريين، والراجح عندي أنهم من هنتاتة المصمودية والله أعلم.

---

[1]– **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص 367.

[2]– م ن، ج7، ص 278.

وبعد صراع عظيم مع سلاطين بني مرين، انهزم بنو يدر أمام السلطان أبي الحسن علي بن عثمان (حكم.بين 1331-1351م) حوالي سنة 731هـ/1331م وانسحبوا إلى جبل نكيسة، ذكر ذلك ابن خلدون (ت.1403م) قال: "**ولما صار أبو علي ابن السلطان أبي سعيد إلى ملك سجلماسة (..) غزاه من سجلماسة، وفر ابن يدر أمامه إلى جبال نكيسة (..) ثم استولى السلطان أبو الحسن من بعد ذلك عليه وانقرض ملك بني يدر**"[1]، ومنه تفرق اليدريّون بين الأصقاع، فبقي منهم بعض البقايا بمدينة تارودانت يدعيها اليوم عرش (أولاد يحيى) من نسل عبد الرحمن بن الحسن بن يدر، وآخرون سكان (جبل بني يدر) قرب بادس غير بعيدين عن فروع (ثلاثاء كتامة) ذكرهم ليون الفاسي (ت.1537م) قال: "**هذا الجبل كبير جدا كثير السكان (..) أخضعهم أمير بادس معانا بقوات ملك فاس (..) وفي هذا الجبل قرابة خمسين قرية لائقة جدًّا**"[2]، وانتقل رهط منهم إلى جنوب تيطوان وسكنوا قرية (ثلاثاء بني يدر) وهم موجودون هنالك، وآخرون قرب الدار البيضاء في قبايل (جبالة) تحت اسم (بني يدر) وأعراشهم (السباطريون، بني حماد، العنصر، سيلولة)، ورهط آخرون انتقلوا إلى تلمسان وسكنوها ولهم فيها إلى اليوم حي (بني يدر) مجاورون لشرفاء (بني قايد) جيرانهم في بادس، ثم انتقلوا منها رفقة شرفاء (بني عمران) إلى منطقة جيجل، ونزلوا بمنطقة الشقفة وبرج الطهر واسمهم هنالك (بني يدر)، وسيأتي ذكرهم في حينه.

---

[1]- **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج7، ص 278.

[2]- **الحسن الوزان الفاسي**: وصف أفريقيا، م س، ج1، ص 335.

❖ طرابلس ليبيا (زواغة):

وأما زواغة فقبيلة قديمة جدًّا، ذُكِرَ أهلُها في القرن 05 ق.م عند هيرودوت باسم زواكس (ZAUÈCES)[1] قرب صبراتة، وعند بلين الكبير في القرن 01م باسم زوغيطانا (ZEUGHITANA) قرب ميلة، وتدّعي الرواية الجمعيّة أنهم مهاجرون من جريزة كورفو (CORFOU) اليونانية في بحر إيجة على زمن هوميروس صاحب الإلياذة، بينما يرى الوسيطيُّون على عادة النسب الإثني عندهم أنهم أبناء (زواغ بن سمكان بن يحيى بن ضرى بن زحيك بن ماذغيس) من فروع البربر البتر، فيجعلون لهم جدًّا اسمهُ (زواغ)، وفي غياب دلائلَ تُرجّحُ نسب هؤلاء نكتفي بذكر مواطنهم كما قال البكري (ت.1094م) بنواحي طرابلس: "**من طرابلس إلى صبرة وهو بلد معمور يسكنه زواغة**"[2] وقال ابن خلدون (ت.1403م) هم متفرقون في ضواحيها، ولكنه اعترف بندرة الأخبار في شأنهم قال: "**وأما زواغة فلم يتأدّ إلينا من أخبارهم وتصاريف أحوالهم ما نعمل في الأقلام، ولهم ثلاثة بطون وهي: دمر بن زواغ وبنو واطيل بن زحيك بن زواغ وبنو ماخر بن تيفوت[3] بن زواغ. ومن دمر بنو سمكان، وهم أوزاع في القبايل. ومنهم بنواحي طرابلس مفترقون في برابيها ولهم هنالك الجبل المعروف**

---

[1]– **Voir** : **Hirodote**: Histoire, Op.cit, T1, chap iv, p 397-398.

[2]– **البكري**: المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب، م س، ص 17.

[3]– في المخطوط **بني تيفون**، والصحيح (**بني تيفوت**)، تنطق في هذا الزمن (بني توفوت) وموضعهم في جبال الرحمن بين مدينة الميليّة ومدينة القل.

بـدمر.."[1]. ثم هجـروا منهـا إلى كثـير مـن النـواحي، ونـزل بطـن كبـير مـنهم هـم (بـني واطّيل) مدينة (الأصنام) على وادي الشلف، وتسمى اليوم مدينة (الشلف)، ذكرها ابن خلدون (ت.1403م) منسوبة إليهم قال: "**وكذلك بجبال شلف بنو واطيل منهم**"، وبالمغرب الأقصى بضواحي فاس آخرون: "**وبنواحي فاس آخرون**.." وذكرهم كذلك الدراجي بوزياني قـال: "**وينسب إليهم بسيط زواغة بين فاس وصفرو وجبل كندر**"[2] وقـال هـم هنالـك مـن لـدن الفـتح الإسـلامي، ومـنهم فـرع في الجبـال الـتي تحمـل اسمهـم (جبـال زواغـة) الممتـدة شمـال قسـنطينة مـن شـرق سـكيكدة إلى جنـوب جيجـل بينهـا وبـين ميلـة وفرجيـوة، ذكـرهم ابـن خلـدون (ت.1403م) قـال: "**وفي جهـات قسـطنطينة أيضـا رهـط مـن زواغـة**"[3]، ومبـارك الميلـي (ت.1945م) قـال: "**ومـنهم قـرب ميلـة فريـق يعرفون بزواغة**"[4]، والظاهرُ أن هؤلاء انتقلوا إليها على زمن بلين الكبير في القرن 01م وسـكنوها، في خضـم الصـراعات الـتي كانـت سـائدة في المجـال آنـذاك، وقـد غيّبـت المصـادر التأريخيـة ذكـر فـروعهم حـتى مجـيء الفرنسـيين الـذين أوردوهـا عنـد دخـولهم في سبعة دواوير كبيرة: (بني تيفوت)، (الشيقـارة)، (آراس)، (باينـان)، (زغايـة)، (سيـدي مروان)، (تسالة).

[1]– **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص 170.

[2]– **الدراجي بوزياني**: القبايل الأمازيغية، م س، ج1، ص 41.

[3]– **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص 170.

[4]– **مبارك الميلي**: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، م س، ج2، ص 213.

❖ الصحراء الغربيّة (الساقية الحمراء ووادي الذهب):

وأما الصّحراء الغربية فمرتبطٌ شأنُها بقيام دولة المرابطين على يد صنهاجة الجنوب عام 448هـ/1056م، وامتداد ملكهم شيئا فشيئا إلى حدود بجاية الحمادية شرقًا والأندلس شمالاً، ثم إلى نهاية ملكهم عام 541هـ/1147م على يد الموحدين، إذ عاد تأسيس الدولة إلى (يحيى بن إبراهيم اللمتوني) الذي قاد حركة عسكرية لكنفدرالية صنهاجة الجنوب (جدالة، لمتونة، مسوفة..) للقيام بإصلاح مذهبي سياسي يسعى لتوحيد بلاد المغرب والصحراء على المذهب المالكي ودولة "الرباط والإصلاح"، ولذلك نشأت حركة دعويّة دينية موازية للعمل العسكري الذي قام به هذا القائد الفقيه الصنهاجي، وذلك تحت اسم (**المرابطين**)، وانتشر هؤلاء الدعاة في أقطار المغرب حاملين تفاصيل الدعوة المالكيّة السُّنيّة ونزلوا كل أقطاره، ثم دعمت طرحهم الانتصارات التي كان يحققها هؤلاء المرابطون في جهاد الصليبيين بالأندلس وسواحل المتوسط، فنالوا قدسيّة وحظوة عند الناس وأطلقوا عليهم اسم (**الأولياء الصالحين**) ثم أحيطوا بالخرافات التي تنسب إليهم القدرات الخارقة والكرامات، وانضاف إليهم مدّعون طمعوا في هذه الحظوة فكثر المشعوذون المدّعون للرباط في الأسواق، والتصقت تسمية (المرابط) بكل من يحقق للناس الخوارق بالخدع والسحر والدجل، وانتشر الادعاء بينهم بالانتماء إلى (الساقية الحمراء ووادي الذهب).

وقد بلغ هذا المدّ الدعوي منطقةَ جيجل في مرحلة سكتت عنها المصادر ونقلتها إلينا الرواية الجمعيّة في رتبة من رتب سلطة الزاوية وهي (**المرابط**)، ونشأ في المنطقة ادعاء

القبايل انتمائها في (مرابط صالح جاء من الساقية الحمراء ووادي الذهب)، وذلك للفرار من هجنة النّسب الكتامي وطلب الحظوة في النسب المرابطيّ الجديد، ولكن بمجرد بروز المكانة السياسية للمهاجرين المورسكيين والشرفاء الأدارسة على زمن الموحدين والحفصيين والعثمانيين، أخلط عوامُّ الناس بين هذه المفاهيم الثلاثة: (**مرابط–شريف–مورسكي**) فأصبح ادعاء أصول قبايل جيجل مركّبًا في الانتماء إلى (مرابط صالح من الشرفاء جاء من السّاقية الحمراء ووادي الذهب)!! أو الانتماء إلى (مهاجر مورسكي من الشرفاء جاء من الساقية الحمراء ووادي الذهب)!!، وكل هذا مجردُ تخاريف مركّبة اصطنعوها في احتراز سياسي يستنقذ فروع كتامة من طغيان الدول عليهم تحت غطاء أنسابٍ جديدة، ويسعى للتموضع من جديد للظفر بمكانة سياسية تمنحهم الحظوة في المجال، ولكن لم نجد في المصادر شيئًا يصلحُ لتصديق هذه الأنساب الخرافية المركّبة، ما عدا الرواية الجمعيّة التي نعتقد أنها لا تصلح إلا لعائلات قليلة خلّفهَا هؤلاء المقبلون واستلحمتها الكنفدرالية الكتامية المحلية.

❖ الأندلس (الجزيرة الخضراء):

وهي مهجر لكثير من فروع كتامة أيضًا، ومنه عادت عائلات جمة إلى جيجل، وليس ذلك غريبا لأن سكانها من كتامة لم ينسوا أرضهم الأصلية فظلوا يتوافدون عليها وعلى أريافها وحواضرها، وقد شهدت جيجل وميلة وقسنطينة على الخصوص توافدا جليلا لهذه العناصر الأندلسية. وتجدر الإشارة إلى أن إقليم الحسيمة في المغرب قريبٌ من الجزيرة الخضراء بالأندلس، ولذلك انتقل منه إليها الكثير منهم وسكنوها، وأطلقوا

على إقليمهم الجديد اسم (**قصر كتامة**)، وقد ذكره ياقوت الحموي ومدح أهله قال: "**قصر كتامة: مدينة بالجزيرة الخضراء من أرض الأندلس، ينسب إليها صديقنا الفقيه الأديب الفتح بن موسى القصري مدرّس المدرسة برأس عين، وله شعر حسن جيد ونظم المفصل للزمخشري**"[1]، كما استقرت بالأندلس عائلات من زواوة عزيزة المركز نقلها ابن حزم وعدَّها من كتامة، منها بنو المهلب في إلبيرة وبنو قاسم في البونت وبنو مشرف في شقندة[2] وغيرهم.. وافتراض الاتصال بين الأندلس ومنطقة جيجل منطقي جدًّا، باعتبار أنه موجود منذ زمن الأمويين، إذ التجأ (عبد الرحمن بن حبيب الفهري) إلى جيجل ثم فرّ عبر مرساها إلى الأندلس.

❖ اليمـــن (بني هلال وبني سُلَيم) :

وهي الهجرة التي اشتهرت عند المؤرخين بالتغريبة الهلالية إلى بلاد المغرب، وأفرد لها ابن خلدون (ت.1403م) جزءً كاملاً من كتاب العبر لتفصيل مُجرياتها، وذلك أن هؤلاء (بني هلال) وحلفاؤهم (بني سُلَيم) توزعوا في أقطار البلاد المغاربية كلها بعد زحفهم إليها سنة (443هـ/1051م) بأمر من المستنصر خليفة الفاطميين بمصر، مثلما يذكره ابن خلدون (ت.1403م) يقول: "**لأن العرب لم يكن المغرب لهم في الأيام السابقة بوطن، وإنما انتقل إليه في أواسط المائة الخامسة أفاريق من بني هلال وسليم**

[1]– **أبو عبد الله ياقوت الحموي**: معجم البلدان، دار صادر، بيروت -لبنان، 1988م، ج4، ص 362. **وجلال الدين السيوطي**: لب اللباب في تحرير الأنساب، دار صادر بيروت-لبنان، د/ط، د/ت، ص 209. **وموسى لقبال**: دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، م س، ص169.

[2]– **انظر**: **ابن حزم**: جمهرة أنساب العرب، م س، ص 501.

اختلطوا في الدول هنالك فكانت أخبارهم من أخبارها"[1]، وقال أيضا في زمن دخولهم: "**وأقامت لهب من سليم وأحلافها رواحة وناصرة وغمرة بأرض برقة. وسارت قبايل ذياب وعوف وزغب وجميع بطون هلال إلى أفريقيا كالجراد المنتشر، لا يمرون بشيء إلا أتوا عليه، حتى وصلوا إلى أفريقيا سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة"**[2]، وإن كنا نلحظ بعض الذاتية في وصف ابن خلدون (ت.1403م) ولكننا آثرنا إيراد هذا القول من كتابه لأن فيه الضبط التاريخي للزحف الأول لأفاريق بني هلال وبني سليم على بلاد المغرب، وقد أوردنا ذكرهم في هذا الباب لأنهم سكنوا ضواحي جيجل في أزمنة متفرقة على إثر صراعاتهم مع الحماديين والموحدين والحفصيين والمرينيين بقسنطينة وبجاية وقلعة المسيلة، ونزلت منهم بعض البطون بجميع ضواحي المنطقة التي اصطفيناها للدراسة، وإن كنا نشير إلى أن معظم التسميات التي أوردها ابن خلدون (ت.1403م) واقعة قريبًا منها بمنطقة سكيكدة مثل: بني مهنًّا، دريد، أولاد عطيّة، أولاد مبارك.. وغيرهم، فليس من الغريب إذن أن تنتقل بعضها إلى منطقة جيجل لأحداث تاريخية معينة، ومنها (بني حبيب بن رياح) و(بني مسلم بن عقيل) و(أولاد عطية بن دريد) و(أولاد مبارك بن عابد) و(بني صبيح بن فاضل) و(بني دباب بن سليم) و(بني صالح بن المرتفع) و(أولاد تبان بن المرتفع)... وغيرهم كثير من الفروع التي استلحمتها القبايل فاندثرت فيهم.

---

[1]– **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص06.

[2]– م ن، ج6، ص20.

تونس (جزيرة جربة):

والفرع الكتاميّ الساكن بهذه الجزيرة هو فرع **(صدغيان)**، وموطنهم الأصليّ قلعة بوخضرة شمال تبسّة، ذكرهم القاضي النعمان (ت.974م) هنالك على زمن الأغالبة في القرن 09م، ثم انتقلوا مع عبد الله الداعي لدولة الفاطميين إلى رقادة والكاف بتونس ثم قطعوا البحر وسكنوا جزيرة جربة، ووجودهم مع فرع قبيلة **(لماية)** الذي كان موطنهم الأصلي منطقة المسيلة وبقاياهم قرب سطيف باسم **(آلماين)**، يوحي لنا بأنها هجرة متعمَّدة في ذلك العصر لتدعيم وجود كتامة الذين هم جنود الفاطميين هناك، لأن قبيلة لماية تفرق أمرها وانمحت من الوجود ولم يبق لهم إلاّ بعض الفروع المنتشرة في أصقاع كثيرة، ومنها فرع (جربة) الذي سميت عليه الجزيرة، وقد أورد ذكر ذلك ابن خلدون (ت.1403م) قال: "..**ومنهم جربة الذين سميت بهم الجزيرة البحرية تجاه ساحل قابس، وهم بها لهذا العهد** (..) **وهي قبايل لماية وكتامة مثل: جربة وسدويكش**.."[1] وقال أيضا دليلاً على ذلك: "..**وكان بقفصة عاملاً لصنهاجة عبد الله بن محمد بن الرند وأصله من جربة من بني صدغيان**"[2].

والجدير بالذكر أن فرع **(صدغيان)** هذا لم يترك أي أثر له بهذا الاسم في منطقة كتامة الأصلية، ولم نجد فيما قرأنا من المصادر أنه رجع إليها أو بقي اتصاله بها، كما أن الأحداث السّياسية التي وقعت بعد انتقاله منها منعته من العودة، ولم يكن لهم

[1]– **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص161.

[2]– م ن، ج6، ص 220.

طريق إلى منطقة جيجل في عصر من العصور ما عدا على زمن العثمانيين، أين نجدُ فرعًا مستقرًّا بجبل سدّات بين بني حبيبي وبني يدر اسمه (أولاد الجربي) أو (الجرابة)، يدّعون في نسب هذا الموطن ويحفظون الكثير من تقاليد جزيرة جربة، فلعلّهم إذن من هؤلاء الكتاميين الذين عادوا من موطن تونس إلى بيئة كتامة القديمة.

❖ مصـــر (القاهرة):

وهي الهجرة الكبرى التي هاجرتها كتامة على جموعهم، ولم يبق منهم إلا القليل معتصمين بقنن الجبال، ذكر هجرتهم ابن خلدون (ت.1403م) قال: "**ولما صار لهم الملك بالمغرب زحفوا إلى المشرق فملكوا الإسكندرية ومصر والشام، واختطوا القاهرة أعظم الأمصار بمصر، وارتحل المعز رابع خلفائهم فنزلها وارتحل معه كتامة على قبايلهم واستفحلت الدولة هنالك وهلكوا في ترفها وبذخها، وبقي في مواطنهم الأولى بجبل أوراس وجوانبه من البسائط بقايا من قبايلهم على أسمائها وألقابها، والآخرون بغير لقبهم وكلهم رعايا معبدون للمغارم إلا من اعتصم بقنة الجبل مثل بني زلدوي بجبالهم وأهل جبال جيجل وزواوة أيضاً في جبالهم**"[1]، ولكن ابن خلدون (ت.1403م) لم يفصل في أسماء القبايل المهاجرة، بل اكتفى بذكر أمرائهم بمصر والشام، وما كان لهم من أخذ وردّ مع الفاطميين والعباسيين، مستعملاً الاسم العام (كتامة)، ولعله لم يُستثنَ فرعٌ كتامي من هذه الهجرة إلا قبايل منطقة جيجل وبابور (بني زونداي) وزواوة وقليل بسهول ميلة وبجبال الأوراس، والبقية كما قال ابن

---

[1]– **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص196.

خلدون (ت.1403م) هلكوا في ترفها وبذخها فلم يُشهد بأنه عاد منهم أحد، وبذلك ينقطع الادّعاء بأن نسب قبيلة من جيجل موصول بمصر، لأنه لم يشهد التاريخ هجرة كتاميّة عكسيّة إلى بلاد المغرب الأوسط.

تلك إذن هي أشهر مواطن تبادل الهجرات التي كان لها أثر على البِنيَة القَبَليّة لمنطقة جيجل، ويبدو أن مصطلح (تبادل) الذي استعملناه في هذه الباب هو الأشمل والأصلح للتعبير عن التنقلات ذهابًا وإيابًا بين هذه المناطق في مختلف العصور ولأسباب تاريخية وأحداث متفرقة، ويمكننا أن نصطلح لمنطلقات هذا التبادل البشري على كلمة (روافد) التي تتضمن اعترافًا ضمنيًّا بصدق الادعاءات النسبيّة التي نجد لها دليلاً في المصادر يربطها بواحد من هذه الأصول.

5- خلاصة في تشكل بِنيَة الفرد الجيجلي في العصر الوسيط

إن من المفارقات التاريخية التي حدثت في قضيّة الأصول النسَبيّة ببلاد الجزائر (المغرب الأوسط) أنّ اتساع الموطن جعل كل جهة منه تتمنشأ أصوليّا بشكل مختلف ومتباين، وأقصد هنا بالضبط مراحل الصراع الاستلحامي بين البربر الساكنين والمقبلين عليهم من الغزاة أو المستدمرين أو الفاتحين أو المهاجرين، فبالرغم مثلاً من السياسات الرهيبة التي اعتمدها الرومان المستدمرون في العصر القديم لاستلحام جنس البربر من خلال اعتماد مبدأ (الرومنة)، إلاّ أنها فشلت في حذفهم من الوجود وإدماجهم في الأجناس الأوروبية لحصانة مواطنهم وتفرقهم في الجبال والصحاري، وبالرغم من أعمال القتل والتشريد والإبادة والنفي والتجنيس التي اعتمدها الفرنسيون لاستلحام العنصر المغاربي في الجنس الفرنسي إلا أنهم فشلوا أيضا للسبب ذاته، والعلّة بينهما مشتركة هي أنهم – هم ومن يماثلهم من المستدمرين في شتى العصور – غزاةٌ تلقّاهم أهل الأرض بالرفض والقتال فكانت (ظروف الاستلحام قسريّة)، ويختلف الشأن على الخصوص مع العنصر المسلم الفاتح من العرب والمستعربين الذين جاءوا معهم، لأنهم كانوا حاملين للدّين والحضارة المعتمِدة على القواعد الربانيّة، فتلقاهم سكان الأرض بصراعٍ قصيرٍ ما فتئ أن انقلب إلى القبول والاتباع والنصرة، وإذاك كانت (ظروف الاستلحام إراديّة)، واختلف المستلحِمُ والمستلحَمُ فيها من جهة إلى أخرى.

فإذا كانت بعض المناطق متفاوتة الحجم من الجزائر قد غلب فيها استلحام الجنس العربي والمستعرب والشريفيّ لكل العناصر البربرية المحيطة به، وبعض المناطق

الأخرى متفاوتة الحجم أيضًا قد غلب فيها استلحام العنصر البربري للعنصر العربيّ والمستعرب والشريفيّ، ومناطق جزائرية أخرى حدث فيها الأمران بدرجات متفاوتة، فإنه لا خلافَ على أنّ ذلك كان إراديًّا أو تدافعيًّا تحت غطاء نصرة الدّين الإسلامي المبني على السماحة واللّسان العربي الغالب على كل الألسنة بحجّة القرآن، والمحترِم لتلك الألسنة البربريّة في وجودها الكلامي بمناطقها بوصفها من معجزات الخالق.

وبالعودَة إلى منطقة جيجل، فإن الملاحَظ هو أن الاستلحام – بالمفهوم الذي يوردُه حسين بوبيدي – كان فيها ذو غلبة بربرية في ناحية الأصول، وإن كان اللّسان مائلاً إلى كفّة العربيّة مع استعمال بقايا قويّة للسان البربري، وذلك أن بربر منطقة جيجل أنفسهم من قبايل كتامة بدأ تعريبهُم طوعًا محبَّة في الإسلام وخصوصًا في زمن أبي عبد الله الداعي، ثم تحوّل التعريبُ إلى آلية تخفّي وراء اللسان العربي لادعاء نسبٍ مخالف لكتامة بعد النكير عليها في زمن كل من جاء بعد أبي عبد الله من السلطات السياسية التي استعملت القبايل الهلاليّة السُّلميّة، غير أنه من ناحية الأصول العرقيّة، لا خلافَ بين الناس على أن كل القبايل الجيجلية معدودة اليوم في (كنفدرالية كتاميَّة) مشكّلة من الأصليّ والمُستلحَم من لدن زمن الفتوح، بوصف هذا العنصر البربري هو (الظاهرُ) في حصانة مجاله أثناء عمليّات التدامج بالتزاوج والتصاهر والتساكن والتدافُع.. وغيرها، ما عدَا في بعض الفروع الجزئيّة التي استساغ المجتمع الكتاميّ دخول تسميتها تحت عموم المجال، وإن كنَّا حاولنا تقصّي روافدها الأصليّة من باب التفصيل في العناصر السابِقة من هذا الكتاب.

الفصل الرابع:

قَبايل الحَدْرَة

كنفدراليّة منطقة جيجل في العصر الحديث

1- من كنفدراليّة كتامة إلى قبايل الحدرة

بعد سقوط قلعة جيجل في يد الاحتلال الجنوي سنة 1245م، وانحسار الكيان القبليّ بالمنطقة إلى الجبال الشرقيّة، نشأت إمارة (أولاد ثابت بن تليلان) بمجالات جبال القلّ والميليّة وجيجل وفرجيوة وبابور على زمن الموحّدين كما أسلفنا ذكره، وظهرت تسمية جديدة لهذا الحلف القبليّ هي (قبايل الجبل) نسبها ابن خلدون إلى بقايا فروع كتامة، ولا يخفى ما في هذه التسمية من دلالة على اعتصام هذه القبايل بالجبال للتموضع مرة أخرى باسمٍ جديد، لكن هذه الإمارة التي تنازع ولاءها الحفصيون والمرينيون ما فتئت أن انهارت وانمحت على يد السلطان الحفصيّ (أبي العباس أحمد المستنصر) عندما استرجع حكم قسنطينة من المرينيين عام 772هـ/1370م، ومحا أثر مشيخة هذه السّلالة الكتامية الحاكمة، وأدخلهم في عداد جنده وحاشيته.[1]

ومن جهة أخرى، تضاءل تأثير فروع كنفدرالية (سدويكش) بمجالات الهضاب العليا وشمال سلسلة الأوراس في مقابل غلبةٍ واضحة للعنصر الهلالي السُّلمي، فتشتتت بين الأقطار وودّع بعضُها حياةَ البداوة ودخلوا إلى المدن والحواضر وزالت تسمية سدويكش التي لحق بها ابن خلدون على زمنه بالفرار والإنكار، واستلحمَت المجالاتُ المتفرقةُ تلكَ الفروع وأطلقت عليها اسمًا وصفيًّا جديدًا هو (قبايل الحدرة) أي

[1]- **انظر: ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص ص 199-474-476، وانظر: **النميري**: فيض العباب، م س، ص 284-285-286-287-408-409-410

بقايا القبايل الكتامية البربرية الموجودة بالحدور أي السهول، في مقابلة واضحة لتسميَة (قبايل الجبل) الذين هم بقايا كتامة بجبال القل والميلية وجيجل وفرجيوة وبابور، ثم عمّمت تسمية (قبايل الحدرة) عليهم جميعًا، مع أن بوزياني وقيطوني يميلان إلى قراءتها (قبايل الحضرة) أي بقايا كتامة الساكنين في الحواضر، مقابلة لتسمية بقايا صنهاجة الشمال (قبايل النيغاس) أي البدو الساكنون في الأرياف، وقد حصر بوزياني هذه التسمية في فرع سَدْوِيكّشْ السّاكن بالهضاب العُليا التي تقع فيها معظم مدن كتامة الكبيرة، قال: "**سدويكش اختاروا الحياة في التلول والسهول من مواطن كتامة القديمة، وأبناء هذه القبايل عرفوا لدى العامة بقبايل الحدرة، وكلمة الحدرة هنا صحفت، بسبب لهجة سكان المنطقة من كلمة حضرة بمعنى حاضرة أي مدينة إلى كلمة حدرة..**"[1]، ووافقه حسني قيطوني[2]، ورأيهما هذا نِسْبِيٌّ إذ قد يكون صحيحًا، لكنّ حمل تسمية (الحدرة) على (الحضرة) وهي مصطلحٌ له دلالة صوفيّة معروفة أمرٌ بعيدٌ، فـ(الحدرة) وجمعها (الحدور) تعني منخفض الأرض، وسُميت قبايل الحدرة لأن مجالات فروعها كان أكثرها المنخفضات من قالمة إلى بجاية، ولكن البربر استجازوا تعميم الاسم على كتامة جميعهم لأن جبالهم أخفض وعورة من جبال صنهاجة. وقبايل الحدرة قسمان: (قبايل الجبل) وقد ذكرهم ابن خلدون (ت.1403م) على زمنه قال: "**ومن بطون كتامة وقبايلهم أهل الجبل المطل على القل ما بينه وبين قسطنطينة** (...) **ويقال إن أبا بكر هذا الجد هو الذي فرض المغرم على أهل هذا**

[1]– **الدراجي بوزياني**: القبايل الأمازيغية، م س، ج2، ص166.

[2]– **Hosni KITOUNI**: La Kabylie Orientale dans l'Histoire, Op.cit, p 61.

الجبل لأيام الموحّدين (...) **وتقرب إليه بفرض المغرم على قبيله بالجبل**"[1]، وهؤلاء هم سكان جبال القلّ والميليّة وجيجل يحدّهم جبل قسنطينة، وقسم ثاني يحمل اسم العمُوم (قبايل الحدرة) وهم سكان المنطقة الممتدة من قالمة إلى ميلة إلى حدود البيبان إلى سهل بلزمة جنوبًا في المربع الذي يضم الحواضر الكبيرة قالمة وقسنطينة وميلة وفرجيوة وسطيف وبرج بوعريريج وجزء من بجاية.

أما النسّابة المحدَثُون فيسمون مجالاتِ بقايا كتامة (القبايل الصغرى) في مقابل تسمية مجالاتِ بقايا صنهاجة الشمال (القبايل الكبرى)، ذكر ذلك مبارك الميلي (ت.1945م)، وجعل سببه أنّ جبال صنهاجة عظيمة الارتفاع، وجبال كتامة أقل ارتفاعًا، قال: "**وادي بوسلام ويسمى بعد ذلك سومام يقسم القبايل إلى قسمين: القبايل العظيمة لارتفاع جبالها غربا، والقبايل الصغيرة شرقا**.."[2]، وقد تبعهم بعض الفرنسيين في ذلك فسمّوها (La Petite Kabylie) في مقابل تسميتهم لجبال صنهاجة الشمال (La Grande Kabylie)، بينما جنح بعضهم إلى اعتماد التقسيم الجغرافي، فسمّوا مجالات بقايا كتامة القبايل الشرقيّة (La Kabylie Orientale) وسمّوا مجالات بقايا صنهاجة الشمال القبايل الغربية (La Kabylie Occidentale)، اعتمادًا على المواقع الجغرافيّ لها، مثلما فعل فيرو حين جانب الصواب باعتقاده أن أقدم القبايل

1– **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص 199.

2– **مبارك إبراهيمي الميلي**: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، م س، ج1، ص51.

الشرقيّة هو (الشيتواي) الذين ذكرناهم في الفصل الثاني من هذا الكتاب، قال: **"وأقدم القبايل البربرية الشرقيّة هُم الكيتون"**[1].

ثم سكتَ التأريخ التدوينيّ عن (قبايل الحدرة) وترك المنطقة وسط حركة ديموغرافية نشطة جدًّا، إذ أصبحت من بداية انهيار ممالك الطوائف الأندلسية إلى آخر زمن العثمانيين قبلة للمهاجرين أفرادًا وعائلات، فنشأت روافد أصوليّة جديدة انضافت إلى المكوّن البشري لقبايل منطقة جيجل أهمها: المرابطون (صنهاجة الساقية الحمراء ووادي الذهب)، الأندلسيون، الشرفاء الأدارسة والسُّليمانية، المغاربة، الأتراك، العلوج وأجزاءٌ من قبايل جزائرية أخرى.. ولكن هذه الحركة الدائبة المتغلغلة كانت في معزل عن التدوين فغلبت على نقلها ذاكرة الرواية الجمعيّة، وأدخلت عليها من التحوير والأسطرة ما أحوجتها إليه ظروف عصرها، فإذاك ارتسمت خارطة قبليّة جديدة تمت فيها (إعادة تأسيس) معظم قبايل المنطقة لتتخذ شكل أخلاط متكنفِدة حاملة لتسمياتٍ جديدة اصطنعتها بادعاء الانتساب في شرعيات مختلفة، تحتاج كلّ واحدة منها إلى تفصيل سيأتي في حينه.

---

[1]- **L. Charles FERAUD**: Histoire Des villes De la Provence de Constantine-Djidjelly, Op.cit, p30.

2- الروافد المشكّلة لكنفدراليّة قبايل الحدرة بمنطقة جيجل

❖ الروافد الكتاميّة

من خلال ملاحظتنا لطوبونيما المجال الجيجلي، وجدنا أكثر الجبال والوديان مازالت حاملة لأسماء الفروع الكتامية القديمة المتوارثة، ومعظم الفروع الساكنة فيها هي تلك الفروع القديمة، مختلطة ومتخفية تحت أسماء جديدة بآليات مختلفة (التي أسلفنا ذكرها)، لذلك سنحاول استقصاء (الروافد الكتاميّة) التي كانت نواة تشكل كل قبيلة من خلال تقسيم كنفدراليّة كتامة منطقة جيجل – اعتمادًا على أسماء فروع القبيلة المذكورة في عصريها الأول والثاني– إلى 03 جماعات:

من جماعة يسُّودة :

قبيلة (فليسة) لهم فرع في مدينة بني آجيس اسمه (بني زرارة)، وقرب جيجل حي يسمّى (طب زرارة)، وفرع (بني أحمد) بين مدينتي جيجل وقاوس، وكلاهما من فليسة البحر الذين فرعهم الأصليّ بمنطقة تيڤزيرت شرق تيزي وزو، وفي مدينة الأمير عبد القادر فرع (بني عمران) من الشرفاء النازلين بفليسة أملّيل الذين فرعم الأصلي بمنطقة ذراع الميزان جنوب دلّس، وأما دنهاجة(دنّاڤة) فهم بجبال الميليّة عند (مرسى دنهاجة)، فروعهم أولاد عيدون وبني فرڤان وبني بلعيد وغيرهم، وأما (متوسة) فلهم فرع (متوسين) قرب جيملة، وأما (آوريسن) فمنهم (يوريسن) ناحية زيامة وفرعهم الأصلي في مدينة الوريسيّة قرب سطيف.

من جماعة غرسن :

قبيلة (معاذ) ولهم فرع (بني معاذ) المندرج في قبيلة بني فوغال ناحية العوانة، وأمَّا إيان فسلالته في قبيلة ملُّوسة(مالّوس) ولهم في ناحية جبل بوخداش بالميلية قرية (ملوسة) قريبًا من موضع فرعهم بني تليلان وتاغزامالوس قرب عجنق، ومنهم (بني زونداي) بجبال بابور، ومنهم أيضا في بلدية غبالة فرع (بني تليلان). ومن ينَّاوة قبيلَة (جيمْلة) على ضفاف وادي جندين في بلديتهم الحاملة لهذه التسمية، ومن بطونهم هنالك بني عافر وبني سكفال وبني حسان وغيرهم، وأما قبيلة (مسالتة) فلهم بطن صغير في جبال (سدّات) يسمون (بني فتح) ينتسبون والله أعلم إلى (فتح بن يحي المسالتي) رئيس قبيلة مسالتة المكنى ب(الأمير)، والذي قُتِل بناحية مدينة (طبنة) القديمة على عهد حرب الأغالبة والفاطميين. ومن ينطاسن فرع باسم (بني ينطاس) الحاملين اليوم لقب (ڤوطاس) بالميليّة وأونطوسن قربها في بني فرڤان، وقبيلة (إجَّانة) بقاياهم في (وادي إرجانة) في بلدية العنصر ومن فروعهم بني خطاب وبني عيشة وأولاد عواط، وفي بلدية (وجَّانة) الحاملة لاسمهم بني خطاب وبني سيار.

من جماعة سدويكش :

منهم بني لمائي(المُوية)، لهم بطن مكتنف بجبال بني تليلان اسمه (بني مُوية) يمتد ليشمل كامل منطقة ڤرارم ڤوڤة إلى حدود ڤطارة، وأما (سڤوال) فهم (بني سڤوال) في ساحل زيامة المنصورية، وأما (أولاد سواق) فمنهم (بني سڤين) بجبال بابور.

❖ الروافد البربريَّة

من قبيلة مصمودة (المغرب) :

وفرعهم الذي نزل عند جبل سدّات هو (بني يدر) من (بني بادس) من (هنتاتة)، وهم أمراء السُّوس على زمن الموحّدين، ذكر ذلك ابن خلدون (ت.1403م) وأشهرهم (علي بن يدر) أميرهم على ذلك عهد، وخليفته أخوه (هلال بن يدر)، ثم ابن أخيه (عبد الرحمن بن حسن بن يدر) وأخوه (علي بن حسن بن يدر)، وبعد صراع عظيم بينهم وبين سلاطين بني مرين -كما أسلفنا عند ذكرنا لبني يدر في فصل مواطن تبادل الهجرات مع منطقة جيجل- انهزم هؤلاء بنو يدر أمام السلطان أبي الحسن عليّ نحو سنة 731هـ/1331م وانسحبوا إلى جبل (نكيسة)[1]، كما انتقلت فروع منهم إلى نواحي تيطوان واندمجت في كتامة الساكنين هنالك، وفروع أخرى سكنت مدينة تلمسان رفقة شرفاء (بني قايد بن يعلا)، وبقيت لهم بقايا بجبل (بادس) ذكرهم الوزان الفاسي (ت.1537م) على زمنه في جبل يحمل اسمهم (جبل بني يدر)[2]، وهم هنالك فروع كثيرة إلى اليوم، ويبدو أن بعض فروع قبيلة (بني يدر) خلال الفتنة التي ذكرنا نحو 1331م اتخذوا لهم طريقًا إلى جيجل من تلمسان أو من تيطوان أو من الحسيمة، فنزلوا في سهل وادي نيل على أنقاض مدينة نيلاريا القديمة، فاستلحمتهم قبايل إجّانة وجيملة في سفوح جبل سدّات.

---

[1]- أنظر: **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص91.

[2]- أنظر: **الحسن الوزان الفاسي**: وصف أفريقيا، م س، ج1، ص 335.

من قبيلة زواغة (ليبيا) :

وفرعهم الموجود في مجالات منطقة جيجل يحمل الاسم نفسه (زواغة)، وهم متاخمون جنوبًا لقبايل إجانة وجيملة، ونعتقدُ أن منهم فرع (بني توفوت) مستلحمٌ في قبايل ملوسة ودنهاجة جنوب القلّ، وهؤلاء قبايل زواغة أصولهم من ضواحي صبراتة بوطن ليبيا، ذكرهم هنالك هيرودوت في القرن 05 ق.م، والبكري (ت.1094م) أيضًا[1] وكذلك ابن خلدون (ت.1403م) ذكر أنهم متفرقون في ضواحيها، ولكنه لم يجد عنهم أخبارا فلم يكثر الحديث في شأنهم[2].

ثم هجروا من مواطنهم الأولى وتفرقوا في الكثير من النواحي، ونزل بطن كبير منهم هم (بنو واطيل) مدينة (الأصنام) على وادي الشلف، وتسمى اليوم مدينة (الشلف)، وبالمغرب الأقصى بضواحي فاس بعض بطونهم سكنوا هنالك من لدن الفتح الإسلامي، ومنهم الفرع قيد دراستنا الساكن في الجبال الحاملة لاسمهم (جبال زواغة) الممتدة في جنوب جيجل بينها وبين ميلة وفرجيوة، ذكرهم ابن خلدون (ت.1403م)، ومبارك الميلي (ت.1945م)[3]، وهؤلاء انتقلوا إليها على عهد الرومان في القرن 01م زمن بلين الكبير الذي ذكرهم هنالك على عهده.

---

[1]– **أنظر**: **البكري**: المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب، م س، ص 17.

[2]– **أنظر**: **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص 170.

[3]– **مبارك الميلي**: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، م س، ج2، ص 213.

من قبيلة زناتة (تلمسان) :

وفرعهم الذي بمنطقة جيجل هو (بني خزر) وينتمون إلى مغراوة من قبيلة زناتة، كانوا مُلوك تلمسان على عهد الدولتين الأمويّة والفاطميّة، وقد كثر ذكر أسماء سادتهم عند ابن خلدون (ت.1403م) في كتاب العبر، وذكر شؤونهم مع بلكين بن زيري ملك صنهاجة، ومنهم (محمد بن خزر) و(الخير بن محمد بن خزر)[1]، ويعود أصل هؤلاء (بني خزر) إلى جدهم الأول (وزمار بن صقلاب) ملك مغراوة وسائر قبيلة زناتة البربرية على عهد الخلافة الراشدية الثالثة، وقد وفد على الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو أسير، ثم أسلم على يديه فأطلقه وولاّه إمارة قومه[2].

وبعد انهزامهم أمام (بلكين بن زيري) وذهاب دولة الأمويين بتلمسان لصالح الفاطميين، انتقل أولئك (بني خزر) إلى سبتة بالمغرب الأقصى، ومنه التحقوا بالأندلس ونزلوا بالجزيرة الخضراء عند أسيادها من كتامة[3]، ومكثوا هنالك أزمانا طويلة إلى أن سقطت الأندلس بأيدي الصليبيين في أواخر القرن 15م، وتفرق أهلها على البلدان والمواطن، فنزل من هؤلاء (بني خزر) فرع صغير بمراسي كتامة، ثم انقسم إلى فريقين: فريق نزل بمنطقة جيجل واكتنف بقبايل بني فوغال وهم موضوع حديثنا، وفريق آخر كثير العدد نزل بين القل وسكيكدة اسمهم (أولاد خزر).

---

[1]- **أنظر**: **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص 171/141/137/27/22.

[2]- **أنظر**: م ن، ج6، ص141.

[3]- م ن، ص ن.

❖ الروافد العربيّة

أما (الروافد العربيّة) فإن حال منطقة جيجل جعلتها مجالاً استطاعت فيه الروافدُ الكتامية القديمة أن تستلحِم العنصر العربي المقبل عليها أثناء التدافُع البشري بينهما، فاندمج هذا العنصر العربيّ نَسَبيًّا فيها، وانتمى إليها فصار فرعًا كتاميًّا مستلحَمًا، بينما أخذت هذه الروافد الكتاميّة لغته العربية وأخلطتها بلهجاتها البربرية المحليّة، ونستثني من هذا الحكم العام قضيّة أسماء الأعراش التي ظهر فيها اسم الفرع العربيّ على من اختلط به من البربريين مثل حال (بني حبيب وبني مسلم وأولاد تبّان.. وغيرهم)، وكان ذلك مقبُولاً بوصفه من آليات الفرار من النسب الكتامي، ولأن هذا الفرع العربي دخل تحت الاسم العام للمجال الكتامي، فمثلا الخليطان القبَليّان (بني حبيبي) و(بني مسلم) ظهر فيهما اسم الفرع العربي لكنهما داخلان تحت المجال الإجاني (الإرجاني) الكتامي عند مصب الوادي الكبير، وهذه الحالُ تنسحبُ على كل الروافد القبَليّة الأخرى المماثلة لهما. وبعيدًا تمامًا عن غرض الفصل بين هذه الروافد البربرية والعربية المنصهرة بعضُها في بعض انصهارًا يستحيل معه إعادة فرزها داخل الكنفدرالية الكتاميّة، سنحاول تقصّي روافد هذا العنصر العربيّ المستلحَم والفروع التي اختلط بها وتدامج معها بالتزاوج والتناسب والتصاهر والتساكن وغيرها من لدن نزوله بمنطقة جيجل.

وأوّل ما يلاحظه الباحث في هذه الروافد الأصولية العربيّة هو أن مواضعها واقعة على الطرق القديمة الكبرى الواصلة بمنطقة جيجل من مدن القل وقسنطينة

وميلة وسطيف، ذكر ذلك الإدريسي (ت.1166م) قال: "..**ومن القل إلى مدينة القسنطينة مرحلتان جنوباً والطريق في أرض تغلبت العرب عليها..**"[1]، وذلك راجعٌ في نظرنا إلى أن التوافد البشري على جيجل من طرف العنصر العربي كان من جهة الجنوب والشرق، حيث كانت تتمركز القبايل العربية الكبيرة وتتصارع على حكم الحواضر المركزيّة، ولذلك وجدنا تجمعات هذه الروافد على الطرق القديمة، وهي:

على الطريق القديمة (قسنطينة – جيجل) :

وتدخل على جبل سڤاو جهة بني تليلان نزولاً على الأعشاش إلى أولاد عيدون إلى حوض مصبّ الوادي الكبير ثم تمتد على شاطئ البحر إلى جيجل، وفيها الفروع القبليّة التي فرّت من الصراع بين القبايل العربيَّة على حكم مجالات قسنطينة في نهاية عهد الزيريين ومجيء الدولتين الموحدية والحفصية، إذ أرسلهم المستنصر بالله الفاطمي (ت. 1094م) إلى البلاد المغاربية انتقامًا من المعز بن باديس الصنهاجي، ثم عقد لهم على كبار مدنها كما يذكره ابن خلدون (ت.1403م): " **وكان المستنصر لما بعثهم إلى أفريقيا عقد لرجالاتهم على أمصارها وثغورها وقلدهم أعمالها، فعقد لموسى بن يحيى المرداسي على القيروان وباجة، وعقد لزغبة على طرابلس وقابس، وعقد لحسن بن سرحان على قسطنطينة (..) وأما دريد فكانوا أعز الأثبج وأعلاهم كعباً بما كانت الرياسة على الأثبج كلهم عند دخولهم إلى أفريقيا لحسن بن سرحان**

[1]– **الإدريسي**: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، م س، ص 120.

بن وبرة إحدى بطونهم، وكانت مواطنهم ما بين العناب إلى قسطنطينة.."[1]، فاقتسموا الموطن وتفرقوا فيه، وتقدّمت قبايل (أولاد عطيّة ابن دريد) شمالاً فسكنت جبل (بني حلوف) وهو جبل آقوف حاليًّا من مجالات (دنهاجة).

وبعدمَا قُتِل الحسن بن سرحان رئيس (دريد) قرب قسنطينة، تجدد صراع الفروع الهلاليّة وأدركهم الموحّدون في هذا التناحر، وأقبلت قبيلة (توبة بن دريد) من نواحي الطارف إلى شمال قسنطينة برياسة (أولاد مبارك بن عابد) ودخلت على تلّة (بني حلّوف) وحاربت (أولاد عطية بن دريد) فغلبتها وطردتها إلى ساحل رأس بوقرون عند دنهاجة، يقول ابن خلدون (ت.1403م): "**فأما أولاد عطية فكانت (..) لهم تلة بن حلوف من أرض قسطنطينة، ثم دثروا وتلاشوا، وغلبتهم توبة على تلة بن حلوف زحفوا إليها من مواطنهم بطارف مصقلة فملكوها وما إليها**.."[2]، فنزل هؤلاء (أولاد مبارك بن عابد) رؤساء قبيلة (توبة بن دريد) هنالك عند جبل (برّة)[3]، ومازالت القبيلة إلى اليوم تحمل الاسم نفسه (أولاد مبارك).

ولما جاء سلطان الحفصيين أبو إسحاق إبراهيم (ت. 1283م) في القرن 13م، دعم بطنًا آخر من البطون العربيّة وهم (بنو كعب) أو (الكعوب) زعماءُ بني سُلَيم، وكانت الرياسة فيهم لفرع يسمى (الأعشاش)، ذكر ذلك ابن خلدون (ت.1403م) بالتفصيل

[1]– **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص ص 32/26.

[2]– م ن، ج6، ص 32.

[3]– جبل (برّة) وجبل (الرمامن) بمنطقة السطارة قرب الميلية هما مركز قبيلة (أولاد مبارك).

لأنه كان قريب العهد بهم وأدركهم في عصره قال: "..**واستقام أمر بني كعب (..) وعلا شأنهم عند الدولة، واعتزوا على سائر بني سليم بن منصور، واستقرت رياستهم في ولد يعقوب بن كعب (..) وكان له من الولد سبعة، أربعة لأم وهم: أحمد وماضي وعلي ومحمد، وثلاثة لأم وهم: يزيد وبركات وعبد الغني، فنازع أحمد أولاد شيحة في رئاستهم على الكعوب (..) وهلك أحمد واستقرت الرياسة في ولده (..) وغلب رياسة بني أحمد هؤلاء على قومهم وتألَّفُوا ولد إخوتهم جميعاً، وعُرِفوا ما بين أحيائهم بالأعشاش إلى هذا العهد..**"[1]، وجاء بهم بعدهُ السلطان الحفصي أبو يحيى بن اللّحياني (ت.1317م) إلى قسنطينة وبجاية في جملة من جاء معه لدعم ركائز دولته، وحدثت بينهم الفتن التي ذكرها ابن خلدون (ت.1403م) أيضا: "..**ووفد على السلطان أبي يحيى بالثغر العربي من أفريقيا في بجاية وقسطنطينة وجاء في جملته، فلمّا مَلَك مُلْكَ تونس عقد له على قومه ورفعه على أنظاره، وغصى به بنو كعب فحرض عليه حمزة من الأعشاش محمد بن حامد بن يزيله..**"[2]، ويبدو أنهم حين جاءوا في جملة من جاء مع ابن اللحياني نزلوا مع قبيلة توبة في سفح جبل (بن حلوف) وغلبوهم عليه فاستلحموا من كان فيها من (بني حلوف) الكتاميين و(أولاد مبارك بن عابد) الهلاليين، وملكُوا أمرهم وعرفوا إلى يومنا هذا باسم (الأعشاش).

1– **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص 32.

2– م ص ن.

وكانت قبايل (رياح) الهلاليّة قد غلبت في زمن الموحّدين على سائر القبايل وتمكّن مُلكها بضواحي قسنطينة: "**واعتزت رياح بعهدهم بأفريقيا وملكوا ضواحي قسطنطينة**.."[1] واستمرت هذه السّيطرة إلى مجيء السلطان أبي زكريا الحفصي عام 632هـ/1235م إلى قسنطينة ونصرته لقبايل (قرفة) من الأثابج الهلاليين على (رياح) من الدواودة، فأخرجوهم من قسنطينة وهزموهم وفرقوهم في البلاد، ذكر ابن خلدون (ت.1403م): "..**ولما نبذ بنو أبي حفص العهد للدواودة (..) اصطنعوا قرفة من بطون الأثابج، فكانوا حرباً لرياح وشيعةً للسلطان**.."[2]، ومن الذي نعتقدُ أنهم هربوا من هذا الغزو فرع (رياح) المسمى (بني مسلم بن عقيل)، الذي نزل عند مصب الوادي الكبير في مجالات (إجانة).

ثم انقلبت الأمور على هؤلاء (قرفة) عندما استرجعت قبايل (رياح) من الدواودة الهلاليين المجد والقوة، فهربوا وتفرّقوا في الجبال الحصينة بشمال قسنطينة والأوراس كما يورده ابن خلدون (ت.1403م): "..**حتى إذا اختل ريح الدولة وأخلقت جِدّتها، واعتزت رياح عليها وملكوا المجالات على من يظعن فيها، نزل قرفة هؤلاء بجبل أوراس حيث إقطاعاتهم وسكنوه حللاً متفرقة واتخذوه وطناً**.."[3]، ومن الفارين يومها من ضواحي قسنطينة في تقديرنا قبايل (بني صبيح بن فاضل) من فروع (قرفة)، لأنهم اكتنفوا بجبل بني تليلان من فروع كتامة.

---

[1]– **ابن خلدون:** كتاب العبر، م س، ج6، ص 31.

[2]– م ص ن.

[3]– م ص ن.

ولما ملك المستنصر سلطان الحفصيين عام 646هـ/1249م حرّض فرع (الكعوب) على المرداسيين من بني سُليم فطردوهم وشتتوهم، ذكر ذلك ابن خلدون (ت.1403م): "**.. فلما استبدّ إبنه الأمير أبو زكريا بملك أفريقيا (..) جاء بمرداس وعلاق وهما بنو عوف بن سليم (..) إلى أن هلك الأمير أبو زكريا واستفحل ملك ابنه المستنصر من بعده، وعلا الكعوب بذمة قوية من السلطان (..) فحاربوا المرداسيين هؤلاء وغلبوهم على الأوطان والحظ من السلطان (..) ويختصون بالتغلب على ضواحي قسطنطينة..**"[1]، لذلك نحسبُ أن (بني حبيبي) الذين هم فرع من هؤلاء المرداسيين من بني سُلَيم هربوا في هذا الزمن ونزلوا قريبًا من (بني مسلم) قرب وادي إجانة عند مصب الوادي الكبير.

كما حارب المستنصرُ عربَ الدواودة بجيش عظيم عام 666هـ/1268م جمع فيه حلفاءه من الكعوب السُّلَميين أهل قسنطينة وبني دباب السُّلميين أهل طرابلس وبني هلال أهل المجالات المتوزعة، وسار بهم إلى شمال الأوراس فانضم إلى جيشه سدويكش الكتاميون، وعاقبوا الدواودة شر العقاب كما يذكره ابن خلدون: "**جمع السلطان أحلافه من كعوب بني سُلَيم ودباب وأفاريق بني هلال، وخرج من تونس سنة ست وستين وستمائة في عساكر (...) وضربت أعناقهم ونصبت أشلاؤهم بزواية من جهات نقاوس (...) وصبحهم هنالك فأجفلوا وتركوا الظهر والكراع والأبنية،**

[1]– **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص 98.

فامتلأت أيدي العساكر وسدويكش منها.."[1]، فيبدو أنه على إثر ذلك، رافق فرعٌ من هؤلاء (أولاد دباب) الطرابلسيين قبايلَ سدويكش ونزل في مجالات كتامة الميليّة عند جبل بوخداش، واستلحَمت تسميتُهُ فروع دنهاجة وقليلاً من ملوسة الكتاميين الموجودين هناك.

وهذه التفاصيل لأوجه الصراع بين الفروع الهلالية السُّلَميّة هو ما سمح لنا بتتبع أنوماستي لأسماء هذه القبايل وتنقلها على الطريق بين قسنطينة وجيجل، ونعتقد أنه نزلت بجانبي هذه الطريق قبايل من روافد عربيّة استلحمتها ثلاثة فروع كتامية:

- **في كنفدراليّة دنهاجة**: (أولاد عطيّة، أولاد مبارك، الأعشاش، أولاد دباب).
- **في كنفدراليّة ملوسة (بني تليلان)**: (بني صبيح).
- **في كنفدرالية إجانة (ارجانة)**: (بني مسلم، بني حبيبي).

على الطريق القديمة (سطيف – جيجل) :

وتدخل من جهتين، الأولى على تاسدان إلى جبل جيملة إلى فج تاكسانة إلى جيجل، والثانية على جبل بابور إلى مرج إزراڤن (إراڤن) إلى فج تاكسانة إلى جيجل، والظاهر أن هذه الطريق التجارية العائدة إلى العصور القديمة بقيت مستعملة في العصر الوسيط ولا تزال كذلك إلى اليوم، وكانت سطيف على زمن الموحدين في يد بني هلال وفروعهم برياسة (رياح)، ثم تقدّموا منها إلى جبل عجيسة وملكه فرع

---

[1]– **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص 424.

(عياض) منهم فصار يطلق عليه جبل عياض (المعاضيد)، ثم تملّكوا قلعة بني حماد وخرجوا سنة 559هـ/1164م عن السّلطة، فزحف إليهم عبد الله بن المؤمن في جيوش الموحدين وغلبهم وشتتهم، فتفرقوا في المواطن كما يذكره ابن خلدون (ت.1403م): "**ثم انتقض العرب الهلاليون واعصوصبوا على دعوة صنهاجة (..) فلقيتهم جيوش الموحدين بسطيف، وعليهم عبد الله بن المؤمن فتواقفوا ثلاثا علقوا فيها رواحلهم، وأثبتوا في مستنقع الموت أقدامهم، ثم انتفض في الرابعة جمعُهم واستلحمهم الموحّدون وغلبوا عليهم، وغنموا أموالهم وأسروا رجالهم وسبوا نساءهم**"[1]، وهرب فريق منهم إلى ضواحي فرجيوة يحملون اسم (العياضي)، ونحسبُ من الهاربين منهم أيضا (أولاد تبّان ابن المرتفع) فرّوا إلى جبال جيجل ونزلوا متفرقين بجبل تاكسانة غربًا، وفرع آخر فرّ إلى جنوب سطيف ونزل قرب (عين ولمان) ولهم اليوم بلدية (أولاد تبّان)، وفرع (بني صالح ابن المرتفع) نزلوا ساحل بازول بين بني عمران وأولاد بلعفو ثم طردوا من هناك إلى جبال إجانة الشرقية.

ثم بمجيء السلطان أبي زكريّا الحفصي عام 632هـ/1235م إلى قسنطينة ونصرته لقبايل (ڨرفة) من الأثابج الهلاليين كما ذكرناه عند تحقيقنا في قبيلة (بني صبيح بن فاضل)، ثم انقلاب الأمر عليهم وطردهم منهَا بعد ذلك من قبايل (رياح) مثلما أورده ابن خلدون (ت.1403م): "..**ولما نبذ بنو أبي حفص العهد للدواودة (..) اصطنعوا ڨرفة من بطون الأثابج، فكانوا حرباً لرياح وشيعةً للسلطان (..) حتى إذا اختل ريح**

[1]– **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص 28.

الدولة وأخلقت جِدّتها، واعتزت رياح عليها (..) نزل ڤرفة هؤلاء بجبل أوراس حيث إقطاعاتهم وسكنوه حللاً متفرقة.."[1]، نجد أيضًا ذِكر رياسة قبيلة (ڤرفة) في (أولاد نابت بن فاضل) الذين تفرقوا أيضًا إثر هذه الهزيمة بين شمال سطيف في جبل بابور، وجنوبها ناحية الأوراس وبلاد الزاب، ذكرهم ابن خلدون (ت.1403م) في عدّة مواضع: "..**ڤرفة (..) وهم بطون كثيرة، فأولهم: بنو محمد بن ڤرفة ويعرفون بالكلبية، وأولاد سهيب بن محمد بن كليب ويعرفون بالشبه، وأولاد صبيح بن فاضل بن محمد بن كليب ويعرفون بالصبحة (..) ثم أولاد نابت بن فاضل، وهم أهل الرياسة في ڤرفة.."**[2]، ونجد لهم فرعًا مكتنفًا في قبيلة بني زونداي من كنفدرالية ملوسة بالاسم نفسه (أولاد نابت) على جبل بابور، وزمنهم غير بعيد عن زمن بني عمومتهم (بني صبيح) لأننا نعتقد أنهم نزلوا بالمنطقة في عهد الحفصيين بعدما هزمتهم (رياح) وأخرجتهم من مجال قسنطينة. وهذه التفاصيل سمحت لنا بتتبع أنوماستي لأسماء هذه القبايل ومقاربة تنقلها على الطريق بين سطيف وجيجل، ثم استقرارها واستلحامها في المجال، ونعتقد أنه نزلت على جانبي هذه الطريق ثلاثة قبايل من روافد عربيّة في فرعين كتاميين:

- **في كنفدراليّة ملوسة (بني زُنداي–بني فوغال)**: (أولاد تبَّان، أولاد نابت).
- **في كنفدرالية إجَّانة (ارجانة)**: (بني صالح).

[1]– **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص 28.

[2]– م ن، ج6، ص31-32.

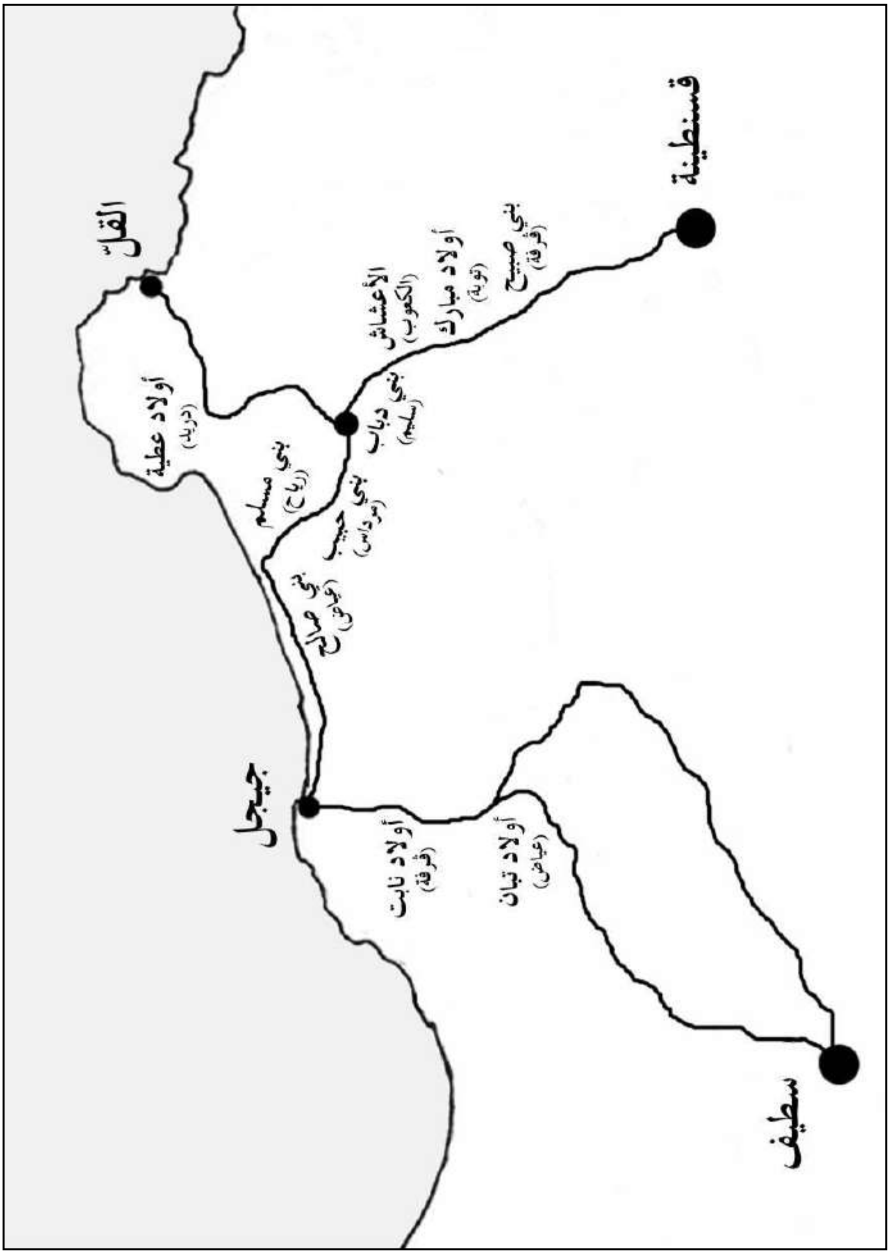

الفروع العربيّة (الهلاليّة والسُّلميّة) النازلة بمنطقة جيجل بين القرنين 12 و14م

❖ روافد رجال الشرفاء والأولياء الصالحين

لقد شاع في الجزائر عامّة وفي منطقة جيجل خاصة أن ينزل بها رجلُ علمٍ أو دين مشهور أو أسرة مرابطيّة معروفة، فيقدّسه الناس ويرفعونه ثم ينتسبون فيه طمعًا في نيل الرفعة بذلك، وما يزال هذا العرفُ سائدًا إلى اليوم، فيطلق على سكان سطيف تسمية (أولاد سيدي الخيّر) وهو ولي صالح عندهم، وعلى سكان قسنطينة (أولاد سيدي راشد)، وعلى سكان تلمسان (أولاد سيدي بومدين) وغيرها أمثلة كثيرة جدًّا، ولا يعني ذلك قطعًا أن هؤلاء الأولياء الصالحون والأشخاص أولو القدسيّة عند الناس هم أصلُهم النسَبيّ، ولكن تداول هذه التسميات للأسف خلق خلطًا تاريخيًا في الأصول وأسهم إسهامًا رئيسًا في تغييب الروايات الشفاهية الصحيحة، وهذا التأسف يجرّ معه بالتأكيد تأسفًا آخر على ضياع حلقة تاريخية أخرى تتمثل في الأخبار المتواترة إلى غاية الحقبة الاستدمارية الفرنسيَّة.

ومن خلال انتقالنا بين أعراش منطقة جيجل قيد دراستنا، وجَدنا أنه لا تخلو قبيلةٌ من وجود هذه الظّاهرة، مع بعض الاختلاف في طريقة تعاطي الناس معهَا والاعتبار بها، ويغلبُ على هذا الادعاء أن يكونَ ربطًا لنسب القبيلة بسلالة الأدارسة الشرفاء بالمغرب الأقصى، أو بمرابط من الساقية الحمراء ووادي الذهب، حتى يتصوّر الباحث أن المنطقة جميعها من هذه الأصول وأنها كانت خالية تمامًا قبل مجيء هؤلاء !!

ولا نعتقدُ أن الناس مالُوا إلى هذا الرأي من غير ظرف سياسي واجتماعيّ دفعهم إليه، وذلك أن حركة هؤلاء الشرفاء إلى الجزائر استقوى مدُّها فعليًّا في القرنين 13م و15م

بعد تكاثر الهجومات الصليبية على سواحل المغرب الأقصى وانهيار ممالك الأندلس، وكانت قبل ذلك رحلات إلى كبار الحواضر المشهورة لأغراض علميّة أو تعليميّة أو تجاريّة أو في قوافل الحج، لذلك يبدو لنا من خصوصيَّة منطقة جيجل أن الأسباب التي دعت سكانها إلى ادعاء هذا النسب هي:

ـ انهيار النفوذ الكتامي عقب استئثار صنهاجة بولاية الفاطميين، وطغيان الدول عليهم بعد ذلك إلى زمن الحفصيين كما شهد به ابن خلدون (ت.1403م)، حتى صار أهل كتامة الباقون ينتسبون في غير نسبهم، ويفرّون إلى أنساب أخرى.

ـ دخول المدّ الهلالي السُّلَمي إلى المنطقة، ومعه جاء تقديم اللسان العربي، وتقديس كل ما ينسب إلى أصل عربي أو نبويّ، وتقبيح كل ما ينسبُ إلى أصل كتامي، وإذاك فرّ أهل منطقة جيجل إلى نسب العرب الهلاليين أو العرب الأدارسة.

ـ تبني العثمانيين من بداية وجودهم في جيجل عام 1514م لنظام سياسي يعتمدُ شيوخ الزوايا ورؤوس الأسر المرابطية، فيستفيدُون من امتيازات حسن المعاملة والإعفاء الضريبي، ومن ثمة صار الانتساب في هؤلاء مطمعًا للساعين ومهربًا للناس من الضرائب، وقد كان هؤلاء المرابطون يقبلون هذا التزوير في النسب بغرض توسيع نفوذهم والاستفادة من كثرة الأتباع والمريدين في الحاجات السّلميّة والحربيّة.

ـ مناسبة هذا النسب الشريفيّ العربيّ لِنِحْلَة سكان منطقة جيجل وما حولها لآل البيت من زمن أبي عبد الله الداعي في القرن التاسع الميلادي، والتي لا تزال آثارها

الأنثروبولوجية موجودة إلى اليوم في لساهم (الفَاطْمِي، السيّد علي، آخّاه..) وفي خرافاتهم (ما دار السيّد علي في النصارى، حصان السيّد علي..)[1].

إنها أسباب معقولة ووجيهة يُعتذَرُ بها للانتفاء من النسب، فواضح أن الظروف السياسية والاجتماعيّة للمنطقة هي التي فرضتها على أهلها، لكن من المؤسف أن بعض عامّة سكان منطقة جيجل ومثقفيهم مازالوا يصرّون إلى اليوم على هذه الادعاءات دون دليل علميّ لأغراض لا تختلف كثيرًا عن أغراض الأوائل، وقد فات هؤلاء أن أبناء أسرة الأدارسة الشرفاء لم يغفلوا عن هذا الأمر، فاعتنوا بتدوين شجرة نسبهم غاية العناية وأنكروا في كتبهم الكثيرة المتفقة ادعاءات القبايل المنتسبين فيهم من غيرهم، وهو ما فتح لنا مجال البحث في صحة روايات القبايل الجيجلية التي تدّعي أصلها في الأدارسة الشرفاء، من خلال تقصي أصولها في كتب الشرفاء المتفقة لئلا نخرج عن منهج بحثنا في هذه الدراسة: البحث من خلال المصادر.

[1]– للتوسع في هذا الموضوع، انظر دراسات (رضا بن النية)، أستاذ بجامعة محمد لمين دباغين سطيف2.

❖ **التعريف بالنسب الشريف** :

بدأت قضيّة نسب النبيّ صلى الله عليه وسلّم تثار في حياته، بعدما توفيّ أبناؤه الذكور جميعًا، واتهمه بعض الكفار بأنه (**أبتر**) لا عقب له، فدافع الله تعالى عنه في سورة الكوثر قال (**إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ**) (الكوثر **03**)، وفهم الناس أن نسله مستمرٌّ في آل بيته فطفقوا يقدسُونهم غاية التقديس، لكن محمدًا عليه الصلاة والسلام نهاهم عن ذلك، وأوصى بأهل بيته خيرًا كما نص عليه حديث مسلم عن زيد ابن أرقم قال: "**قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أما بعد.. أيها الناس إنما أَنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربى فأجيب، وأنا تارك بينكم ثقلين، أولهما: كتاب الله، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به) فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال**: (**وأهل بيتى، أذكركم الله فى أهل بيتي) قالها ثلاثا**.." والأحاديث في توصيته عليه الصلاة والسلام بأهل بيته كثيرة ليس هذا مقام ذكرها.

وبعد وفاته صلى الله عليه وسلّم اشتدّ اختلاف الناس على تحديد أهله المقصودين في أحاديثه، فقال عطاء وعكرمة وابن عباس هم (زوجاته صلى الله عليه وسلم خاصة، لا رجل معهن) وذهبوا إلى أن البيت أريد به مساكن النبي صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى: (**وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ**) (الأحزاب **34**).. وذهبت فرقة أخرى منهم أبو سعيد الخذري وبعض التابعين منهم مجاهد وقتادة والزمخشري والكلبي أنهم: (عليٌّ وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم خاصة) واتبعهم الشيعة في ذلك.. وذهب فريق آخر منهم الفخر الرازي والقسطلاني إلى أنهم أولاده وأزواجه

صلى الله عليه وسلم والحسن والحسين، وعليٌّ منهم لمعاشرته فاطمة وملازمته النبي صلى الله عليه وسلم.. وذهب طائفة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومالك وغيرهم إلى أن أهل النبيّ هم (المتّقون من أمته)، وعلى ذلك -يقول الحكيم الترمذيّ- اعتمد الصوفية في أن آل النبيّ هم الأوليَاء الصالحون.

والحق الذي لا ينبغي التعويل على غيره في شأن تحديدهم أنهم كما أورده حديث زيد بن أرقم: "..**فقال له حصين: ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده، قال: ومن هم؟ قال: آل عليّ، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل العباس رضي الله عنهم**"، ومن هذا الحديث رجّح جلال الدين السُّيوطي بداية إطلاق مصطلح (الشرفاء) على أسرة النبي عليه الصلاة والسلام من أصوله الذين آمنوا من (بني عبد المطلب)، فقال: "**وآله صلى الله عليه وسلّم لا يكافئهم في النكاح أحد من الخلائق، ويطلق عليهم الأشراف، والواحد منهم شريف، وهم ولد عليّ وولد عقيل وولد جعفر وولد العباس، كذا مصطلح السلف الصالح، وإنما حدث التخصيص بولد الحسن والحسين بمصر خاصّة من عهد الخلفاء الفاطميين**"[1]، وقد نقل إلينا جعفر ابن الهيثم مناظرات[2] بعض الخلفاء العباسيين والفاطميين في قضية ميراث الخلافة.

[1]- **جلال الدين السيوطي** من: **أبو زيد عبد الرحمن بن عبد الله التوجيني**: عقد الجمان النفيس في ذكر الأعيان من شرفاء غريس، تحقيق دار الخليل القاسمي للنشر والتوزيع، بوسعادة الجزائر، ط1، 2005، ص09.

[2]- **انظر: جعفر بن الأسود بن الهيثم**: كتاب المناظرات، SOAS LIBRARY، د/ت، د/ط، ص02.

وأمّا في منطقة جيجل فيمكننا أن نقسّم ظاهرة المعتقد الشريفي إلى قسمين اثنين شائعين في قبايلها كلها، وهما كالآتي:

ـ أولهما المعتقد العبيديّ الفاطميّ الذي يحصر النسب الشريف في عليّ وفاطمة وابنيهما الحسن والحسين رضي الله عنهم جميعا، وأصحاب هذا المعتقد يحاولون ربط نسب القبيلة بسلاسل توصلهم إليه عبر قصص تربط نسب جدهم الأول بالمغرب الأقصى أو الساقية الحمراء ووادي الذهب والاتصال بنسب إدريس الحسني أو أخيه سليمان، بعضها أكدته كتب الأنساب وبعضها مدّعى ليس له إثبات.

ـ وثانيهما المعتقد الصوفيّ الذي يجعل كلّ من يبلغ شأوًا من العلم الديني والزهد واحدًا من أهل بيت النبيّ الشرفاء الذين قصدهم في حديثه (على تفسير الصوفيين)، ومن ثمة فكثير من العلماء وشيوخ المساجد ومعلمي القرآن من أصول كتامية وعربية في قبايل منطقة جيجل عُومِلوا معاملةً قُدسيّة على هذا الأساس، وذكر عنهم أهل قبيلتهم (الكرامات العجيبة) ليثبتوا هذا المعتقد للناس، ثم انتسبوا فيهم بعد ذلك.

❖ **النسب الإدريسيّ الحسني** :

يتعلق نسبُ شرفاء بلاد المغرب كما ذكره السنوسي الخطابي (ت.1859م) عن الحسن بن أبي الزرع في كتابه (الأنيس المطرب) ووافقه كلُّ من جاء بعده، بـ(**إدريس ابن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي وفاطمة رضي الله عنهم**)، وقد كان إدريس هذا مقيمًا مع أخيه (محمد بن عبد الله الكامل) المسمى

(النفس الزكيّة) الذي ثار على الخليفة المنصور العباسي بالحجاز عام 145هـ/762م، فأرسل إليهم المنصور جيشًا عظيمًا وهزمهم فاعتصموا بمكة واجتمع إليهم من أهلها ومن اليمن جيوش كثيرة، واستطال القتال بينهم أعوامًا حتى تولى المهديّ، ووقعت معركة عظيمة في شهر ذي الحجة من عام 169هـ/785م، فقُتل (محمّد النفس الزكيّة) وقبض المهديّ على كثير من الشرفاء، ففرّ إدريسُ برفقة مولاه وأخيه من الرضاعة (راشد ابن المرشد القرشي) متخفّيًا إلى مصر، وكان راشدُ هذا بربريًّا من قبيلة أوربة الشاويّة سباهُ موسى بن نصير في أعوام فتح المغرب، فلمَا سمع والي مصر عليّ بن سليمان الهاشميّ بوجود إدريس عنده كبر في نفسه أن يصيب دم آل النبيّ، فأرسل إليه سرًّا يدعوه للخروج من مصر إشفاقًا عليه من سيف العباسيين، فأشار راشدٌ على إدريس أن ينتقلَ إلى بلده المغرب لأنه أبعد عن سلطان بني العباس، وقبايله البربريّة منيعة على جيوشهم، فزودهما ابن سليمان واشترى لهما راحلة وأرسل معهما من أوصلهمَا سرًّا إلى مدينة برقة خارج حدود حكمه.[1]

ومن برقة أرسلهما أميرها (واضح مولى صالح بن منصور الحميري) إلى القيروَان، فلمَّا سمع به هارون الرشيد قطع رأسه وصلبهُ وأرسل عيونه وراء إدريس،

[1]– انظر: **أحمد بن محمد العشماوي المكّي**: السلسلة الوافية والياقوتة الصافية، تحقيق أبي الحسن على بن محمّد الديلمي، المطبعة الخلدونية تلمسان الجزائر، 1952م، ص 241، **وانظر: محمد بن علي السنوسي الخطابي**: الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية، طبع على نفقة ابنه محمد إدريس السنوسي، مطبعة الشباب مصر، 1927م، ص ص 44/43/42، **وانظر: أحمد بن يحيى البلاذري**: جمل من أنساب الأشراف، تحقيق سهيل زكار ورياض زركلي، دار الفكر، بيروت، 1997، ص598، **وانظر: محمد بن عبد القادر**: تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، المطبعة التجارية غرزوزي وجاويش، الاسكندرية مصر، 1903م، ج1، ص 29.

فتنكرَ في شكل عبدٍ لراشد القرشيّ حتى لا يعرفه الناس وخرجَا يحثَّان السير حتى نزلاَ مدينة تلمسان، فاستراحَا فيها لأيام ثم خرجَا إلى مدينة طنجة ومنها إلى مدينة (وليلى) عند جبل زرهون واستقرَّا فيها، فلمّا سمع بهما أميرها (إسحاق بن محمد بن عبد المجيد الأوربيّ) قصد إليهمَا وسعد بهما غاية السّعادة وأنزلهما في بيته وتولى خدمتهما بنفسه، كان ذلك يوم 01 ربيع الأول 172هـ/ 08 أوت 788م.[1]

اجتمع لإدريس في وليلى زعماء أوربة من (بني عبد المجيد)، وبايعوه على حكمها فالتحق به أخوه (سليمان بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن بن عليّ وفاطمة رضي الله عنهم) فاستقر لإدريس الملك مع أخيه، واتخذ له وزراء هم: مولاه راشد بن المرشد القرشيّ الأوربيّ[2]، والأمير إسحاق بن محمد بن عبد المجيد الأوربي، وأخوه عمر بن محمد عبد المجيد الأوربي، فزحف بهم على أراضى المغرب الأقصى وبايعته قبايله على الطاعة، وحارب من أبوا منهم حتى تمّ له السلطان عليه.

والحديث عن غزوات إدريس يطول وليس هذا مقام تفصيله، إنمَا أتينا بهذا التقديم لنذكر أنه هو وأخوه سليمان أصلُ شرفاء بلاد المغرب، وقصدُنا الوصول إلى نسله وكيف انتشر في البلاد المغاربيّة، فإنه في البداية تزوّج من أخت وزيريه الأورْبيين،

---

[1]– **انظر**: **المكناسي**: جذوة الاقتباس، م س، ص 20، **وانظر سراج الدين الرفاعي**: صحاح الأخبار في نسب السادة الفاطمية الأخيار، بخط حسين الشيرازي، مطبعة نخبة الأخيار، بهندمي بازار، 1885، ص28.

[2]– هو راشد بن منصت الأوربيّ نسبة إلى قبيلة أوربة البربرية الشاوية المنتشرة في المغرب الأوسط والأقصى، يقول السنوسي أنه من سبايا موسى ابن نصير نقل صغيرًا إلى المشرق فرضع مع إدريس، ونُسب إلى المرشد القرشي، **انظر**: **السنوسي الخطابي**: الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية، م س ص 47.

وكان اسمها (كنزة بنت محمّد بن عبد المجيد الأورْبي) الملقبة بـ (المرضيّة) فحملت منه.. ثم إن بني العباس أرسلُوا إلى إدريس من دسَّ له سمًّا في عطرٍ فمات سنة 176هـ/792م، وبعد موته بستة أشهر ولدت له زوجته (كنزة المرضيّة) ابنًا ولدًا عام 177هـ/793م فاستبشر الناس به وسموه على أبيه (إدريس) الأصغر.[1]

قام راشد بن المرشد على إدريس الأصغر يربيه ويعلّمه، فأخذ عنه القرآن واللغة والفقه والحديث والتفسير والبلاغة وعلوم السياسة وغيرها وهو صغير، حتى دسّ الأغالبة لراشد من قتلهُ سنة 186هـ/802م، فتولاّهُ خالد بن يزيد بن إلياس العبدي وبايعته القبايل من أهل المغرب الأقصى على الملك عام 188هـ/804م وهو ابن إحدى عشر سنة، فعالج البلاد بالغزو واختط مدينة فاس وبنى جامعها الأعظم المسمى اليوم (جامع الشرفاء) فاستقر له الأمرُ وتزوج وولد له اثنا عشر ولدًا هم: (محمد، أحمد، بلقاسم، عمر، عمران، علي، عيسى، يحيى، حمزة، عبد الله، داوود، كثير)، فلمّا توفّي إدريس الأصغر سنة 213هـ/828م ودفن بمدينة فاس خلفه ابنه (محمد بن إدريس) على الملك برعاية جدته (كنزة المرضيّة)، فأشارت عليه أن يشارك إخوته الحكم اتقاء الفتنة، فقام محمد بن إدريس بتولية إخوته على أقاليم المغرب الأقصى، وهنا بدأ توزع الأصول الشريفيّة على الأقطار، فكان كالآتي ذكره:[2]

[1]– **انظر**: **العشماوي**: السلسلة الوافية والياقوتة الصافية، م س، ص 243.

[2]– **انظر**: م ن، ص 244، **وانظر**: **محمد بن عبد القادر**: تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، م س، ج1، ص 31.

ابن إدريس		مجال ولايته	ابن إدريس		مجال ولايته
01	محمد	فاس ومجالاتها	07	أحمد	الهبط ومجالاتها
02	عمران	بادس ومجالاتها	08	حمزة	تازا ومجالاتها
03	عيسى	آعتاق ومجالاتها	09	يحيى	مراكش ومجالاتها
04	عبد الله	تادلة ومجالاتها	10	بلقاسم	سبتة ومجالاتها
05	عمر	تاجسست ومجالاتها	11	داوود	تلمسان ومجالاتها
06	علي	تافيلالت ومجالاتها	12	كثير	مالقة وغرناطة وجبل الفتح

إن تفصيل القول في أنساب هؤلاء الشرفاء من هذا العصر المتقدِّم سيطول بنا إلى مجلدات عديدة وضخمة تحتاج إلى إفراد دراسة مفصّلة لها، ولكن يُغنينا عن ذلك إحالة القارئ الكريم على أشهر كتب أنساب الشرفاء المحققة الكثيرة وهي متوفّرة[1]، وإنما سنقصُر بحثنا هنَا على الكتب التي ثبُت فيها أن أحدَ الشرفاء انتقل إلى منطقة جيجل قيد دراستنا، بالذكر الصريح الذي لا يراوده الشكُّ.

[1]– من المؤلفات المصدرية في هذا الموضوع: **المسعودي**: مروج الذهب، **ابن حزم**: جمهرة أنساب العرب، **ابن الكلبي**: جمهرة النسب، **البلاذري**: أنساب الأشراف، **المقري**: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، **السيوطي**: لب اللباب في تحرير الأنساب، **ابن خلدون**: كتاب العبر، **الغبريني**: عنوان الدراية في من عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، **التوجيني**: عقد الجمان النفيس في ذكر الأعيان من شرفاء غريس، **الزياني**: تحفة الحادي المطرب في رفع نسب شرفاء المغرب، **المكناسي**: جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، **مقيدش**: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، **القشتالي**: مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا، **ابن الأحمر**: أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن، **ابن مريم**: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، **العلوي**: الأنوار الحسنيّة، **ابن غازي**: الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، **الونشريسي**: الوفيات، **ابن قنفذ**: الوفيات/ أنس الفقير وعز الحقير، **عبد الله حشلاف**: سلسلة الأصول في شجرة أنساب الرسول، **العلوي**: لأنوار الحسنية في نسبة من بسجلماسة من الأشراف المحمّدية، **العشماوي**: التحقيق في النسب الوثيق/ السلسلة

والحقّ إنه بالرغم من رحلات هؤلاء الشرفاء من المغرب الأقصى إلى الجزائر وتونس وليبيا ومصر والشام والحجاز وكل الأصقاع، إلا أن جيجل لم تكن قبلةً جاذبة لهم منذ زمن الفاطميين، لأنّ المنطقة الكتاميّة تعرضت على مدى قرون طويلة للانتقام والاضطهاد والغزو من الدول السُّنيّة[1] المتداوِلة، بعد رحيل العبيديين إلى مصر وزوال الولاية من يدهم إلى يد الصنهاجيين خصوصًا بعد بزوغ نجم بجاية وأهلها زواوة، لذلك كانت معظم هجرات الشرفاء إلى بجاية ثم إلى جيجل -بشكليها (الجماعي) و(الفردي)- هي هجرات لجوء وتحصّن من جهة الغرب عمومًا، وهذا الذي سجلته لنا معظم الروايات الشفهية الميثولوجيّة الموجودة عند قبايل منطقة جيجل بأن جدّها الأول جاء من الغَرب.[2]

وسنستعرض ما أورده نسابة الشرفاء من الشواهد التي من شأنها أن تبيّن لنا حقيقة القبايل التي لها علاقة بهذا النسب بمنطقة جيجل، وذلك يرافقه طبعًا التأكد من وجود حدث تاريخي حقيقي يبرر مجيء هؤلاء إليها، ونقسّمها إلى قسمين:

الوافية والياقوتة الصافية، **القادري**: الدر السني في النسب الحسني، **السنوسي**: الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية، **محمد بن عبد القادر**: تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، **الحفناوي**: تعريف الخلف برجال السلف، **الرفاعي**: صحاح الأخبار في نسب السادة الفاطمية الأخيار، **الشباني الإدريسي**: مصابيح البشرية في أبناء خير البرية... ومصادر كثيرة أخرى.

[1]– **انظر**: **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص199-200.

[2]– الروايات الشفهية التي تناقلها كبار السن حفظت للباحثين بعض شذرات الحقيقة، لكنها أضافت خرافات ميثولوجية كثيرة تبررها فوضى فعل الرواية الشفهية، ومن ذلك أنهم نقلوا حقيقة مجيء مدّ الهجرة العكسية إليهم من الغرب، بعد ذهاب كثير من فروعهم مع الفاطميين وانزوائهم في الجبال.

ـ **الجماعات القبليّة**: (بني عمران) و(بني قايد) في كنفدرالية إجانة، و(أولاد طافر) و(أولاد عبد الرحمن) في كنفدرالية ملوسة، و(بني فرڤان) في كنفدرالية دنهاجة.

ـ **الأفراد**: والمذكور منهم في مجالاَت جيجل (عبد العزيز بن سليمان) و(محمد بن آمُقران) و(أحمد العَابد مولى الشقفة) و(عبد الله بن الأحرش).

❖ **نسب الأوليَاء الصالحين** :

وهم رجالٌ انتشر على لسان شيوخ منطقة جيجل أنهم أجداد قبايلهم، وانتسب فيهم الناس دون دليل ولا رواية متواترة تثبت ذلك، وعادة ما يكون أولئك رجالاً اشتهر ذكرهم لخاصيّة يختصون بها، وبعد بحثنا في المنطقة قيد دراستنا وجدنا أنهم إمَّا:

– رجل من سلالة الشرفاء ينزل عند ناس قبيلة فيقدّسونه لنسبه الشريف إلى أحفاد النبي صلى الله عليه وسلّم، ثم ينسبُون أنفسهم وقبيلتهم فيه رغبةً في نيل القداسة والبركة منه، والعزة بين القبايل الأخرى.

– شيخ قبيلةٍ موجودة من قبل، يشتهر ذِكْرُ سُلطته في زمن دولة من الدول، فتترك قبيلتهُ كلّها نسبها الأصليّ وتنتسبُ في هذا الجدّ الفرعيّ طمعًا في الاعتزاز به، ونيل الرفعة والمكانة بين الناس.

– عالم دينٍ أو معلّم القرآن ينزل في قبيلته أو في قبيلة غيرها، فيستغيث هؤلاء بعِلمه وورعه، ثم إذا توفي جعلوا قبره مزارًا، ثم انتسبُوا فيه وجعلوُه جدَّ القبيلة كلّها.

– مرابط نزل بمجالات القبيلة وأبهر الناس بالغرائب التي يستعين فيها عادة بالجنّ، ويسمّيهم للعامة (أولاي الله) أو (الصلاّح) أو (الأسيَاد)، فينخدعون بقدرته على شفاء مريضهم ومساعدة محتاجهم، فيقدسونه ولما يموت يجعلون له (قرّابة) يزورونها ويزردون لها، ثم ينتسبون فيه ويدّعون أنه جدّ القبيلة.

وكل هؤلاء يسمّون بعد وفاتهم (أولياء صالحين) بزعم الصوفيّة أنهم (آل النبيّ الشرفاء) لصلاحهم وحسن أعمالهم، فتعامل أضرحتهم معاملة التقديس، وتُزار ويزرّد لها ويستنجد عندها بأشكال شركيَّة لا تزال آثارها إلى يومنا هذا، ويتعصّب الناس لهذه الروايات الغريبة في أولئك الرجال تعصُّبًا شديدًا، لا شكّ طلبًا للمنافع نفسها التي انتسب أجدادهم فيهم لأجلها أوّل الأمر، ولا تكاد تخلو قبيلة واحدة أو فرع منها من هذه الظاهرة، فبعضها ثابتٌ بأدلّته، وبعضها لا يعدو أن يكون ما ذكرنا هنا.

فلمّا دخل الفرنسيُّون المنطقة، وأرسلوا من يتقصى قبايلها وأصولهم وفروعهم، سجلوا على ألسن الناس هذه الروايات الميثولوجية المدعّمة بالخرافات المهوّلة من شأن هؤلاء الرجال، وإضافات أدبيّة استعان بها الرّواة في الأسواق ليصنعوا من هؤلاء أبطال قصص عجائبية، ولكن الفرنسيين تجاهلوا التحقيق في ذلك وطفقوا ينقلون هذه الأمور في تقاريرهم التي صدرت أولاها سنة 1845م ثم في قانون سيناتوس كونسلت (Sénatus-consultes) ابتداء من سنة 1863م إلى 1900م.

❖ روافد الأسر الأندلسيّة والتركيّة :

وفي هذه الأنساب تخريفٌ كبيرٌ وادّعاءات تملأ الآفاق، وصلت إلى القول بأن الجزء الأكبر من سكان منطقة جيجل من أصول أندلسيّة وتركيّة، وهو ما أوجب التحقيق في هذا الرافد المهم وأثره في تشكيلَة البنيَة القبليّة للمنطقة، ولعلّ أكثر من خاض في هذا الموضوع وبالغ في الأحكام المتعلقة به هو فوزي سعد الله في كتابه عن الشتات الأندلسي، والذي كاد فيه أن يجزم بأن المهاجرين الأندلسيين غلبوا على العنصر المحلّي الجيجلي وبلغوا أعدادًا كبيرة وكان لهم الدور الرئيس في قيام دولة العثمانيين الأتراك من خلال نصرتهم للأخوين باربروس ومن معهم من الأتراك!!

إنه من المعقول جدًّا أن ينتشر هذا الادعاء الذي نعتقد أنه ناتج عن اعتزاز الذاكرة الجمعيّة بالانتصارات والأمجاد التي سجلها التحالف الجيجلي الأندلسي التركي على الصليبيين الجنويين والأسبان على وجه الخصوص، ولكن من غير المعقول البناء على هذه المعطيات لوحدها من أجل صناعة خارطة أصوليَّة جديدة لمنطقة جيجل تغفل غلبة العناصر المحليّة العريقة السّابقة لهجرة الأندلسيين، وإن يكُن التاريخ بالمشافهة قد تسبّب في تغييب أسماء قياداتها السّياسية المحليّة التي قاومت الغزو النورماندي سنة 1143م والغزو الجنوي سنة 1245م، فإنه من غير العادل أيضًا أن نُغفِل دور الأسرة المقرانيّة التي تنقلت من صدّوق (بجاية) وكان لها دور عظيم في حشد الجواجلة وراءها لنصرة مشروع توحيد المغرب الأوسط (الجزائر).

إن التحقيق في هذه المسألة يبدأ معنا من طرح التساؤل عن البداية المحتملة للهجرات الأندلسيّة إلى جيجل، والذي نحاول التأصيل له من زمن الدويلات بوجود طريق تجارية بحريّة بين ساحل جيجل والأندلس، فعندما هرب عبد الرحمن بن حبيب الفهري إلى كتامة جيجل ونزل في (قلعة خطّاب) أتبعه إليها يزيدُ ابن حاتم[1] ففرّ منها إلى الأندلس، وهي إحالة على وجود طرق بحريّة مباشرة بين جيجل والأندلس منذ الأزمنة الأولى للإسلام بالبلاد المغاربية، خصوصًا وأن الإدريسيّ ذكر على زمنه الكثير من مراسيها الهامة (مرسى الزيتونة، مرسى جيجل، مرسى المنصورية... وغيرها)، وهو ما يجعَلُنا أمام تساؤل لاَ إجابةَ عنهُ في المصادر: هل يمكن أنّ بعض الكتاميين انتقلوا بحرًا من جيجل مباشرة إلى الأندلُس وسكنُوها قبل هجرتهم برًّا إلى المغرب الأقصى؟

لا تخبرُنا المصادرُ إلاّ عن حدوث هجرات كتاميّة كثيفة في عهد الزحف الفاطمي على المغرب الأقصى، واستقرارهم في مواطن كثيرة سبق ذكرُها في هذا الكتاب، ثم منها انتقلت فروع كثيرة إلى الجزيرة الخضراء بالأندلس، وخصوصًا من إقليم الحسيمة الحالي القريب منها، وأطلقوا على مدينتهم اسم (**قصر كتامة**)، ذكره

[1]– **انظر**: **ابن الأثير**: الكامل، م س، ج5، ص 40، 52 **وابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص148، **وعلي خنوف**: تاريخ منطقة جيجل في قديما وحديثًا، م س، ص68 (نقل خنوف في الهامش رقم 11 عن ابن الأثير في الكامل ج5، ص60 ما نصه: "لما انهزم جيش الخوارج فر عبد الرحمن.. إلى جبال كتامة شمال قسنطينة واعتصم بقلعة صحاب، فأتبعه العلاء بن سعيد المهلبي، ففر عبد الرحمن عبر البحر إلى الأندلس.." ولكنني لم أجد هذا النص في النسخة التي عندي، وحتى تسمية "قلعة صحاب" فيها تصحيفٌ، لأن اليعقوبي ذكرها قريبًا من هذا الزمن باسم "قلعة خطّاب") .

ياقوت الحموي قال: "**قصر كتامة: مدينة بالجزيرة الخضراء من أرض الأندلس..**"[1]، كما استقرت بالأندلس عائلات من زواوة عزيزة المركز نقلها ابن حزم وعدَّها من كتامة، منها بنو المهلب في إلبيرة وبنو قاسم في البونت وبنو مشرف في شقندة[2] وغيرهم.. ولم تذكر المصادر للكتاميين وجودًا مؤثرًا في المدن الأندلسيّة الأخرى مثل مالقة وميورقة وغرناطة وسرقسطة، ولا ذكرت لهم ولايةً لأمرائها في الأزمنة كلّها، ولكن بعد بداية الهجرة العكسيّة للأندلسيين عقب تهاوي ملك الطوائف، حصر محمّد رزوق في تحقيقه هجرة أكثر سكان الجزيرة الخضراء -أي أندلسيُّو كتامة- إلى نواحي طنجة لقربها منهم (رحلة نصف يوم)، بينمَا جعل هجرة الغرناطيّين المتأخرين إلى أحواز وهران ومازونة وبجاية وكذلك بعض مدن تونس[3]، ولم يخالف فوزي سعد الله هذا الرأي، فقد قرّب بحثه الثقافي عنده أنّ أكثر النازلين بسواحل منطقة جيجل وأحوازها غرناطيّون قال: "**سوف تتحدث البنية الديمغرافية لجيجل و جبالها من تلقاء ذاتها عن البُعد الأندلسي لكل هذه المنطقة (..) غرناطية على الأرجح (..) ونقول غرناطية بالنظر إلى اللّهجة والعادات وأساليب العيش والإنتاج ولاعتبارات أخرى..**"[4]، وبالرغم من صواب هذا الرأي إلى حدّ ما إلا أنه غير كافٍ تمامًا لترجيحٍ

[1]- **ياقوت الحموي**: معجم البلدان، م س، ج4، ص 362. **وجلال الدين السيوطي**: لب اللباب في تحرير الأنساب، م س، ص 209. **وموسى لقبال**: دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، م س، ص169.

[2]- **انظر: ابن حزم**: جمهرة أنساب العرب، م س، ص 501.

[3]- **محمد رزوق**: الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16 و17، دكتوراه دولة منشورة، أفريقيا الشرق، الرباط، 1998، ط3، ص ص 155-156.

[4]- **فوزي سعد الله**: الشتات الأندلسي في الجزائر والعالم. دار قرطبة، الجزائر 2016.

مثلِ الذي أطلقه سعد الله، لأن اعتماده على تشابه اللسّان والعادات أساسٌ نَسَبيّ ضعيفٌ، فكيف لا تتشابهُ ألسنُ الجواجلة وعاداتُهم مع الطنجاويين وكتامةُ قريبةٌ جدّا منهم في تيطوان والحسيمَة؟ ونزل إليهم أيضا كتامة الجزيرة الخضراء؟ وكيف يظهَرُ الرافد الأندلسي على الرّوافد الجيجلية الأخرى إذا كان نزوله متأخرًا آخر القرن 15م ومطلع القرن 16م؟ كما أن أكثر الأندلسيين تزحزحوا إلى جيجل من بجاية بعد الغزوات المتتالية عليه من الأسبان، ثم انتقلوا بجموعهم مع الأخوين بارباروس بعدما انضموا إليهم، ويقرّ ناصر الدين سعيدوني ومحمد الحجّي الذين استشهد بهما سعد الله في كتابه على أن التحاق المورسكيين بجيجل كان بعد مجيء الأخوين، وأنهم انتقلوا عن جيجل إلى قسنطينة والعاصمة وغيرهما في غزوات الجيش، مما يوحي بأن وجودهم لم يبلغ الأعماق القبَليّة بشكل يسمحُ له بقلب الخارطة النسَبيّة، بل ذاب فيها لكونه أضعف من بنيتها الحصينة ومكانها في الجبال، وحتى حاجي خليفة الذي استشهد به سعد الله لم يذكُر عن (ججله) أي جيجل في كتابه شيئًا سوى عودة خير الدين إليها وإنقاذها من المجاعة بالغزو على سفن (الكفار)، بعد أن خرج عليه مشايخ الجزائر[1]، فلم يَذكُر عن مكوناتها البشرية شيء!

لا أدري من أين جاء فوزي سعد الله بقضيّة أن الرافد الأندلسيّ قد غلب في بداية زمن العثمانيين على باقي الروافد المحليّة الجيجليّة وهو الذي قادها إلى مجد

[1]– **حاجي خليفة**: تحفة الكبار في أسفار البحار. تحقيق وترجمة محمد حرب وتسنيم حرب، دار البشير للثقافة والعلوم، القاهرة –مصر، ط1، 2017. ص 95-96.

تأسيس الدولة! فحتى زواجُ خير الدين من فتاة جيجليّة من أصول أندلسيّة لا يكفي لترجيح هذا الرأي، بل يدلّ فقط على وجود عائلات أندلسيّة مرمُوقة بالمدينة أو بالمجال الجيجليّ، استمالها خير الدين بهذه المصاهرة أو استمالته هي من أجل حمايتها من متابعات الصليبيين الأسبان، وحتى ما ذكرهُ سعد الله نقلاً عن دييغو دي هاييدو (Diego DE HAËDO) بأنه تحدث عن الأندلسيين في الجيش الذي قاده عروج باباروس سنة 1515م لقتال ابن القاضي سلطان كوكو، لم نجد له أثرًا في كتابه حيث قال: "**فسَار لملاقاة سلطان كوكو في نفرٍ من المُشاة والفرسان وبعض حملة المكاحل، وتصادمَا عند جبل بني خيار – ويسمى أيضًا جبل الخيار– الذي يبعد عن جيجل بإثني عشر فرسخًا (..) تبعهم الأتراك وبربر جيجل وأحدثوا فيهم مقتلةً عظيمة (..) واصل زحفه كذلك منتصرًا، فاستسلم له في أيام قليلة أعداد كبيرة من بربر مملكة كوكو**"[1]، ولعلّ سعد الله لم يُصِبْ في تأويله وترجمته لكلمة

---

[1]– « Y como faliendole al encuentro el dicho Rey del Cuco, con alguna gente de fu Reyno a pie, y acauallo, y entre ellos algunos arcabuzeros, fe toparon los dos, en vna grande montaña, do ce leguas de Gigel, que fe dize la montaña de Benichiar, que quiere dezir : la montaña del Pepino (...) de que los turcos y **moros** de Gigel, mataron vn buen numero (…) y figuiendo fi empre la victoria, en pocos dias traxo a fu obediencia los mas de los **moros** de aquel Reyno del Cuco.»

Diego DE HAËDO : Topographia Et Historia General De Argel, Valladolid, 1612, Tratado Epitome De Los Reyes De Argel, Capitulo primero de Aruch Barbarroja primo Rey de Argel §VI, p 50. **Et Voir** : **Diego DE**

(Moros de Gigel) بالإسبانية في نص دو هاييدو التي ترجمها دو ڤرامون إلى الفرنسيّة (Mores de Gigelli) أي (البربرُ الجواجلة)، وهم في هذا السياق السُّكان المحليُّون وليس الأندلسيُّون كما قرأها سعد الله، لأن الفرقَ واضحٌ بين كلمة (Moros) التي تعني المغاربة البربر، وبين كلمة (Morescos) وبالفرنسية (Moresques) التي تعني الموريسكيُّون أي المغَاربة الأندلسيّون، بوصفها الكلمة التي التصق استعمالها بهؤلاء الفارّين من الصّليبيين بالأندلس، فاستدلالهُ بهذا المصدر مُجانبٌ تمامًا للصواب، بل يدلُ على عكس ما ذهب إليه، فقد كان الجواجلة المحليّون أكثر أنصار عروج وأخيه خير الدين بارباروس، بينما لم يكن الأندلسيون سوى عناصر قليلة وعائلات متفرقة يغلب عليها سكن المدينة أو الاستلحام بشكل محدود في المجالاَت الجبليّة.

وأبعدُ صوابًا من دليلِه الأوّل دليلُه الثاني الذي اعتمد على تشابه العناصر المورفولوجية والألسنية والعوائدية، وذلك من المتغيرات السريعة التي يحكمها التأثير والتأثر، ولا تكفي تمامًا لتكون دليلاً على ظُهُور رافد أصوليّ على الرّوافد الأخرى، بل يقتصر دليلاً على مروره ونيله دورًا مجتمعيًّا مهمًّا.

ولا يكفي أيضًا للتحدث عن وجود أندلسيّ قويّ التشابهُ الكبيرُ الذي تحدّث عنه فيليب مارسي (Philippe MARÇAIS) في أعماله اللُّغويّة عن كلام أهل

HAËDO: Histoire des rois d'Alger (Epítome de los reyes de Argel – Valladolid 1612), Trad et Annotée par H-D DE GRAMMONT, Adolphe Jourdan, Alger, 1881, p16.

الميليّة سنة 1936م، وعن كلام أهل جيجل عامّة سنة 1954م[1]، وشبهه بكلام المغاربة والأندلسيين، وكذا عملُ بلقاسم بلّعرج على لهجة بني فتح سنة 2008م[2]، فكلّها أعمالٌ لغوية لا تفضي بنا إلى أكثر من الاعتراف بحدوث تبادل التأثير والتأثر بين هذه المناطق، وربما بوجود روافد مستلحَمَة لم يكُن لها من حيثيات التأثير قدرٌ كافٍ لتظهَر على غيرها فاندمجت واندثرت، وهو حال أندلسيي منطقة جيجل.

ومن جانبٍ آخر، نلاحِظُ أن شذرات الرواية الميثولوجيّة الجمعيّة قد حفظت مجموعة من قصص هؤلاءِ الأندلسيّين النازلين في المنطقة، مع إضفاء قدرٍ غير يسير من الأسطرة على رحلاتهم العجائبيّة التي قادتهم من الأندلس إلى ساحل جيجل، خصوصًا بعد الحظوة التي نالوها والمكانة التي تبوؤوها عند قبايل المنطقة بفضل الإرث الحضاري الكبير الذي جاؤوا به معهم، فاستطاعوا بذلك أن يتسيّدوا على كثير من التجمعات القبليّة التي انتسبت فيهم بعد ذلك، مثل بني فتح وأولاد عيدُون وبني يدر وبني بلعيد، ولم يحظَ كثيرٌ من تلك العائِلات بهذه القيمَة فاستلحمتها الفروع القبَليّة واندثر ذكرُها، وأبرز شخصيتين تحولتَا إلى أصلٍ واضحٍ في قبايل منطقة جيجل هما:

---

[1]- **Voir** : **Philippe MARÇAIS**: Le parler Arabe de Djidjelli, Librairie d'Amérique et d'orient, Paris, 1954. **Et Philippe MARÇAIS**: Remarque Sur Un Fait Syntaxique Du Parler Arabe D'El-Milia, Revue Africaine, n°79 II, 1936, p1047.

[2]- **أنظر**: **بلقاسم بلعرج**: الدارجة الجزائرية وصلتها بالفصحى، دراسة لسانية للهجة بني فتح (جيجل)، مديرية النشر لجامعة قالمة، 2008.

- شخصيّة (العيد) المكنّى عيدون الذي يُروى أنه جاء بعائلته من الأندلس (الأرجح من غرناطة) ونزل بالضفة اليمنى للوادي الكبير (الميليَّة الحاليّة)[1]، فانضمّت إليه الفروع القبليّة الموجودة هناك ونسبتْ نفسها فيه (أولاد عيدُون) ثم أعادت تأسيس الكنفدراليّة القبليّة، فساعدها ذلك في تبوأ مركز القيَادة السياسيّة لمنطقة الوادي الكبير، بينمَا ترك نزوله بأقصى غرب (مرسى الزيتونة) في قبايل تلك الناحية أثره أيضًا إذ يبدو أنه ترك أحد أبنائه هناك ولعلهم لذلك أخذوا منه تسمية (بني ابن العِيد/ بلعيد) فعندهم قصة مشابهة لقصة أولاد عيدون.

- شخصيّة (أحمد العابد مولى الشقفة) وهو من الشرفاء بسلسلة نسبيّة متصلة عند الرّواة كما سيأتي ذكره في فصل رجال الشرفاء من هذا الكتاب، ويُروى أنه جاء من الأندلس (الأرجح من غرناطة) في سفينة، فأدركتها عاصفة أغرقتها ونجا هو إلى ساحل الجناح على شقفة خشبيّة من السفينة فنُسبَ إليها (مُولْ الشَّقْفَة)، وقد نزل إلى بني حبيبي وبني يدَر فانتسبوا فيه وجعلوه جدّهم[2] وسيّدوه عليهم.

أما العائلات التي تنسِبُ نفسها في الأندلسيين فكثيرة في الأعراش ومن أبرزها عائلات بني بلعيد وبني معمر وبني فتح وبني يدر وبني قايد وبني أحمد وغيرهم.. وهي في مجملها القبايل الساحليّة التي سمح لها موقعها المفتوح على البحر على

---

[1]- **Voir**: Rapport N° 182 de Sénatus-consultes, et **Voir** : Ouled Aidoun, le journal officiel, 1896.

[2]- **انظر**: **بوجمعة هيشور**: بنو كتامة، أعراش الوادي الكبير، جريدة النصر، 25 نوفمبر 1992، ص 12.

الخصوص بمخالطة هذا الرافد واستلحام عائلات منه نزلت عندها، فبقيت في رواياتها الميثولوجية الجمعيّة آثار ذلك.

وفي المحصّلة فإن المقاربة التي تسعى لجعل الجواجلة قبايل أندلسيّة فارّة من طغيان فيرناندو وإيزابيلا هي مقاربة ضعيفةٌ ومبنيةٌ على أسُسٍ من هواء، ولا يزيدُ هذا الرافد عن كونه مجموعة من العائلات الغرناطيّة في الغالب قصدت الساحل الشرقي للوطن الجزائري، وامتزجت بعناصره المحليّة فأثرت فيها وتأثرت بها، وخصوصا في المدن الكبرى، بينما يبقى العدد الذي وصل إلى منطقة جيجل محدودًا وضعيف التأثير على بنيتها القَبليّة القوية والحصينة في مجالاتها الجبليّة.

وبالعودة إلى الأصول التركيّة أو حتى الكرغليّة، نلاحظ غيابًا شبه التام حتى في الروايات الميثولوجيّة لهذا الرافد في البنية النسبيّة لقبايل منطقة جيجل، بالرغم من أنها كانت سبّاقة إلى احتضان هذا العنصر وتأييده، ولكنّه انتقل عنها بمجرد انتقال السلطة المركزية إلى الجزائر، واقتصر بقاؤه فيها على العنصر العسكري الذي تمركز في جيجل المدينة، بينما ظل المجال القبليّ الجيجلي خارج مجال السيطرة المباشرة للعثمانيين الأتراك، فلم تتغلغل الرّوافد التركية إليهَا إلاّ في شكل تجّار غير مستقرّين، وحتى القلّة القليلة جدّا الذين استقروا تمّ استلحامهم من الفروع القبليّة وغيّبت آثارهم سريعًا، خصوصًا بعدما ارتبط وجود العنصر التركي بسُلطة (محلّة الضرائب) فتحوّل

إلى غير مرغوب فيه عند قبايل منطقة جيجل، ووصل به الأمر في زمن إمارة ابن الأحرش إلى العداوة والقتال والانفصال.[1]

والفرع الوحيدُ الذي أخبرتنا المصادر أنه الرواية الجمعيّة تدّعي أصله في الأتراك هو فرع (أولاد بن فاضل) من قبيلة بني سيار، يُروى انه نزل بالقبيلة في نهاية القرن 17م[2] واندمج في فروعها، وهذا الادعاء كالذي قبله من بقايا الأحداث القديمة التي غلبت على نقلها المشافهة.. ولا يفوتنا أن ننبه في قضية الروافد التركيّة بأن تسميات مثل (بش ماقجي، بش طرزي، بش طنجي، قهواجي، حلواجي، شاوش، آغا..) هي ألقاب مهن وصنائع كان يحملها حتى غير الأتراك من القبايل المحليّة، فهي لا تدلّ دائمًا على النّسبِ التركي، ولا طائل من ادّعائه بداعي أنها صيغ تركيّة مالم يكن ثمة فعلاً أدلة في المصادر تثبت ذلك. وفي المحصّلة فإن نصيب الرافد التركيّ من منطقة جيجل محدودٌ جدًّا وضعيف التأثير وذائب في بنية الفروع القبليّة إلى حدّ الاندثار، إلاّ أنه بالرغم من ذلك موجودٌ من خلال بقاياه الجزئية.

[1]- **انظر: محمد الصالح ابن العنتري**: فريدة منيسة لدخول الترك بلد قسنطينة، تحقيق يحيى بوعزيز، ديوان المطبوعات الجامعية، 1991، ص 70.

[2]- **Voir** : **Louis RINN** : Le Royaume d'Alger sous le dernier Day, Revue Africaine, Op.cit, N° 228, 1898, p 306. **Et**: Rapport Officiel sur la tribu de Beni Siar 1845.

❖ روافد الأقليّات اليهوديّة والأوروبية :

لقد أحاط بهذا الموضوع الكثير من القلق والحذر عند الباحثين، بالنظر إلى العلاقات المتوترة التي تكررت عبر التاريخ بين العناصر الجزائريّة المحليّة والعنصرين اليهودي والأوروبي، والتي انتهت إلى عداءٍ عميقٍ في نفسيّة الجزائري الذي تراكم عنده غلبة الغدر على مواقف تلك الأقليّات في أكثر المنعرجات الحاسمة منذ أقدم العصور.

فلم يغفر الجزائري لليهُود أن خيانتهم تسببت في سقوط مدينة وهران بيد الأسبان وحدوث المذبحة الرهيبَة لسكانها سنة 1509م، ولم ينس لهم نفاقهم ورقصهم أمام القوات الفرنسية الزاحفة على أحياء مدينة الجزائر عند سقوطها بيد الفرنسيين سنة 1830م، ولم يتجاوز عن خيانتهم التي تسببت في سقوط مدينة قسنطينة بيد الاحتلال الفرنسي سنة 1837م، ولم يبلع لهم إدبارهم عن الحياة التي تقاسموها مع الجزائريين منذ القديم وإقبالهم على خدمة فرنسَا الاستعمارية والتجنس بجنسيتها سنة 1870م، ولا يمكن أن يتجاوز الجزائري عن ما يزال يراه من ممارسات فرقة الصهاينة منهم في فلسطين.. وخيانات أخرى كثيرة جدًّا نقشها التاريخ في قلوب الجزائريين، تنضافُ طبعًا إلى تجربتهم المريرة في التعامل مع هذا الجنس الذي تغلب عليه الانعزاليّة والأنانيّة وتقلّب المواقف واستغلال مآسي الناس في تعامُلاته الاجتماعية والتجارية والسياسية، وهو ما أسس عند المغاربي عمومًا والجزائري على وجه الخصوص أحكامًا مسبقة وجاهزة في حقه، وجعل من كلمة "يهودي" سبّة شديدة ولعنة بالغة الأذى.

أمّا الجنس الأوروبيّ عمومًا فقد نتجت معاداته عن الحروب المتكررة التي ما فتئت تتراكم على مرّ عصور التاريخ بين ضفتي المتوسّط، منذ الاستعمار اليوناني والروماني والوندالي والبيزنطي قديمًا إلى الأسباني والفرنسي والإيطالي والإنجليزي في الحقب المعاصرة، والذي مثلته خلفية مركّبة من صراع الدّيانات الذي استقر على تدافع شديد بين النصرانيّة والإسلام، وصراع الاقتصاد الذي استقر على تدافع كبير بين الجنوب والشمال، وما صبغ هذا الصراع هو حروب إبادية ضخمة ومجازر قروسطية رهيبَة تعلّم الجزائريون —خصوصًا— من خلالها أنّ الحذر واجب من الأقليات الأوروبيّة وأنّ التاريخ يعيدُ نفسه، لذلك شهدت الجزائر في الفترة الحديثة والمعاصرة تجربة مريرة جدًّا مع الجنس الأوروبي النصراني الذي جاء به الاستعمار الفرنسيّ، وبثه في أنحاء الجزائر بعدما انتزع من الجزائريين أراضيهم وكرامتهم وحريتهم، وحوّلهم إلى شعب فقير مطرود إلى شعاب الجبال والبوادي والصحاري، واستمرّت أفضلية أولئك الأوروبيين النصارى في المدن والأرياف الجزائرية طيلة زمن الاستعمار، بالرغم من نشوء جيلٍ من بعض الأفراد الذين عطفوا على العنصر المحلي، ولكنّ أيّ عطف وأي إنسانية أمام قضية عادلة كانت تحتاجُ إلى تسوية نهائية؟! وكان أحسن ردّ لتعاطف هؤلاء أن منحتهم اتفاقيات إيفيَان حقّ البقاء في الذمّة لمن أراد ذلك، ولكنّ الكراهية والبغضاء التي خلّفتها ممارسات الاستعمار لم تترك مجالا كافيًا لهذا التعايش، ما عدًا لأسر تعدّ على رؤوس الأصابع، وأفراد دخلوا في الدين الإسلامي واندمجوا وذابوا في الشعب الجزائري، فلم يبق لتلك الأصول البعيدة فيهم أثرٌ يُذكر إلا في السجلاّت.

وبالعَودة إلى اليهود، فإن الدراسات التي صدرت في البحث عنهم وعن مراحل تواجُدهم بالجزائر، قد تحدثت عنهم طويلاً في مؤلفات فرنسيّة وجزائرية، بداية من كتاب هنري ڤارو (Henri GARROT) سنة 1898م، الذي حاول فيه تقصي أصول نزولهم بالجزائر وأكبر المناطق التي انتشروا فيها[1]، ولكنه لم يذكُر لهم طريقًا إلى منطقة جيجل بل وافق الروايات الوسيطيّة التي تحدثت عن انتشارهم بالأوراس والهضاب والغرب الجزائري، وإن كان في قوله هذا نظرٌ لأن التوزع الذي صوره الوسيطيون في رواياتهم مبالغٌ فيه. ومن الدراسات التي حاولت شرح فكر الاستعمار الفرنسي ومشروعه قانون كريميُو لتجنيس اليهود سنة 1870م كتاب لويس فوراست (Louis FOREST)[2]، لكنه لم يتطرّق فيه بالتدقيق إلى مناطق انتشارهم في الجزائر.

عيسى شنوف من جهته تحدث بالتفصيل عن حياة هؤلاء اليهود في عهد العثمانيين الأتراك في إطار ما يسمّى "عقد الذمة"[3]، وأن حياتهم ازدهرت وتنامت بالرغم من المعاملة الحذرة التي كان السلاطينُ العثمانيون الأتراك يعاملونهم بها لمعرفتهم بخبثهم وسرعة غدرهم، وقد كان الجزائريون يتعاملون معهم بحذر شديد أيضًا ولا

[1]- **Henri GARROT**: Les Juifs Algériens - Leurs Origines, Librairie Louis RELIN, Alger, 1898.

[2]- **Louis FOREST**: La Naturalisation Des Juifs Algériens Et L’insurrection De 1871, Société Française D’imprimerie Et De Librairie, Paris.

[3]- **عيسى شنوف**: يهود الجزائر 2000 سنة من الوجود، دار المعرفة الجزائر، 2008، ص30.

يخالطونهم ويصفونهم بـ(اليهودي الربويّ)[1]، حتى صارت صفة (يهودي) شتيمة قبيحَة عندما يُرمَى بها أيّ مسلم، لأنها تحمل في ثناياها كل صفات الغَدر والسّوء والتعامل غير الأخلاقي، وقد رافقت هذه الشتائم الكثير من الأسَاطير عن أصُول بعض العائلات المتصارعة التي وصمَت بها بعضُها بعضًا من باب السّباب ثم تداولتها.

وأدقّ دراسة فرنسيّة تطرقت إليهم هي الكتاب الذي نشره الحاخام الأكبر لمدينة الجزائر موريس أيزنباث (Maurice EISENBETH) سنة 1936م عن التوزع الديموغرافي والأُنوماستي لليهود في بلدان شمال أفريقيَا (ليبيا، تونس، الجزائر، والمغرب) ، حين تحدث عن ثلاثة أصناف منهم: اليهود (بقايا مملكة يهوذا)، الإسرائيليين (بقايا مملكة إسرائيل)، المتهوّدون (من السكان المحليين)، وأورد جداول فيها أسماؤهم وأعدادهم ومهنهم ونِسَب توزعهم في المدن والأرياف، وهذا البحث على قدر خطير من الأهمية بوصفه صدر عن شخصية على اطلاعٍ تام بإحصائيات اليهود بوصفه الحاخام أكبر، لكن مقارباته في الشق الأُنوماستي سطحية جدًّا وبعيدة تمامًا عن الصواب، لأنها اعتمدت في أغلبها على تشابه الألقاب دون التحقيق في وجود رابط

[1]– "الربوي هو اليهودي" **أنظر**: **عيسى شنوف**: يهود الجزائر، م س، ص92، "التجارب والأيام علمتنا أن اليهود لا يأبهون إلا بمصالحهم الخاصة، حتى ولو أنها جاءت على حساب غيرهم من فقراء الناس. من هذه الوسائل القبيحة، أنهم كانوا يرهنون الأسرى مقابل مبلغ مالي معين إلى أمد معين، يجعلهم أحرارا في التصرف بالأسرى، إذا لم يسترجعوا المال المودع عند أصحاب الرهائن. وكانوا إضافة إلى ذلك، يقومون بإقراض أموال معينة إلى آجال محددة مقابل فوائد مختلفة (..) حيث شكل اليهود مجموعة كبيرة من المرابين النشيطين" **أنظر**: **علي أحمد**: اليهود في الأندلس والمغرب خلال العصور الوسطى، مجلة دراسات تاريخية، تصدر عن لجنة كتابة التاريخ العرب– جامعة دمشق، السنة 17، العددان 58/57، كانون الأول 1996، ص187.

فعليّ بين هؤلاء اليهود الحاملين لها والعائلات التي ربطهم أيزنباث بنسَبها، كما لم يأخذ في الحُسبَان تعدّد الألقاب المتشابهة في المواطن المتوزعة.

في منطقة جيجل، نقل أيزنباث أن الفرنسيين جاؤوا ببعض التجار اليهُود إلى تجمعات الأوروبيين في أربعة مدن هي: العوانة (Cavallo)، جيجل (Djidjelli)، الطاهير (Taher)، الميليّة (El-Milia)، ولكنّ عددهم كان قليلاً جدًّا (أقلّ من 25 نسمة)، وحتى هؤلاء القلّة مُقبِلُون من المدن المجاورة للتجارة وبيع المنتجات ولم يستقرّ منهم أحدٌ بالمنطقة[1]، والدّليلُ أنّ أيزنباث لم يورد ولو إسمًا واحدًا لليهود بهذه المدن الأربعة في جداوله التفصيليّة التي تتحدث عن عائلاتهم والمهن التي كانوا يمارسونها في إحصاء 22 مارس 1931م، كما لم يذكُر فوزي سعد الله –وهو ابن المنطقة– شيئًا عن وجودهم بمنطقة جيجل ما عدَا ما نقله عن ماري بوجيجا (Marie BUGÉJA) من وجود بعض مجموعاتهم بجبال (تاكيتونت)[2] ولكنهم بحسب رواية سعد الله كانوا امتدادًا لجماعة يهود جهة آقبو وڤرڤور في بجاية الذين كانوا يشتغلون بصناعة الحليّ، كما كانت شركة بكري–بوشناق تستولي على استغلال غابات الكريستة[3] (القرّيطة) ببجاية التي تمتدّ إلى أن تبلغ جزءً كبيرًا من غرب منطقة جيجل.

---

[1]– صورة "بائع متجوّل يهودي من قسنطينة العديد منهم كان يعبر طرق الجزائر متنقلا من دوار إلى دوار" **عيسى شنوف**: يهود الجزائر 2000 سنة من الوجود، م س، ص154.

[2]– **فوزي سعد الله**: يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، دار الأمة – الجزائر، ط2، 2004، ص142.

[3]– **أنظر**: م ن، ص239.

إن غياب العنصر اليهوديّ عن السكن بمنطقة جيجل لا يعني بتاتًا غيابه عن البِنية النسَبيّة لهم، لأن كثيرًا مِنَ اليهود وقعوا أسرى للغزوات البحريّة أو هاجروا من الأندلس هروبًا من طغيان المسيحيين، ثم دخلوا في الإسلام واندمجوا مع المكونات المحليّة الجزائرية، فالناس للأسف لا يفرّقون بين الحالات الثلاثة لليهود بالجزائر وهي:

- يهودي الأصل ويدين بالديانة اليهودية ويصطلح عليه بالإسرائيلي (Israélite)، وأسماؤهم مميزة غير أنهم أحيانًا يتخذون أسماء تشبه أسماء المسلمين نتيجة طول التعايش الثقافي بينهم، وهؤلاء لم يكُن لهم استقرار بمنطقة جيجل إلاّ في شكل تجّار متجولين، سواء اليهودي المحليّ (توشابيم) أو اليهودي المهاجر (ميغورشيم).

- يهودي الأصل ودخل في الإسلام، ويحافظ على اسمه الأصلي أو يغيّرهُ، ثم يذوب شيئا فشيئا مع تعاقب الأجيال في المجتمع المحلّي، ولا تبقى إلا رواياتٌ شفوية عن أصوله اليهوديّة تُستَدعى كلّمَا وقع بينه وبين غيره خلافٌ، وهذا الصنفُ مائعٌ أخلطت الرواية الشفوية بينه وبين المسلِمين المعيّرين بهذه "الشتيمة" في إطار التنابز بالألقاب بالشتائم في إطار الصراعات الاجتماعيّة، ولم نجد في أبحاثنا شيئًا عن هؤلاء لأن الكتابات لم تتحدث إلاّ عن الذين بقوا على ديانتهم اليهوديّة.

- جزائري مسلم ودخل إلى الديانة اليهوديّة، وهؤلاء حافظوا على أسمائهم المحليّة الأصليّة لذلك نجدُها شبيهة بأسماء المسلمين، وقد رحلوا سريعًا مع الفرنسيين سنة 1962م خوف أن يُدركهم انتقام الجزائريين جزاء ردتهم عن الإسلام.

3- مغالطات الرواية الشفهيّة والتقارير الفرنسيَّة

إن من يتقصى الروايات الشفهيَّة الميثولوجية المنتشرة اليَوم في قبايل منطقة جيجل يلاحظ عليها تخبُّطًا شديدًا في النقل، ونقصًا في التواتر الذي يشترطه المنهج العلميّ، ويدرك أنها تحولت من روايات في الأنساب إلى ميثولوجيا مركّبة، بعضها حقائق صحيحة تضاف إليها أساطير محكمةُ النّسج لتصير موجّهة إلى ما يخدم أغراضًا اجتماعية وسياسيّة وظَّفتها شخصيّات وجماعات في كل زمن بما يناسبها ويحقق لها المنفعة، لذلك وجدنا كبار السنّ يوغلون في نسبة أساطير البطولة والشهامة إلى قبايلهم وأعراشهم في كل العصور، ولا يجدون حرجًا في الانتساب إلى أي قبيلة تتحقق فيها شرعيّة السّيادة السياسيّة، وقد مرّت الرواية الميثولوجية بمنطقة جيجل بمراحل نوردها كما يلي:

الانتساب في كتامة :

وكان ذلك في زمن سيادة رجالها على مفاصل الدولة الفاطميّة واستفادة الفروع الكتاميّة من امتيازاتها، ثم ما فتئ أن نفرت الفروع القبليّة من هذا النسب بعد ذهاب ريح هذه الدولة عنهم، وانتسبت في غيره بشهادة ابن خلدون (ت.1403م) قال: **"ونسب كتامة لهذا العهد بين القبايل المثل الساخر في الدولة لما نكرتهم الدول من بعدهم أربعمائة سنة بانتحالهم الرافضة ومذاهبها الكفرية، حتى صار كثير من أهل نسبهم يفرون منه، وينتسبون فيمن سواهم من القبايل فراراً من هجنته والعزة لله**

وحده."[1]، ولذلك لا نجد قبيلة واحدة بمنطقة جيجل تدّعي أنها أصليّة وأن نسبَها في كتامة، بل انتقلوا إلى أنساب أخرى هروبًا من انتقام الدول.

الانتساب في العرب :

وذلك في المرحلة التي منحت فيها دول الزيريين ثم الحماديين ثم الموحدين سلطات واسعة على المجال الكتامي القديم لفروع (بني هلال) و(بني سُلَيم)، من أجل استعمالهم في الصراع بينها، وهو ما قصده ابن خلدون بقوله "..**وهم ينتفون من نسب كتامة ويفرون منه (...) وربما انتسبوا في سليم من قبائل مضر وليس ذلك بصحيح، وإنما هم من بطون كتامة.**."[2]، وكانت فديَة ذلك أن تخفوا وراء تعريب لسانهم، والقبول باستلحام بعض الفروع العربية لنواحيَ غير يسيرة من مجالاتهم.

الانتساب في الشرفاء والمرابطين :

وذلك في نهاية العهد الموحّدي وطوال زمن الحفصيين والمرينيين والعثمانيين، وهي المراحل التي نال فيها هؤلاء الشرفاء والمرابطون حظوة كبيرة من السلطان، واستعملت الدول المتداولة مكانتهم الدينيّة والروحيّة للتحكم في الجماعات القبليّة وإخضاعها وجمع الموارد الضريبية منها، في مقابل امتيازات كبيرة وتقديسٍ غالبًا ما يكون مبالغًا فيه، ففرّ الناس إلى الانتساب فيهم للاستفادة من هذه الامتيازات والتمتع بالسيادة

[1]– **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص199-200.

[2]– م س، ج6، ص197.

على أساس هذه الشرعيّة الدينيّة التي تستقي أحقّيتها من ادعاء الدّم النبويّ، وذلك ما وجد الفرنسيون عليه معظم قبايل منطقة جيجل والجزائر عمومًا، فتغاضوا عن التنقيب في المصادر وسجّلوا هذا الادعاء كما وجدوه في تقاريرهم[1].

الانتسَاب في الأحدَاث التاريخيّة :

والانتساب في الأحداث التاريخيّة عُرفٌ قديمٌ جدًّا اعتادَت جماعات البربرُ على استعماله في استحداث نسبٍ موّحد للجماعات المتكنفدة من أصول مختلفة، مثلمَا حدث مع نسّابة المسلمين الذين نسبُوا كل شعوب شمال قارة أفريقيا إلى كنفدرالية (باربار) ونقلَ لهم نسّابة البربر أيضًا نسبًا جينيالوجيًا خياليًّا في كنفدرالية (مازيڤ)، ولما لم يجدُوا لكل تلك الأخلاط خارطة نسبيّة واضحة جمعوهَا كلّها تحت حدث تاريخي واحد هو حرب طالوت وجالوت في القرن 11 ق.م واتخذوه تاريخًا لتأسيس أمة البربر، والحقيقة أن الذاكرة الجمعيّة لهؤلاء إنما تناقلت هذه الانتسابات والأحداث بدايةً في شكل روايات أسطوريّة، ثم تحوّلت هذه الروايات الشفوية أساسًا مع مرور الأجيَال وحركيّة التفكُّك وإعادة التكنفُد إلى المعلومات الوحيدة الباقية في أذهان الرُّواة، فلم يجِدُوا مفرًّا من الانتساب إليهَا ونقلها إلى مؤرخي المسلمين الفاتحين ونسّابتهم، وهم عندما ينافحُون عن هذه الأفكار إنما يتصوّرون أنهم ينافحون عن هذا التراث الملتصق عميقًا بهويتهم، ولا يُدركُون أنه لا أساس له في علم الأنساب.

[1]– **انظر**: **ابن العنتري**: تاريخ قسنطينة، م س، صفحات متفرقة، **وابن العطار**: تاريخ حاضرة قسنطينة، م س، صفحات متفرقة، وتقارير نابليون عن قبايل منطقة جيجل بين (1845م و1900م) في الجرائد الرسمية.

وقد شهدنا روايات أسطورية كثيرة مماثلة في منطقة جيجل وخصوصًا في العصر الحديث، عن أحداثٍ بارزة تحولّت إلى نسبٍ يتكرّر ادعاؤه عند كثير من الفروع القبليّة، بفعلِ تأثُّر الرّواة بوقعِها الشديد على مسار حيَاة سكان المنطقة، ورغبتهم العفويّة في استنساب هذه الأحداث المهمّة التي تحتوي على البطولات وتسجيلها في ذاكرة قبايلهم، وأبرزها حضورًا في المصادر الكتابيّة والشفويّة حيثيات قيام وسقوط (إمارة محمّد بن عبد الله ابن الأحرش البودالي الدرقاوي) بمنطقة جيجل من عاصمته (وادي زهور)، إذ كان لهذا الحدث السياسيّ أثرٌ بالغٌ في إعادة صياغة كثيرٍ من الروايات المتعلقة بأنساب بعض الفروع القبليّة بمنطقة جيجل، ومنها:

– **حادثة العايب**: وهي قصة المحلّة العثمانيّة لجمع الضرائب، والتي فرضت ضريبَة الضّيفَة على رجل فقير لا يملكُ إلا دجاجة أو ديك بحسب الرواية، فلمّا طبختها زوجته لهم قطَعت أحد رجليها ومنحته لصغيرها الذي أبدى اشتهاءً له، فلمّا سألوا عن الرِّجْل الناقص أجابتهم الزوجة بعدائيّة، فانتقموا منها بقطع رجل ابنها، فعمد والد الطفل وأعمامه إلى أفرشتهم ليلاً فقتلوهم وفرّوا هاربين خوفًا من انتقام سلطة العثمانيين الأتراك بقسنطينة. هذه الأسطورة نعتقدُ أنّها حدث مطلع القرن 19م ولعلّ لها علاقة بهجوم ابن الأحرش على قسنطينة سنة 1804م، ولكن فيرو ذكر عن قبيلة (بني عافر) أنّ مؤسسها (يخلف بن حسان) هو والد الطفل[1]، وأن قبيلتهم أسسها

[1]– **L. Charles FERAUD**: Histoire Des villes De la Provence de Constantine-Djidjelly, Op.cit, p79-80.

هذا الرجل نتيجةً لهذا الحدث، ونجد الرّواية نفسها عند كلّ من (أولاد مبارك) و(بني تليلان) وكذلك عند فرع (أولاد قاسم) من قبيلة أولاد عيدون، ولكننا نفترضُ وقوعها في عائلة لا تزال تحفظ لقبًا وصفيًّا قريبًا من هذه الحادثة هو (العايب) أو (بلعايب)، وهي متوزعة في مواطن كثيرة من منطقة جيجل وقسنطينَة والجزائر العاصمة.. وغيرها، ولا علاقة لها على مَا يبدُو بالقبايل المذكورة وما يدّعيه لها الرواة إلاّ من باب استنساب الأحداث.

- **تفجير مَخزن البارُود بوخدَاش:** وهذه الحادثة متعلّقة بفرع (أولاد دبّاب) من قبيلة أولاد عيدون، وتتمثل الرواية في إرسال باي قسنطينة إلى قيادات مشايخ الأعراش بمنطقة الميليّة، ومنهم مشيخة أولاد دباب وكانوا خمسة رجال، استدعاهم الباي ثم غدر بهم، فكان يُدخِلُ كلّ واحد منهم على حدى ويأمر بقتله، ثم يُنادى على التالي وهكذا، فقتل من قتل هنالك وهرب من بقي منهم إلى الصحراء، ثم ركب جنود الباي خيل المقتولين وقصدوا جبل بوخداش حيث حصن (أولاد دباب) الذي بنُوه على أنقاض مدينة بربريّة قديمة وجعلوا فيه مخزنَ بارودٍ، وكانت على رأسِ نسائهم امرأة يقال لها (بنت بن شعشع)، فلمَّا رأتهم النساءُ عرفن أنهم ليسُوا رجال القبيلة لأن رجالهن سُمر البشرة والذين جاؤوا على خيلهم بيضُ البشرة، فاعتصمن بالحصن وحاولن الدفاع عنه حتى لم يجدن إلاّ تفجير دار البارود، وحينها هلك جميع من في الحصن ولم يبق إلاّ من كان خارجه. وهذه القصة يدّعي رواةُ أهلنَا أولاد دباب أنها تأسيس العرش، وقد ذكرناها في كتابنا (التاريخ الكامل لمنطقة الميلية) وجزئه (ثورة

أولاد عيدون) نقلاً عن الخرافات التي تناقلها شيوخ أسرتنا شخصيًّا بوصفنا ننتمي إلى هذا العرش، ولكنها لا تعدو في اعتقادنا أن تكون حادثةً ربما وقعت فعلاً لأهل حصن أولاد دباب بتدبير من عبد الله باي قسنطينة الذي تولّى عام 1804م بعد مقتل عصمان باي بالميليَّة، واستطاع أن يقضي على إمارة ابن الأحرش سنة 1806م، ثم سعى للانتقام من قبايل الميليّة الذين أسهموا في قيامها وتوسّعها، فقد ذكر فيرو أنه حاول ذات يوم اغتيال ابن الأحرش بصندوق مفخخ كلّف (سي الحسين) شيخ بني تليلان بنقله إليه[1]، لكنه أخذ الصندوق لنفسه اعتقادًا منه أن فيه مجوهرات فانفجر فيه وفي أهله، أي أن هذه الأحداث الانتقامية التي قام بها الباي كان الهدفُ منها إضعاف قبايل المنطقة حتى لا يثوروا من جديد، ولذلك نفترضُ أن حادثة حصن بوخداش كانت انتصارًا مؤلِمًا لأولاد دبّاب فسجّلته ذاكرتهم، وأضافت عليها بعض الأسطرة والتحوير، وقد أحاطت بهم شماتة العثمانيين الأتراك بقسنطينة الذين أغاضتهم جدّة العرش التي قاومت هجُومهم على الحصن بشجاعة، فسبُّوها وشتمُوها واتهموها بأنها (يهودية) حتى يبرروا انتصار نساء أولاد دبّاب عليهم بتفكيرهن في تفجير مخزن البارود، ولكن بعيدًا عن هذه الأساطير كلّها التي تميُّزها الشفويّة، لا يصحُّ انتماء أولاد دباب في هذه الحادثة التاريخيّة، لأنهم كما ذكرنا أخلاطٌ كثيرةٌ من قبايل دنهاجة وملوسة الكتاميتين ودباب بني سُلَيم.

---

[1]- **L. Charles FERAUD**: Histoire Des villes De la Provence de Constantine- Djidjelly, Op.cit, p211-212

– **حادثة المُرابط موسى**: هذا الحدث متعلّق بقبيلة (بني أحمد) التي ادّعت نسبها في رجل انتقل من شبه الجزيرة العربيّة إلى المغرب الأقصى في تاريخ غير معلوم، فأكرمه ملك المغرب واصطنعه في قصره مدّةً فمكث فيه ثم خج منه إلى قبيلة بني يدر، فأكرموا ضيافته وحملوه معهم عند هجرتهم إلى منطقة جيجل في القرن 14م. وقد اعتاد هذا الشيخ أن يستضاف في كل المحافل الكبيرة، لكن بني يدر ـ حسب رواية فيرو ـ أهملوه ذات مرّة، فخرج من عندهم مغضَبًا ورحل حتى نزل (وادي منشة) من مجالات قبيلة (بني أحمد) قرب مدينة جيجل، فاستوحى في نفسه أن البلد سيصير إليه وأنه سيرزق بابن وبنت يسميهما (فروج) و(فروجة)، فعاش حتى توُفي هناك، وبقيت سلالته (أولاد المرابط موسى)[1]. هذه الحادثة سجّلتها الذاكرة الجمعيّة لقبيلة بني أحمد وتناقلتها ثم أدخلت عليها أسطرة كبيرة وتمجيدًا انتهى بجعلها أصل تأسيس القبيلة، ولكننا نرى في ذلك أيضًا مجرّد استنساب حدث تاريخي كما رأيناه في الحادثتين السّابقتين، لأن هؤلاء بني أحمد أيضًا أخلاطٌ كثيرة سبق شرحها والله أعلم.

هذا العُرفُ التمجيديُّ للأحداث التاريخية لم يُضِف إلى البحث في أنساب قبايل منطقة جيجل شيئًا، بل زادها خلطًا وخرطًا، وجعل من الصعوبة البالغة على غير المحققين العمل عليها، ففرّ الناسُ من هذه الصعوبة إلى سطحيّة المقاربات الفرنسيّة التي سجلت هذه الخرافات وجعلتها أنسابًا، وأشاعوها بينهم.

---

[1]– **L. Charles FERAUD**: Histoire Des villes De la Provence de Constantine-Djidjelly, Op.cit, p86.

لقد جرّت هذه الرواياتُ الجمعيّةُ الميثولوجيةُ علمَ الأنساب إلى الوقوع في التخريف والخرط المعرفي، خُصوصًا وأنها أفضت بالباحثين الفرنسيين إلى القول بأن منطقة جيجل خلت من أهلها بعد هجرة كتامة مع الفاطميين في بدايات العصر الوسيط، ثم بدأ التغلغل إليها من جديد بصفة فردية أو جماعاتٍ وعائلاتٍ[1] هربت من الصراعات في المدن الكبرى وتجمعت مكونة ما يصطلح عليه حسني قيطوني بـ(**إعادة الاستيطان**)[2] في إشارة منه إلى هجرة القبايل الكتاميّة عن آخرها وعودة الاستيطان إلى منطقة جيجل بهذا الشكل الفردي المحتشم الذي ذكره الفرنسيون، ولذلك كتب هؤلاء الفرنسيون كل ما هبّ ودبّ مما نقله إليهم شيوخ الأعراش الذين توارثوا تلك الروايات الميثولوجيّة، وتبنّوها لأنها لم تكن تتعارض مع أغراضهم في تفتيت قبايل المنطقة، وادعاء كل واحدة في أصل مختلف لتفريق حميّتها وتسهيل احتلالها، وجرفوا معهم الباحثين السطحيين الذين يُعوِزهم منهج التحري الدقيق في مسار تشكّب البنية النسَبيّة لساكنة منطقة جيجل في كل المراحل التاريخية، وأنتج ذلك في مرحلة ثانية انفصامًا هوياتيا خطيرًا في المستوى الشعبي عجز الأكاديميون اليوم في الحدّ منه بتقديم مقارباتٍ مُقنعة تعُوض خرافات الفرنسيين، فيما عدا الجهود الحثيثة للباحثين علاّوة عمارة وحسين بوبيدي.

---

[1]– **هذا الرأي** تبناه معظم الباحثين الفرنسيين من أمثال: ميرسيي ولوسياني وفيرو، وأخذه عنهم علي خنوف وحسني قيطوني انظر: **علي خنوف**: تاريخ منطقة جيجل قديما وحديثا، م س، ص12، **وانظر**: **Hosni KITOUNI** : La Kabylie Orientale dans l'Histoire, Op.cit, p62.

[2]– **Ibid**, (Repeuplement), p62.

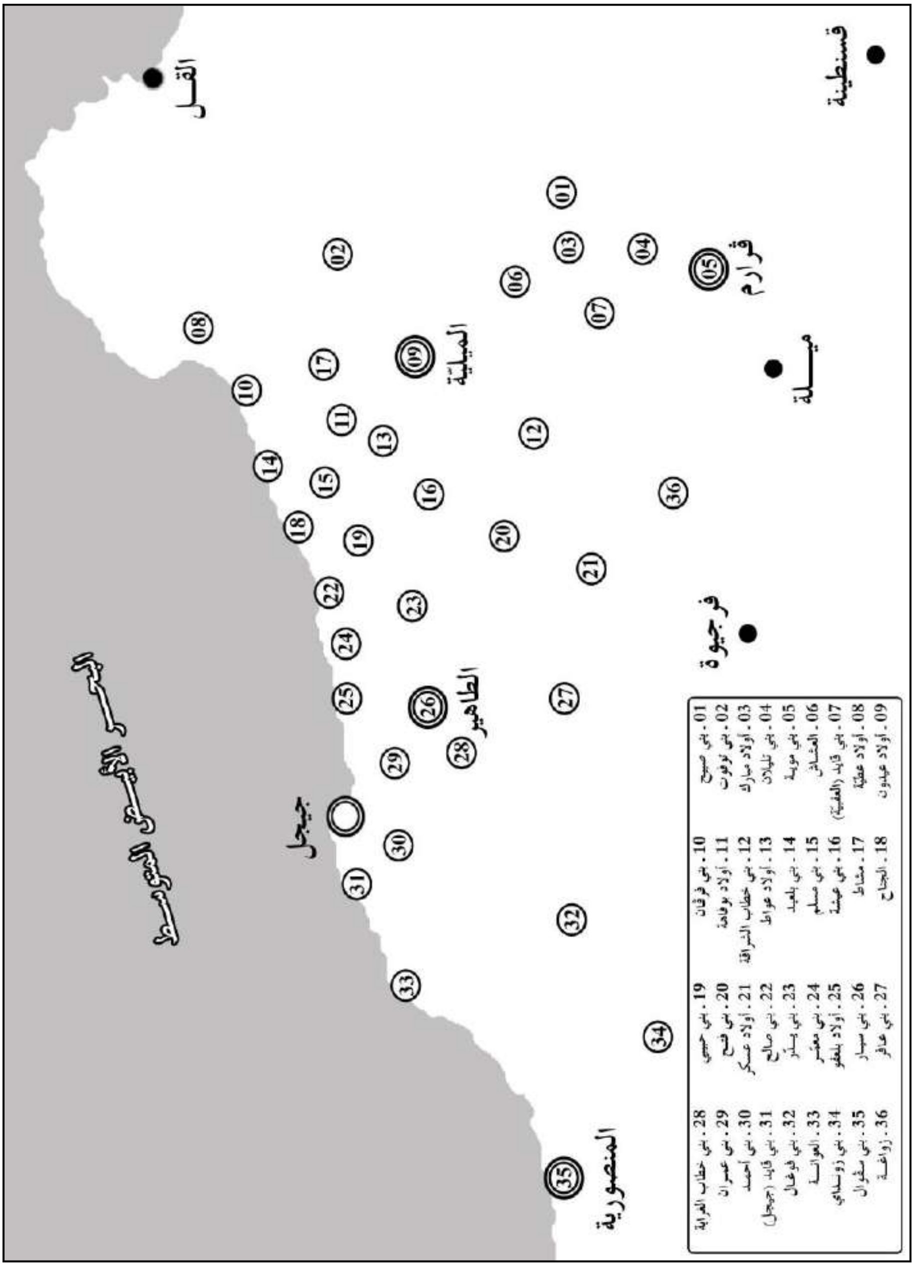

مجالات التجمعات القبليّة الكبرى بمنطقة جيجل في تقارير الفرنسيين لسنة 1845م

4- خلاصة في تشكل بنيَة الفرد الجيجلي في العصر الحديث

لقد غاب عن هؤلاء أنهم إن أعملوا شيئا من تقنيات التقصّي العلميّ وجدوا قبايل منطقة جيجل مذكورة في المصادر القديمة والوسيطيّة بشكل متصلٍ دون انقطاع وكافٍ للقول بأنها بقيت مكتظة بالسكان في كل العصور، فديودور وبْطُلِيمُوس ومارسلان وبوتنجر.. وغيرهم أعطونا خرائط تفصيلية وروايات عن الأحداث التي تحكمت في الحركة الديمغرافية بمنطقة جيجل في العصر القديم إلى غاية تشكل (الكنفدرالية الكتامية) التي تحولت إلى إمارة مستقلة على زمن الوندال، ثم من بعدهُم اليعقوبي (ت.905م)، القاضي النعمان (ت.974م)، ابن حوقل (ت.977م)، البكري (ت.1094م)، الإدريسي (ت.1166م)، صاحب الاستبصار (كان حيا.1192م)، ابن الأثير (ت.1232م)، ابن عذاري (ت.1296م)، الحميري (ت.1327م)، أبو الفدا (ت.1331م)، ابن الكلبي الجزي الغرناطي (ت.1357م)، النميري (ت.1367م)، ابن خلدون (ت.1403م)، الوزان ليون الفاسي (ت.1537م)، عبد الرحمن الفاسي (ت.1685م)، العشماوي (كان حيا.1729م)، ابن سحنون الراشدي (ت بعد.1796م)، السنوسي الخطابي (ت.1859م)، ابن العنتري (ت بعد.1870م)، ابن المبارك بن العطار (ت.1870م)، فأوردوها بذكرٍ متّصل لم ينقطع منذ مجيء الفتح الإسلامي وبروز الكنفدرالية الكتامية إلى الواجهة في زمن قيَام الدولة الفاطميّة إلى زمن دخول الفرنسيين، كما لم يذكروا شيئا عن تفريغ منطقة جيجل على غرار مدن أخرى مثل ميلة التي هدمت ونقل سكانها إلى باغاية في زمن الموحدين، وذلك ما جعل ابن خلدون يستثنيها من هجرة الفروع الكتامية في قوله: **"وبقي في مواطنهم الأولى بجبل أوراس وجوانبه من البسائط بقايا من قبايلهم على**

أسمائها وألقابها، والآخرون بغير لقبهم وكلهم رعايا معبدون للمغارم إلا من اعتصم بقنة الجبل مثل بني زلدوي بجبالهم وأهل جبال جيجل وزواوة.."[1]، ودعم رأيه هذا وجود قيادة سياسية لهؤلاء المعتصمين بجبال جيجل، متمثلة في إمارة (أولاد ثابت) من بني تليلان بمنطقة الميليّة الحاليّة مثلما أورده ابن خلدون نفسه والنميري اللّذين عاصرا هذه السيادة والأحداث التي رافقتها.

هذه الشواهد الرصينة المتصلة تهدم المقاربة الفرنسيّة وتحبط أتباعها، وتدحض فكرة **(إعادة الاستيطان)**، وتسمحُ لنا بترجيح انحسار **(الكُنفدراليّة الكتاميّة)** إلى جبال بابور وفرجيوة وجيجل والميليّة والقلّ بعد ذهاب سيادتهم في السهول وكبار الحواضر، باستثناء فروع (كنفدرالية سدويكش) التي حافظت على توزعها في منطقة ميلة والأوراس والهضاب، ثم وقوع **(اسلتحام)** لعناصر أخرى دخلت إلى المجال الكتامي الجيجلي في العصر الحديث، أي فروع وعائلات وأشخاص من **(روافد)** كثيرة بربرية وعربية وشريفيّة وزنجيّة وأندلسيّة ويهوديّة وتركية وأوروبيّة، جاءت بها الأحداث السّياسيَّة والتغيرات الاجتماعية لتندمج في العنصر الكتامي، وتشكل في النهاية **(بِنْيَة قَبَليّة)** جدّ معقّدة ومتمازجة وذات طابع **(كنفدرالي)** يميزه **(ظُهُور كُتامة)** أي غَلَبَتُها على غيرها، ويصطبغ بصبغة الفرار من نسبها وادعاء غيره.

---

[1]– **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص196.

الفصل الخامس:

أَشَهَرُ المُنْتَسَب إليهم

من رجال الشرفاء والأولياء الصالحين

1- نسب رجال الشرفاء:

عبد العزيز :

لم نكد نجد لهذا الرجل النازل بناحية جيجل ذكرًا في كتب نسّابة الشرفاء فيمَا عدَا ما ذكره الجزّي الكلبي الغرناطي (ت.1357م) أنه وجدَ هذا الرجل بضواحي جيجل في حياته مطلع القرن 14م، قال: "**وفي جيجل وزواوة وأبجاية بنو عبد العزيز ويوسف ابني سليمان بن يحيى بن عمران بن محمد بن عمران بن داود بن عمران الأكبر الحسني...**"[1]، فجعلَهُ الغرناطي إذن في شرفاء العمرانيين ومن أبناء (عبد الله بن إدريس)، لأن من يتقصى هذا النسب عنده يجده متصلاً كما يلي: (عبد العزيز بن سليمان بن يحيى بن عمران بن محمد بن داود بن عمران بن عبد الرحمن بن صالح بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب)، وإنّ ذِكرَ وُجودِه بمنطقة جيجل قبلَ الجزي الكلبي (ت.1357م) المولود سنة 693هـ/1294م يجعلنا نتصور نزوله بها في نهاية القرن 13م على الأقل، وهو بذلك متزامنٌ وغير بعيد عن نزول بني عمومته قبايل (بني عمران) و(بني قايد) بالمنطقة نفسها، لذلك يبدو لنا من المنطقي جدًّا أن يكون كلام الجزّي الكلبي (ت.1357م) قريبًا من الصّواب ومتناسب الجوانب.

[1]– **الجزّي الكلبي الغرناطي**: الأنوار في نسب آل النبي المختار، تحقيق السيّد مهدي الرجائي، مكتبة النجفي الكبرى، قم – إيران، ط1، 2010، ص77، (لم يعرف المحقق مهدي الرجائي اسم المنطقة فكتبها "**ججل وزاوة وأبجاية**" بينما هي جيجل وزواوة وبجاية).

وتنقلُ إلينا الرواية الميثولوجية الجمعيّة أن (سيدي عبد العزيز) كان أوّلُ نزوله بمنطقة تاسوست في قبيلة (بني عمران)، وهو قول معقول جدًّا ما داموا بني عمومة له في أبناء (عبد الله بن إدريس)، ولهُ هناك مقامٌ كان يزوره الناس للتبرك بمقبرة تاسوست المركزية المحاذية لجامعة جيجل اليوم مازال يُسمى كما هو إلى اليوم مقام (**سيدي عبد العزيز**)، ويبدُو أنه كان زاوية علميّة يدرّس فيها هذا الشريف القرآن وعلُوم الدين كدأب آله من الشرفاء النازلين بالمنطقة وغيرها.

وتخلطُ الرواية الجمعيّة في تاريخ نزول سيدي عبد العزيز بجيجل، فيدّعي كبار السنّ أنه نزل مع إخوته بمنطقة قاوس في قبيلة (بني خطّاب) في القرن 17م، ثم ساروا شرقًا فمرض عبد العزيز ونزل (وادي بويوسف) عند ساحل (تازروت)[1] للتداوي عند قبيلة (بني صالح)، فألزموه البقاء بينهم للتعليم والفتوى، فنزل عندهم حتى وفاته ودفن في أعلى هضبة صغيرة في وسط سوقهم بالساحل ونُسِبَ إلى الطريقة الخذيريّة التي لا نعلم كيف ومتى ومن أي طريق وصلت إلى هذه المنطقة من جيجل، كما تنقل إلينا الرواية أن (سيدي عبد العزيز) كان معاصرًا لـ(عبد الله مولى الشقفة) الذي شارك في ردّ حملة الإسبان على الجزائر بقيادة أورايلي سنة 1775م وله كرامات عجيبَة، وأكرمه باشا الجزائر بمنحه سلسلة حوانيت في شارع يحمل تسميته في قصبة الجزائر.

1– **تازروت:** الاسم القديم لبلدية (وادي بويوسف) التي تسمى اليوم (سيدي عبد العزيز)، وذلك نسبةً للجزيرة الصخرية المقابلة لساحل قبيلة (بني صالح)، لأن تازروت مصطلح بربري معناه في العربية (الصخرة).

إن المدى الزمني بين (سيدي عبد العزيز بن سليمان) الذي ذكره الجزي الغرناطي و(سيدي عبد العزيز) الذي تدّعي الرواية الميثولوجية الجمعيّة أنه نزيل تازروت بعيدٌ جدّا، وإلا فأين القرن 13م زمن نزول الأول من القرن 17م زمن نزول الثاني والقرن 18م زمن صداقته مع مولى الشقفة؟؟ كما أن نزوله الأوّل لم يكن بمنطقة قاوس (دار القجالي قديمًا) لانعدام شاهدٍ يدلّ على ذلك، بل بمنطقة تاسوست التي لا يزال مقامه فيها كما ذكرنا، ولذلك نحتمل ثلاثة فرضيات:

- أن يكون (عبد العزيز بن سليمان) نزيل تاسوست غير (عبد العزيز) نزيل تازروت بني صالح، أي أن كل واحدٍ منهما نزل في عصر مخالف.
- أن يكون (عبد العزيز بن سليمان) نزيل تاسوست هو نفسه نزيل تازروت بني صالح والرواية الجمعيّة هي ما أخلط التواريخ والمناسبات.
- أن يكون (عبد العزيز) هو نزيل تاسوست وهو نزيل تازروت بني صالح أيضًا، و(عبد العزيز بن سليمان) نزيلاً لمكان آخر بضواحي جيجل لا نعلمه.

إن تقريب إحدى هذه الفرضيات صعبٌ جدًّ لغياب الدلائل، والقرائن المتوفرة محض رواياتٍ لا تغني من الحقيقة التاريخية شيئًا، لذلك ننتظر اكتشافات أخرى ودراسات جديدة لعلها ترشدنا للصواب الذي لا يعلمه إلا الله تعالى.

ضريح سيدي عبد العزيز حاليًّا عند قبيلة بني صالح

أحمَد العَابد (مولى الشقفة):

واسمهُ (أحمد العابد) كما يذكره مخطوط أصلي، نسخةٌ منه عند الحاج (الدوادي بلّعابد) بقرية (الولجة) قريبًا من بلدية عين قشرة، نسخه هو نفسه عام 1328هـ/1919م (مع خطأ في تقدير السنة الميلادية لأن 1328هـ تقابلها 1910م)، وسلّمت نسخة منه لاجتماع أحفاد (أحمد العابد) بقسنطينة عام 1396هـ/1976م فأعدّوا بها تقريرا عن نسب العائلة، ونسخة ثانية نقلت عن مخطوط وُجد بـ(زاوية سيدي أحمد العابد) في منطقة (الجمعة بني حبيبي) عند أحد أحفاده المسمى (الحاج علي بن أحمد) الذي أخذها من سجلات الزاوية، نسخه (محمد العيد بستانجي) عام 1372هـ/1953م، واتفق المخطوطان على أن نسب (أحمد العابد) المتصل هو: (أحمد العابد بن محمد بن عبد الرزاق بن علي بن عبد الصمد بن علي بن سليمان بن منصور بن زيد بن عبد الصمد بن عبد السلام بن مشيش بن أبي بكر بن علي بن محمد حرمة بن عيسى بن سليمان بن مزوار بن علي حيدر بن محمد بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب)[1]، وهو نسبٌ محقق موافق لكتب أنساب الشرفاء مع بعض النقائص والإضافات الناتجة عن تصحيف الذاكرة الجمعيّة.

[1]– سقط في نسب عبد السلام بن مشيش بعض الأسماء عن التي نقلها العشماوي ونسبه عنده: (عبد السلام بن مشيش بن أبي بكر بن حرمة بن علي بن عيسى بن سلام بن مزوار بن حيدرة بن علي بن محمد بن أحمد بن إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلّم) **انظر**: **العشماوي**: التحقيق في النسب الوثيق، مخطوط رقم 476، مكتبة جامعة الملك سعود، ص 22.

وتنقل الرواية المتواترة المتوارثة عند خلفاء زاويته بمنطقة (بني حبيبي) وزاوية ابنه في منطقة (بني يدر) إلى زمن الفرنسيين الذين أذهبوا مشيختهم وجعلوهم أشتاتًا في أسر كثيرة حاملة لألقاب متخالفة، ينقلون أن (أحمد العابد) أقبل على منطقة جيجل في القرن 16م على متن قارب فأصابته عاصفة وتحطم قاربه، ونجَا هو إلى ساحل قبيلة (الجناح) على خشبة من حطام القارب، أو مثلما يسمّيها العامة (شقفة) من القارب[1]، فسماه الناس لذلك (مولى الشقفة) ومعناها صاحب الشظيّة، وكان عالما متصوفًا فنزل عند شيوخ قبيلة (الجناح) ولكنهم رفضوه خوف تولّيه عليهم، فخرج من بينهم وانتقل إلى قبيلة (بني حبيبي) ونزل قرب سوقهم بمنطقة (أولاد معقل) وأنشَأ هنالك زاويته المشهورة التي تسمى (زاوية سيدي العابد) إلى هذا العهد، كان يدرّس فيها علوم الدين، وورث عنه ابنه (محمد بن أحمد العابد) مشيختهَا حتى توفي ودفن في ضريحه بجبل حيان وورث أبناؤه مشيخة (بني حبيبي).

ونجد على شاهد قبر (أحمد العابد) في ضريحه بمنطقة (بني حبيبي) تاريخ وفاته عام 1538م، وهو طرحٌ مقبولٌ يوائم امتداد سلسلته النسبيّة، إذ توفي جدُّه عبد السلام بن مشيش عام 1228م وبينهما تسعة (09) أجداد، فهو بذلك قد عاش بين القرنين 15م و16م، وكان له ثلاثة أبناء: (محمد) و(عبد الله) وآخر لم يصل إلينا اسمه، فترك ابنه (محمد بن أحمد العابد) الذي ذكرنا على زاويته في (بني حبيبي)، وانتقل ابنه الآخر عبد الله إلى جبل سدّات عند قبيلة (بني يدر) فنزل في عرش (أولاد عمر) منهم

[1]– **الشقفة:** في لغة العامة القطعة من الخشب أو الفخار أو الزجاج وغيره..

واستقر وأنشأ هنالك زاوية (عبد الله مولى الشقفة)، وابنه الثالث لا نعلم عنه شيئا، ولعله لم يخلّف.

فلما غزا الأسبان مدينة الجزائر على زمن العثمانيين فيما يسمّيه فيرو حملة أورايلي (Expédition d'Oreilly) سنة 1775م، استنجد الباشا برجال القبايل فانطلق إليه حفيد (عبد الله مولى الشقفة) واسمه (عبد الله) أيضًا في جمع كبير من قبايل بني يدر، وقادهم في المعركة التي انتصر فيها العثمانيون، فكرمه الباشا تكريما عظيمًا بجوائز كبيرة وأطلق اسمه على شارع في الجزائر العاصمة هو (شارع سيدي عبد الله)، وقد ورث مشيخته على قبايل (بني يدر) ابنه (مبارك بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد العابد مولى الشقفة)، وبعده ابنه (محمد بن مبارك بن عبد الله)، ومن بعده ابنه (أحمد الشريف بن محمد بن مبارك بن عبد الله)، ومعه أخوه (لخضر بن محمد بن مبارك بن عبد الله)، ثم ابنه (الحسين بن أحمد الشريف بن محمد بن مبارك بن عبد الله) الثائر إلى جانب ابن فيالة سنة 1871م.[1]

أما أحمد العابد مولى الشقفة، فقد انتقل أخيرًا شرقًا إلى قبيلة (أولاد علي) وتزوج ونزل بجبل ظهر الداب في المكان المسمى (تالفدور)، واختلط بأهله من عرش (أولاد علي وبراهم) من قبيلة (أولاد عيدون)، وترك الكثير من الأولاد منهم (المجذوب) و(الدريوش) و(إدريس) وآخرون انتشروا في الأوطان، وقرّابته لا تزال

[1]– **L. Charles FERAUD**: Histoire Des villes De la Provence de Constantine-Djidjelly, Op.cit, p75.

هنالك في قمة جبل (ظهر الدّاب) زرتها بنفسي يسمّيها الناس (سيدي العابد)، ثم توفي ودفن إلى جانب ابنه في دوار (حيان) بقبيلة بني حبيبي وقبره هنالك إلى اليوم. و(أولاد العابد) اليوم أسر كثيرة جدا ومنتشرة ومتشعبة في الأوطان، يذكر الناس منها (عابد، عابدي، بلّعابد، العبّودي، مجذوب، دَرْوِيش، دْرِيوَش، إدريس، بوقريو، شرفي، صادقي، بوبيدي، قيطوني.. وغيرهم عائلات كثيرة).

إنّ أحمد العابد لا يَصلُح أصلاً لقبيلة من قبايل منطقة جيجل، فأما قبيلة بني حبيبي فالمعلوم في شأنهم أنهم بطنٌ من بطون قبيلة (بني سُلَيْم) هاجروا إلى جبال تيسبيلان في القرن 13م بعد حروب بينهم وبين قبايل (رياح الهلالية) على حكم قسنطينة وقد مرّ ذكر ذلك بشواهده، وهو ثابتٌ عند ابن خلدون (ت.1403م) لأنه أدرك تلك الأحداث، كما أن عدد أجيال قبيلة بني حبيبي ينكر أن يكون أحمد العابد أصلهم وجدهم الأول، خصوصًا وأن فروعهم كثيرة ومتوزعة في تلك الجبال منذ القرن الذي ذكرنا، بينما يبدو جليا أن الهوة بعيدةٌ بين نزول قبايل بني حبيبي السُّلمية في القرن 13م، ووصول أحمد العابد في القرن 15م، ولعل ذلك سببٌ كاف لتغليط فرضية أنه أصلهم الأوّل. أما قبايل (بني يدر) فسبب الإنكار أقوى في كون مولى الشقفة جدًّا أولاً لهم، رغم أنهم ربطوا ذلك بتشابه أصولهم المغربية بأصله المغربي، لأن المعروف عنهم أنهم من (بني يدر) من عرش (بادس) من فرع (هنتاتة) من قبيلة (مصمودة) البربريّة الشهيرة بالمغرب، ومازالت القبيلة الأصلية لهم تعيش بمنطقة جبل بادس هناك، ورحلتها إلى منطقة تلمسان ثم إلى منطقة جيجل على زمن الموحدين في حوالي القرن

14م بعيدًا عن زمن نزول (أحمد العابد) في القرن 15م، وذلك يبين بطلان كونه أصلاً لهم كما تنقله التقارير الفرنسيّة التي سنورده في فصل قبيلة (بني يدر). وأما عرش (أولاد علي وبراهم) فهم فرع (أولاد عيدون) من أخلاط دنَّاقة من كتامة، ما عدا (أولاد العابد) بمنطقة تالفدور و(الشُّرْفا) بأولاد علي فهُم في روايتهم أبناء هذا المهاجر الشريف الذي اعتقدنا في بداية بحوثنا عنه أنه – استنادًا إلى الرواية الشعبية – رجلٌ من أولاد علي، وذكرنا ذلك في كتابنا (التاريخ الكامل لمنطقة الميلية)، ولكننا جانبنا الصواب في ذلك، ونصحّحه في هذا الكتاب الأدقّ كما نذكره.

قسنطينة في 1976/01/70

ان الاستعمار البغيض الذي احتل بلادنا زهاء قرن ونصف حاول بكل ما أوتي من حيلة وغدر طمس معالم بلادنا و كان يهدف من وراء ذلك الى القضاء على مقوماتها الذاتية من دين ولغة كما بذل قصارى جهده في مسخ وتشويه صورة الجزائر الحقيقية من تاريخ وحضارة .ومن منا لايذكر تلك السموم التي دسها في عروق الشعب و شوكة التفرقة التي غرسها في العقول و الأفكار و حرف مجرى حياة هذا الشعب الأصيل و نزع من بعض أفراده الألقاب الشريفة السامية و ألصقها أسماء غريبة عنها تكتسي طابع الوحشية و الهمجية و لقد تعرضت عائلتنا لهذا الوحش الضاري اذ مزقها و قسمها الى ثماني فيئات كل فئة تحتفظ بلقبها وهي كالتالي

- عائلة درويش – بوقريو – ....ولاية جيجل -بلعابد قرية الولجة بلدية القل سكيكدة -عابد العمودي عبد الحق السايدة الميلية – مجدوب قرية اولاد علي الميلية -مجدوب قرية الزاوية سيدي عبد العزيز جيجل -وكانت هذه العائلات كلها عائلة واحدة لها لقب واحد وجد واحد الا وهو أحمد بلعابد الذي توفي سنة 1221 وابنه محمد 1300 بقرية بو لعشاب خيان حوز سيدي عبد العزيز دائرة الطاهير ولاية جيجل

وحفاظا منا على تسلسل عائلتنا التي انحدرت من أصول شريفة تنتمي الى البيت الهاشمي ولصيانة هذا النسب رأينا أنه من الواجب أن نضم الفروع الى بعضها حتى تكون شجرة هذا الأصل واضحة ولم تكن هذه المبادرة مبادرة التعريف بالأصل من أجل التفاخر و التباهي بالحسب والنسب وانما تهدف الى ازالة الغموض و محو كل الشبهات و التشويه و ابراز الحقيقة التي تتطلب منا أن ننصرنها هذا بعد أن عثرنا على نسخة نقلت على أصلها بواسطة الحاج الدوادي بلعابد بقرية الولجة بحوز القل ولاية سكيكدة بتاريخ 24 ربيع الثاني 1328هـ الموافق لسنة 1919م وهي كما يلي

أحمد بلعابد بن أحمد بن علي بن مكمد بن عبد الرزاق بن علي بن الحاج عبد السلام عبد الصمد بن قطب الاسلام بن مولاي عبد سلام بن مشيش بن أبي بكر بن علي بن حرمة بن عيسى بن سلام بن مروان بن علي بن محمد بن ادريس الأصغر بن ادريس الاكبر بن عبد الله الكامل بن السيد حسين ابن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه بن عبد المطلب

عن اللجنة الشريف درويش ابن الحاج مصطفى موظف بادارة البريد و عضو بالمجلس الشعبي البلدي بقسنطينة –

بوقريو عبد الحفيظ مستشار تربوي قسنطينة -بلعابد علي بن أحسن موظف بدار العدالة قسنطينة -عبد الحق محمد مدير مدرسة فضولة سحان بقسنطينة –

عابد موظف بالمؤسسة الاشتراكية للنقل البلدي بقسنطينة –العمودي أحمد مسؤول منظمة أبناء المجاهدين بقسنطينة – بلعابد قاسم سائق-بلعابد المختار بن الحاج الحسين طالب -الحاج رابح جعفر تاجر -مجدوب احمد متقاعد-مجدوب أحسن بن بلقاسم حلاق-عبد الحميد درويش بن الحسين حفيد الحاج زيدان .

4ذو الحجة 1396هـ الموافق ل 1976م

نسخة من تقرير أحفاد أحمد العابد بقسنطينة نقلا عن مخطوط الدوادي بلّعابد

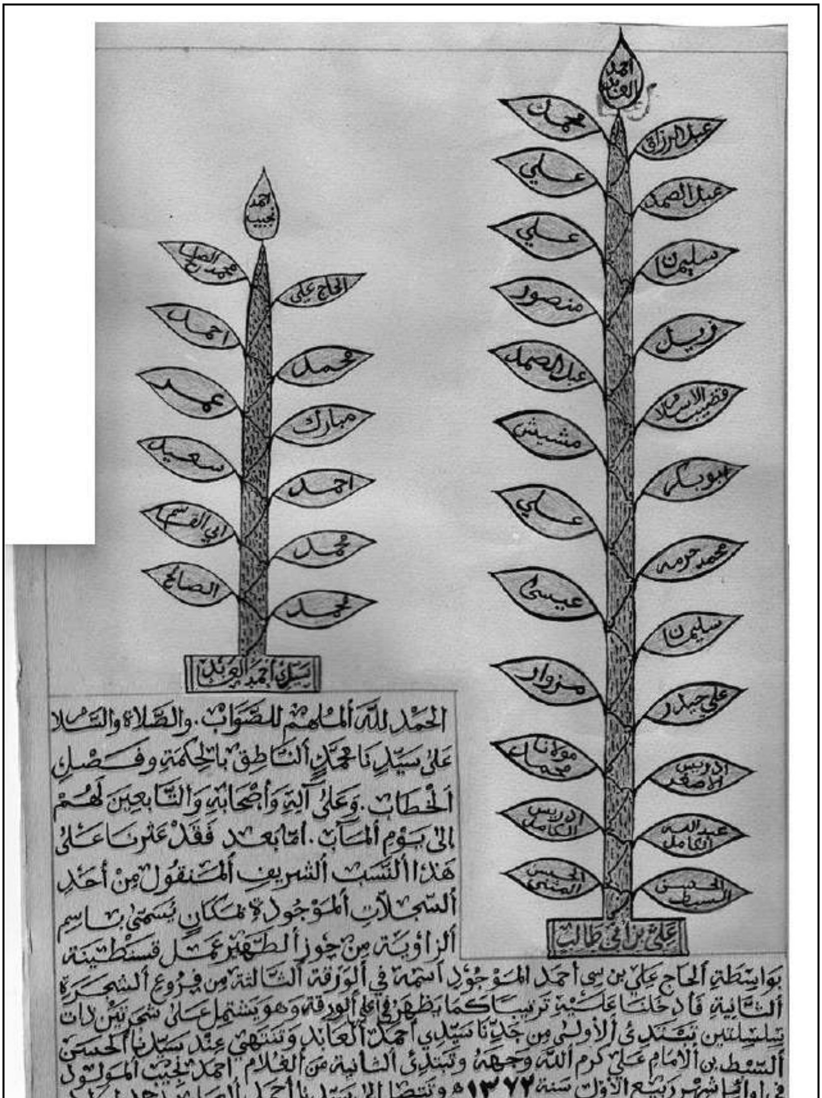

نسخة من تحقيق مخطوط الزاوية بخط محمد العيد بستانجي

محمد آمقران :

وأما (محمد آمقران) نزيل قرية (بني سيار) قرب الطاهير، فأقدمُ من نقل إلينا نسبهُ الشريفيّ هو الجزّي الكلبي (ت.1357م) بداية القرن 14م، متحدّثًا عن قلعة (بني عباس) الموجودة في حوز بجاية قال: "**وبالمغرب من قلعة بني حماد من بجاية: بنو العباس بن محمد (أبي العباس) بن محمد (أبي علي) بن جعفر الثاني**"[1]، ونسبه هذا يختصر كثيرًا من الأجداد إلا أنه موافقٌ لما جاء به الرواة، ما عدَا آخره ففيه نظرٌ لأنهُ يجعل بني العباس في نسل جعفر الثاني وذلك غير ثابت عنهم، لكن نشيرُ هنا إلى أنّ ذكر (بني عباس) عند الكلبي في هذا الزمن مطلع القرن 14م دليلٌ على وجود قلعتهم التي أسسها (العبّاس) قبله أي في القرن 13م على الأقل.

ويسعفُنا لتفصيل هذا الاختصار النسبيّ نصُّ عبد الرحمن الفاسي (ت.1685م) صاحب (إثمد الأبصار)[2] بتحقيق حشلاف (ت.1937م)، يذكرُ فيه بالتدقيق المضبوط سلسلة نسب المقرانيين ابتداءً من جدّهم (أبي التقى) الذي يُنطق عندهم (سيدي بتقى)[3] يقُول: "**ومن غصون الفرع الأول أيضا أولاد سيدي أبي التقى المعروف بقلعة العباس فمنهم فرقة بجبل ازواوة وقد نص على شرفه صاحب إثمد الأبصار بقوله: ومن الشرفاء الأخيار السيد أبو التقى أحمد بن العباس بن علي بن عبد**

[1]– **الجزّي الكلبي**: الأنوار في نسب آل النبي المختار، م س، ص 41.

[2]– **عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي**: إثمد الأبصار في الاختصاص بذكر الشرفاء الأخيار (مخطوط).

[3]– سيدي (بتقى) أو (بتقة) هو تحريف نطق الاسم الحقيقيّ (أبي التقى).

الرحمن بن عبد الحق بن عبد القادر بن عبد الرحمن بن عبد العظيم بن عبد الكريم بن أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن مولانا إدريس باني فاس ودفينها الخ"[1]، وهي سلسلة محققة في فروع محمد بن إدريس، لكن ينقصها بعض الأجداد لم يهتدِ إليهم الفاسي.

ويكمل العشماوي (كان حيا.1729م)، الذي جاء بعد الفاسي بزمن يسير الأسماء الناقصة في السلسلة فيقول: "**وأما سيدي أبو التقى بن أحمد رضي الله عنه فإنه صاحب جبل ازواوة المعروف بقلعة العباس، فاسمه سيدي أبو التقى بن أحمد بن العباس بن محمد بن علي بن عبد الرحمن بن عبد الحق بن عبد القادر بن عبد الرحيم بن عبد العظيم بن عبد الكريم بن عبد الحكيم بن أحمد بن علي بن محمد بن علي بن إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم...**"[2]، ولكن بالرغم من فضل هذه السلسلة المتصلة في ذكر الأسماء الناقصة من أجداد المقرانيين إلا أن فيها زيادات غير موجودة، لأن نسابة الشرفاء لم يذكروا لإدريس الأصغر ابنًا اسمه عليّ، ولعله أخلط في (عليّ ابن محمّد) بين اسم الابن وأبيه فكررّه، كما أهمل الجدّ (ناصر)، والجدّ (أحمد آمقران) الذي أخذ منه المقرانيون لقبهم.

---

[1]– **عبد الله حشلاف**: سلسلة الأصول في معرفة أبناء الرسول، المطبعة التونسية، تونس، 1929، ص 54 عن: **عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي**: إثمد الأبصار في الاختصاص بذكر الشرفاء الأخيار (مخطوط).

[2]– **العشماوي**: السلسلة الوافية والياقوتة الصافية، م س، ص 282.

ويذكر الورتيلاني (ت.1779م) في رحلته أنه زار ضريح سيدي (أحمد بن عبد الرحمن) بقلعة بني عباس يقول: "**وبعده ذهبنا لزيارة الولي الصالح والبدر الواضح ترياق وطنه وأمير بلده سيدي أحمد بن عبد الرحمن جد أولاد مقران والله أعلم (...) ذهبنا لقضاء حوايج المسلمين فلما قضيناها من أمير مجانة وغيره من عرفاء بني عباس ذهبنا لمحل الولي الصالح والشريف الواضح سيدي بهلول بن عاصم**..."[1]، للتأكيد على أن (أحمد بن عبد الرحمن) جدّ المقرانيين جميعهم، بالرغم من أن بين (أحمد) و(عبد الرحمن) بعض الأجداد المحذوفين في اسمه.

ويضيف لويس رين (ت.1905) في خارطته ما ينقص من الأسماء لاكتمال السلسلة النسبيّة كما يلي: "**بتقى بن ناصر بن أحمد آمقران بن أحمد بن عبد الرحمن**"[2]، ويجعل (محمّد) نزيل منطقة (بني سيار) أخًا لـ(سيدي بتقى)، ومن ثمة يمكننا ربط السلسلة النسبيّة لـ(محمّد) موضوع بحثنا كما يلي: (محمّد بن ناصر بن أحمد آمقران بن أحمد بن العباس بن محمد بن علي بن عبد الرحمن بن عبد الحق بن عبد القادر بن عبد الرحمن بن عبد العظيم بن عبد الكريم بن عبد الحكيم بن أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن عليّ بن أبي طالب)، وهو نسبٌ شريفيّ إدريسيّ منطقيّ.

---

[1]– **الحسين الورتيلاني**: نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، (مخطوط)، ص 10.

[2]– **Louis RINN**: Histoire De L'Insurrection De 1871 En Algérie, Librairie Adolphe Jourdan, Alger, 1891, p 54.

غير أن لويس رين حاول تقدير زمن وفاة الجدّ (عبد الرحمن) الأمير بقلعة بني حماد بسنة 1500م وهذا غالط ومستحيل حسب هذه السلسلة النسبيّة، للأسباب التالية:

- قلعة بني حمّاد هدمها الموحّدون سنة 1152م، فكيف يكون عبد الرحمن أميرًا فيها ومتوفى بعد أربعة قرون من ذلك في 1500م!

- حفيده (العباس) مؤسس القلعة وبنوه مذكورون عند الجزّي الكلبي (ت.1357م) في القرن 14م، وبين (العباس) و(عبد الرحمن) جدّان اثنان فهو (العباس بن محمد بن علي بن عبد الرحمن)، فكيف يذكر العباس وبنوه في القرن 14م ويكون جدّهم الأقدم بجدّين اثنين متوفى بعدَ قرنين في 1500م!

والصحيح الذي لا يعدلُ عنه في رأينا أن (عبد الرحمن) عاش في القرن 12م على زمن الحماديين، وأسس حفيده العباس قلعته التي ذكرها الجزّي الكلبي (ت.1357م) في القرن 13م، ثم تناسل بنوه (أحمد) ثم (أحمد آمقران) على أننا نشك في وجود جدّ ناقص بينهما، لأن أخاه السلطان (عبد العزيز) عاصر دخول الأتراك في 1513م إلى جيجل وتحالف معهم حتى قتله أنصار إمارة كوكو سنة 1559م، ولذلك يذكر رين أن وفاة (أحمد آمقران) كانت سنة 1596م وإليه ينسبُ المقرانيون، ثم ابنه (ناصر بن آمقران) المتوفى حسب رين في حوالي 1600م، ثم ابنه (محمد بن آمقران) الذي نزل بمنطقة جيجل عام 1621م بناحيَة جبل وجّانة في قبيلة (بني سيَار) كما ذكرنا، وأظهر

لهم من علمه وفطنته ما جعلهم يقدّسونه، فعاش بينهم هنالك حتى توفيّ ودفن في الزاوية الحاملة لاسمه زاوية (سيدي محمّد آمقران).

ترك (محمّد) بعده أولادًا ورثوا مشيخته ونقلوها إلى مدينة جيجل، وقد وصلنا من أخبار سلالته أن حفيده الشيخ (سيدي أحمد المكي آمقران) المتوفى سنة 1801م كان شيخ مدينة جيجل، وخلفه على مشيختها ولداه (سيدي محمد بن أحمد المكي آمقران) و(سيدي الطاهر بن أحمد المكي آمقران) أدركتهما إمارة ابن الأحرش في سنة 1803م، كما راسلهما داي الجزائر الدولاتلي علي باشا كثيرا، وكانت لهم علاقة طيبة مع الأتراك العثمانيين حتى لحقهم دخول الفرنسيين إلى مدينة جيجل سنة 1839م، فقد ذكر فيرو أنهم أدّوا أدوارا هامة في تاريخ مقاومتها[1]، ثم محى الفرنسيون مشيختهم وفرقوهم في أسر تحمل لقب (مقراني) أو (آمقران) وألقابًا كثيرة أخرى.

ولا يخلطُ الباحثُ بين نسب هؤلاء المقرانية بالجزائر المذكور هنا، وبين أشباههم في التسمية (المقارنة) أهل نواحي (وادي عام) بوادي الذهب من الصحراء الغربيّة، فهؤلاء ذكرهم السنوسي الخطابي (ت.1859م) في فروع (بني زيّان) ولم يذكر لهم طريقا إلى الجزائر، قال: "**انتقل عبد الرحمن إلى تاقدمت (...) فتزوج حسنة بنت عامر القرشي فولدت له عبد القوي وجعفر وأحمد ومن هؤلاء الثلاثة تفرعت فروع شرفاء بني زيان (...) أما السيد جعفر بن عبد الرحمن فسار قاصدا ناحية**

[1]- **L. Charles FERAUD**: Histoire Des villes De la Provence de Constantine-Djidjelly, Op.cit, p87/88.

المشرق حتى نزل وادي الذهب في المكان المعروف بوادي عام وأمر ببناء قصر الذهب فمن بناه السيد محمد بن عبد الله ويقال لذرّيته المقارنة، وأما السيد أحمد بن عبد الرحمن فسار ونزل ببلاد القبائل المقربين من مدينة الجزائر (...) ويقال لذريته البراكنة (...) فجدهم السيد أحمد البركاني بإزاء مليانة"[1]، ولم تثبت لهؤلاء (المقارنة) أبناء (محمد بن عبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن بن يوسف بن زيان) أهل وادي الذهب أيّ علاقةٍ بالمقرانيين الموجودين شرق الجزائر، ما عدا الشبه في التسمية.

وأما ادّعاء بني سيار هؤلاء أصلهم إلى هذه الأسرة المقرانيّة المتفرقة في أكثرها بين صدّوق ومجانة وجيجل فهو ادّعاء غالط، لأن زمن نزوله متأخر جدًّا بالمقارنة مع نشأة قبيلتهم، كما أنه لم ينقل إلينا المؤرخون أنه نزل في الخلاء، أو جاء معه بزوجة وأولاد، أو صحِبَ معه من قومه رهطًا، وإنما ذكروا أنه نزل بوجّانة عند أهلها من (بني سيار)، وسببُ انتسابهم إلى هذا الرجل إضافة إلى ما ذكرناه في مقدمة هذا الباب هو انتماؤه إلى أسرة ملك وسلطان في قلعة (بني عباس) بمجّانة، وذلك ما كان من شأنه أن يمنحهم أولويات جليلة في منطقة جيجل التي كانت إلى هذا العهد تحتكم إلى القبليّة ونظام الجمَاعة، والصحيح الذي لا ينبغي التعويل على غيره في شأن أصلهم ما نذكره من أنهم بطن معروف من بطون قبيلة إجانة الكتامية يشهد عليه موطنهم.

محمد بن عبد الله بن الأحرش :

---

[1]- **السنوسي الخطابي**: الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية، م س، ص ص 106-107، ونقل عنه **حشلاف**: سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول، م س، ص97.

اسمه الكامل محمد بن عبد الله ابن الأحرش البودالي الدرقاوي، ولم تورد إلينا المصادر الشريفيّة سنة ميلاده ولا مكانه بالضبط ولا المراحل الأولى لحياته، لأنه كان مغمورا بادئ الأمر إلى حين تعيينه من سلطان المغرب الأقصى أميرًا لقافلة الحج، إلاّ أن بعض الأوصاف التي نقلها إلينا المؤرخون الفرنسيون نقلاً عن سكان المنطقة توحي لنا بتقدير عمره أيام إمارته بواد زهور، وبالتالي تقدير سنوات ميلاده، مثلما أورده المؤرخ آدريان بربروقجي في المجلة الأفريقية قال: "**شابّ، تغمره الشجاعة، مسلح بمخيلة خلاّقة..**"[1]، وشارل فيرو قال عن سنه حين قيام إمارته: "**كان سن الشريف (ابن الأحرش) نحو خمس وأربعين سنة**"[2]، فكونه شابًّا أيام ثورته وسنه نحو خمس وأربعين سنة 1216هـ/1801م، يجعلنا نقدر سنة ميلاده بنحو سنة 1171هـ/1756م.

أما أصله فقد أورد إلينا المؤرخون أنه يرجع إلى منطقة أدبال الصالحين الواقعة في منطقة سوس قريبًا من مدينة فاس، يقول محمد ابن عبد القادر الجزائري: "**وفي سنة ثمان عشرة ومائتان وألف ثار ابن الأحرش في نواحي قسنطينة، وهو من عرب المغرب الأقصى**"[3]، ونركز هنا على قوله (من عرب المغرب) أي ليس من قبايلهم البربرية وربما هو يريد هنا العرب الشرفاء، ويقول بربروقجي عنه: "**كان الحاج محمد**

---

[1]- **Adrian BERBRUGGER**: Un Chérif kabyle en 1804 , Revue Africaine, Op.cit, Tome 03 ; 1858, p210-211.

[2]- **L. Charles FERAUD**: Histoire Des villes De la Provence de Constantine-Djidjelly, Op.cit, p188.

[3]- **محمد ابن عبد القادر الجزائري**: تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، م س، ج1، ص77.

ابن الأحرش من المغرب الأقصى"[1]، ويؤكده الزياني مع شيء من التفصيل النافع: "**فتى مغربي، مالكي مذهبا، درقاويّ طريقة، درعيّ نسبا**"[2].

فإذا ثبت أن محمد ابن عبد الله ابن الأحرش درعيّ من قبايل سوس، فقد ذكر إبراهيم بن علي الحساني أن (**الدروع**) المنسوبون إلى (ماسة درعة) جنوب مدينة فاس بالمغرب الأقصى يسمّون إثنونيميّا (**أولاد ايغال**) أو (**آيغالن**) وبلادهم قرى (**سمايّون**)، من قبيلة (**آملن**) وهو فرع ساكن جبال (**جزولة**) جنوب منطقة سوس.[3]

وأما مكان ميلاد ابن الأحرش فلعله ولد في هذا البلد من جبال جزولة، وأغلب الظّن أنهُ ولد في مدينة فاس، لأنه ادعى أنه من شرفاء ملُوكها، يقول الشيخ أحمد بن المبارك ابن العطار (ت.1870م): "**هو رجل مغربي يزعم أنه من شرفاء ملوك فاس**"[4]، ولا نستبعد هذا الاحتمال الثاني إذ كان قد نال الحظوة عند سلطان المغرب الأقصى وجعله (أمير الرّكاب) على قافلة الحج.

ونسبة محمد ابن الأحرش إلى هذه البلاد ثابتة رغم أن معظم المؤرخين المعاصرين شكك في صحة ما نقله المعاصرون عن ذلك، نظرًا إلى أنه كان يغلبُ في الجزائر أن يقوم رجل ويدعي أنه من تلك البلاد لينال الشرف والتقديس، ولكن ما يدعم

[1]- **A**. **BERBRUGGER**: Un Chérif kabyle en 1804 , Revue Africaine, Op.cit, Tome 03 ; 1858, p210.

[2]- **محمد بن يوسف الزياني**: دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تحقيق البوعبدلي، الجزائر، ص 207.

[3]-**ابراهيم بن علي الحساني**: ديوان قبايل سوس في عهد السلطان أحمد منصور الذهبي حوالي 1580م، تحقيق عمر افا، مطبوعات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط المملكة المغربية 1989م، ص ص 16-17-31-36.

[4]- **أحمد بن المبارك ابن العطار**: تاريخ بلد قسنطينة، م س، ص111.

الأصول المغربية لابن الأحرش هو توليته من طرف سلطان المغرب الأقصى إمارة قافلة الحج، وهو مركز عزيز كان لا يناله إلا أشراف الأسر المرابطية في زمانه، وقد نال بذلك لقب "**أمير الرّكاب**" أو "**البودالي**" من (بودالة) أي (أبو دالة) وتعني عند المغاربة (صاحب الدالة) أي (صاحب الدور) مثلما يذكره فيرو يقول: "**كان من عوائد الشرفاء الذين يسكنون المغرب الأقصى في القديم أن يعينوا أحدهم لقيادة الركاب إلى المشرق، أو القافلة الكبرى للحجاج المغاربة التي تقصد مكة كل عام، فحمل هذا الشريف لقب الأمير البودالي، وتعني الأمير صاحب الدَّور**"[1].

وأما تسميته بـ(الدرقاوي) فهي نسبة إلى الطريقة الدرقاوية التي تفرعت من الصوفية الشاذلية بالمغرب الأقصى[2]، وهؤلاء هم أتباع الشيخ (محمد العربي بن أحمد بن الحسن الدرقاوي) من منطقة (تازروالت) إحدى قبايل سوس أيضًا، وقد أخذ اسمه من جدٍّ له اسمه (يوسف بودرقة) أو صاحب الدرقة[3] وهي درع الحرب، وأصحاب هذه الطريقة منتشرون في المغرب وغرب الجزائر، كانوا يشتهرون بالزهد ولباس الصوف الرث، ذكر ذلك شارل فيرو عند وصفه لابن الأحرش قال: "**كان طويل القامة، أصهب الوجه، أشقر اللحية، يلبس الخرق البالية للطريقة العالمية للدرقاوة**"[4]، وقد

---

[1]- **L. Charles FERAUD**: Histoire Des villes De la Provence de Constantine-Djidjelly, Op.cit, p186.

[2]- **صالح عباد**: الجزائر خلال الحكم التركي، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر، 2005، ص 24.

[3]- م ن، ص 194.

[4]- **L. Charles FERAUD**: Histoire Des villes De la Provence de Constantine-Djidjelly, Op.cit, p188.

كان له إمارة أسسها بمنطقة واد زهور بالميليّة ما بين 1801م و1806م واستقل فيها عن حكم الأتراك العثمانيين، وتزوج هناك بامرأة من قبيلة (بني فرڨان) اسمها (يمينة بنت بوحوتة)، ثم انتقل إلى بجاية ووهران، وكانت له مكانة كبيرة لدى أتباع الدرقاوة فكان ذلك يعكر على ابن الشريف الساحلي زعامته بالغرب الوهراني، فاحتال إلى ابن الأحرش عام 1813م، ودسّ له من أصحابه من وضع له السم في طعامه فقتله.

ذكر هذه الحادثة محمد بن عبد القادر في كتابه الذي أسلفنا ذكره قال: "**ففر بنفسه ولحق بابن الشريف في الجهة الغربية وبقي في معيشه إلى أن دس له من قتله من أصحابه**"[1]، وهي حادثة مشهورة يذكرها المؤرخون، ويدّعي ابن سحنون الراشدي (ت بعد.1796م) أنه بعد وفاة ابن الأحرش، أرسل سلطان المغرب يطلب جثته، قال: "**ثم شاع أن ملك المغرب طلب نقل جثته إلى المغرب وأجيب لرغبته ونقلت الجثة إلى المغرب ودفنت بفاس**"[2]، بعث بها إليه ابن الشريف فأبنه شيوخ مدينة فاس ومرابطوها ودفن هنالك، وقبره اليوم معروف بضاحية فاس.[3]

وإن ما دعانا إلى دراسة نسب ابن الأحرش في الشرفاء هو انتشار لقبه انتشارًا رهيبا في القبايل منطقة جيجل وقسنطينة وبجاية وسكيكدة وغيرها، فقد

---

[1]–**محمد ابن عبد القادر الجزائري**: م س، ج1، ص77.

[2]–**أحمد بن سحنون الراشدي**: الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم المهدي البوعبدلي، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، رقم 01، ص43.

[3]– م ص ن.

تناولته القصص والأساطير بطلاً يحمل كل معاني الإباء والشجاعة والجرأة، وظهر شأنه وشأن من ينتسب إليه في القبايل لما كان له من الهيبة والسلطان، فسارع الناس إلى التسمي باسمه، وادعاء ما ادعاه من الكرامة والشريفية، حتى اعتادت القبايل تسمية فرسانها الأشداء أو شيوخها الحكماء بتسمية ابن الأحرش تبركًا به.

والمنقول إلينا في كتب المؤرخين الذين عاصروا ابن الأحرش كابن اللنبيري وابن العنتري (ت بعد.1870م) وابن العطار (ت.1870م) وابن سحنون (ت بعد.1796م) وغيرهم.. أن ابن الأحرش لم يخلّف بعدهُ أولاَدًا حملوا لقبه عن نسب حقيقيّ بمنطقة الشرق الجزائريّ كله، إلاّ أن وجود هذا اللقب (بن الأحرش) يجعلنا نطرحُ إشكال طبيعة العلاقة بدراسة نماذج.

- وقد خرج في عام 1809م رجلٌ في قبيلة (بني عمران) يدّعي أنه ابن أخ ابن الأحرش البودالي، ودعا الناس لثورة جديدة على الأتراك، ولكنهم ألقوا عليه القبض بأمر من الداي علي باشا وقطعوا رأسه، بينما نرجّح أنه لم تكن له علاقة فعلية بابن الأحرش لأنه جاء إلى منطقة جيجل وحدهُ دون أخيه، فمن أين ترك في (بني عمران) ابن أخيه؟! ثم لو كان له ابن أخ هناك لعرفه الناس زمن إمارته.
- وأورد فيرو أن رجلاً شيخا طاعنا في السن ظهر في سنة 1843م بناحية القبايل الصغرى، ادعى أنه ابن الأحرش الذي حارب الأتراك قبل 40 سنة من هذا التاريخ، فأورد النص الآتي ذكره: "**الوصول المفاجئ (إلى القبايل الشرقية في مارس 1843م) للشريف البودالي، الشيخ المسن ذائع الذكر بهجومه على قسنطينة وهزيمته للباي عصمان في وادي الزهور، الذي لم يظهر بتلك النواحي**

منذ 40 سنة، وجاء ليقلقل استسلام القبايل"[1]، ولكننا تبعا لما ذكره المؤرخون عن وفاة ابن الأحرش البودالي سنة (1228هـ/1813م) نستبعد أن يكون عاد من جديد إلى قبايل الوادي الكبير وجيجل، والغالب أنه أحد الشيوخ الذين أرادوا تقمص شخصه المهيب عند أهل تلك النواحي ليجتمع إليه الناس ويتبعوه في جهاد الفرنسيين، وقد شرح سعيدوني بعد ذلك حقيقة هذا الثائر الذي سماه الناس (الدّرقاوي)، فذكر اسمه الحقيقي (زغودة) ظهر في ضواحي الحرّوش وقتل في معركة ضارية سنة 1843م ضد القائد الفرنسي مونتانياك.

- وكذلك عرف شيخ قبيلة (بني يدر) عبد الله مولى الشقفة بـ(البودالي) وبـ(ابن الأحرش) بالرغم من نسبه المعروف في (سيدي أحمد العابد) دفين (بني حبيبي).
- والثائر مولاي محمد أحد رفقاء الشريف بومعزة الذي ظهر بنواحي الظهرة، ثم حاصر مدينة جيجل سنة 1847م رفقة 1200 من رجال القبايل، سماه الناس ابن الأحرش والبودالي والدرقاوي، بالرغم من نسبه الذي يدّعيه في شرفاء الظهرة.
- والثائر رفيق الأمير عبد القادر وخليفته على منطقة الجلفة الشريف محمد بن الأحرش أيضا حاملٌ للاسم نفسه، بالرغم من نسبه في (أولاد سيدي نائل)، وعدم وجود علاقة بينه وبين ابن الأحرش البودالي درعيّ النسب.
- وثائر آخر على الفرنسيين لا يزيد عمره عن 30 سنة ظهر عند أولاد عيدون بالميلية سنة 1849م واسمه (محمد ولد رسول الله)، وقاد مع الدرويش (أحمد بن يمينة) ثورة

[1]- L. **Charles FERAUD**: Zebouchi et Osman Bey, Revue Africaine, Op.cit, N°06, 1862, p120.

على الفرنسيين في هذه السنة، هاجم فيها مدينة الحروش وأزمع السير لمهاجمة قسنطينة لكنه انهزم وانسحب، وسماه الناس كذلك ابن الأحرش البودالي تيمنا بذلك وتعويلاً عليه[1]، ولكن لم تثبت له علاقة نسبيّة بابن الأحرش البودالي.

هذه الشخصيات التي ذكرها الفرنسيون، أما اليوم فإننا قمنا ببحث في قبايل منطقة الميلية وجيجل وقسنطينة، ووجدنا الكثير من شيوخ الأسر وكبارهم ومرابطيهم يلقب بكنية ابن الأحرش، ومنها النماذج الآتية:

- الولي الصالح (قادري بن عبد القادر) دفين ناحية قسنطينة قرب المطار على طريق عين الباي مسمى أيضا بن الأحرش، ويعرف اسمه على الحي السكني الذي بقربه.
- كبير أسرة (رغيوة) من عرش (أولاد علي) مسمّى بن الأحرش مع تأكّد انتسابه لأولاد علي.
- كبير أسرة (عميور) من عرش (أولاد عميور) مسمّى بن الأحرش مع تأكّد انتسابه لأولاد دباب.

وجميع هؤلاء لم تثبت لهم علاقة مع محمد بن عبد الله بن الأحرش البودالي، ولكن يفسَّر هذا التشبُّه بتسميته بكون هذه الشخصية التاريخية رمزًا للشجاعة والثورة والزعامة، فليس بعيدًا أن يكون اسمه قد صار كنيةً لكل زعيم عرش أو أسرة كبيرة.

[1]–**ناصر الدين سعيدوني**: ورقات جزائرية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2000، ص336-337.

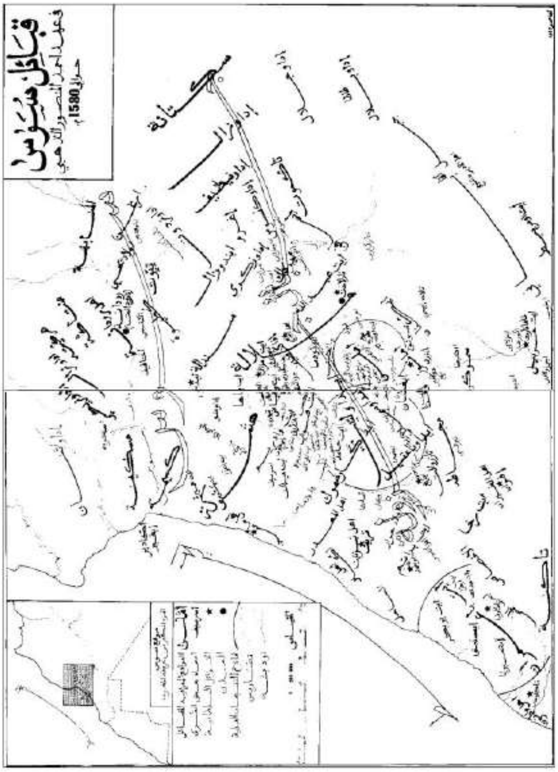

خارطة قبايل منطقة السّوس عن ملحق كتاب ديوان قبايل سوس للحساني

2- نسب الأولياء الصالحين:

أحمد بن ثابت:

وهذا الرجل هو صاحب ضريح معروف في جبل (برج علي) بين قبيلتي (أولاد مبارك) و(بني تليلان) من منطقة السطارة، يزوره الناس من كل مكان ومن قسنطينة خصوصا ويقدّسونه، وتنقل إلينا الرواية الشفوية الميثولوجية أنه كان رجلاً

صالحًا وعالما جليلاً، وتنتسبُ فيه اليوم قبيلة (الثوابت) فرع بني تليلان الكتاميين، الموجود بضواحي مدينة سكيكدة والقلّ، لذلك وجب التحقيق فيه.

ويسعفنا في ذلك نصّ لابن الحاج النميري (ت.1367م) يتحدث فيه عن شأن أولئك الثوابت في العصر المريني، إذ ينقل إلينا أخبار بعض قادة ولايتهم على سلسلة جبال المنطقة الممتدة من حدود بجاية إلى القلّ وهي منطقة جيجل بالضبط، ومقرّ حكمه في قصر يرجح أنه قرب ضريح هذا الوليّ، فقد اكتشف السكان قريبا منه بعض القطع النقدية الموحّدية، ويبدأ النميري (ت.1367م) من أحد ولاتهم على (قبايل الجبل) وهو (عليّ بن ثابت) الذي عاصره يقول: "**هذا الشيخ علي بن بكر بن ثابت كان ممن كانت له سابقة حسنى في الانقطاع (...) ورفع خراج جبله إلى القواد الذين نيطت بهم ولاية الشرق (...) وتصرّف مع قبيله تصرف العاصم لا العاصي...**"[1]، كما يذكر النميري (ت.1367م) الكثير من أخبار صراعاته وانقلاباته على المرينيين وسلطانهم بالمغرب، لكنه في خلال ذلك يوضّح لنا نسب علي بن أبي بكر بن ثابت، ويتحدث عن ولايته على قبيلته في جبالها وهي قبيلة بني تليلان، لأن نصًّا آخر أورده مؤرخ معاصر له وهو ابن خلدون (ت. 1403م) يقول فيه: "**ومن بطون كتامة وقبايلهم أهل الجبل المطل على القل ما بينه وبين قسطنطينة، المعروف برياسة أولاد ثابت**

[1]– **النميري**: فيض العباب، م س، ص 284.

في حسن بن أبي بكر من بني تليلان."[1]، وهنا يظهر رأس السلسة النسبيّة لهذه الأسرة، وهو أنهم (أولاد ثابت بن تليلان) من قبيلة كتامة.

وبالنزول مع المذكور في المصادر عن هذه الأسرة نجد جدّها الأكبر (أبو بكر بن ثابت) نجع بالطاعة والانقياد لسلطان الموحدين بمراكش، وفرض على أهله بجبال الميليَّة الغرامة لهم، يقول ابن خلدون (ت.1403م): "**ويقال إن أبا بكر هذا الجد هو الذي فرض المغرم على أهل هذا الجبل لأيام الموحّدين، ولم يكن قبل ذلك عليه مغرم. فلما انقرض ملك صنهاجة وغلب الموحّدون على أفريقيا وفد أبو بكر هذا على الخليفة بمراكش ونجع بالطاعة والانقياد، وتقرب إليه بفرض المغرم على قبيله بالجبل**"[2]، وهنا نشأت ولايتهم على هذه الجبال، وكان لأبي بكر هذا أحفاد كثر توارثوا عنه رئاسة الجبل، ذكر النميري (ت.1367م) وابن خلدون (ت.1403م) منهم:

– (إبراهيم بن أبي بكر بن ثابت) ورث رئاسة الجبل عن أبيه أبي بكر.

– (حسن بن إبراهيم بن أبي بكر بن ثابت) ورث رئاسة الجبل عن أبيه إبراهيم، وكان حاجبًا للسلطان أبي يحيى ابن اللّحياني الحفصي في بداية حكمه عام 711هـ/1311م، ثم

[1]– **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص 199.

[2]– م ص ن.

لابن عمر أمير طرابلس بعد ذلك عام 712هـ/1312م حتى قُتل في السنة نفسها بضواحي فرجيوة.

– (عبد الله بن إبراهيم بن أبي بكر بن ثابت) استخلفه الأمير بن عمر على قسنطينة عند خروجه إلى بجاية على رأس جيشه عام 712هـ/1312م، ولعلّه ملقّب بـ(سلطان) لأن ابن خلدون (ت.1403م) ذكره بهذا الاسم.

– (علي بن إبراهيم بن أبي بكر بن ثابت) ورث رياسة الجبل بعد موت أخيه حسن، وأدرك دولة المرينيين فتقرّب إلى سلطانها أبي عنان فارس المريني بعد توليه الدولة عام 748هـ/1348م، وكان بينهما شدّ وجذب بسبب الخلاف مع قادة قسنطينة.

– (عبد الرحمن بن علي بن إبراهيم بن أبي بكر بن ثابت) أرسله أبوه عليّ لينوب عنه عند السلطان أبي عنان، ثم ورث رياسة الجبل عن أبيه، وذكر عنه النميري (ت.1367م) أنه كان شديد الانحراف لرغباته.

– (مسعود بن حسن بن إبراهيم بن أبي بكر بن ثابت) دخل على السلطان أبي عنان ونجع له بالطاعة والانقياد بعد إبعاد عمه علي بن إبراهيم وابنه عبد الرحمن بن عليّ من الحكم.

ولما استرجع السلطان الحفصي (أبو العباس أحمد المستنصر) حكم قسنطينة من المرينيين عام 772هـ/1370م، استولى على هؤلاء (أولاد ثابت) ومحا أثر مشيخة هذه

السلالة الكتامية الحاكمة، وأدخلهم في جنده وحاشيته.[1] لم نجد في هؤلاء المذكورين في المصادر ورودًا صريحًا لاسم (أحمد بن ثابت)، ولكن وجوده في المجالات القديمة للقبيلة نفسها (أولاد ثابت) أو الثوابت اليوم وبهذا الاسم يجعلنا نفترض كونه واحدًا من هذه الأسرة الحاكمة، خُصوصًا وأن ضريحه الذي لا يزال إلى اليوم واطلّعت عليه بنفسي، بالرغم من وجود روايات شفهيَّة تحاول أن تجعل زمن حياته قريبًا من وجود العثمانيين ومتأخرا عن الحفصيين. ولكن بعيدًا عن ذلك، أصل (أحمد بن ثابت) واضحٌ كما ذكره النميري (ت.1367م) وابن خلدون (ت.1403م) في (أولاد ثابت بن تليلان) من قبيلة كتامة، ولعلّ ما أضفى عليه قدسيّة الولاية هو كونه من أسرة حاكمة كان لها عز ومكانة، ولكن الحديث عن انتماء قبيلةٍ في هذا الرجل أمر بعيدٌ وصعب التصديق والتأكيد، ونستثني من هذه الفرضية بعض العائلات القليلة من فرع هؤلاء الثوابت الذين لديهم روايات ثابتة ومتواترة أو موثقة عن انتسابهم في هذا الرجل.

يخلف بن حسان:

وقصة (يخلف بن حسان) أنه على حسب الرواية الشعبية في (بني عافر) رجل مهاجر مغربي، سكن بناحية الجزائر قبل دخول الأتراك إليها، ثم على زمن دخولهم مطلع القرن 16م حدثت له حادثة معروفة يدعيها كل شيوخ القبايل بمنطقة جيجل، هي أن وكلاء الخراج الأتراك قصدوه ليؤدي لهم (ضريبة الضيفة) وهي ضريبة

[1]- **انظر**: **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص ص 199-474-476، وانظر: **النميري**: فيض العباب، م س، ص 284-285-286-287-408-409-410

تفرض على من يقصده هؤلاء استضافتهم وإكرامهم بأفضل ما يملك، وكان يخلف هذا فقيرًا لا يملك سوى دجاجة فقام بذبحها وطبخها لهم، فبكى ابنه الصغير تشهيًّا لشيء منها، فقطعت أمه فخذا منها وأعطته له، فلما عرضت الدجاجة على الأتراك سألوا يخلف بن حسان عن فخذها فأجابتهم زوجته إجابة مستفزة (أكله الأعزّ الأقوى) تقصدُ ابنها، فقام إليه هؤلاء فقطعوا رجله انتقامًا لأنفسهم، فأخفاها يخلف في نفسه حتى حلّ الليل، وعمد إليهم رفقة إخوة له فقتلهم، وفرّ هاربًا مع أهله إلى أن حرنت بغاله بناحية جيجل فنزل بها واستقر، ومنه يدّعي (بني عافر) أنهم نسلوا.[1]

وهذه الرواية الميثولوجية فيها نظرٌ، فكيف يهربُ رجلٌ من الأتراك بمدينة الجزائر عند بداية دخولهم إليها، وينزل بجيجل مقر انطلاقهم وعرين سلطتهم !! ثم إن **(ضريبة الضيفة)** فُرضت بداية من الربع الأول من القرن 16م[2]، فكيف تعرض لها هذا الرجل في مدينة الجزائر عند بداية دخول الأتراك؟

هذه القصة سمعتها من ألسن شيوخ قبيلة بني تليلان وأولاد مبارك وبعض أسر أولاد قاسم كلهم يدّعون أنها قصة جدهم، وبحثنا فيها فوجدنا أنها ربما حدثت لرجلٍ في سنة 1804م على عهد إمارة ابن الأحرش البودالي، وسمّي صاحبها (العايب) ومازال أولاده يحملون تسميته في أسرهم بألقاب (العايب) و(بلّعايب)، وكانت

---

[1]- **L. Charles FERAUD**: Histoire Des villes De la Provence de Constantine-Djidjelly, Op. cit, p79.

[2]- **جهيدة بوعزيز**: الصراعات الداخلية وأثرها في المجتمع الريفي في بايلك الشرق الجزائري أواخر العهد العثماني، ماجستير، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة2، 2012/2011، ص ص 56-57-58.

السبب المباشر لهجوم ابن الأحرش على مدينة قسنطينة في السنة ذاتها، ولا علاقة لهذه القصة بأصل من الأصول لا لـ(بني عافر) ولا لغيرهم من قبايل المنطقة والله أعلم.

وأما (بني عافر) هؤلاء فالمعروف أنهم فرع كبير من قبيلة (جيملة) الكتامية، وأنهم إخوان (بني سكفال)، وبلادهم مدينة (جيملة) التي تحمل تسميتهم، وأعراشهم كثيرة بينها وبين الطاهير بمنطقة جيجل، واسم جدّهم (عافر)، ولو كان جدّهم هو يخلف بن حسان هذا لكانت تسميتهم حسب العرف السائر (بني يخلف) وليس (بني عافر)، والصّواب ما أوردناه في أصلهم والله أعلم.

بوجناح:

أما بوجناح فإن أهل قبيلة (الجناح) يدّعون أنه جدّهم وأنه جاء من المغرب ببرنوس غير مكتمل، تبدو إحدى جهتيه أطول من الأخرى، فخاطت له زوجته قطعة قماش لتكمل النقص فيه، فسماه الناس بوجناح لأنهم يسمّون في لغتهم العامية طرف البرنوس (جناح البرنوس)، وقد ذكر فيرو ادّعاءهم هذا[1]، ولكن بحثنا المتحري في أصولهم جعلنا نربطهم بادئ الأمر بقبيلة (بني فرقان) لأننا وجدنا فيها عرش (أولاد

[1]– **L. Charles FERAUD**: Histoire Des villes De la Provence de Constantine-Djidjelly, Op. cit, p90.

بوجناح) وأسرهم (جنَّاح) و(جنُّوحات)، فحسبناهم لقلة عددهم وتكونهم من عرشين صغيرين فقط انفصلوا عنهم، وعددناهم في كتابنا (التاريخ الكامل لمنطقة الميلية) من بطون قبايل دهاجة من كتامة، إلا أننا وجدنا بعدها فرعًا كبيرا من قبيلة (بني صالح) بسيدي عبد العزيز اسمهم (أولاد بوجناح)، وقد ذكرهم الفرنسيون كذلك في تقاريرهم[1]، فلعلّهم إذن منهم.. إن نسب هذا الرجل غير مضبوط في المصادر، كما أن انتساب قبيلة (الجناح) كلها إليه يثير شيئًا من التساؤل عن تجاذبها بين بني صالح وبني فرقان، خصوصًا مع الطرح الكنفدراليّ الذي ادعاه لها قيطوني[2]، والله أعلم.

محمّد القلّيل:

وهذا الشيخ يدّعي أهلُ قبيلة (بني فوغال) أنه جدّهم الأوّل الأصلي، فيذكرون مثلما نقله عنهم فيرو أن قبيلة (فوغالة) يرجع أصلها إلى طولقة بناحية بسكرة، والتي مازالت تحمل هذا الاسم إلى اليوم، وأن جدّهم الأكبر محمد القلّيل انتقل إلى جبال بابور وسكنها وترك من الولد سبعة هم: (حارث، خالد، عطيّة، وارث، قاسم، عمار، علي)، وتشكلت منهم أعراش كثيرة متوزعة في البلاد، ومنهم

---

[1]– انظر تقارير الفرنسيين عن قبيلة بني صالح سنة 1845م.

[2]– **Voir**: **Hosni KITOUNI** : La Kabylie Orientale dans l'Histoire, Op.cit, p 65-66.

تناسل بنو فوغال الذين بجيجل[1]، كما وجدنا مخطوطًا يؤرخ له صاحبه بسنوات ستين من القرن الماضي، يؤكّد فيه هذا الادعاء ويضيف عليه أن أولاد عطيّة الذين بالقلّ من هذا الأصل.

وهذا الطرحُ بعيدٌ وغير صحيح، مبدؤه أن القبيلة اسمها (بني فوغال) نسبة إلى جدّهم الأصلي في القبيلة البربرية (تافوغالت)، ولو كان جدّهم من الشرفاء كما يدّعون واسمه محمد القليل لجعلوا اسمهم (أولاد محمّد) أو (أولاد القليل) نسبة إليه، وما داموا انتسبوا في تافوغالت البربرية فليسوا من الشرفاء، لأننا لم نجد لبني فوغال ذكرًا في كتب أنساب الشرفاء وهم الذين كانوا موجودين كثيرًا ومنتشرين ببلاد المغرب أوسطه وأقصاه منذ القرن 12م.

ثم نجد السلسلة النسبيّة التي أوردها المخطوط كما يلي: (**محمد القليل بن الحساني بن عبد الله بن أحمد بن علي بن موسى بن عيسى بن طيفور بن الطيب بن هاشم من بنو مخزوم بن قريش بن عبد الله بن علي بن زين العابدين بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن الحسن أو الحسين بن فاطمة الزهراء رضي الله عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلّم**)، وهي سلسلة شديدة الغرابة، فلم نعرف في كتب أنساب الشرفاء جميعها لإدريس الأصغر ابنًا اسمه (زين العابدين)، ولا كان إدريسُ جَدًّا لهاشم بني مخزوم قريش الذي هو أصلا جدّ النبي صلى الله عليه وسلم! كما أن

[1]- **L. Charles FERAUD**: Histoire Des villes De la Provence de Constantine-Djidjelly, Op. cit, p85.

هذا الكاتب لم يعرف أصل إدريس الأكبر في نسب الحسن أم الحسين رضي الله عنهما، والظاهر أنها سلسلة موضوعة وغير صحيحة والله أعلم.

ويذكر صاحب المخطوط كذلك انتقال (السيّد الحساني) أب (محمد الڤليل) في القرن 06هـ/12م إلى قلعة بني حماد، ثم يقدم لنا نفسه على أساس أنه ناسخ المخطوط في عام (1382هـ/1962م) أي في القرن 14هـ/20م بسلسلة نسبيّة توصله إليه فقط بعد سبعة أجداد يقول: (**نقلها السيد أحسن بن المرحوم السيّد أحمد بن سي السعدي بن سي محمد بن خديم الله بن خديم الله بن ملوك بن حركات بن بلقاسم بن المحمد الڤليل نقلها في سنة 1382هـ**)، وذلك مُحال لأن الفارق الزمني ثمانية قرون ويستلزم سلسلة نسبيّة أطول من هذه بكثير، ولعلّ هذا الجزء من السلسلة صحيحٌ والخطأ في ادعاء شريفية (الحساني) وكونه من القرن 12م.

وأما أولاد عطيّة الذين بناحية القلّ فهم (أولاد عطيّة بن دريد) من عرب بني هلال ذكرهم بن خلدون (ت.1403م) وفصّل فيهم القول وفي فروعهم أولاد الجازية وأولاد جار الله وأولاد سرور وغيرهم، وذكر صراعاتهم مع قبايل رياح وڤرفة على حكم قسنطينة في القرن 12م نفسه، فكيف يكون أهلُ قبيلة كاملة تحارب من أجل الحكم في القرن 12م أبناءً لمحمّد الڤليل الذي هو نفسه ولد في القرن 12م!! ونستثني هنا (أولاد عطيّة) الذين بمنطقة ڤالمة، لأنهم حقيقية أبناء عطيّة بن محمّد الڤليل، ولا نظن لهم علاقة بأولاد عطيّة القل إلا تشابه التسمية.

والصحيح في شأن أصل (بني فوغال) حسب المصادر أنهم فرع من قبيلة (ملّوسة) من كتامة البربرية، فمنهم عرش بناحية الرصّافة اسمهم (تافوغالت) قرب (ملّوثة) وينتسبون في كتامة المغرب الأقصى، ومنهم بطن ذكره ابن خلدون (ت.1403م) مندمجا في مكناسة اسمه (بني فوغال)، وفي جيجل أيضا هم مكتنفون بقبيلة (بني زونداي) أكبر أعراش قبيلة (ملّوسة) الكتاميّة، والظاهر أنهم توزعوا على هذه الأقطار في زمن الفتوح وعلى عهد غزوات الفاطميين، فصاروا يهاجرون ويعودون، لذلك نجد هذه القبيلة بالجزائر منتشرة في ڨالمة وجيجل والمسيلة وبسكرة، ولعلّ (محمد الڨليل) وليّ صالح نزل عند القبيلة فانتسبوا إليه مثل حال مولى الشقفة في (بني يدر)، أو هو رجلٌ من قبيلة (بني فوغال) نقل رهطًا من القبيلة إلى جبل بابور، ثم ادّعى الأصل الشريف فكانت له عليهم السلطة الدينية والتاريخية، وصار جدًّا فرعيّا ورثه أبناؤه وتفرقوا في الأوطان، فجعلهُ الناس أصل القبيلة كلّها وانتسبوا إليه، والله أعلم.

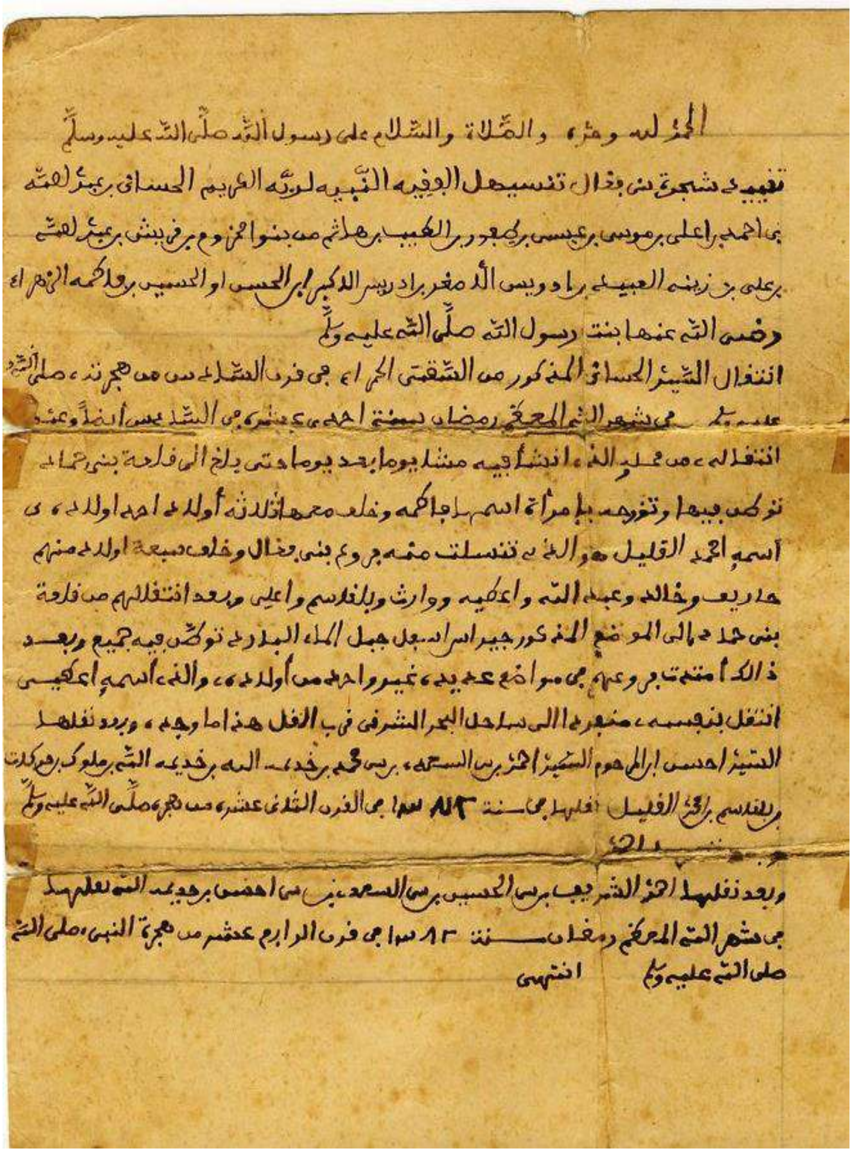

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم

تقييد في شجرة بني فوغال تنتسب الى الفقيه النبيه الولي الكريم الحساني بن عبد الله

بن احمد بن علي بن موسى بن عيسى بن سعيد بن الطيب بن هاشم من بنو احمد وم بن قريش بن عبد الله

بن علي بن زينة العبيدي بن ادريس الاصغر بن ادريس الاكبر ابن الحسن او الحسين بن فاطمة الزهراء

رضي الله عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

انتقال الشيخ الحساني المذكور من الشقفتي الحمراء في قرن السادس من هجرته صلى الله

عليه وسلم في شهر الله المعظم رمضان سنة احدى عشر من الستمائة [illegible]

انتقاله من محل الذي انشأ فيه مشيا يوما بعد يوم حتى دخل الى قلعة بني حماد

توطن فيها وتزوج بامرأة اسمها فاطمة وخلف معها ثلاثة أولاد احد اولاده

اسمه احمد القليل هو الذي تنسلت منه فروع بني فوغال وخلف سبعة اولاد منهم

حاريف وخالد وعبد الله واعطية ووارث وبلقاسم واعلي وبعد انتقالهم من قلعة

بني حماد الى الموضع المذكور [illegible] جبل الماء البارد توطن فيه جميع وبعد

ذالك امتدت فروعهم في مواضع عديدة غير واحد من أولاده والذي اسمه اعطية

انتقل بنفسه منفردا الى ساحل البحر الشرقي قرب القل هذا ما وجد وبعد نقلها

الشيخ احسن ابن المرحوم الشيخ احمد بن السعدي بن محمد بن [illegible] الله بن خديم الله بن [illegible]

بن بلقاسم بن احمد القليل نقلها في سنة ١٢[illegible] في القرن الثالث عشر من هجرته صلى الله عليه وسلم

[illegible]

وبعد نقلها احمد الشريف بن الحسين بن السعدي بن احسن بن خديم الله نقلها

في شهر الله المعظم رمضان سنة ١٣٨٣ في قرن الرابع عشر من هجرة النبي صلى الله

صلى الله عليه وسلم انتهى

مخطوط يحمل ادّعاء رجوع أصول قبايل (بني فوغال) إلى أحمد القليل

المرابط موسى:

ويذكر شارل فيرو قصة هذا الشيخ، فيقول أنه عربي الأصل انتقل من بلاد العرب إلى المغرب الأقصى في تاريخ غير معلوم، فأكرمه ملك المغرب واشتغل في قصره، ثم تركه ونزل في قبيلة بني يدر، فأكرموا ضيافته وحملوه معهم عند هجرتهم إلى منطقة جيجل في القرن 14م.

وقد اعتاد هذا الشيخ أن يستضاف في كل المحافل الكبيرة، لكن بني يدر ـ حسب رواية فيرو ـ أهملوه ذات مرّة، فخرج من عندهم مغضَبًا ورحل حتى نزل عند (وادي منشة) قرب مدينة جيجل، فاستوحى في نفسه أن البلد سيصير إليه وأنه سيرزق بابن وبنت يسميهما (فروج) و(فروجة)، فعاش حتى توُفي هناك، وبقيت سلالته (أولاد المرابط موسى)[1]. إن ادّعاء بني أحمد أصلهم في هذا الشيخ بعيدٌ غاية البُعدِ عن الصواب، وحتى روايتهم التي نقلها فيرو مخلوطة جدًّا، فقد قال في البداية: "**الجدّ الأول لبني أحمد هو المرابط موسى**"[2]، ثم قال في نهاية نقله "**صاحبه الذي كان يدعى أحمد**"[3]!! ومن ثمة فإن بني أحمد لا علاقة لأصلهم بالمرابط موسى، بل بجدهم أحمد، وإنما المرابط موسى نزل عندهم واكتنف بهم، واندمج بنوه فيهم.

[1]– L. **Charles FERAUD**: Histoire Des villes De la Provence de Constantine-Djidjelly, Op.cit, p86.

[2]– Ibidem.

[3]– Ibidem.

سعد العتيق:

وهذا الشيخ دفين مدينة الميلية، ينتمي فيه فرع (أولاد عتيق) أو (العتقة) المندمجون في عرش (أولاد قاسم) من قبيلة (أولاد عيدون) الكتامية وضريحه بالمكان المسمّى (دار الزاوش)، وليس له ورود كثير في المصادر إلا في شأن أصله وأعمال بعض أحفاده الذين ورثوا مشيخته على زاويته.

ويسعفنا حفيده محمد الصالح هيدوك (ت. 1993م) المدعو ابن عتيق بنصّ يتحدث فيه عن أصل جدّه بنقل متواتر تحرى فيه غاية التحرّي، يقول: "**انتقل الجدّ سعد العتيق من الزيبان الغربية ببسكرة واستقر بالميلية شمال قسنطينة**"[1]، وذلك طرحٌ محتملٌ جدًّا، لأن الرجل كان من الفقهاء الذين يتنقلون لنشر العلم في الأرجاء، وقد ذكر ذلك في الموضع نفسه: "**وكان حافظا للقرآن فقيها في الدين، فالتف حوله السكان وبنوا له زاوية وأحاطوه بكل عناية وتقدير، وكان مرجعا لهم في الفتوى وفصل الخصومات فيما يقع بينهم.**"، وهذا الدور قام به كثير من فقهاء عصره في مواطن متفرقة، وتورد لنا الرواية الشفوية موضع نزوله الأول بقرية (ملالة) قريبًا من (جبل حمزة) شرق مدينة الميلية، ثم انتقل منها إلى وسط المدينة للمكان الذي ذكرنا من حي (دار الزاوش)، وهناك بنى زاويته التي ما تزال آثارها على ضريحه إلى اليوم.

---

1 – **محمد الصالح بن عتيق**: أحداث ومواقف في مجال الدعوة الإصلاحية والحركة الوطنية بالجزائر، منشورات دحلب – الجزائر، 1990، صفحة الغلاف الخلفي.

وأما زمن نزوله فالراجح من سلسلة نسب محمد الصالح أن بينهما حوالي قرنين أو ثلاثة، لأن بينهما خمسة أجداد: (محمد الصالح بن الحسين بن المكي بن شعبان بن رابح بن داود بن سعد العتيق)، وذلك ما أقر به هو نفسه قال: "**أما التاريخ الذي هاجر فيه فلم أقف عليه بالضبط، ويغلب على الظن أنه كان أثناء القرن السابع عشر**.."[1]، على أننا نرجحُ من خلال عدد الأجداد أن يكون في آخر القرن 17م.

وأما نسبُه فينقل إلينا محمد الصالح أنه من نسل عمر ابن الخطاب رضي الله عنه يقول: "**أما نسبي فيتصل بأبي بكر الصديق رضي الله عنه حسبما عثرت عليه في التقييدات التي تركها الوالد رحمه الله.**"[2]، ولكن تلك التقييدات المخطوطة غابت الآن، ولذلك يصعب التحقيق في صحّة هذا الانتساب، إلا إذا اعتمدنا على مكان أصل الرجل وهو الزيبان الغربيّة، قريبًا من موضع الفتوح الذي نزل فيه (عقبة ابن نافع الفهري) ومن معه من الصحابة، ويمكننا أن نستنتج إذن أن أولاد عتيق يدّعون نسبهم في أحفاد أبي بكر الصديق الفاتحين النازلين بمنطقة بسكرة.

ولقد توارث أبناء سيدي سعد مشيخة زاويته ثم تبنوا الطريقة الرحمانية إلى زمن الفرنسيين الذين فرقوا مشيختهم، فصاروا معلّمي قرآن في الجبال والأرياف، واستمر نشاطهم إلى زمن العلاّمة محمد الصالح تلميذ عبد الحميد ابن باديس وصاحبه، فقد ذكرت لنا المصادر أسماء بعض مشايخهم من مثل:

---

[1]- **محمد الصالح بن عتيق**: أحداث ومواقف في مجال الدعوة الإصلاحية والحركة الوطنية بالجزائر، م ص ن.

[2]- م ص ن.

– رابح بن عتيق الذي أوردته التقارير الفرنسيّة المتعلقة بقيادات ثورة أولاد عيدون وقبايل الوادي الكبير عام 1871م، مقدّما للرحمانية بالميليّة.[1]

– الحسين بن براهم بن عتيق، أوردته التقارير نفسها على علاقة مع عزيز بن الحداد.

– الحسين هيدوك بن عتيق والد محمد الصالح وهو معلّم القرآن بقرية العتقة.

– محمد الصالح هيدوك بن عتيق العلاّمة معتمد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، واليد اليمنى لرئيسها ابن باديس.

– بو الأنوار بوشعيب بن عتيق المدرّس بمدرسة التهذيب بالميلية في سنوات الأربعينيات والخمسينيات.[2]

– حسين بوقجوطة ابن عتيق المدرّس بمدرسة التهذيب إلى جانب بوالأنوار بن عتيق.

– محمد الصغير بوشعيب المدعو لخضر بن عتيق مجاهد بالسلاح وعضو اللجنة الخماسية في الثورة التحريرية الجزائرية.

و(أولاد عتيق) الآن مندمجون في (أولاد قاسم) فرع قبيلة (أولاد عيدون) ولهم بهم اختلاط تام وانصهار يستحيل فرزه، وموطنهم بعد دخول الاستدمار الفرنسي في سفح جبل حمزة عند قرية ملالة الحاملة اليوم لتسميتهم (العتقة).

[1]– **Arreté du 02 Janvier 1872**, Bulletin officiel du gouvernement général de l'algérie, A. Bouyer, Alger, 12ème Année, 1873, p 26.

[2]– **البصائر**: العدد 26، السلسلة الثانية، السنة الثانية، 1948/03/08 ص 08.

ولم يكن غرضنا من ذكر هؤلاء الرجال عرض سيرة حياتهم ولا تفصيل القول في مناقبهم وأعمالهم، وحاشا لله أن يكون غرضنا الانتقاص من شأنهم، إنما جئنا بهم هنا للتحقيق في صحة ادّعاء الانتساب فيهم بين قبايل منطقة جيجل، طبعًا من خلال منهجنا الذي حددناه في عنوان هذه الدراسة وهو البحث من خلال المصادر.

كما نشير إلى أنه لا تخلو قرية من قرى منطقة جيجل ولا دوار ولا مدينة من هؤلاء الأولياء الصالحين، مع فوارق يحكمها الفقه الإسلاميّ في طريقة التعامل مع أضرحتهم، ولكن مجال دراستنا بعيدٌ عن قضية تناولهم جميعًا، بل هو مقصور بحكم موضوعه على الأولياء الصّالحين الذين اشتهر ادعاء انتساب قبيلةٍ من القبايل أو فرعٍ من فروعها فيهم، خصوصًا الفروع الكبرى التي ذكرها الفرنسيون في تقاريرهم.

الفصل السادس:

الأخلاطُ المتكنفدة بمنطقة جيجل

1- الكيان القبليّ: قدَر التدافع وسُنّة الاستلحام

يجب الاعتراف بأن الأخبار المتقطعة والمجملة، والهوة الواسعة في أصول تشكل البنية القبليّة لمنطقة جيجل قد جعلت من الصعوبة بمكان تتبع الرافد الأصليّ المضبوط لكل قبيلة من قبايلها والفروع المشكلة لها، خصوصًا وأن منطقة جيجل كانت منطقة معزولة نسبيّا في جبالها، بعيدة عن حركة التدوين التي استفادت منها غيرها من المناطق الموجودة في البسائط والتي احتضنت الصراعات المفصلية بين كبار الدول المتداولة، وحتى المعلومات التي وصلت إلينا في التدوين ميّزها العموم والإجمال للفروع الكبيرة، والتفصيل القليل فيها كان شفهيّا محمولا على ألسن شيوخ القبايل وكبار السن الذين حفظت أذهانهم شذرات ما علموا على عهد آخر المؤرخين الذين ذكروهم بالتفصيل وهو ابن خلدون (ت.1403م) الذي هو نفسه لم يدخل المنطقة إلا من أطرافها، وأما مؤرخو العصر العثماني على غرار الحسن الوزان (ت.1537م) وابن العطار (ت.1870م) وابن العنتري (ت بعد.1870م) فرغم تغلغلهم في وسط قبايل جيجل إلا أنهم أهملوا ذكر أعراقها وفروعها بالتفصيل المطلوب.

ولم يزد الجغرافيون في العصور الوسطى على ذكر أشهر المدن والمراسي في منطقة جيجل مثلما فعل اليعقوبي (ت بعد.905م) الذي وصفها انطلاقا من ميلة، والبكري (ت.1094م) والإدريسي (ت.1166م) اللذان وصفاها من جهة البحر، وأدق منهم قليلاً وصفُ ابن خلدون (ت.1403م) وقد أوردناه في الفصول الأولى من هذا الكتاب، ولكنه توقف عنده، ولم يأتِ بعده من يربط الفروع الكتامية التي ذكرها بالقبايل الموجودة

اليوم، عدا المجهود المحمود للمؤرخين لقبال (ت.2009م) وبوزياني اللذين حاولاً رتق هذه الهوة، وبذلا في ذلك جهدا جهيدًا ولكنه للأسف ليس كافيًا.

ولا جرَم أن الحديث عن تشكل ما نصطلح عليه بـ(البنية القبَليّة) دون مراعاة كونها متغيّرا أنتروبولوجيًّا هو ضربٌ من التخريف، لأن هذا النوع من التشكيل عادة ما يتبع طريقة اعتباطية تحكمها الظروف الفكرية والاجتماعية والسياسيّة التي تكون أسبابًا للحركات الديموغرافية والهجرة البشرية بكل أحجامها، كما تكون أيضًا آليّات لتدافع الأجناس وغلبة بعضها على بعض، فلا يكون الاستلحام مبنيًّا على تخطيط سياسيّ مُسبق من السلطة إلاّ في النادر من الأحوال، بينما كان يحدث ومازال وسيبقى لأنه ناموسٌ كونيّ لا مفرّ منه ما دام الانسان كائنا اجتماعيّا يعتمد في بقائه على التزاوج والاختلاط والتساكن والتصاهر والتناصر والتحالف.. وغيرها، ويحدث هذا الاستلحام الاعتباطيّ غالبًا في مستويات:

في مستوى القبيلَة :

ويحدث عندما تتحالف عدة قبايل أو عدة فروع قبليّة في قبيلة واحدة قائدة، عادةً ما تكون ذات شرعيّة (سياسية، دينية، إثنيّة..)، فتندمج فيها وتدخل في عدادها، لتوحيد الصف وجمع الكلمة، ثم ينتهي ذلك بادعاء الانتماء النسَبيّ فيها لتكوين (كنفدرالية قبليّة) إذا حققت اعتزازا وسيادة خلال الصراعات، وإنكار نسَبها والفرار منه إذا انهزمت وانكسرت شوكتها، فيندثر اسمها العام أو يبقى في مدونات التأريخ وكتب الجغرافيين وطوبونيميًا المجال، وتتفرق تلك الفروع في حركة ديموغرافية فتطلب

السيادة لنفسها وتتحول إلى قبايل مستقلة، أو تنضم إلى كنفدراليات أخرى. ويتم استقصاء أصول هذه القبايل بعيدًا عن الشكل التقليدي للنسب العرقي الباحث في الأجداد وفروعهم، بالاستسلام لـ(النسب الكنفدرالي) لصعوبة ضبط مظاهر التدامج بين الفروع وعسر تتبع تفاصيلها التي لا تحصى خصوصًا في المدى الزمني الطويل الذي ينقطع فيه التدوين وتشيع فيه الرواية الميثولوجية، لذلك يُلجأ إلى أنوماستيّة الفروع المذكورة في كتب النسابة والمؤرخين والجغرافيين، واستنطاق طوبونيميا المجال.

في مستوى الفروع القبَليّة :

ويكون الاستلحام فيها من ثلاثة أنواع: (داخلي – وخارجي – ومختلط)، فأما الداخلي فيحصل باجتماع عدة فروع من قبيلة واحدة واتحادها داخل المجال الجغرافي لهذه القبيلة أو خارجه لتكوين قبيلة جديدة تعدُّ امتدادًا للقبيلة الأصليّة، وتعتمدُ اسم الفرع الأقوى الذي يملك الشرعيّة السائدة في المرحلة، أو تأخذ لها تسمية جديدة من المكان الذي تسكنه، أو الشخصيّة الأشهر التي تحكمه.

وأما الاستلحام الخارجي فيحدث بمجيء فروع من خارج القبيلة واكتنافها بمجالها الجغرافي ثم دخولها تحت سيادتها والانتهاء مع مجيء الأجيال الجديدة بالانتساب فيها، وعادة ما يحكم مستوى القبول الاجتماعي على بقاء اسم الفرع داخل مجال القبيلة أو ذهابه وذوبانه في الفروع الأخرى.

وأما الاستلحام المختلط فيكون بحدوث الاثنين معا، أي باشتراكٍ من الفروع الأصلية والفروع المستدمجة في المجال، لبناء قبايل أو فروع جديدة تدّعي الوحدة النسَبيّة.

في مستوى الأسر والعائلات :

ويكون الاستلحام فيها بنزول شخص أو أسرة في فرع قبلي، ثم تناسلهم داخل ذلك الفرع، فإذا كان هذا الشخص أو الأسرة ذات سيادة وتأثير كبير وشرعيّة قويّة انتسب الفرع كله فيه/فيها وأنكر أصله الأوّل طلبًا للسيادة في المجال، وربّما يتجاوز ذلك إلى انتساب القبيلة كلها فيه/فيها، وإن كان هذا الشخص أو الأسرة غير مميز/مميزة بشرعيّة ابتلعه/ها الفرع واعتدّ/ت في عداده ودخل/ت في نسَبه.[1]

والعجيب أنه بالرغم من هذا التعقيد المتراكب في حركيّة تطور الأنساب، إلاّ أن العقل الاجتماعي-السياسي فضّل تجنّب التدوين الضابط لها، ومال إلى توظيف الرّواية الشفهية لادعاء الجميع في أصلٍ واحدٍ ونسَبٍ واحد، وأبدع لهُ قصصًا ميثولوجيّة تتناقلها الألسن، وكلّ ذلك لاستغلال هذه الكتل البشرية في بناء شرعيّة إثنية لكيان الدولة، تدعم وجودها، وتُوحّدُها الحميّة للدفاع عنها.

---

[1]– **أنظر**: مثلاً حال شخصيّة (عبد الله مولى الشقفة) نزيل فرع (بني عمر) في قبيلة (بني يدر) بمنطقة الشقفة من ولاية جيجل، والذي نزل شخصًا ثم ادّعى الفرع انتماءه فيه، ثم انتهى بادعاء القبيلة كلها الانتماء فيه.

2- أسس النسب في حال أخلاط منطقة جيجل

إنّ كلّ ما فصّلناه في مسألة الاستلحام الذي تحدث عنه عمارة وبوبيدي في أبحاثهما قَدَرٌ أصاب كل المجالات البشرية النشطة ولم ينجُ منه -أو من جزء منه على الأقل- جنس من الأجناس، ولكنّه لا يمنع الباحث من استثمار المصادر المتاحة لتقصّي ما نصطلح عليه هنا بـ(روافد) الفروع -الأصليّة والمستلحَمَة- المشكّلة لكيان (كنفدرالية قبليّة)، ويمكننا امتحان هذا الطرح في دراسة حال كنفدرالية كتامة منطقة جيجل بإتباع أسس النسَب المعتمدة عند جمهور النسّابة وهي:

❖ **الأساس الجينيالوجي** المعتمد على السلاسل النسبيّة الثابتة في كتب النسابة والمؤرخين مع التجريح في مدى صحتها وضعفها، وكذا تسميات الفروع القبليّة الباقية من زمن آخر كتاب فصّل فيها وهو كتاب ابن خلدون (ت.1403م) أو التسميات القريبة التي مسّها التصحيف، ذلك أن ابن خلدون (ت.1403م) قال: "**وبقي في مواطنهم الأولى بجبل أوراس وجوانبه من البسائط بقايا من قبايلهم على أسمائها وألقابها والآخرون بغير لقبهم، وكلهم رعايا معبدون للمغارم إلا من اعتصم بقنة الجبل مثل بني زلدوي بجبالهم وأهل جبال جيجل وزواوة أيضاً في جباهم**"[1]، فما توفرت له الأدلة الكافية المتصلة، جاز لنا تتبع نسبه الإثنونيمي الغالب على العناصر المستلحَمَة الأخرى، مع أداء واجب الاحتراز العلمي وتجنب قطعيّة الأحكام.

---

[1]– **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص196.

❖ **الأساس الطوبونيمي** المعتمد على أسماء الأمكنة وأوصافها ومميزاتها الجغرافية، كما نقلها إلينا الجغرافيون في كتبهم، وعدد رجال القبايل الساكنين بها وأجيالهم، من مثل الاعتماد على قول البكري (ت.1094م): "**..ومن هذا المرسى إلى مرسى الزيتونة وقد تقدمت صفته (..) يسكنه قبايل من كتامة وغيرها..**"[1]، ولكن يشترط في هذا الأساس وجود أدلة على التواصل غير المنقطع لمكوث الفرع القبَلي في الموضع المذكور الحامل لاسم القبيلة أو اسم فرعها، وعدم وقوع أحداث تفيدُ إبادته أو تنقله أو تعويضه بفرع قبلي آخر حتى وإن بقي المكان حاملاً للتسمية الأصليّة.

❖ **الأساس الأُنوماستي** الذي يسمحُ بتتبع تطور تسميّات القبايل والفروع والأشخاص والأماكن.. إلخ اعتمادًا على التغيرات السياسيّة واللّسانية التي تعتري المجال، بشرط التنبّه إلى قضية تشابه الأسماء، والتأكد بالدليل من وجود روابط محققة ومنطقيّة وفعليّة بين القبايل والفروع المتشابهة أسماؤها.

❖ **الأساس الجغرافي**[2] الذي يفسر تموضع قبيلة أو فرع من فروعها في موضع دون غيره على الخارطة القبليّة، لأن المؤرخين نقلوا إلينا مميزات حركة استيطان القبايل في السواحل والهضاب والجبال، مع التنبُّه إلى قضية الجنس الذي يترك مجاله وينزل في مجال قبيلة أخرى فيُنسَبُ إليها لوقوعه تحت سلطتها، والتحقيق في ذلك.

[1]- **البكريّ**: المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب، م س، ص83.

[2]- **أنظر: إسماعيل سامعي**: علم التاريخ عند العرب والمسلمين- دراسة في المنهاج والمصادر، المطبوعات البيداغوجية لكلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، 2014/2013م، ص32.

❖ **أساس النسب السّياسي** وهو نسبٌ تصنيفيّ عادة ما كانت تستعمله الدول ذات السلطات الإثنية، عند الحديث عن المجالات التي يكلّفون فيها ولاةً لهم ليسوا سوى أُسرٍ بعينها تتوارث خدمتهم، فينسبُون إليهم كل الفروع القبليّة الدَّاخلة في مجالات سلطتهم من باب التدوين السياسي لأخبار ذلك المجال، مثل قولهم: "حدث كذا في بلد بني فلان"، يقصدون به المجال الذي يحكمه (بنو فلان) المذكورون، لكن بمرور الزمن تسجّل السلطة الرسميّة هذا النسب السياسي لجميع فروع المجال في الأسرة التي تتولى شأنهم وتسمّيه (مشيخَة)، فيتداولونه طلبًا للرضى والحظوة عند أولئك الحكام، ويأخذه المؤرخون من الوثائق الرسمية فيعتمدونه وينقلونه في الكتب.

وأكثر النماذج التي شاع فيها هذا النسب هي النماذج الشريفيّة على زمن الحفصيين والعثمانيين، فكلّ قبيلةٍ لا شأن لها سياسيًّا كانت توضعُ تحت رياسة أقرب أسرة شريفيّة –فعلاً أو تدّعي أنها كذلك– بالمنطقة، لأن هذين الدولتين اعتمدتا مشيخة هذه الأسر ولاةً على المجالات، فكانت قبايل المنطقة كلما نزلت فيها أسرة شريفيّة أو أندلسية انتسبت فيها، وتناقلت ذلك على أنه تأسيسٌ للقبيلة.

❖ **الأساس الثقافي** وهو أساسٌ ضعيفٌ، بوصفه يعتمدُ على متغيراتٍ أنثروبولوجية سريعة التطور والتأثر والتغيّر مثل (اللغة، الممارسات الدينية، البِنيَة المجتمعيّة، العادات والتقاليد، التراث الشعبي.. إلخ)، ولكنّ له دورًا ضروريًّا أحيانًا في دعم مقاربة أو تفسير بقايَا (تواجُد) أو (مرور) جنس بشري معين بالمنطقة، لذلك لا يصلُح الاعتماد عليه وحده، كما لا يصلحُ تجاهله وإغفاله.

❖ **الأساس الميثولوجي** المعتمد على الروايات المتوارثة من ألسن شيوخ أعراش المنطقة، وهو الأساس الأضعف الذي يمكن اللجوء إليه، لبعده عن التواتر الموثوق، وسهولة دخول الأسطرة والادعاءات على المعلومات الشفهية، ولكن ذلك لا يمنع أن تنجو منها بعض الشذرات التي من شأنها إعانة الباحث على المقاربة والاستنباط.

ونستثني من هذه الأسس العلميّة الصارمة الإضافات الأسريّة الخاصة التي استلحمتها بعض القبايل والأعراش، فصارت معدودة في عدادهم وهي تحفظ نسبها في غيرهم، ففي هذه الحال لا يجدي العمل بهذه الأسس كلها فيما عدا الأساس الذي يمكّن من تقصي أصل تلك الأسرة لوحدها خارج مجالها القبلي والجغرافي مع مراعاة أهميّة دراسة الأحداث التاريخية التي رافقت وجود هذه الأسرة في ذلك المجال القبلي، وكان لها تأثير على حركة الاستيطان الداخلي فيه.

والظاهر في قبايل منطقة جيجل انقسامُها على أساس التضاريس إلى ثلاثة أخلاط: سكان الجبال، وسكان البسائط، وسكان السّواحل، فأما سكان الجبال فتغلب على تركيبتهم الروافد الكتامية العريقة التي انتقلت إليها إمّا نتيجة الفرار من الحروب القريبة في ناحية الجنوب، جهة ميلة وقسنطينة وسطيف، أو لاجتناب الإغارة البحرية من جهة البحر المتوسط، فقد ذكر الجغرافي الإدريسي (ت.1166م) الذي كان مرافقا لحملات ملك النورمانديين روجار الصقلي على جيجل عام 1143م شأنهم هذا قال: "..**ومرسى الزيتونة أول جبال الرحمان وهي جبال وجبأة عالية مشرفة على البحر ومنها إلى القل وبه ديار وناس ساكنون بها وهم الآن في أيام سفر**

الأسطول يرحلون إلى الجبال ولا يبقون فيها شيئاً من آثارهم.."[1]، كما ذكر علي خنوف وصف ابن الأثير (ت.1232م) لذلك أيضا قال: "**فلَّما رآهم أهل البلد هربوا إلى البراري والجبال.."**[2].

وأما سكان البسائط الضيقة التي تتخلل جبال جيجل فتغلب عليها فيما نعتقد الروافد العربية التي لجأت إلى المنطقة على أزمنة الصراع الساخن بين دويلات المغرب وأجناسها، لاشتهار منطقة جيجل بالحصانة من الغزو، وتلك الأسر المتغلغلة هي ما ساعد على تعريب منطقة جيجل تعريبًا تامًا، زيادة على عادة العرب في تفضيل العيش بالبسائط، على عكس كتامة الذين اعتادوا ركوب قمم الجبال لحصانتها.

وأما سكان السواحل فالراجح أنه يغلبُ عليهم مهاجرو المغرب والأندلس الذين تأخر نزولهم بالمنطقة ولم يجدوا فيها فراغات إلاّ على السواحل غير المأمونة والمفتوحة على البحر، وخصوصا إذا علمنا أن عدد رجال تلك القبايل المذكور في آخر العصر الوسيط قليلٌ مقارنة بالقبايل الأخرى، ومناسبٌ زمانيًا لتقدير نزولهم في مرحلة سقوط الأندلس ورحيل أهلها إلى شمال أفريقيا ومنها منطقة جيجل، وعلى هذه الأسس سنعتمد في بحثنا هذا لتقدير روافد القبايل من خلال المصادر التي استطعنا جمعها.

---

[1]– **الإدريسيّ**: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، م س، ص 123.

[2]– **ابن الأثير**: الكامل في التاريخ، م س، ج9، ص326.

3- مسار تطوّر البِنيَة القبَليّة لمنطقة جيجل

سنأتي الآن إلى تخصيص الكلام عن ما وقع بمجالاَت منطقة جيجل، قبل أن نخلص إلى تفصيل القول في كل قبيلة على حدى، وذلك ليفهم القارئ الكريم الظروف والأسباب التي أفضت بالقبايل الموجودة اليوم بالمنطقة إلى التشكّل على هذا النحو والتسمّي بهذه التسميَات وما علاقتها بالتسميات الوسيطية والقديمة المذكورة عن فروع كتامة التي سلّمنا من خلال ما أسلفنا هنا باستمرار وجودها في هذا المجال.

والحقيقة أن الجنس الكتامي المذكور بمنطقة جيجل تقديريًّا منذ القرن 11 ق.م قد استطاع الصمود في كل العصور من خلال تقنيات اعتمدها هؤلاء وفق الظروف التي أملتها عليه كلّ مرحلة، ومن خلال مرورنا بهذه المعطيات يمكننا أن نلخّص المراحل التي مرّ بها تشكّل الكنفدرالية الكتامية الجيجلية بالشكل الآتي:

مرحلة التكنفُد والاستِلحَام (من القرن 11ق.م إلى زمن الفتوح):

وهي المرحلة التي بقيت فيها المجالات القبلية الكتامية معتصمة بالجبال الممتدة من القل إلى بابور، واتخذت لها مواقف عسكرية حاسمة من خلال فروعها الموجودة قريبًا من مراكز السلطة بسيرتا وميلاف وروسيكادا وإجيلجيلي وسيتيفيس وغيرها.. وقد استمرت هذه الغلبة الكتامية في مجالها الجبلي الحصين بالرغم من مرور الأجناس التي ذكرناها في بداية هذا الكتاب: (شيتواي، سيتيان، كويرينا، بابار، وغيرهم...)، بفضل اتخاذها آلية الانضمام إلى التمردات والثورات مثل ثورة (يوبا الأول) و(عرابيون)

و(تاكفاريناس) وغيرهم.. ثم استَلْحَمَتْ فروعًا أخرى فرَّت إلى مجالاتها ودخلت تحت حمايتها، فاستنسبتهَا عرقيًّا لغرض تدعيم الإمارة المبنية أساسًا على الانتماء العرقي، مثل (الماصيل) الذين يرجح البحث الأثري أنهم نزلوا في جبل فرجيوة و(الجيميلاّي) الذين نزلوا في جبل جيملة، وقد استطاع الكتاميون الذين كانوا حاملين آنذاك لتسمية (**أُكُوتَامَنْ**) بالجمع البربري أن يصنعوا الإمارة الإثنية التي دلّ عليها لوح فدولس، الممتدة من القل إلى بابور ومن ساحل البحر إلى فرجيوة، مع امتداد بعض أسرهم في المدن القريبة، بالرغم من أن السلطة السياسية الرومانية فضلت أن تطلق على كتامة جيجل في محيط المدينة اسم إحدى الفروع وهو (الزيميز) وتعميمه، ولكن الاسم العام (أُكُوتَامَنْ) هو الذي شكّل الإمارة التي وجدها المسلمون عند وصولهم للمنطقة وتحدثوا عن فروعها وقوتها وسيطرتها على المجال.

مرحلة التحصّن والهجرة والنفور (من زمن الفاطميين إلى زمن الفرنسيين):

وفي هذه المرحلة التي أعقبت انهيار السّمعة الكتامية، بعدما استبدلتها السلطة الفاطمية بصنهاجة، ثم بعدما استرجع الزيريون المذهب السنّي وتمّ تكفير الشيعة، بقيت التهمتان ملتصقتين بكل الفروع المنتسبة في كتامة، فشاع الطغيان عليهم وهجروا وتفرقوا وانحسروا إلى مجالاتهم القديمة بجبال جيجل وأوراس، ثمّ تبنّوا آلياتٍ للفرار من النسب الكتامي إلى أنساب أخرى، واللّسان الكتامي إلى اللسان العربيّ، حتى ينجوا من هذا الطغيان الذي استمر فيهم لأكثر من أربعمائة سنة، وكان تفصيل ذلك بمنطقة جيجل بالأشكال الآتي ذكرها:

- الحفاظ على التسميات الأصليّة، والهروب إلى قمم الجبَال وشعابها، مثل: (جيملة، وجانة، بني سكفان، بني زونداي، بني تليلان وغيرهم...)

- الفرار من النسب الإثني التقليدي والانتساب في الطوبونيما (أسماء الأماكن)، مثل (مشاط، تابلوط، آخراط، حمديج، الطهر وغيرها...)

- تبجيل الفروع القبليّة العربيّة النازلة بالمنطقة وادّعاء الدخول تحت نسبِها، مثل (بني حبيبي، أولاد تبان، أولاد مبارك، بني صبيح وغيرهم...)

- تسييد أسر وجماعات قبليّة مُقبلة من خارج المجال الكتامي وادّعاء النسب فيها، مثل (أولاد عيدون، بني يدر، بني عمران، بني قايد وغيرهم...)

- تسييد أشخاص من خارج القبيلة ذوي شرعيات مختلفة وادّعاء النسب فيهم، مثل (أحمد العابد مولى الشقفة، أحمد بن فرقان وغيرهما...)

وهذه الآليات المحكمة في الفرار من النسب سهّلتها عملية النقل الشفهي وانعدام التدوين، وهي ما جعل المؤرخين الفرنسيين ومن تبنوا مقارباتهم في حال منطقة جيجل مثل بوجمعة هيشور وعلي خنوف وحسني قيطوني وغيرهم، يعتقدون أن منطقة جيجل أفرغت تماما في العصر الوسيط، ثم تعرضت لعملية (إعادة استيطان) بداية من القرن 14م من طرف العنصر المهاجر من الأندلس والمغرب والساقية الحمراء، في شكل تلك الأسر وأولئك الأشخاص، وهي مقاربة ضعيفة ينكرها ما يلي:

– استمرار ذكر وجود العنصر الكتامي بجبال منطقة جيجل وسواحلها بشكل متصل غير منقطع في المصادر القديمة والوسيطية التي أسلفنا ذكرها إلى غاية إمارة (أولاد ثابت) الكتاميّة على زمن الحفصيين، ثم ذكرهم بإحصائيات ديموغرافية ضخمة خلال زمن العثمانيين.

– إذا كانت المنطقة قد أفرغت من العنصر الكتامي وأعيد استيطانها من هذه العناصر الجديدة، فمن أين إذن أخذ سكانها الجدد اللسان البربري الكتامي؟ وكيف عرفوا الأسماء الكتاميّة المنتشرة في كل زوايا طوبونيميا المجال الجيجلي؟!

– كيف لرجل واحد نزل بمنطقة جبليّة في القرن 15م أن يكون له في نسله قبيلة من نحو 5000 فرد بعد أربعة قرون فقط في إحصائيات القرن 19م؟!

– كيف تسمح الدول المتعاقبة بإهمال منطقة استراتيجية أمنيًّا واقتصاديًّا، وغنية بالثروات الزراعية والبحرية كما يذكره المؤرخون الذين أسلفنا ذكرهم، فتبقى فارغة حتى يستوطنها أسرٌ وأفراد ويتوسعوا فيها بهذا الشكل؟ فمن هم الذين غزاهم النورمانديون الصقليون سنة 1143م؟ والجنويون سنة 1245م إذا كان المجال فارغا بهذا الشكل؟

كل هذه أدلة حاسمة في قضية تفريغ المجال الجيجلي وإعادة تعميره في عملية (إعادة الاستيطان) التي ادّعاها الفرنسيون وتبنّاها أتباعهم.

4- توزع مجالات الأخلاط المتكنفدة

إننا نؤكدُ قبل مقاربة هذه الأصول بأن كل القبايل التي سنذكرها تعرضت للاختلاط والتدامُج النسَبيّ مع أخلاط الفينيقيين والرومان والوندال قديمًا، ومع المشارب العربيّة والمستعربة والتركيَّة والأندلسيَّة في العصر الوسيط، وحتى الأوروبية مع غزاة العصر الحديث، إلا أن كيانها صمد صمودًا رافقه اختلاطٌ تامٌّ، فأصبحت كنفدراليات مصغّرة مكونة من (**أخلاط**) داخل كنفدراليّة كتامة منطقة جيجل، والحديث عن ما يصطلح عليه بـ "الدم الصافي" أو "العرق النقيّ" في هذه المنطقة النشيطة ديمغرافيا ضربٌ من الخبل العلميّ والخرط المعرفي، وتتيح لنا طوبونيميَا المجال تقسيم الخارطة القبليّة لمنطقة جيجل بين غلبة أربع كنفدراليّات كتامية كبرى وهي:

- **أخلاط مجالات كنفدراليّة دهَاجة:** على الضفة اليمنى للوادي الكبير في جبال الرحمن (الميليّة) ومن واد زهور إلى مصب الوادي الكبير، وتضم أخلاطًا كثيرة.
- **أخلاط مجالات كنفدراليّة إجَّانة:** وتمتد مع السلسلة الجبليّة الموازية للبحر من الضفة اليسرى للوادي الكبير إلى غاية جيجل، وهي الأكثر اتساعًا واختلاطًا.
- **أخلاط مجالات كنفدراليّة ملوسة:** وتنقسم بين مجالين واسعين: جبال بني تليلان شرقًا، وجبال بابور غربًا، وكذلك تضمّ أخلاطًا كثيرة جدًّا.
- **أخلاط مجالات كنفدراليّة جِيمْلَة:** وتمتد على طول السلسلة الجبلية بين جيجل فرجيوة، وفيها أخلاطٌ كثيرة أيضًا.

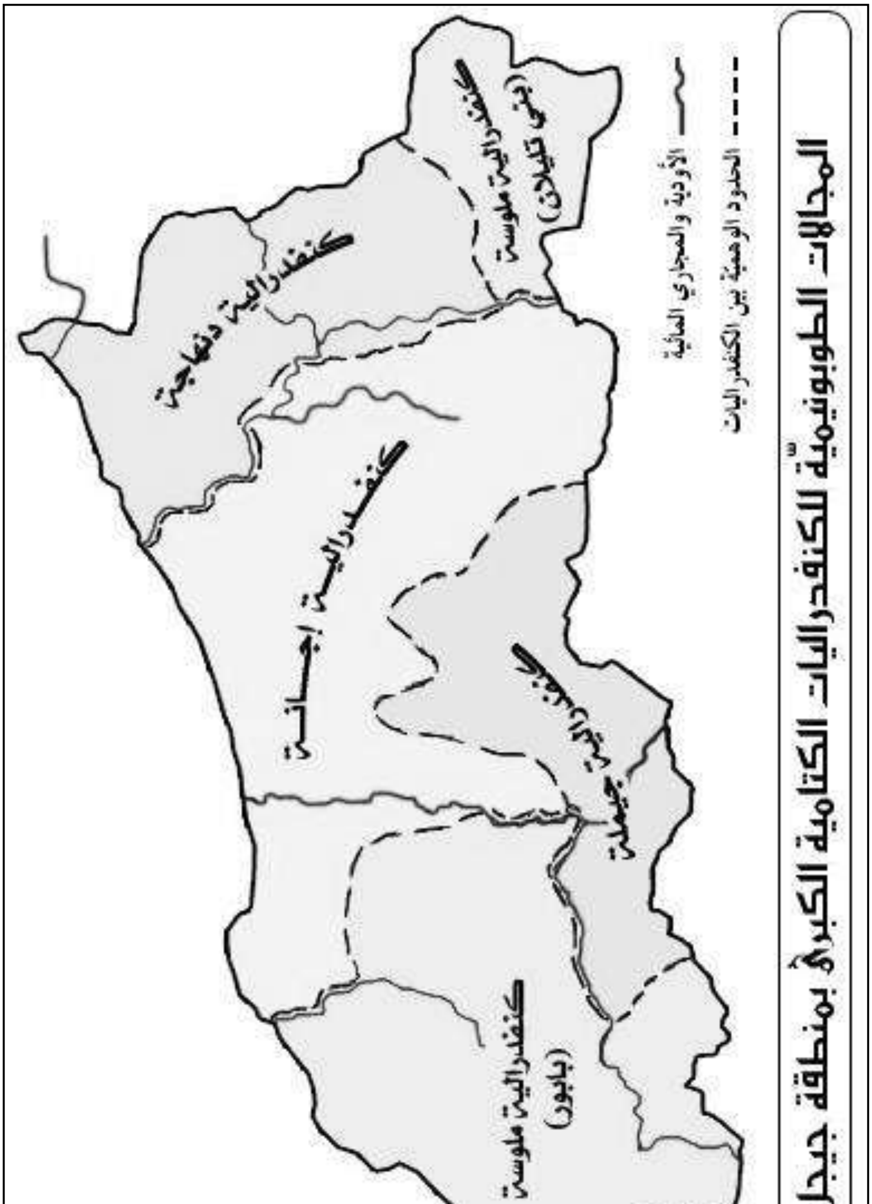
المجالات الطوبونيمية للكنفدراليات الكتامية الكبرى بمنطقة جيجل
الأودية والمجاري المائية
الحدود الوهمية بين الكنفدراليات
كنفدرالية دنهاجة
كنفدرالية إجانة
كنفدرالية ملوسة (بني تليلان)
كنفدرالية ملوسة (بابور)
جيملة

1- أخلاط مجالات كنفدراليّة دنهاجة (دناڤة):

ويقصدُ بمصطلح (أخلاط) أن هذا الموطن لا تسكنه قبيلة دنهاجة لوحدها، بل تَستلحِمُ فيه الكثير من الفروع القبَليّة الأخرى من كتامة والبربر والعرب والشرفاء والأندلسيين.. وغيرهم، ولكنّ إطلاق اسمها على هذا المجال عائدٌ لكونه مجالها الأصليّ الذي غلب فيه وجودها في عصور كثيرة، قبل أن تختفي تسميتها وراء أسماء الفروع الجديدة المتشكلة عقب النكسة الكتاميّة، ولا نرى حرجًا علميًّا في استحياء تسميتها هذه في عصرنا هذا ما دمنا نعتقد أن عنصرُها البشري لا يزال غالبًا على الروافد الأخرى بدليل ما سيأتي ذكرُه، ولو بتسمياتٍ جديدةٍ متفرقة.

ويبدو أن تسميَة **(دنهاجة)** التي هي فرعٌ من كتامة بهذه الصيغة دخل عليها التّعريب، والأصل فيها **(دناڤ)** وجمعها الكتامي (آدناڤن)، ولكن العرب عدّلت نطقها ليناسب الذوق اللّغوي العربيّ، مثلما فعلت بـ**(صنهاجة)** التي أصلها البربري **(إزناڤن)** وقد أسلفنا شرح ابن خلدون (ت.1403م) لهذه القضية عند ذكرنا لفروع كتامة في أول هذا الكتاب فانظر هناك تجده، و**(دناڤة)** من الفعل الكتامي **(دنَّڤ)** ومعناه بالعربيّة (نظر)، وهو معنى ما يزال مستعملا بنواحي سطيف في البيئة القديمة لكتامة، ويبدو أن هذه التسمية مرتبطةٌ ببعض فروع القبيلة اتصفوا بهذه الصفة، أو بجدّ اسمهُ (دناڤ) من جماعة إيسُّودا الكتاميّة، و(دنهاجة) من أقدم فروع كتامة ذكرًا، موطنها منطقة الميليّة في (جبال الرحمن) الممتدة على الضفة اليمنى للوادي الكبير من رأس بوڤرون إلى جبل سڤاو المطل على مدينة قسنطينة، واسم مرسَاها (مرسى دنهاجة) أو

(مرسى الزيتونة) واليوم يُسمّى (مرسى واد زهور)، ويفصلُ بين مجالها ومجال إجانة الوادي الكبير الممتد على طول المجال إلى مصبه في البحر.

وأقدم من أورد ذكر هذا الفرع من كتامة اليعقوبي (ت بعد.905م) في كتابه **البلدان** في القرن 09م على عهد دولة الأغالبة، وعدّ مواطنهم في مراسِي ميلة لأنها كانت عاصمة دولتهم، قال: "**ومدينةٌ عظيمة جليلة، يقال لها ميلة (..) وسواحل البحر تقرب من هذه المدينة ولها مرسى يقال له جيجل ومرسى يقال له قلعة خطاب، ومرسى يقال له أسيكدة، ومرسى يقال له مابر، ومرسى يقال له مرسى دنهاجة، وهذا البلد كله عامر، كثير الأشجار والثمار، وهم في جبال وعيون**"[1]، فانظر إلى ذكر اليعقوبي لمرسى جيجل ومرسى قلعة خطاب من جهة الغرب، ثم مرسى سكيكدة ومرسى مابر (لعله القلّ) من جهة الشرق، ثم (مرسى دنهاجة) المقابل مباشرة لميلة من جهة البحر، وهو ما يجعل مكانه بالتدقيق هو مكان اتصال جبال الرحمن بالبحر، ويُدعى بعد ذلك (مرسى الزيتونة)، وهو إذن موضع دنهاجة، وانظر كذلك إلى قوله (عامرٌ) أي معمور بأهله وبنيانه، يشهدُ بذلك كثرة مزروعاته وأشجاره المغروسة. ونجد غير بعيد في سكيكدة (مرسى صنهاجة قرباز)، ولكن لا نجد دليلاً يؤكد تصحيفه من تسمية دنهاجة، خصوصًا بوجود كنفدرالية قبَليّة أخرى تحمل هذا الاسم.

وذكرهم القاضي النعمان (ت.974م) في القرن 10م على عهد الفاطميين في من دعم الدعوة الشيعية مع أبي عبد الله الداعي ضد حكم الأغالبة، قال: "**فعبى أبو عبد**

[1]– **اليعقوبي**: البلدان، م س، ص190.

الله من معه ومشى إلى ناحية كتامة وميلة، وهم إجانة ولطاية وجيملة وملوسة ودنهاجة وعثمان.."[1]، وذِكرُهم مع ملوسة(مالُّوس) الذين موضعهم شمال شرق مدينة ميلة من جنوب سكيكدة على عهد النعمان يشيرُ إلى بقائهم بموضعهم القديم الذي ذكره اليعقوبي عند جبال الرحمن، كما يخبر بوجود جيش لهم يتكون من رجال القبيلة، اتصل بأبي عبد الله الداعي وسار معه لقتال كتامة المعارِضَة والسلطة الأغلبية وحلفائها بمدينة ميلة.

كما ذكرهم البكري (ت.1094م) في القرن 11م وذكر أرضهم باسم مرسى الزيتونة وفصَّل فيه تفصيلاً جَليلاً، قال: "**..ثم مرسى جيجل فيه آثار للأول وهو معمور اليوم (..) ومن هذا المرسى إلى مرسى الزيتونة وقد تقدمت صفته وهذا المرسى أوّل حدّ الجبال التي تعرف بجبال الرحمن وهو جبل عظيم خارج في البحر يقابل جزيرة سردانية وهو كثير الثمار والأنهار يسكنه قبايل من كتامة وغيرها وفيها مزارع كثيرة ومراعٍ مريعة ومنها يحمل عمود الخرط إلى أفريقيا وما والاها وفيها أسواق كثيرة ومراس منها مرسى الخرّاطين ومرسى الشجرة وفي آخرها مرسى القل.."**[2]، وانظر إلى جزالة وصفه، إذ قال (يسكنه قوم من كتامة) ولعله قصد فرع دنهاجة الساكن هناك، و(غيرها) قصد به الروافد الأصوليّة الأخرى، وهو دليلٌ على تواصل الوجود الكتامي الدنهاجي في هذا الموطن على زمن البكري بالرغم من دخول

---

[1]- **أبو حنيفة النعمان**: افتتاح الدَّعوة، م س، ص 71.

[2]- **البكري**: المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب، م س، ص83.

غيره واختلاطه به، وأما (مرسى الزيتونة) المذكور الذي كان اسمه قبل ذلك عند اليعقوبي (مرسى دنهاجة)، فمُبتدؤه اليوم من جبل (آيدم) الخارج في بحر بني بلعيد ومنتهاه جبل (سيدي عاشور) غرب مرسى القلّ، وفيه مرسيان شهيران كما يذكره البكري هما: (**مرسى الخراطين**) وموضعه اليوم يضم بني بلعيد وبني فرقان عند مصب وادي زهور ويضم محطات كثيرة منها شاطئ واد عجول وشاطئ العطاف بأولاد ايزل وشاطئ آورار وخليج بني فرقان وشاطئ خناق مايون وشاطئ الولجة وغيرها... وكانت تجارته في منتجات الخرط وهو تجارة الأخشاب[1] من زمن البكري إلى زمن الفرنسيين(انظر الصورة)، و(**مرسى الشجرة**) وهو الذي مازال إلى اليوم يسمى (مرسى الزيتونة) ويضم محطات كثيرة أيضا منها شاطئ قنواع شمال بلدية الزيتونة الحاملة للاسم القديم، وشاطئ تابلوط، وخليج تامنارت، ورأس العشاش(سيدي عاشور) وغيرها.

---

[1]– **Voir**: **L.C. FERAUD**: Les Corporations De Métiers à Constantine Avant La Conquête Française (Traduction D'un Manuscrit Arabe), Revue Africaine, Op.cit, N° 16, 1872, p 453.

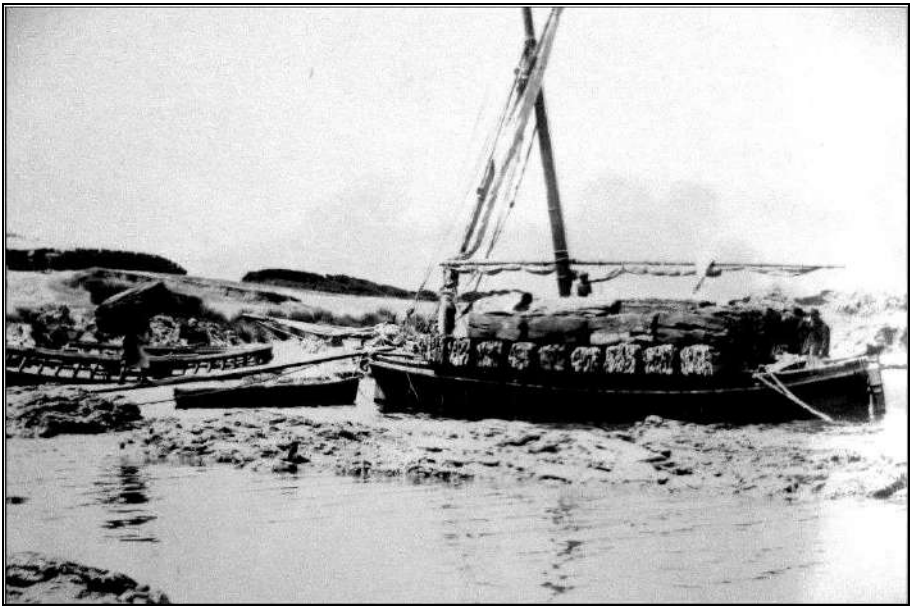

تجارة الأخشاب في مرسى الخراطين (واد زهور) سنة 1899م على زمن الفرنسيين

وكذلك الإدريسي (ت.1166م) في القرن 12م، ذكر هذا المرسى وقال أنه عامر قال: "..**ومن جيجل إلى وادي القصب عشرون ميلاً وهناك مسقط واد يأتي من ظهر ميلة مع الجنوب. ومن وادي القصب إلى مرسى الزيتونة على التقوير ثلاثون ميلاً وروسية عشرون ميلاً ومرسى الزيتونة أول جبال الرحمن وهي جبال وجبأة عالية مشرفة على البحر ومنها إلى القل، وبه ديار وناس ساكنون بها وهم الآن في أيام سفر الأسطول يرحلون إلى الجبال ولا يبقون فيها شيئاً من آثارهم**.."[1]، وقوله (به ديار) يعني مرسى القل، وقوله (ناس ساكنون بها) أي بجبال الرحمن عند مرسى

[1]– **الإدريسي**: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، م س، ص 123.

الزيتونة الذي يذكره، ويبدو من قوله (ناسٌ) أنه لم يعرف حقيقة أصولهم التي شهد البكري قبلَهُ باختلاطها، ولكنه بالرغم من ذلك شهد على تواصل الوجود البشري بالمنطقة على زمنه، ويظهر من عرف الانسحاب إلى الجبال أنه يتحدث عن فروع كتاميّة لها قواعد خلفيّة في مشاتي الجبال تلجأ إليها في الصيف هروبًا من الغزو، وفي هذا المجال عند مرسى الزيتونة لا شك يتحدث عن الوجود الدنهاجي المختلط بالروافد المنضافة من جهاتٍ كثيرة أخرى.

وابن خلدون (ت.1403م) ذكرهم في القرن 14م وقال أنهم أبناء إيسّودا بن كوتام فقال: "**فمن يسّودة قبايل فلاّسة ودنهاجة ومتوسة وآوريسن (..) بقايا من قبايلهم على أسمائها وألقابها، والآخرون بغير لقبهم...**"[1]، وذِكرُه لهم هنا في سياق سَردِ ما كان قديمًا، وليس ما هو كائن على زمنه الذي لم تبق فيه إلاّ بقاياهم، ولكن شهادته في الكتاب نفسه على أحداث ولاية (أولاد ثابت) الكتامية بجبال الرحمن في عصره، دليلٌ على استمرار غلبة الوجود الكتامي في هذا المجال، وإن كان بفروع حاملة لألقاب جديدة، وينسحبُ ذلك على فرع دنهاجة لأن أكثرها هاجر إلى المغرب وفروعها المتبقية استقلت بأسمائها أو نَسَبَت نفسها في أنساب سياسيّة جديدة، فاندثر الاسم العَام للكنفدرالية القبليّة ولم يبق إلاّ أثره في الكتب.

واسم (مرسى الزيتونة) هو الذي وجدهم عليه الفرنسيون عند دخولهم، وجدنا ذلك عند لورنت شارل فيرو في القرن 19م: "**رأس بوڨرون أو ميطاغونيوم عند**

[1]– **مبارك إبراهيمي الميلي**: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، م س، ج2، ص217.

البحارة اليونان، أو جبال الرحمن عند الجغرافي البكري ومؤرخي العصور الوسطى، ويليه مرسى الزيتونة الذي كان قديما أحد أكبر أقطاب التبادل التجاري مع القبايل البربرية.."[1]، وهذا شأنٌ عظيمٌ ما ذكره فيرو عن مبادلاتهم التجارية مع سواحل جنوب أوروبا، واعتراف من هذا الباحث على وجود تواصُل أخبار الوجود البربري –الدنهاجي الكتامي- المختلط مع غيره في هذا المجال إلى زمن الفرنسيين في شكل النشاط التجاري الذي كانت تمارسه مع الأمم الأخرى.

وهؤلاء دنهاجةُ أشهرَ المهاجرين من قبايل كتامة إلى المغرب الأقصى على زمن توسُّعات الفاطميين إليه، وأشهر الأماكن التي هاجروا إليها قصر الملوك بالمغرب واسمه (قصر ابن عبد الكريم)، ذكره البكري (ت.1094م) قال: "**..ثم تسير إلى قصر دنهاجة، وهو على تلّ وتحته نهر عظيم وفيه آثار للأول وبه كان ينزل ملوك المغرب في قديم الدّهر.."**[2]، وهو ما جعل الكثير من قبايل منطقة الميليّة موطن دنهاجة الأصلي تدّعي أن نسبها من ملوك المغرب وذلك غالط ولا شك، لأنه لا دليل عليه ولا مصدر يتحدث عنه وسيأتي تفصيل ذلك.

والإدريسي (ت.1166م) ذكره قال: "**ومن بلاد مكناسة في جهة الغرب إلى قصر ابن عبد الكريم ثلاث مراحل، وقصر ابن عبد الكريم يسكُنُهُ قوم من البربر يُسمّون:**

---

[1]- **L.C. FERAUD**: Histire des Villes de la Provence de Constantine – Djidjelly, Op.Cit, p23.

[2]- **البكريّ**: المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب، م س، ص 110.

دنهاجة، وهي مدينة صغيرة عامرة بأخلاط دنهاجة وهي على نهر أولُكس"[1]، وانظر إلى استعماله لمصطلح (أخلاط) قبيلة دنهاجة، للتعبير عن من انضاف إليها من فروع القبايل الأخرى واستَلحمَتهُم حتى في ذلك المجال الجديد الذي هاجرت إليه، فدخلوا في عدادها ونُسبُوا في نسبها، ولا شك كان لذلك تأثير على اتصالات هؤلاء الدنهاجيين بموطنهم الأصلي في منطقة شرق جيجل.

ثم ابنُ خلدون (ت.1403م) قال: "**وإلى دنهاجة تُنسب قصور كتامة بالمغرب لهذا العهد**"[2]، والعجيب أنه نسبَ كل القصور الكتاميّة بالمغرب الأقصى إلى دنهاجة، وفي ذلك نظرٌ لأن دنهاجة لم تكن الفرع الوحيد الذي رافق توسّع العُبيديين إلى المغرب الأقصى بالرغم من كونها ربما الفرع الأبرز وجودًا، ومدينتهم (القصر الكبير).

ومواطن دنهاجة الأصلي بجبال الرحمن كما ذكره ديودور الصقلّي في القديم، ثم اليعقوبي (ت بعد.905م) والقاضي النعمان (ت.974م)، وهي جبال منطقة الميليّة في أقصى شرقي منطقة جيجل، وهجرتهم إلى (القصر الكبير) بالمغرب الأقصى كانت كما ذكر موسى لقبال (ت.2009م) في القرن 10م على زمن غزوات الفاطميين إلى المغرب الأقصى، إلا أنها تركت بقاياهم في بيئتهم الأصليّة في فروعٍ بأسماء جديدة، إذ إنّ جميع النسابة والجغرافيين والمؤرخين الذين مرّوا بالمنطقة كالقاضي النعمان (ت.974م)، وابن حوقل (ت.977م)، والبكري (ت.1094م)، والإدريسي (ت.1166م)، وابن

[1]– **الإدريسي**: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، م س، ص 109.

[2]– **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص 196.

عذاري المراكشي (ت.1296م)، وابن الحاج النميري (ت.1367م)، وابن خلدون (ت.1403م)، والحسن الوزان ليون الفاسي (ت.1537م)، وابن العنتري (ت بعد.1870م)، وشارل فيرو (القرن 19)، وجدوا بقايا كتامة الدنهاجية في موطنهم، مع شيء من الاختلاط بروافد جديدة، واستمرارُ ذِكرِهم ونشاطهم التجاري بهذا الشكل المتّصل في كل العصور المذكورة دليلٌ كافٍ للتأكد بأنّ الفروع الموجودة اليوم في هذه المنطقة هي روافد دنهاجيَّة عريقة مختلطة بغيرها، متخفيّة تحت أسماء سياسيّة جديدة، وإلاّ فأين هي تلك القبايل الكثيرة المختلطة؟ هل اختفت هكذا في لمح البصر بين زمن ابن خلدون في القرن 14م وزمن العثمانيين في القرن 16م؟ ماذا حدث لهم وكيف كان تخفيهم وراء التسميات الجديدة؟ يمكننا الانطلاق من الطوبونيميَا لتقدير بقايَا هذه الكنفدرالية شديدة الاختلاط بالروافد الجديدة وتحديد فروعها الساكنة في مجالها الذي شهد المؤرخون والجغرافيون السابقون ببقائها فيه، وهم: أولاد عيدون، أولاد علي، بني بلعيد، المشاشطة، بني فرقان، أولاد بوفاهة والله أعلم.

أولاد عيـدُون:

وأمّا أولاد عيدون فهي قبيلة كبيرة جدًّا كثيرة الأفراد، فروعها بحجم قبايل منفصلة، ولذلك عدّها لويس رين (كنفدراليّة)[1] وكانت لها بفضل هذه الكثرة السيادة على حوض الوادي الكبير منذ بروزها للواجهة السياسيّة خلفًا لسلطة (أولاد ثابت) المنهارة في نهاية القرن 14م، ولكن هذه المكانة الهامة التي تبوأتها القبيلة تدفعنا إلى التصرّف بحذر شديد مع مسألة أصولها والروافد المشكّلة لبنيتها القبَليّة، خصوصًا وأن المصادر القديمة تشيرُ إلى عراقة وجودها، ونستوضح ذلك كالآتي:

إن الطرح المتعلّق باستمرار التواجد الدنهاجي الكتامي بـ(جبال الرحمن) على الضفة اليمنى للوادي الكبير، وامتداد مجالاته من مرسى الزيتونة على ساحل البحر إلى الجبل المطلّ على قسنطينة أين حدود فرع ملوسة(مالوس)، يسمحُ لنا بمقاربة نسبَة ساكنة هذا المجال في جنس دناقة(دنهاجة) مع بعض اختلاط بملوسة تثبته الطوبونيميَا، خصوصًا بوجود شواهد تذكر أن المجال كان معمورًا كما أسلفنا في قول ديودور قديمًا ومن جاء بعده في العصر الوسيط، ولكن هذه المقاربة تطرحُ إشكال تغير التّسمية وتفرق الفروع، فإذا سلّمنا بنفور دناقة من نسبهم الكتامي وتخفيهم وراء الانتساب في غيره، فمن أين إذن جاء اسم (عيدون)؟ ولماذا انتسبت القبيلة إليه؟

---

[1]– **Voir** : **Louis RINN** : Le Royaume d'Alger sous le dernier Day, Revue Africaine, Op.cit, N° 228, 1898, p 308.

تنقُل إلينا الرواية الميثولوجية الجمعيّة إجابةً عن هذا الإشكال في قصة رجل اسمه (العيد) جاء من الأندلس بعد سقوطها ونزل بالضفة اليمنى للوادي الكبير وأسس مع بنيه القبيلة، وأخذ الفرنسيون هذه الرواية وتبنوها في تقاريرهم[1]، ووافقهم عليها هيشور[2] وقيطوني[3]، ولكنّ هذه الرواية جدّ بعيدةٍ عن الصواب في شقها المتعلق بتأسيس القبيلة، لأن سقوط الأندلس كان نهاية القرن 15م، وآخر قلاعها غرناطة سقطت بيد المسيحيين سنة 1492م، ومعنى ذلك أن تأسيس قبيلة أولاد عيدون كان قريبًا من هذا التاريخ، وهو أمر محالٌ بالنظر إلى أن الفرنسيين سنة 1867م، وبعد تقتيل وتشريد ونفي مئاتٍ من أفراد القبيلة باعترافهم هم أنفسهم خلال ثوراتها المتواصلة منذ 1847م، أحصوا فيها أكثر من 5265 نسمة، مع فرعهم أولاد علي الذي كان يحصي آنذاك 1217 نسمة، أي أننا يمكن أن نقدّر عددهم قبل ذلك على الأقل بـ6482 نسمة، فهل من المعقول مهما كان معدل النموّ أن يتناسل من رجلٍ واحد هذا العدد الضخم من الأفراد في أقل من أربعة قرون من 1492م إلى 1867م؟! هذا مستحيلٌ طبعًا بكل المقاييس.

---

[1]- **Voir**: Rapport N° 182 de Senatus-Consultes, et **Voir** : Ouled Aidoun, le journal officiel, 1896.

[2]- **Voir**: **Boudjemâa HAÏCHOUR**: L'espace kétamien d'El-Milia, Revue Révolution Africaine, N° 1658, du 06 au 12 Décembre 1995, p33.

[3]- **Voir**: **Hosni KITOUNI** : La Kabylie Orientale dans l'Histoire, Op.cit, p 70.

ولعلمنا بتغلغل العنصر العربي الهلالي والسُّلَمي إلى المنطقة، حاولنا تحرّي إثنونيمَا أولاد عيدون وفروعهم في كتب المؤرخين والنسابة لعلّنا نجد شيئا من العرب اكتنف بهم، فوجدنا اسمين قريبين من (أولاد دبّاب) و(أولاد حناش) –وهما فرعان معروفان من فروع أولاد عيدون– عند ابن خلدون (ت.1403م) إذ يوردُ فرعًا اسمه (دباب) في بطون بني سُلَيم بن منصور، ولكنه يذكرُ موطنهم في طرابلس من بلاد ليبيا، يقول: "**ويربطون هوّارة بمواطنهم الأولى من نواحي طرابلس ظواعن وآهلين، توزّعتهم العرب من دباب فيما توزعوه من الرعايا..**"[1]، ويبدو أنهم تركوا فرعًا صغيرا عند قدومهم في حرب الدواودة مع السلطان الحفصي المستنصر عام 666هـ/1268م كما أسلفنا ذكره، إذ خالطوا سدويكش الكتاميين ومشوا إلى مجالاتهم، فنزل فرع صغير منهم شمال قسنطينة عند جبل بوخداش بالميليّة، عند دنهاجة وبعض ملوسة الموجودتين هناك، لكن اسمه ظهر عليهما واستلحمهُما، ثم دخل الجميع في كنفدراليّة أولاد عيدون بعد ذلك برابط مشترك النسب الدنهاجي.

وأما (أولاد حناش) فقد ذكر ابن خلدون (ت.1403م) تسمية قريبةً منهم في بطون المرتفع من قبايل بني هلال قال: "**فأما المرتفع فثلاثة بطون: أولاد تبان، ورياستهم في أولاد محمد بن موسى، وأولاد حناش، ورياستهم في بني عبد السلام..**"[2]، وهؤلاء باتفاق المؤرخين هم قبايل (الحنانشة) سكان ضواحي سوق

---

[1]– **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص 185.

[2]– م ن، ج6، ص 33.

أهراس في الحدود بين الجزائر وتونس، ورياستهم منذ زمن ابن خلدون إلى زمن الفرنسيين متنقلة من فرع (بني عبد السلام) إلى فرع (العواسي) وهم في موطنهم إلى اليوم، وكذلك لم تشهد المصادر لهم طريقًا إلى جبال الميلية، لذلك نرتاب من نسبة (أولاد حناش) أولاد عيدون، في (أولاد حناش) المرتفع من بني هلال، والله أعلم.

وبتقصّي تسمية (عيدون) في مجال الأندلس، انطلاقًا من كون سكان الميليّة يدّعون أنه أحد علمائها، نجدها تسميةً لها علاقة حقيقيّة بكثير من علمائها، من نحو (إسماعيل بن القاسم بن عيذون القالي)[1] صاحب كتاب الأمالي، و(عبد المجيد بن عيذون)[2] ذو الوزارتين وغيرهما..، أي أن تسمياتٍ مشابهة كانت موجودة على زمن الأندلس فعلاً، ولكن يبدو واضحًا أن (عيذون) بالذال المعجمة مشتقة من (كثرة التعوذ بالله)، بينما تسمية (عيدون) التي بين أيدينا تصغير اسم (العيد) كما تشهدُ به الرواية الشفوية نفسُها، ويشهدُ به اسم موطن نزوله الأوّل عند ضفاف (وادي عجول) في شرق (مرسى الخراطين) الذي نسب بعد ذلك إلى ابنه الذي تركه هناك، فصار يسمى ساحل (بني ابن العيد)، ولكن هذه التفاصيل لا تسعفنا في معرفة أصل هذا الرجل ولا قيمته العلميّة فيما عدَا إطلاق هذا الاسم الاشتقاقي عليه، بينما يشهدُ التقديس الذي ناله عند نزوله في الموطن المعمور ببقايا دناقة (دهاجة) على كونه ذا مكانة مرموقة آنذاك.

---

[1]- **الزركلي**: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط15، 2002، ج1، ص 321.

[2]- **محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي**: سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، 2001، ج19، ص 599.

ويتبنّى بعض اللغوين طرحًا تأصيليًّا للفظ (عيدون) بعيدًا عن كونه تسمية شخصٍ بعينه، بل يتصورونه تصحيفًا للفظ (عائدون) بالقراءة المغربيّة التي لا تحقق الهمزة، فتنطقه (عايدون) التي أصبحت بعد التصحيف (عيدون)، وهؤلاء الـ(عائدون) ـ في تصور اللّغويين ـ هم كتامة الذين ارتحلوا إلى القاهرة ثم رجعوا إلى موطنهم فنزلوا بجبال الميليّة[1]، وهذه المقاربة على الأساس اللغوي غالطة بكل المقاييس، إذ لم تكن لفرع كتامة الميلية دناقة(دنهاجة) رحلة إلى مصر بل إلى القصر الكبير بالمغرب كما أسلفنا ذكره، لذلك استثناهم ابن خلدون من الهجرة إلى القاهرة مع جوهر الصقليّ عام 358هـ/969م وعدّهم من بقايا كتامة بجبال منطقة جيجل موطنها الأصلي، كما لم نجد لفروع كتامة المهاجرة إلى مصر طريقَ عودةٍ إلى الميليّة في كتب المؤرخين، بل ذكر ابن خلدون أنهم هلكوا في ترفها وبذخها، قال: "..**اختطوا القاهرة أعظم الأمصار بمصر، وارتحل المعز رابع خلفائهم فنزلها وارتحل معه كتامة على قبايلهم واستفحلت الدولة هنالك وهلكوا في ترفها وبذخها، وبقي في مواطنهم الأولى بجبل أوراس وجوانبه من البسائط بقايا من قبايلهم على أسمائها وألقابها، والآخرون بغير لقبهم وكلهم رعايا معبدون للمغارم إلا من اعتصم بقنة الجبل مثل بني زلدوي بجبالهم وأهل جبال جيجل وزواوة أيضاً في جباهم**"[2]، ولذلك هذه المقاربة غالطة بعيدة عن الصّواب ولا تنفعُ في باب الأصول شيئًا.

---

[1]– **أنظر**: **عمر شيدخ العيدوني**: مملكة الفلاقة، دار الهدى للنشر والتوزيع، عين مليلة، 2011، ص 12.

[2]– **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص196.

وزبدة القول إذن في أصل قبيلة (أولاد عيدون) أنهم أوزاعٌ متفرقة من جنس دناڨة(دنهاجة) المعدودون في نسل دناڨ من جماعة إيسُّودا من كتامة، في سفوح جبال الرحمن عند الضفة اليمنى للوادي الكبير، ثم من خلال إثنونيميا مجال القبيلة نشيرُ إلى وجود فرع (بني ينطاس) الكتاميين، وهو ما نعتقد أن له علاقة بقبيلة (ينطاسن) التي ذكرها ابن خلدون في فروع كتامة: "**بنو ينطاسن ابن غرسن**.."[1]، وهم حاملون اليوم لقب (ڨوطاس) ومندمجون في فرع (أولاد الصالح) من أولاد عيدون، ولعلهم اختلطوا به قديمًا فاستلحَمهم، ثم لعله في القرن 13م نزل عندهم فرع من (دباب) بني سُليم فاستلحم أهل جبل بوخداش فتخفّوا تحت تسميته، وبعدَ سقوط الأندلس آخر القرن 15م، أقبلت عليهم أسرة (العيد) الذي ذكرنا ويكنّى (عيدون) من أصلٍ لم نهتدِ إليه في المصادر ولكنه كان ذا مكانة وحظوة، نزل بأهله عند ساحل (مرسى الخراطين) بوادي عجول، وترك ابنًا له هنالك اختلط بفروع دناڨة الكتاميين أهل الموطن حتى انتسبوا إليه وشكلوا برياسته كيانًا سياسيًّا تحت تسميَة (بني ابن العيد)، ثم انتقل هو إلى ضفة الوادي الكبير فنزل عند دناڨة جبل الرحمن ومن اختلط بهم من العرب، فسيّدوه عليهم وتخفّوا من نسبهم الكتامي المضيّق عليه بتهمة الشيعة بادّعاء نسبهم فيه.. ثم في خطوة ثانية قام (عيدون) بإعادة تأسيس الكيان السياسي للقبيلة، وشيئا فشيئا انتسب الجميعُ في عيدون، وأطلقوا على أنفسهم اسمًا سياسيًّا جديدًا يشمل هذه الأخلاط جميعًا هو (أولاد عيدون).

---

[1]– **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص 196.

ثم انضافت إليهم في مطلع القرن 16م فروع أخرى هم (أولاد العابد) الأدارسة الشرفاء، وهم أبناء (أحمد العابد مولى الشقفة) دفين منطقة بني حبيبي المتوفى سنة 1538م، والذي لم تستطع أسرته استلحام المجال الدنهاجي كعادة الشرفاء المهاجرين إلى المنطقة لقوة سلطة الأسرة العيدونيّة ونفوذها السياسيّ فيه. وكذلك انضاف إليهم فرع (أولاد عتيق) في القرن 17م بعد مجيء جدّهم (سعد العتيق) من منطقة الزيبان ونزوله عندهم، شهد بذلك حفيده محمد الصالح بن عتيق (ت.1995م) قال: "**انتقل الجدّ سعد العتيق من الزيبان الغربية ببسكرة واستقر بالميليَّة شمال قسنطينة (..) أما التاريخ الذي هاجر فيه فلم أقف عليه بالضبط، ويغلب على الظن أنه كان أثناء القرن السابع عشر..**"[1]، فاستُلحِمت هذه الروافد المتنوعة جميعًا في بنية القبيلَة، وشكّلت (كنفدرالية أولاد عيدون) الضخمة التي سيطرت على حوض الوادي الكبير إلى زمن الفرنسيين.. وقد حاولنا اختصار هذه المعلومات في كتابنا (التاريخ الكامل لمنطقة الميليّة) بنسبة القبيلة إلى رافدها الأصلي الغالب وهو فرع (دنهاجة) الكتامي، ولكن ما نذكره هنا هو تفصيل ذلك القول بأدلّته والله أعلم.

[1]– **محمد الصالح بن عتيق**: أحداث ومواقف في مجال الدعوة الإصلاحية والحركة الوطنية بالجزائر، م س، صفحة الغلاف الخلفي.

أخلاط قبيلة أولاد عِيدون ومشيختهم:

إن تقصّيًا إثنونيميًّا للروايات المتناقلة عن فروع قبيلة أولاد عيدون أفضى بنا إلى استنتاج مجيء أبناء (العيد) معه من الأندلس، والدليلُ أنه ترك ابنًا له عند نزوله بساحل وادي عجول، فانتسب فيه أهل المنطقة تحت تسمية (بني ابن العيد)، بينما نلاحظُ في مرحلة ثانية انتساب فروع الوادي الكبير في الكنفدرالية العيدونية الكبرى، وتوزعهم لكثرة العدد واتساع المجال.

وتجدُر الإشارة هنا إلى أن (أولاد علي) من فروع أولاد عيدون يردُ كثيرًا بصيغة (أولاد علي وبراهم) الذي حاول بعض الناس تأويله باللّهجة الأمازيغية للقبايل الكبرى بـ(علي أُو براهم) أي (علي بن براهم)، غير أننا نجد رواية أخرى موازية تجعل هذا الاسم صيغة جمع بين (أولاد علي وبراهم) الذي ينسبُ إلى الأخوين (علي) و(براهم) معًا، ولا دليل يرجّحُ أحد الرأيين، كما لا يصلح الخلط بين هذا الفرع وبين (أولاد علي بن عَزْفَا) المعدود في أولاد قاسم.

وتتكون قبيلة (أولاد عيدون) من ثلاثة أعراش أساسيّة هي (أولاد قاسم) و(أولاد دباب) و(أولاد حناش)، إلا أن الفرنسيين قسّموها عام 1860م إلى عرشين اثنين فقط هما (أولاد قاسم) و(أولاد دباب)، ذكروا ذلك في التقارير المتعلقة بالأراضي (Senatus-Consultes) لسنة 1867م، ثم اختلفوا إلى أيهما ينسبون عرش (أولاد

حناش)، ففي تقرير سنة 1867م جعلوا أراضيهم في مجالات أولاد دباب[1]، بينما نسبهم لويس رين سنة 1898م إلى فروع أولاد قاسم[2]، والراجحُ عندنا أنهم عرش منفصلٌ، وإنما استولى الفرنسيّون على أراضيهم التي تقع فيها قصَبَة الميليّة عاصمة حكم الكنفدرالية القبليّة العيدونيّة، و(سوق أولاد عيدون) مجمع تجارة المنطقة، و(دار الحقوق) مقر جماعة الوادي الكبير، وفرقوهم بين العرشين الآخرين.

ويذكر الفرنسيون في تقرير الجريدة الرسمية لسنة 1867م، فروع أولاد عيدون كالآتي:

- **في عرش أولاد قاسم**: (أولاد علي وبراهم)، (العجالقيّة)، (أولاد عنان)، (أولاد العربي)، (أولاد علي بن عَرْفَا).
- **في عرش أولاد دباب**: (أولاد حناش)، (أولاد الصالح)، (بني معاندة)، (أولاد بوزيد).

وذلك غير مختلف عن ما ورد في تقرير 1896م، ولكنهم أهملوا فيه الكثير من التجمعات الرئيسيّة المكتظة سكانيًّا لهذه القبيلة، والتي فضّلت التسمّي بأسماء الأماكن التي تقطنها، ففي عرش أولاد دبّاب نجد: **(أولاد بوزيد)**، **(أولاد عميُّور)**، **(بني**

[1]- **Voir**: **Boudjemâa HAÏCHOUR**: L'espace kétamien d'El-Milia, Revue Révolution Africaine, N° 1658, du 06 au 12 Décembre 1995, p34. **وانظر**: الوثيقة المنشورة في ملاحق هذا الكتاب توردت في وثائق الأراضي تقييدات الأراضي التابعة لعرش أولاد حناش في مجالات عرش أولاد دباب.

[2]- **Louis RINN** : Le Royaume d'Alger sous le dernier Day, Revue Africaine, Op.cit, N° 228, 1898, p 308.

معاندة)، (**آموشخ** آحجيلن)، (**آعمريون**)، (**برقيدة**)، (**بوالشمس**)، (**بوخداش**)، (**بولحمام**)، (**تاقنفود**)، (**تاسقيف**)، (**القصاف**)، (**بوعقال**)، (**بودينار**)، (**السهريج**)، (**المصيف**)، (**منقوش**).

وفي عرش أولاد قاسم نجد: (**أولاد قاسم**)، (**أولاد علي وبراهم**)، (**أولاد عنان**)، (**أولاد عربي**)، (**أولاد علي بن عَرْفَا**)، (**أولاد العلمي** لَعْلاَمة)، (**آشموخن**)، (**أولاد عجلة**[1] العجالقيَّة)، (**بين الجبالة**)، (**الطّهر**)، (**البعادش**)، (**بوديوس**)، (**العارصة**)، (**تالفدور** تانفدور).

وفي عرش أولاد حناش نجد (**أولاد حناش**)، (**أولاد الصالح**)، (**أولاد عتيق (العتقة)**، (**أولاد المعيزة**)، وكل أحياء المدينة القديمة (**سوق الثلاثاء**)، (**المايلة**)، (**بومهران**)، (**السويقة**)، (**الخناق**)، (**زاهر**) (**زرزور**)، (**الدردار**) ثم بعد قضاء الفرنسيين على ثورة أولاد عيدون سنة 1871م قتّلوا فرع (أولاد المعيزة) وشرّدوهم فهجروا، ولعل بقاياهم الفرع الساكن اليوم بضواحي القلّ، بينما هرب فرعَا (أولاد الصالح) و(أولاد عتيق) إلى سفح (جبل حمزة) في مجالات قرية العارصة ودخلاَ في عرش أولاد قاسم، واقتسمت أراضيهم بين أولاد دباب وأولاد قاسم.

---

[1]– **أنظر**: **علي خنوف**: تاريخ منطقة جيجل قديمًا وحديثًا، م س، ص 187.

ومن فروع (كنفدراليّة أولاد عيدون) الكبرى نجد قبليتي (**أولاد علي**) و(**بني بلعيد**) أيضًا، ولكنهما منفصلتان عنها ولهما كيان سياسيّ مستقل، لذلك آثرنا أن نوردهما في عنصرين منفردين سيأتي ذكرهما.

وأمَّا أسماء شيوخ القبيلَة ومرابطيهَا فلم يرد إلينا الكثير منها في المصادر، ولم يكن ذلك إلاَّ بعد إمارة الشريف ابن الأحرش الّذي سلّمت له كل قبايل المنطقة قيادَها سنة 1801م، وبعد رحيله اختلف أولاد عيدون من أي عروشهم تكون المشيخة، ثم أجمعوا على اختيار رجل من خارج القبيلة، وهو بورنان بن عز الدين من قبيلة زواغة لما كان له من العلم والفضل والولاية لباي العثمانيين بقسنطينة، فكانت له رياسة أولاد عيدُون ومن حولهم من قبايل الوادي الكبير. وبعد ذهاب رياسَة بورنان عام 1858م عندما عزله الفرنسيون ونفوه وجعلوا مكانه الشيخين (أحمد بن نيني) و(المرابط ابن العلمي)، ثم تفرقت المشيخة بين أعراش أولاد عيدون، فقد ذكرت الوثائق العقابية الفرنسية لقيادات ثورة أولاد عيدون عام 1871م أسماء المشايخ فكان شيخ عرش أولاد دباب هو (العربي بن مبارك البريوات) وشيخ عرش أولاد قاسم هو (مسعود بن علي بولاعة)، وشيخ عرش أولاد حناش هو (الحسين بن إبراهيم بن عتيق)[1]، ثم بعد أن أخمد الفرنسيون ثورتهم في 27 فيفري 1871م استولوا عليهم ومحوا أثر مشيختهم واستعملوا عليهم القياد.

---

[1]– النشرة الرسمية للحاكم الفرنسي العام: 1872 رقم 398 رقم14 و15، حجز عن قرار يوم 1872/01/02م.

انفصال عرش أولاد علـيّ عن أولاد عيدون:

وأمّا أهل (أولاد عليّ) الساكنون بالضفة اليسرى للوادي الكبير فهم باتفاق النسّابة فرعٌ من أولاد عيدون، وقد نقلنا في كتابنا (التاريخ الكامل لمنطقة الميلية) المنشور عام 2013م ما نقلته الرواية الشعبية عن جدهم (عليّ) أنه أخ عيدون الأصغر، ولكنّ التحقيق الذي أجريناه بعد ذلك عند أهل هذه القبيلة أثبت أن (علي) هو ابن عيدون المذكور مع أخيه (براهم) جدّ سكان تانفدور وعجنق، وأهله يسمّون في بعض المراجع (أولاد علي وبراهم)، وفي بعضها (أولاد علي) وهو في اعتقادنا العرشُ نفسه، وموطنهم الأوّل بين (تالفدور) و(بوتمّة-عجلق-) رفقة إخوانهم (أولاد براهم)، ثم انتقل فروع هؤلاء (أولاد علي) إلى الضفة الأخرى للوادي الكبير، تاركين في موضعهم القديم قرب مدينة الميلية فرع (أولاد عجلة)[1] أهل التّلة القريبة من عرش أولاد قاسم، ونسبَة الواحد منهم (عجلوقيّ)، وأهلُها (العجالقيّة)، فلمّا كانت في لسانهم خُنّة قيل (العجانقيّة)، هكذا ذكرهم علي خنوف عن مراجع الفرنسيين، وعند الفرنسيين أنفسهم وجدنا ذكرهم باسم "Adjankia"[2] ولم تُذكر عندهم بغير ذلك، فأخذت تلك التلة تسميتهم (عجلق) ونطقها عندهم (عجنق) وكانت قبل ذلك تسمى قرية (بوتمّة)

[1]– **Louis RINN**: Histoire De L'Insurrection De 1871 En Algérie, Op.cit, p 429.

[2]– ذكرها علي خنوف (أولاد عجنة) بلسان أهل المنطقة، **انظر**: **علي خنوف**: تاريخ منطقة جيجل قديما وحديثا، م س، ص187.

ذكرها فيرو في المجلة بهذا الاسم[1]، وأبناؤهم داخلون في الكيان القبليّ لعرش أولاد قاسم، وهم مندمجون فيهم مختلطون بإخوانهم من أولاد قاسم وأولاد براهم الذين تمتدّ أرضهم إلى أن تبلغ مصب وادي بوسيابة في الوادي الكبير عند تالفدور، ويختلط بهم أيضًا الكثير من أولاد العابد الأدارسة الذين نعتقدُ أنهم انتقلوا معهم عند انتقالهم إلى الضفة الأخرى للوادي الكبير بمحاذاة جبال أولاد عواط الإجانيين الكتاميين.

وأما زمنُ انتقال هؤلاء (أولاد علي) إلى موطنهم الحالي فلم نهتد إلى معرفته، غير أنه كان بالتأكيد قبل مجيء الفرنسيين، لأن أقدم خرائطهم سنة 1845م توردهم هنالك، بينما ادّعوا في تقريرهم الصادر سنة 1869م أنهم هُم الّذين فصَلُوهم عن أولاد عيدون لإضعافها وألحقوهم بقبيلة أولاد عواط، وربّما قصدُوا بفصلهم عن القبيلة أولاد عيدون جعلهُم قبيلة منفصلة من الناحية الإدارية لا من النّاحية الأصولية، لأنهم اعترفوا بانتمائهم لأولاد عيدون مِن قبلُ في التقرير نفسه. وأمّا سبب انفصالهم عن إخوانهم (أولاد براهم) وانتقالهم إلى الضفة الأخرى للوادي الكبير فلم نهتدِ إليه في المصادر، ولكن الشائع عند أهل المنطقة هو أنه كان بسبب النزاع على الأراضي والتنافس على الخِصبة منها في ضفاف الوادي الكبير، خصوصًا مع توسع القبيلة وتزايد عدد أفرادها، وهو سبب نراه جدّ منطقيّ ومقبول بمقاييس ذلك العصر.

[1]- **Voir** : **L. Charles FERAUD**: L'Oued El-Kebir et Collo, Revue Africaine, Op.cit, N°03, 1858, p 201.

أخلاط عرش أولاَد علي ومشيخته:

أمَّا فروع أولاد عليّ فغير واردة في المخطوطات التي وصلتنا، لأن الفرنسيين عدُّوا هذه القبيلَة دوَّارًا واحدًا سموه **(واد آدار)** وينطق عند البعض (واد عدار) ولم يفصّلوا فيه القول، فيما عدا لويس رين الذي أوردهم عام 1898م في خمسة فروع وهي: **(بني ناصر)**، **(بني زبّال)**، **(أولاد محمد)**، **(أولاد بن دغة)**، **(الأعشاش)**[1] ويسميهم أهل الأنسَاب عندهم (الأخماس)، ومنهم تكونت أعراش القبيلة وكذلك نسلت جميع الأسر الموجودة اليوم، ثم **(أولاد عجلة)** أيضا عرشٌ نظنُّه منهم ولكنه باقٍ في موطنهم الأوّل قُرب المدينة الفرنسيّة القديمة بالميليّة وهو مندمج في إخوانهم (أولاد براهم) في مجالات أولاد قاسم، ويقال لـ(بني ناصر) أيضا (بني ناصرة)، كما يقال لـ(أولاد محمد) أيضا (أولاد بولمناخر) وهي كنيةٌ كانت تطلق على أحد أجدادهم، وهم متوزعون في الأحياء الآتي ذكرها: **(بوتياس)**، **(تابريحت)**، **(أولاد علي)** وهو جبلهم الرئيس، **(المخابئ)**، **(العنصر)**، **(لصلاوة)**، **(عبّاس)**، **(أولاد بولمناخر)**، ويعدُّ من قبيلة (أولاد علي) أيضًا فرع **(الشُّرفا)**، وهم أسرٌ معروفة من (أولاد أحمد العابد مولى الشقفة) نزلوا معهم هنالك في ألقاب كثيرة منها: مجذوب وذْرِيوَش ودَرْوِيش وبُوقريو وإدريس.. وغيرهم ألقاب كثيرة أخرى، فعدّهم الفرنسيون من أولاد علي وسجّلوهم في فرع **(الشُّرفا)**.

---

[1]- **Voir** : **Louis RINN** : Le Royaume d'Alger sous le dernier Day, Revue Africaine, Op.cit, N° 228, 1898, p 308.

أمّا أهل تالفدور وهم (أولاد علي وبراهم) من أولاد عيدون ومعهم بعض (أولاد العَابد)، وقد ذكرنا في كتابنا (التاريخ الكامل لمنطقة الميلية) ما أوردته الرواية الشعبيّة عن (سيدي العابد) بأنه من أولاد علي بحجّة وجود أبنائه هناك وقرَّابته الموجودة في جبل (ظهر الدَّاب)، إلا أنه ظهر لنا من الوثائق أنه ليس من أولاد عليّ، إنما هو نفسُه (أحمد العابد مولى الشقفة) دفين بني حبيبي، انتقل إلى المكان وأسس فيه قرَّابةً وترك أولادًا، وقصّة تالفدور أنّ بها مدينة (آمسّاغا) الأثرية الرومانيّة مدفونة في مكان يقال له (لَـمدينة)، هدمَها الوندال في القرن الخامس الميلادي فخربت وخلت من أهلها وسكنتها الجنّ والشياطين، ثم ادّعى سكان قرية بوتـمَّة(عجنق) العيدونيون القريبُون منهَا أنها ملعونة، فنفر الناس منها رغم كونها سهلا من الأرض وقربها من وادي بوسيابة العذب، وكثر فيها نبات التين الهندي البريّ فسميت تالفدور، فأما (**تا**) عند كتامة فهي (**ذات**) في اللغة العربيَّة، وأمّا الفدور فهي جمع (**فدرة**) وهي غصن نبات التين الهندي، ولـمّا كان اللّسان الـمحلي لأهل الـمنطقة يبدل حرف اللاَّم نونًا في النُّطق نطقت تانفدور، وأهلها الفادريّة ونطقها عندهم انفادريّة، ثم جاء هؤلاء أولاد العابد فطهروها، ثم سكنوا فيها مع (أولاد علي وبراهم)، وهم اليوم حاملون لقب (العابد) و(بلعابد) و(العبودي).. وغيرهم.

أما شيوخ (أولاد علي) فإنهم تبعوا ابن الأحرش على عهد إمارته سنة 1801م، ثم ذكر الفرنسيون في تقرير سنة 1845م أن شيخهم كان اسمه **الدهماني بن بولمناخر**، وشيخ زاويتهم (زاوية سيدي عبد الله) اسمه **محمد بن سي سعيد**.

بني بلعيـــد (بن العيد):

أما قبيلة (بني بلعيد) فتشكّلها أخلاطٌ كثيرة، وليسَ ذلك غريبًا بوصف موطنها جزءًا من مرسى تجاريّ ضخم ومشهور منذ القديم، عرفه الرومان باسم (مرسى طوتشا TUCCA)، وعرفه المسلمون باسم (مرسى الزيتونة)، وهو الذي سماهُ البكري (ت.1094م) كما ذكرنا من قبلُ مع مرسى وادي زهور باسم (مرسى الخراطين) في قوله: "..**يسكنه قبايل من كتامة وغيرها وفيها مزارع كثيرة ومراعٍ مريعة ومنها يحمل عمود الخرط إلى أفريقيا وما والاها وفيها أسواق كثيرة ومراس منها مرسى الخرّاطين**.."[1]، وصريحٌ اعتراف البكري بوجود هذا الاختلاط منذ زمنه في القرن 11م في قوله (قبايل من كتامة وغيرها)، وهذا ما يجعلنا أمام تقصّي روافد عديدة لتشكّل قبيلة (بني بلعيد) في ما أمكن من المصادر.

واضحٌ من زمن البكري أنه مرّ بالمنطقة بعد تعرض كتامة للنكير والاضطهاد وانسحابها من الكيان السياسي، وانعزالها لممارسة الفلاحة والتجارة في مجالاتها الأصليّة ومراسيها، لذلك صَعُب عليه تمييز اسم الفرع الكتامي السّاكن بالمنطقة وكذا الفروع المختلطة به لأغراض التجارة، فحرمنَا بذلك معرفة تلك الروافد فيما عدا معرفتنا بكون المجال من مراسي دناڤة (دنهاجة)، مما يسمح باستنتاج أن الجنس العام الذي كان متجولاً في مرسى الخراطين على زمن البكريّ هو جنس دنهاجي كتامي معدود في نسل دناف من جماعة إيسّودا الكتاميّة، ومختلط ببعض أجناس التجار، وكذلك لم

[1]– **البكري**: المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب، م س، ص83.

تسعفنا نزهة المشتاق للإدريسي في القرن 12م بشيء جديد في هذا الشأن، خصوصًا وأن الإدريسي نفسه شهد بانسحاب سكان هذه السواحل إلى الجبال خوف الغزو، مما لم يسمح له بتمييز أسمائهم وقبائلهم وأبقى على الطرح الدنهاجي العام الذي ذكرناه.

ولم تظهر لنا معلومات جديدة عن الروافد المختلطة بدناقة (دنهاجة) الساكنين على ضفتي وادي عجول إلا بمجيء ابن خلدون في القرن 14م، حين ذكر لنا صراعات القبايل الهلاليّة السُّلميّة بمجالات قسنطينة ولجوئها إلى تلك الجبال، فظهرت أسماء قريبة منهم مثل (أولاد عطية بن دريد) الذين سكنوا بجوار دنهاجة واد زهور، و(بني مسلم بن عقيل) الذين سكنوا بجوار دنهاجة وادي عجول، ولذلك ذكر الفرنسيّون في تقريرهم عن بني بلعيد سنة 1866م أن أكثر من اختلط بهم بالتزاوج والتصاهر والتبايع هم جيرانهم من بني مسلم، وهو ما يسمح لنا باستنتاج وجود روافد عربيّة في خليط بني بلعيد الذي لم يكن حاملاً لهذه التسمية بعد.

وتسعفنا الرواية الميثولوجية الجمعيّة بقصة الإنزال الأندلسي في ساحل مرسى الخراطين بعد حدوث الدبرة على أهل الأندلس وسقوطهم بأيدي الصليبيين، وهو طرحٌ ممكن جدًّا يثبته وجود الكثير من الهجرات الثابتة بمراجعها في المراسي القريبة من (مرسى الخراطين) مثل سكيكدة والقل وجيجل وبجاية، وكذا اتفاق هذه الرواية مع رواية أولاد عيدون غير البعيدين عنهم، ووجود هذه الرواية في كثير من الأسر البلعيديّة التي مازالت تحفظ مآسي هروبها من الأندلس في قصص ميثولوجية متفرقة، وهذا ما

يسمحُ لنا في مقام ثالث باستنتاج وجود روافد أندلسيّة في خليط بني بلعيد بداية من مطلع القرن 16م.

وبتقصّي تسمية (بلعيد) - وهو النطق المدغم لتسمية (ابن العيد) - في مجالات قبايل الوادي الكبير، ننتبهُ إلى تطابق قصّة هذا الرجل الذي جاء من الأندلس مع رواية أولاد عيدون عن سيّدهم (العيد) الحامل للتسمية نفسها مع إضافة (ابن)، ووجودهما في المجال الجغرافيّ نفسه عند (مرسى الزيتونة) القديم وتطابق زمن إعادة التأسيس السّياسي للقبيلتين في آخر القرن 15م ومطلع القرن 16م يجعلُنا نشكُّ في كون (بلعيد) واحدًا من أبناء (العيد) المسمّى (عيدون)، تركه عند نزوله بمرسى الخراطين عند دنهاجة وادي عجول قبل أن ينتقل إلى دنهاجة جبال الرحمن بالميليّة، وهذا الرّبط التقديريّ المعتمدُ على تشابه الروايتين يرجّحه وجود روابط أصولية ومصاهرات قويّة جدًّا بين القبيلتين طوال زمن العثمانيين وفي زمن الفرنسيين، ووجود أسر بلعيدية كثيرة بالميليَّة وقسنطينة على الخصوص مستلحَمةً في فروع أولاد عيدون وغيرها من فروع (دنهاجة) كتامَة المختلطة ببعض قبايل عرب بني هلال وبني سُليم وشيء من الأسر الأندلسيّة، ولذلك يقرُب عندنا أن (بلعيد) وأبناءه استَلحَمُوا خليط دناقة(دنهاجة) وادي عجول ومن معهم من أسر العَرب والأندلسيين، وأسسوا كيانًا سياسيّا وتجاريًّا جديدًا بعيدًا عن التسمية الكتامية، وأطلقوا عليه تسميَة (بني بلعيد).

أخلاط قبيلة بني بلعيد ومشيختهم:

على غرار القبايل الأخرى بمجال دنهاجة، تشكلت فروع بني بلعيد من أخلاط تلك الأسر الدنهاجية الكتامية والعربيّة والأندلسيّة في تجمعات تسيَّد عليها رجالٌ لهم الحظوة والمكانة فنسبت إليهم، وعادةً ما تحمل تلك التجمعات اسم الجدّ الأكبر الأسبق إلى المكان، أو السيّد الأشهر الأبرز، أو اسم طوبونيميَا المكان نفسه سواءً بتسميته البربرية الكتامية القديمة، أو بتسمية عربيّة تطلق عليه، أو بتسميةٍ خليطٍ بينهما تركيبًا ونطقًا، ولذلك تذوب الأنساب في بوتقة تلك الفروع وتلتغي السلاسل النسبيّة المحفوظة شفاهيا لصالح الانتساب السياسي إلى تلك التجمعات التي تصقل اندماجها وحدة المصير في السلام والحرب، والاختلاط بالتزاوج والتصاهر.

وقد تشكلت فروع (بني بلعيد) على مرّ العصور شيئا شيئا، ثم هاجرت إلى مناطق كثيرة من أشهرها الميليّة وقسنطينة وعنابة والجزائر، فحرمتنا المشافهة معرفة فروعهم القديمة إلى غاية مطلع زمن الفرنسيين الذين أوردوا لنا أسماء من بقوا بموطنهم الأصلي من التجمعات وهم: **(بني مروان)**، **(أولاد عيسى)**، **(أولاد زايد)**، **(أولاد إدريس)**، **(أولاد محمَّد)**[1]، ومنهم أيضًا فروعٌ حاملة لأسماء طوبونيميا الأحياء مثل: **(المربع)**، **(مريان)**، **(الخروبة)**، **(الغلطة)**، **(آيدم)**، كلهم أخلاط من الروافد التي

---

[1]– **Voir** : **Louis RINN** : Le Royaume d'Alger sous le dernier Day, Revue Africaine, Op.cit, N° 228, 1898, p 309. **Et**: Rapport official sur la tribu de Beni Belaid 1845.

ذكرنا، بالإضافة إلى فرع **(بني متران)** الذي يبدو أن له علاقةٌ بـ(بني متران) من قبيلة أولاد بلعفو القريبة بمنطقة بازول، وهم أولاد **(محمد الوجهاني المتراني)** المتوفى عام 1534م ويزعمُ السكان أنه دفين دوار أولاد بوفاهة وجدّ فرعهم بني وجهان، وهذا الفرع يضم تحته **(أولاد سي الطيب)**، **(أولاد سي عمر)**، **(أولاد سي العالم** العوالم)، **(أولاد سي أحمد)**، وكان لهذا الفرع قيادةُ بني بلعيد فاشتهر منهم شيخهم **(ابراهيم بن اعْمَر المتراني)** الذي أدرك ثورة الرحمانيين عام 1871م وشارك فيها.

وكانت رياسة (بني بلعيد) فيما تنقل الرواية الجمعيّة عند هؤلاء (بني متران)، حتى دخلت على ما تذكر الكتبُ في حكم **ابن الأحرش البودالي** حين إمارته المستقلة عن العثمانيين، ثم عادت بعدهُ إليهم فكانت آخر رياسة فيهم للشيخ **ابراهيم بن اعْمَر** الذي ذكرنا على عهد ثورة الرحمانيين ثم أخذها الفرنسيون منه.

المشاشطة (مشّاط):

أول ما تجدر الإشارة إليه في شأن أولئك (المشاشطة) أنهم فروع متلاحمة اجتمعت إلى الجبل المسمى (مشّاط) أو (آمشّاط) فنُسِبت إليه وعرفهم الناس بـ(المشاشطة)، وشحيحة جدًّا المصادر التي تتحدث عنهم بوصفهم كانوا منعزلين في جبلهم بعيدًا عن حركة التدوين، ولكنّ تقصّيًا عميقًا في الإحالات القليلة التي تركها الجغرافيون، وفي ما بقي من شذرات الرواية الجمعيّة وما نقله إلينا الفرنسيون سيسمح لنا بمحاولة تقديم مقاربة مقنعة عن روافد تشكل بنية هذه القبيلة.

إن وجود هذه القبيلة الكبيرة عددًا ومساحةً في قلب المجال الدنهاجي الكتامي على قمة الجبل الذي يعلو مباشرة (مرسى الزيتونة) القديم يجعلنا نستحضر شهادة الإدريسي في زمنه عن انسحاب قبايل كتامة ومن اختلط بهم في مجال هذا المرسى إلى الجبال الذي تعلوه، ولا شكّ أن قِدَم هذه القبيلة وبنيتها المركّبة المتدامجة يوحيان باستحالة نشوئها من زمن قريب، لذلك نفترض في بداية مقاربة أصولها وجود عنصر دناقة الكتامي العريق متخفّيًا وراء التسميَة الطوبونيمية لجبل (مشّاط) الذي يسكنه، ومادام هذا الرأي سيطرح إشكال بقاء هذا العنصر الدناقي خارج استلحام الأسرة الفرقانية القريبة منه في مرسى الزيتونة بواد زهور، فذلك يحيلُ على كونه انتقل إلى قمة هذا الجبل في زمن سابق لنزول (أحمد بن فرقان بن سليمان) بالمنطقة على زمن العثمانيين، وبقي متمرّدًا على جميع سلطات الجماعات القبليّة المحيطة به، فقد نقلت إلينا التقارير الفرنسيّة نقلاً عن الرواية الميثولوجية الجمعيّة أن هذه القبيلة

اشتهرت منذ القديم برفضها العنيف وصراعها الدائم مع القبايل المحيطة بها[1]، لذلك يقرُب عندنا أن النواة الأولى لتشكل هذه القبيلة نواة كتامية من جماعة دناقة، عائدة على الأرجح إلى زمن الإدريسي في القرن 12م.

ثم ينقل إلينا هيشور ما ورد في تقرير سيناتوس كونسلت لسنة 1868م عن الرواية الجمعيّة السائدة في ذلك الزمن، والتي تتحدث عن ثلاثة أجداد هم: (**عثمان، قصارو، مسعود**) انتقلوا من وادي الذهب إلى المغرب والغرب الجزائري قبل ستة قرون (أي في القرن 12م!!)، ومن هناك انتقلوا إلى جبل مشّاط وأسسوا القبيلة، كما شكل أبناؤهم أعراشها الستة[2]، وهذه الرواية توافق تقديرنا لتأسيس القبيلة على زمن الإدريسي، ولكن الفرنسيين أنفسهم الذين نقلوا هذه الرواية نقضوها برواية أخرى في تقرير نابليون لعام 1869م، أي بعد سنة واحدة من التقرير الأول، فذكروا على وجه الإجمال أن الجدّ المؤسس لهذه القبيلة رجل واحد جاء من المغرب قبل أربعة قرون (أي في القرن 14م!!)، وبعيدًا عن هذا التضارب، أحصى الفرنسيون عدد المشاشطة في تقرير 1868م بنحو 1883 نسمة، وفي تقرير 1869م بنحو 1889 نسمة، هذا طبعًا بعد حملات التقتيل والتشريد والنفي، لذلك نفترض أن عددهم كان قبل ذلك على الأقل نحو 2000 نسمة، وهو عدد معقول من الأجيال يتناسب مع تقديرنا سالف الذكر

[1]- **انظر**: التقرير الوارد في آخر هذا العنصر عن قبيلة مشاط، الصادر عن إدارة نابليون سنة 1869.

[2]- **Voir**: **Boudjemâa HAÏCHOUR**: L'espace kétamien d'El-Milia, Revue Révolution Africaine, N° 1660, du 20 au 26 Décembre 1995, p34, **De** Sénatus-consults, PV N° 156 de M'Chat, 1868.

لتأسيس القبيلة في القرن 12م على زمن الإدريسي، كما ينبؤنا تضارب الرواية بأن تلك الشخصيات المذكورة لا تعدو أن تكون قيادات سياسيّة بارزة انتسبت فيها الفروع المشكّلة للقبيلة، فادّعت لها الأصل المرابطي أو الشريفيّ المغربي الذي هو مناط شرعيّة الحكم منذ زمن الموحدين، وإذا كانت المصادر المتاحة لم تسعفنا بشيء لتقصي حقيقة أصولهم، فالناتج هو احتمالان اثنان:

- إما أن يكون (عثمان، قصارو، مسعود) من دناقة أنفسهم وهم الذين انتقلوا من مرسى الزيتونة إلى جبل مشاط وأسسوا فروع القبيلة.

- وإما أن يكونوا رجالاً أقبلوا على هؤلاء دناقة من خارج القبيلة، ثم تسيّدوا على فروعها بشرعيّة ادعاء الشريفيّة، فانتسبت فيهم.

وأيًّا يكن الأمر فإن قبيلة (المشاشطة) لم تحوّل انتماءها إلى واحد من هؤلاء الأجداد بل بقيت حاملة لتسمية الجبل الذي تسكنه، مما يوحي بأن هؤلاء الأجداد لم يغلب أحدٌ منهم على الآخرين فينتسبَ الجميع فيه، ولا ريب كذلك أن هذه القبيلة استلحمت عائلات كثيرة من القبايل المحيطة بها، فالناس اليوم يعدُّون كثيرا من أسر (بني يحيى) الفرڤانيين وكثيرا من أسر (أولاد عربي) العيدونيين في فروع المشاشطة، وهو أمر عادي جدا ويحدث نتيجة التقارب والاختلاط بين القبايل المتجاورة.

أخلاط قبيلة المشاشطة ومشيختهم:

بحسب تقرير سيناتوس كونسلت لعام 1868م وجد الفرنسيون قبيلة المشاشطة مشكلة من ثلاث فروع رئيسة، لكل فرع منها مشتيان اثنتان:

- **بني عثمان**: وينتمي إليهم (**لبَّابَشْ**) و(**الفُقْرا**)
- **بني قصارو**: وينتمي إليهم (**أولاد عْمَارة**) و(**المْجَارَبْ**)
- **بني مسعود**: وينتمي إليهم (**أولاد بوكامل**) و(**بني محبوب**)[1]

ويضيف عليه لويس رين في المجلة عام 1898م فرع (**أولاد بورجاء**)[2]، كما يذكر هيشور وجود زاوية في القبيلة تسمى (**زاوية الحاج أحمد**) وتتبع الطريقة الرحمانية[3]، وبعد صراع عظيم مع الفرنسيين طوال المقاومات الشعبيّة لقبايل الوادي الكبير بين 1847م و1871م، تفرقوا واندثروا ولم يبق منهم إلاّ بعض المداشر استطالت إلى ثورة 1954م وكانت مقرًّا لفيلق الولاية بقيادة مسعود بوعلي، ثم أفرغت الأزمة الأمنية من بقي فيها سنوات تسعين، ولم يبق في موطنها الأصلي بجبل مشاط زمن تأليف هذا الكتاب إلا أسر قليلة موزعة على بعض المشاتي الحاملة لتسميات طوبونيمية وهي:

---

[1]- **Voir**: **Boudjemâa HAÏCHOUR**: L'espace kétamien d'El-Milia, Revue Révolution Africaine, N° 1660, du 20 au 26 Décembre 1995, p34, **De** Sénatus-consults, PV N° 156 de M'Chat, 1868.

[2]- **Voir** : **Louis RINN** : Le Royaume d'Alger sous le dernier Day, Revue Africaine, Op.cit, N° 228, 1898, p 308.

[3]- **انظر**: **بوجمعة هيشور**: بنو كتامة، أعراش الوادي الكبير، جريدة النصر، 25 نوفمبر 1992، ص 12.

(دمنة قويدر)، **(لعوينة)**، (آزرَار)، **(عقبة سعد الله)**، **(سيدي الصديق)**، **(المدينة)**، **(تامازوت)**، (آسردون)، **(تارسات)**، **(الغدير)**، **(الخميس)**، **(المعصار)**، وأكثرهم اليوم سكان مدينة قسنطينة وضواحيها.

أما مشيختهم فلم يصل إلينا شيء عنها فيما عدا دخولهم تحت حكم **ابن الأحرش** ثم **بورنان بن عز الدين** شيخ جماعة الوادي الكبير، بينما يذكر لهم تقرير 1868م بعده اسم الشيخ **براهم بن بوعطّيط**، فلما تملّكهم الفرنسيون سنة 1871م استولوا عليهم ومحوا أثر مشيختهم، وأدخلوهم في عداد القبايل الغارمة.

أولاد عطيَّة :

وهؤلاء (أولاد عطيّة) هم فرع من قبيلة (دريد) الأثابج الهلاليّين عند ابن خلدون (ت.1403م): "**وأما دريد فكانوا أعز الأثبج (..) وكانوا بطونا كثيرة منهم: أولاد عطية بن دريد..**"[1]، أنزلهم المستنصر بالله الفاطمي كما ذكرنا بقسنطينة وأريافها تحت رياسة الحسن بن سرحان فانتشروا فيها إلى غاية حدود عنابة والطارف وما إليهما ومازالوا هنالك إلى زمن الفرنسيين إذ ذكرهم ابن العنتري (ت بعد.1870م) في أواخر زمن الأتراك وبداية زمن الفرنسيين وذكر اسم شيخهم قال: "**سي أحمد التونسي قائد دريد..**"[2]، بينما نزَل هؤلاء (أولاد عطية بن دريد) في زمن المستنصر بالله أواسط القرن 11م على (بني حلوف) الكتاميين في الطريق بين قسنطينة وجيجل عند جبل (بن حلوف)، ومكثوا هنالك إلى أن قُتِل حسن بن سرحَان في فتنة أخته (الجازية)، فغُلِبوا ودخلت عليهم قبيلة (توبة) كما أسلفنا فدفعتهم إلى ساحل البحر عند مصبّ (واد زهور) على (مرسى الزيتونة) القديم فنزلوا هنالك مع دناقة الكتاميين، ونزل مكانهم (أولاد مبارك بن عابد) رؤساء (توبة) بـ(جبل برَّة) قرب موطن (بني حلوف)، ثم استلحمهم هؤلاء الكتاميون بالتزاوج والتساكن وأضحوا بتطاول الأزمان جنسًا واحدًا داخلاً في كنفدرالية كتامة جيجل ومتعوّدًا بعوائدِها، ولذلك عددناهم في أخلاط دنهاجة الكتاميّة.

---

[1]- **عبد الرحمن ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص32.

[2]- **محمد الصالح ابن العنتري**: فريدة منيسة في دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها، م س، ص81.

ويرجع نسبهم بهذا الرأي إلى عطية بن عبد الله بن دريد بن أثبج بن هلال، وهو نسبٌ واضحٌ بشواهده وأحداثه، أسهَب في شرحه ابن خلدون (ت.1403م) بوصفه قريب عهد به، وأورد في ذلك أدلّة كثيرةٍ يطول شرحها، ومن أدلته على هذا الرأي أن ساق قصة هجرة **(الجازية)** أخت رئيسهم حسن بن سرحان قال: "**يزعمون أن الشريف بن هاشم كان صاحب الحجاز ويسمونه شكر بن أبي الفتوح، وأنه أصهر إلى الحسن بن سرحان في أخته الجازية فأنكحه إياها، وولدت منه ولداً إسمه محمد** (..) **ومن مزاعمهم أنّ الجازية لما صارت إلى أفريقيا وفارقت الشريف خلفه عليها منهم ماضي بن مقرّب من رجالات دريد...**"[1]، ومازال إلى يومنا هذا فرع (أولاد جازية) موجودًا في (أولاد عطية)، إلى جانب فروع أخرى ذكرها ابن خلدون (ت.1403م) وهم (أولاد سرور) و(أولاد جار الله)[2]، فأما (أولاد سرور) فلعلّهم هاجروا إلى المسيلة أين نجد بلدة (بن سرور) رحلوا إليها على الأرجح في زمن الموحدين بعد الفتنة التي ذكرنا، وأما (أولاد جار الله) فقد اكتنف بعضهم بقبايل (بني فرڨان) من دنهاجة كتامة، وهم جيرانهم على واد زهور، ودخلوا في عدادهم ولعلهم يسمونهم اليوم (أولاد جاب الله) بتصحيف الراء والله أعلم، ونجد تسمية مشابهة لهم في قبايل (بني فوغال) و(بني زونداي) من قبايل ملوسة كتامة قرب جيجل، وسنذكر شأنهم عند ذكرنا لتلك القبايل في هذا الكتاب.

---

[1]– **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص25.

[2]– **انظر**: **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص32.

ويحيلنا علي خنوف على تقرير الفرنسيين الصادر سنة 1867م عن قبيلة (أولاد عطية)[1] الذي يتضمن الرواية الميثولوجية الجمعيّة، فيتفقون بالضبط والتفصيل مع ما نذكره هنا، من أن أولاد عطيّة خليط بين قبايل العرب –وهم دريد– وقبايل البربر –وهم كتامة–، وأنهم فرّوا من الصراعات بين العرب والبربر في السهول والهضاب، كما ذكروا انتقال بعض فروع هذه القبيلة على زمن العثمانيين إلى مواطن أخرى بين سكيكدة وقسنطينة، ولذلك لا داعي لتكرار ما أوردناه سابقًا.

ويورد لنا لوسياني في المجلة الأفريقية لعام 1889م رواية ميثولوجية جمعيّة أخرى تنسب (أولاد عطيّة) في الشرفاء الحسينيين[2]، حفظها قائد القبيلة (صالح بن سعد بن جامع) ونقلها عنه ابنه محمد، ونصّها كالآتي: "**بسم الله الرحمان الرحيم عونك يا كريم صلى الله على سيدنا محمد الشجرة المنسوبة للولي الصالح القطب الواضح سيدي موسى الساكن في بلاد الصحيرة وأراد نقلها ابنه محمد بن صالح بن سعد بن جامع بن محمد بن الخلفي بن عمر بن بوربيع بن جامع بن ابراهم ابن عطية بن محمد بن عثمان بن سعد بن غانم بن خليفة بن منصور بن زين بن زايد بن غالب النمير بن سلام الإخلاص بن عبد الكريم ابن الحسين ابن علي العساكر بن الإمام محمد المرتضى بن الإمام علي الرضا بن الإمام موسى الكظيم بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقري بن الإمام علي زين العابد بن الإمام الحسين بن**

[1]– **علي خنوف**: تاريخ منطقة جيجل قديما وحديثا، م س، ط2، ص37-38.

[2]- **D**. **LUCIANI**: Les Ouled Athia de l'Oued Zhour, Revue Africaine, Op.cit, N°33, 1889, p 309.

فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلّم تسليما هذا ما وجدنا في المنقول والله أعلم"[1]، وهذه الرواية بغض النظر عن ما فيها من التصحيف لأسماء مثل (علي العسكري) و(موسى الكاظم) وغيرهما، إلاَّ أنها تحتاج للتتبع والتحقيق في كتب الشرفاء، فمنطقة (الصحيرة) قريبة من طولقة بمنطقة بسكرة، وفيها مسقط رأس الولي الصالح (سيدي عبد الرحمن بن موسى الطولقي)، وقد وقفتُ على أشجار النسب الحسينية الخاصة بهذا الرجل فوجدتها توافق شجرة بن جامع، ويدلّنا موقع زاويته على التقاييد التي تحقق هذا النسب، فيذكر لنا تقييد عبد المجيد حبّة وتقاييد صادرة عن المحكمة الشرعية بطولقة، الأول تحت رقم 332 صادر في 06 أوت 1950م، والثاني تحت رقم 319 صادر في 17 ماي 1953م، وخلاصتها شجرة النسب الآتي ذكرها: **"عبد الرحمان بن محمد بن موسى بن محمد بن علي بن مسعود بن سليمان بن عطية بن محمد بن عثمان بن سعد بن غانم بن خليفة بن منصور بن زيد بن زايد بن غلب النمر أو غالب النمر بن سلامة بن عبد الكريم بن الحسن العسكري بن علي بن محمد المرتضى بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن أبي جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسن المثنى بن الحسين السبط بن الإمام علي رضي الله عنه وفاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وعلى أصحابه الأطهار وسلم تسليما"**.

---

[2]- **D. LUCIANI**: Les Ouled Athia de l'Oued Zhour, Op.cit, p 309.

ونلاحظ أن الشجرتين تختلفان في الشق الأول منهما الذي ينتهي عند الجدّ (عطيّة) وتتوافقان فيما بعده من السلسلة كالآتي: (محمد بن صالح بن سعد بن جامع بن محمد بن الخلفي بن عمر بن بورببيع بن جامع بن ابراهم بن عطية...) – (عبد الرحمان بن محمد بن موسى بن محمد بن علي بن مسعود بن سليمان بن عطية...)، والتساؤل الذي يطرحُ الآن، ما الرابط الذي يربط هؤلاء (أولاد عطية) الذين بوادي زهور والذين أكّد ابن خلدون نسبهم الهلاليّ على عصره، وبين هؤلاء الشرفاء الحسينيين ببسكرة الذين يحاول بن جامع ربط نسبه بهم؟ هل هو تشابهُ في تسمية الجد (عطيّة) أخلط عليهم النسب؟ أم أنه حدث بينهما تبادل هجرات نتج عن اعتقادهم باشتراكهم في النسب فاختلطوا؟ هل هذا النسب خاص بفرع (أولاد جامع) لوحده أم بقبيلة (أولاد عطيّة) جميعها؟؟

لا نجد في المصادر شيئا يساعد على الترجيح، لكننا نعتقدُ أن رأي ابن خلدون الذي عاصر صراع القبايل العربية والبربرية في مجالات قسنطينة يبدو أقرب إلى الإقناع، بينما لا ننكر احتمال أن يكون ما ذكره ابن جامع صحيحًا، وأن كثيرًا من العائلات الشريفيّة انتقلت من بسكرة ونزلت عند (أولاد عطية) بواد زهور لاعتقادهم بصلة القربى الناتج عن تشابه تسمية الجدّ، فأصبح نسبهم خليطًا بين (أولاد عطية) الأثابج الهلاليين و(أولاد عطية) الشرفاء الحسينيين، وهو ما يستحيل فرزه الآن في مستوى العائلات لغياب المصادر الموثوقة الكفيلة بذلك.

وتخرجُ لنا رواية ميثولوجية جمعية ثالثة يتناقلها قبايل بني فوغال من أن (عطيّة) هو أحد أبناء (محمد القليل) الذي يزعمون انتسابهم فيه، انتقل إلى واد زهور وسكنه مع أولاده بالنظر إلى تشابه تسمية (عطية) كثيرة الانتشار، وهو ادعاء بعيدٌ جدًّا عن الصواب، لأنّ (عطية بن محمد القليل) قريب عهد بالمقارنة مع القرن 11م، وأولاده قليلون وهم الذين يسكنون قرب قالمة، وقبيلة (أولاد عطيّة) قديمة وكبيرة جدًّا ومتوزعة في الأقطار، وهي أكبر من بني فوغال نفسها فكيف تكون فرعًا منها؟ ولعلّ مردَّ هذا الادعاء ربما نزولُ إخوانهم (أولاد جار الله) عند بني فوغال في جبال بابور والتماسهم للوحدة الإثنية من خلال استغلال قضية تشابه التسميَة، ولا يعدو أن يكون ذلك في نظرنا سوى نسَبٍ ميثولوجيّ ليس له ما يؤكده في المصادر.

أخلاط قبيلة أولاد عطيّة ومشيختهم:

وتنتشر فروع (أولاد عطيّة) في سفح جبل بوالنغرة بالساحل الشرقي لمنطقة جيجل، بينما تنتشر لهم فروع أخرى اسمهم (أولاد عطية) بين عنابة وسكيكدة في جبال بن عزوز، وأخرى باسم (أولاد عطية) أيضا في منطقة التوميات بين سكيكدة وقسنطينة نزلوا بها على عهد صالح باي، ولكن بحثنا لا يتعلق إلا بالفريق الأوّل منهم الذي عند واد زهور والمتكون من ثلاثة فروع رئيسة أوردها رين في هامش كتابه، وهي:

(أولاد جامع)، **(أولاد جازية)**، **(أولاد الزبير** الزيابرة)[1]، ولا يزالون إلى اليوم.

وأما مشيختهم فذكر ابن خلدون منها رياسة (أولاد بني مبارك بن حباس) في القرن 11م لكنه ذكر أنهم دثروا وتلاشوا، وانقطع ذكر رؤسائهم إلى زمن ابن الأحرش البودالي في زمن دولته سنة 1804م، ثم بعده آلت الرياسة إلى أسرة (ابن جامع).

[1]– **Louis RINN**: Histoire De L'Insurrection De 1871 En Algérie, Op.cit, Marge de la P 542.

أولاد مبارك :

و(أولاد مبارك) فرع كبير من فروع قبيلة (توبة) من فروع أولاد عبد الله من دريد من الأثبج من بني هلال، و(توبة) هذه أقبلت من نواحي الطارف إلى شمال قسنطينة للمشاركة في الصراع بين الفروع الهلاليّة بعدمَا قُتِل الحسن بن سرحان رئيس (دريد) قرب قسنطينة، وكانت لهؤلاء (أولاد مبارك بن عابد) الرياسة عليهم فدخلوا على تلّة (بني حلّوف) الكتامية ودافعوا فروع (أولاد عطية بن دريد) الساكنة هناك فغلبوها وطردوها إلى ساحل رأس بوقرون عند مرسى دنهاجة الميليّة، يقول ابن خلدون (ت.1403م): "**فأما أولاد عطية فكانت (..) لهم تلة بن حلوف من أرض قسطنطينة، ثم دثروا وتلاشوا، وغلبتهم توبة على تلة بن حلوف زحفوا إليها من مواطنهم بطارف مصقلة فملكوها وما إليها..**"[1]، فنزل هؤلاء (أولاد مبارك بن عابد) هنالك عند جبل (برّة)[2]، ومازالت القبيلة إلى اليوم تحمل الاسم نفسه.

ويعود أصل قبيلة (أولاد مبارك) بحسب ما أورده ابن خلدون (ت.1403م) إلى مبارك بن عابد (أو عابر) بن عطوة بن عطية بن كمون بن فرج بن توبة بن عطاف بن جبر بن عطاف بن عبد الله بن دريد بن أثبج بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال، بينما يبدو واضحًا أن هذا هو الجدّ الأول للقبيلة الكبرى المنتشرة المتفرقة في مواطن كثيرة وليس فقط الفرع الموجود قرب الميلية، لأن ابن خلدون (ت.1403م) ذكر أسماء

[1]- م ن، ج6، ص 32.

[2]- جبل (برّة) وجبل (الرمامن) بمنطقة السطارة قرب الميلية هما مركز قبيلة (أولاد مبارك).

رؤساء هذه القبيلة على عهده (نجاح بن محمد بن منصور بن عبيد بن مبارك) و(عبد الله بن أحمد بن عنان بن منصور بن عبيد بن مبارك)، ولم نجد لهذه الأسماء في الفرع الموجود قرب الميليّة أثرًا، لذلك نعتقد أنها أسماء رؤساء القبيلة الأمّ، بينما نزلت فروع قليلة أو عائلات صغيرة فقط منها في المجال الذي نحن قيد دراسته، وتفرقت بقية فروع (أولاد مبارك) في البلاد، بينما تسمح لنا حصانة مجالهم وقلة عددهم مقارنة بالقبايل الكبيرة المحيطة بهم باستنتاج محدودية اختلاطهم بغيرهم، مما يبعدُ فرضية استلحامهم لفروع قبليّة أخرى من المجال فيما عدا احتمال استلحامهم لأسر قليلة أو لأفراد، وعددهم يبدو منطقيًّا جدًّا بالنظر إلى تاريخ نزولهم في شكل أسر صغيرة كانت لها رياسة فرع (توبة) ثم تحولهم إلى فرع قبلي مندمج في المجال الدنهاجي بداية زمن الموحدين، وقد حافظوا على كيان القبيلة بالرغم من دخول فرع الأعشاش عليهم، ثم دخولهم تحت رياسة (أولاد ثابت بن تليلان) بعد ذلك.

وفي تقرير الفرنسيين الذي أورده خنوف وقيطوني، ينسبون أولاد مبارك إلى عرب جاءوا من عين البيضاء[1] في وقت قريب من عهد العثمانيين، ولكن هذا الرأي بعيدٌ تماما، نظرا إلى أن ابن خلدون (ت.1403م) وهو أقدم من الفرنسيين بقرون ذكرهم في المنطقة الواقعة شمال قسنطينة، ووصف صراعاتهم وتفرقهم في البلاد.

[1]– **Voir** : **Hosni KITOUNI** : La Kabylie Orientale dans l'Histoire, Op.cit, p71.

أخلاط قبيلة أولاد مبارك ومشيختهم:

وأمّا فروع قبيلة (أولاَد مبارك) فلم أجد لها ذكرًا في كتب المؤرخين ما عدا قيطوني الذي أورد لهم فرعا: **(أولاد شعبان)** المنتشرين بين آڤوف وبرّة، و(أولاد عليّ) الذين شكلُّوا فرع **(إيغمام)**، وقد قمت بزيَارة أرضهم ودلني أحمد ابراهيمي على عمّه عبد الحميد بن أحمد بن رَابح ابراهيمي، وهو ابن عمّ وصديق مبارك بن محمد بن رابح ابراهيمي الشهير بالعلاَّمة مبارك الميلي، صاحب كتاب تاريخ الجزائر في القديم والحديث، وهو كبير أهل القبيلة، فذكرَ لي أنهُ ورث عن أجداده أنَّ القبيلة تكونت من أربعة أجداد هم **براَهم** و**حميُّود** و**عميُّور** و**خريّف**(ويلقّب الهادف) ومنهم توزّعت الأعراش والأسر الموجودة اليوم وهي **(أولاد ابراهم)** وهم المشهورون بلقب ابراهيمي، و**(أولاد حميُّود)** وأشهر أسرهم لقبُ زطّال، و**(أولاد عميّور)** وأكثرهم لقبُ مشاور، و**(أولاد الهادف)** وأشهرهم لقبُ بن الهادف (بلّهادف).

بينما اكتفى لويس رين في المجلة عام 1898م بذكر المواطن الثلاثة للقبيلة وهي **(الرّمامن)** و**(كاف برّة)** و**(آڤوف)**[1]، وهم فيها إلى اليوم فعلاً نضيف عليها بعضهم في قرية **(برج علي)**، وآخرون منهم مكتنفون في بني تليلان أو بني صبيح، انتقلوا إليها في عهود مختلفة.

[1]- **Voir** : **Louis RINN** : Le Royaume d'Alger sous le dernier Day, Revue Africaine, Op.cit, N° 228, 1898, p 309.

وأمَّا المشيخة في أولاد مبارك فقد ذكر ابن خلدون (ت.1403م) أنها كانت على عهده بين (نجاح بن محمد بن منصور بن عبيد بن مبارك) وبين (عبد الله بن أحمد بن عنان بن منصور بن عبيد بن مبارك) ورثها عن عمّه راجح بن عثمان بن منصور بن عُبيد بن مبارك، ولكن هذه الأسماء بقيت في القبيلة الأمَّ، ولم تنتقل مع فرعها الذي نحن قيد دراسته، لأن أولاد مبارك تفرقوا في البلاد، ونزلوا مواطن كثيرة، أمَّا بعد ابن خلدون (ت.1403م) فلم يرد إلينَا شيء عن أسماء رؤسائهم، ولا شك أنهم دخلوا في رياسة (أولاد ثابت) من بني تليلان بحكم وقوعهم في مجالاتهم، ثم نجد على عهد العثمانيين الأتراك أنهم دخلوا في حكم ابن الأحرش البودالي زمن ثورته، ثم بعدهُ في حكم بورنان بن عز الدين فلما نفي عام 1858م زالت الرياسة عنهم.

الأعشاش (العشايش):

وهؤلاء الأعشاش – ويسمون أيضا (العشايش) – قبيلة ضخمة جدًّا متوزعة الفروع في كل الأقطار، وعريقة التأسيس والتكوين، إذ يذكرهم ابن خلدون (ت.1403م) قريبًا من عصره في بطون (بني كعب) أو (الكعوب) زعماء عرب (بني سُليم بن منصور) في القرن 13م على زمن سلطان الحفصيين أبو إسحاق إبراهيم (ت. 1283م)، فهو الذي دعمهم في صراعه من المرينيين، وكانت رياستهم لفرع يسمى (بني أحمد) الذي عرف بين أحياء العرب بتسمية (الأعشاش)، يقول ابن خلدون: "..**واستقام أمر بني كعب (..) وعلا شأنهم عند الدولة، واعتزوا على سائر بني سليم بن منصور، واستقرت رياستهم في ولد يعقوب بن كعب (..) وكان له من الولد سبعة، أربعة لأم وهم: أحمد وماضي وعلي ومحمد، وثلاثة لأم وهم: يزيد وبركات وعبد الغني، فنازع أحمد أولاد شيحة في رئاستهم على الكعوب (..) وهلك أحمد واستقرت الرياسة في ولده (..) وغلب رياسة (بني أحمد) هؤلاء على قومهم وتألَّفُوا ولد إخوتهم جميعاً، وعُرِفوا ما بين أحيائهم (بالأعشاش) إلى هذا العهد**.."[1]، أي بقيت تسميتهم بالأعشاش إلى عهد ابن خلدون، ثم استمرت بعده طوال زمن تدافعهم مع الهلاليين على ملك ضواحي قسنطينة، لكنهم تفرقوا على الأقطار وخصوصًا في جبل أوراس وما حوله، أين استمر وجودهم في زمن الحفصيين والعثمانيين والفرنسيين إلى اليوم، لذلك نجدهم مفصّلين في الكتاب الفرنسي (المعجم

[1]– م ن، ج6، ص 32.

الألفبائي لقبايل الجزائر ودواوريها) من عشرة فروع مشكلة من هؤلاء (بني أحمد) وإخوانهم المذكورين عند ابن خلدون، وأكثرُها استلحَمته مجالات الشاوية وبلاد عرب قرفة فأصبح معدودًا منها واندمج مع أهلها، وتتوزع هذه الفروع حسب الكتاب الذي ذكرنا كما يأتي:

- "**الأعشاش** (عرب سي عاشور) قرب القل، ولهم فرع واحد هو (الأعشاش).

- **الأعشاش** (شط عسلوج) شرق بسكرة، ولهم فروع (أولاد أحمد، الأعشاش، الربايع)

- **الأعشاش** (واد العرب) في جبل ششار قرب خنشلة، وفروعهم (أولاد تيفورغ، خيران، أولاد ثابت، أولاد ناصر)

- **الأعشاش** (جبل أحمر خدّو) قرب بسكرة، ولهم فرع واحد هو (الأعشاش).

- **الأعشاش** (الواد المالح) في منطقة النمور بتلمسان على الحدود مع المغرب الأقصى، وهم فرع واحد هو (الأعشاش).

- **الأعشاش** (بني يعلى) بمنطقة آقبو جنوب بجاية، وهو فرع واحد هو (الأعشاش).

- **الأعشاش** (بوشارف) بمنطقة الميلية شرق جيجل، وفروعهم (أولاد سلطان، أولاد حلوف، بني مخالف).

- **الأعشاش** (باتنة) جنوب شرق باتنة، وفروعم (أولاد مخلوف، أولاد موسى، أولاد سيدي بلخير، أولاد ملوك، أولاد عمر بن فاضل، أولاد فاضل، أولاد سي منصر، أولاد فضالة، العتامنة، واد ارحاب، واد حميد، بني معافة، المرادسة، الفتاتشة).

- **الأعشاش** (بلاد قرفة) في عين العربي غرب قالمة، وفروعهم كثيرة (عشايش أولاد علي أَوْ عشايش عبد العليّ، عشايش عطاطفة أَوْ عشايش سطاطفة)."[1]

ويبدو أن فرعهم الأصليّ هو الذي عند (شط عسلوج) شرق بسكرة، قريبًا من حدود تونس، لأن (بني أحمد) الذين ذكرهم ابن خلدون هنالك، وشهد أنهم هم وإخوانهم جميعًا من عرب (الكعوب) من بني سُليم، إلا أنهم لما تفرّقوا أشتَاتًا فاستلحمَهم أهلُ المجالات، فمن نزل منهم عند شاوية زناتة وأوربة وهوارة وجراوة بمناطق باتنة وبسكرة وخنشلة اندمج معهم فصار معدودا منهم، ومن نزل عند عرب قرفة بضواحي قالمة وعين البيضاء كذلك اعتدّ في عدادهم، ومن نزل عند زواوة آقبو وقرقور قرب بجاية أو عند زناتة قرب تلمسان حدث لهم مثل ذلك، والأمر نفسه وقع مع الفرع الذي نزل عند دنهاجة (دناقة) كتامة في القلّ أو الميليّة.

وبالعودة إلى المنطقة قيد دراستنا، نجد فرعين من هؤلاء (الأعشاش) هما الفرع الموجود قرب الميليّة والفرع الموجود قرب القلّ، بوصفهما مستلحَمين في قبيلة دنهاجة الكتاميّة

---

[1]- **Charles-Marie Le Myre de Vilers**: Répertoire alphabétique des tribus et douars de l'Algérie, BNF, 1879, p 03/04.

عند مرسى الزيتونة القديم، ومن خلال تتبعنا للمصادر يمكننا مقاربة كيفية تشكل البنية البشرية لهما كما يلي:

من خلال التسليم بوجود بقايا دنهاجة (دناقة) في مجالاتهم القديمة بجبال الرحمن، نجد عند ابن خلدون إحالةً هامة عن تسمية الفرع الدنهاجي الذي كان يسكن أحد الجبال المشكلة لهذا الموطن وهو (جبل بن حلّوف) واسمه اليوم (جبل السروج)، ومازال إلى اليوم يسكنه فرع (بني حلوف) المعدود من الأعشاش، فلعلّه إذن اسم الفرع الدنهاجي الكتامي صاحب الموطن لأنه مذكور قبل نزول هؤلاء الأعشاش بقرنين، ثم يتحدّث ابن خلدون عن الصراعات الكثيرة التي حدثت على هذا الجبل بوصفه نقطة التقاء الطرق القديمة بين حواضر (القل وسكيكدة وقسنطينة وجيجل)، فكانت أول تلك الصراعات في القرن 11م عندما استولت عليه قبايل (أولاد عطية بن دريد) من فروع الأثبج الهلاليين، وساكنوا هؤلاء (بني حلوف) الكتاميين، فوجدهم البَكري (ت.1094م) بهذا الشكل المختلط عند مروره للمكان قال: "**يسكنه قبايل من كتامة وغيرها**.."[1].

ثم على إثر فتنة وقعت بين هؤلاء (أولاد عطية بن دريد) وبين قبيلة (توبة) الهلاليَّة المقبلة من جهة الطارف على ملك (جبل بن حلوف) المذكور انهزم أولاد عطيّة وانسحبوا إلى واد زهور عند (رأس بوڨرون)[2] فاختلطوا مع دناقة الساكنين هناك

[1]– **البكريّ**: المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب، م س، ص83.

[2]– (Cap Bougaroun) عند العامة (سبع رؤوس)، وينطق اليوم رأس بوڨارون أو بوقرعون وهو تصحيف.

كما سلف ذكره، ، ودخل فرع (بني حلوف) الكتامي تحت سلطة الوافد الجديد قبيلة (توبة)، ذكر ذلك ابن خلدون (ت.1403م) قال: "**فأما أولاد عطية (..) كانت لهم تلة (بن حلوف) من أرض قسطنطينة، ثم دثروا وتلاشوا وغلبتهم توبة على تلة (بن حلوف) زحفوا إليها من مواطنهم بطارف مصقلة فملكوها وما إليها...**"[1]، واستطال وجود هؤلاء (توبَة) قرنين ملك فيهما رؤساؤُهم (أولاد مبارك بن عابد) الساكنين عند جبل (برّة) الطريقَ من قسنطينة إلى القلّ كما يذكره الإدريسي (ت.1166م): "..**ومن القل إلى مدينة القسنطينة مرحلتان جنوباً والطريق في أرض تغلبت العرب عليها**.."[2].

وعندما مَلَكَ سلطان الحفصيين أبو إسحاق إبراهيم (ت. 1283م) في القرن 13م، دعم (بني كعب) زعماءُ بني سُلَيم ورؤساءهم (الأعشاش)[3] في مجالات الأوراس فغلبوها، ثم أتى بهم السلطان الحفصي أبو يحيى بن اللحياني (ت.1317م) في مطلع القرن 14م إلى قسنطينة وبجاية لدعم ركائز دولته، وحدثت بينهم الفتن التي ذكرها ابن خلدون (ت.1403م) قال: "..**ووفد على السلطان أبي يحيى بالثغر العربي من أفريقيا في بجاية وقسطنطينة وجاء في جملته، فلمّا مَلَكَ مُلْكَ تونس عقد له على قومه ورفعه على أنظاره، وغصى به بنو كعب فحرض عليه حمزة من الأعشاش محمد بن حامد بن**

[1]- **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص ص 32-33.

[2]- **الإدريسي**: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، م س، ص 120.

[3]- **انظر**: **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص 32.

يزيله.."[1]، ويبدو أنهم حين جاءوا في جملة من جاء مع ابن اللحياني نازعوا قبيلة توبة على (جبل بن حلوف) وانتزعوه منهم واستلحموا من كان فيه من خليط (بني حلوف) الكتاميين، فغلَب عليهم جميعًا اسمُ (الأعشاش) وصاروا خليطًا واحدًا حاملاً لهذا الاسم ومنتميًا في كنفدرالية كتامة جيجل، كما نزل بعضهم عند مرسى القلّ وسكنوا جبل (سي عاشور)، وبقوا هنالك طوال زمن الحفصيين والعثمانيين والفرنسيين إلى يومنا هذا.

مكان قبيلة الأعشاش عند جبل (بن حلوف)، وقبيلة أولاد مبارك عند جبل (برّة) عند دخول الفرنسيين في خريطة (Depot de la Guerre - France 1854)

1– م.ن، ج6، ص 32.

ثم في القرن 14م دخلت عليهم قبايل (بني تيفوت بن زواغ) في جملة من جاء من زواغة – كما سنذكره في حينه – وغلبُوهم على كثير من أرضهم، فبقي فرعُهم الأول بموطنهم عند جبل (بن حلوف) المسمى (السّروج) قرب الميليّة، وآخرون تفرّقوا ونزلوا أوزاعًا في مناطق شتى، فمنهم من سكنوا جبال جيجل واكتنفوا بقبايل (بني عمران) وآخرون بقبايل (بني فوغال)، وآخرون بدوار (تامزڤيدة) في قبيلة (جيملة)، وآخرون بقبيلة (أولاد علي) فرع أولاد عيدون بالميليّة.

إن هذه البنية المركَّبة من (بني حلوف الكُتاميين–والأعشاش السُّلَميين) يجعلُ البحث عن جدٍّ أوّل للقبيلة أمرًا لا طائل منه، بينما يتعلّق بحثُنا في منطقة جيجل بفروع الأعشاش الموجودين بجبل (بن حلوف) المسمى اليوم جبل السروج في بلدية السطارة قرب الميليّة، والأعشاش المكتنفون بضواحي (بني عمران) و(بني فوغال) و(جيملة) و(أولاد علي).

ولا نستثني في هذا التحقيق النسَبيّ احتمال أن يكون كل فرع من هؤلاء الفروع أصليًّا في قبيلته وحاملاً لمجرّد تسمية متشابهة، ما دامت الرواية الميثولوجية الجمعيّة التي صمدت إلى يومنا هذا أو إلى زمن التدوين الفرنسيّ على الأقل لم تنقل لنا شيئا يؤكّد ذلك أو ينفيه، خصوصًا مع عمق عملية الاستلحام والاندماج الذي حدث لتلك الفروع في القبايل التي تنتسبُ فيها اليوم.

أخلاط قبيلة الأعشاش ومشيختهم:

نظرا لتفرق قبيلة الأعشاش وبُعدِها عن التدوين التفصيليّ، فإنه لم يصلنا عن أسماء أعراشهم القديمة شيء، ما عدا الاسم العام للخليط القبَلي الكتامي-العربي وهو (بني حلوف) و(الأعشاش)، وحتى فروعهم المعنية بدراستنا صَغيرةٌ لم يجد فيها الفرنسيون حين دخولهم سوى بعض العائلات، فجعلوها عرشًا واحدًا لا فروع له.

فأما الأعشاش الذين بجبل السروج الذي كان يسمى (جبل بن حلّوف) قديمًا، فهم ثلاثة فروع كما وجدهم الفرنسيون حين دخولهم وهم: **(أولاد سلطان)**، **(بني مخالف)**، **(أولاد حلّوف)**[1] أو (بني حلّوف)، وهي متفرقة بين مدينة **(السطارة)** ومداشر **(بُوشَارف)** وجزءٌ من مَداشر **(بُرج علي)** وغيرهمَا..

وأمَّا الرياسة فيهم فآيلة منذ زمن العثمانيين لأولاد عيدون، لأنهم اكتنفوا بهم واحتموا في ظلهم، فهم يعتدون في عدادهم، وعلى غرار القبايل الأخرى بالمنطقة دخلوا في حكم ابن الأحرش البودالي على عهد ثورته على العثمانيين، ثم دخلوا بعده في حلف قبايل الوادي الكبير برياسة بورنان بن عز الدين، وبعده زالت الرياسة عنهم.

أما (الأعشاش) المكتنفون بقبايل بني عمران، فهم معدودون في بطونهم في قسم بني عمران السفلية، وهو فرع صغير وجد فيه الفرنسيون عائلات معدودة في الدوار الذي

[1]- **Voir** : **Louis RINN** : Le Royaume d'Alger sous le dernier Day, Revue Africaine, Op.cit, N° 228, 1898, p 308.

يحمل اسمهم إلى اليوم، وشيخهم على عهد دخول الفرنسيين بلقاسم بن الحاج، سنذكره عند ذكر قبيلة بني عمران.

وأما فرع (الأعشاش) الذي بين بني فوغال وبني عمران الجبالة، فهو ينتسب في بني عمران الجبالة، وجد الفرنسيون فيه عائلات قليلة فأضافوه لبني عمران، كان شيخهم على زمن دخول الفرنسيين اعمر بن علندة، وسنذكره عند ذكر قبيلة بني عمران.

وأما فرع (الأعشاش) المكتنف بقبيلة جيملة فهو الواقع اليوم على الطريق إلى صيدا، وهو معدود في فروع جيملة، وفيه اليوم حي عامر بأخلاط جيملة وهؤلاء الأعشاش.

أما فرع (الأعشاش) المكتنف بقبيلة أولاد علي بالميلية فهو فرع صغير يبدو أنه انتقل إليهم على زمن العثمانيين، إذ لم يجد الفرنسيون فيه إلا بعض العائلات، فعدّوه دشرةً مندمجةً في قبيلة أولاد علي.

بني تيفوت (توفوت):

وقبيلة (بني توفوت) كبيرة ومتوزعة، وتتحكم في مجال جغرافي واسع من الجبال الواقعة في الطريق بين مناطق ميلة وجيجل من جهة وقسنطينة وسكيكدة من جهة أخرى، وتحوم حول بنيتها القبليّة الكثير من الروايات التي تستوجب التحقيق والضبط للوصول إلى مقاربة قريبة من الحقيقة.

تقع هذه القبيلة في مجالات فرع ملوسة(مالوس) الكتامي، ولكن لا أحد من النسابة أو المؤرخين دعاها على هذا الفرع، خصوصًا وأن هذا الموضع على الطريق بين القل وقسنطينة كان مسرحًا لصراعات الفروع الهلالية السُّلمية كما شهد به الإدريسي (ت.1166م) في القرن 12م قال: "..**ومن القل إلى مدينة القسنطينة مرحلتان جنوباً والطريق في أرض تغلبت العرب عليها**.."[1]، وهو قول يحيلنا على التحقيق في أنساب هؤلاء العرب بحثًا عن روافد ربما أسهمت في تشكيل هذه القبيلة، والتي لم نجد في تحقيقنا شيئا يمكن أن يربطها هي أو إحدى فروعها بنسب أولئك الهلاليين أو السُّلميين، مع الإقرار بإمكانية وجود هذا الرافد العربي مستلحَمًا تمامًا ومستذابًا في البنية البشرية للقبيلة.

ويسعفنا ابن خلدون (ت.1403م) بنص نعتقد أنه يذكر إحالة مهمة عن تسميّة (تيفوت)، إذ نجده يعدد في بطون قبيلة (زواغة) تسمية قريبة منها يقول: "**وأما**

---

[1] – **الإدريسي**: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، م س، ص 120.

زواغة فلم يتأدّ إلينا من أخبارهم وتصاريف أحوالهم ما نعمل في الأقلام، ولهم ثلاثة بطون وهي: دمر بن زواغ وبنو واطيل بن زحيك بن زواغ وبنو ماخر بن تيفوت بن زواغ.."[1]، ونعتقد أن كلمة (تيفوت) المذكورة هنا صحّفها الناسخ أو محقق المخطوط إلى (تيفون)، إذ لم نجد في بطون زواغة قديما ولا حديثا فرعا قبليّا يحمل اسم (تيفون)، بينما نجدُ في سلسلة الجبال المتصلة من تسالة إلى جبل تامالوس فروع قبيلة زواغة المذكورة وموضع (بني تيفوت) متصلٌ بها، وذلك ما يجعلنا نقارب أصل القبيلة في فروع (زواغة) النازلة بالموطن، وقد حاول الفرنسيون في تقرير نابليون لعام 1891م أن يقاربوا هذا النسب أيضا فذكروا أن (بني توفوت) ربما يكون جزءٌ منهم، وفرعًا من قبايل (آيت دمر) أي (بني دمر بن زواغ) الذين ذكرهم ابن خلدون لكنهم لم يقدّموا على ذلك دليلاً ما عدا ما ذكره علي خنوف عن تصحيفهم إياها إلى لفظ (توفورت)، ويمكننا أن نستنتج من نقلهم لهذا الادعاء وجود رواياتٍ صمدت إلى زمنهم ونقلت هذا النسب في (زواغة) التي يظهر من ظهور تسمية فرعها (تيفوت) على تسميات بقية الروافد المالوسية والعربية المشكلة للقبيلة، أنه استلحمهُم وغلب عليهم فانتسبوا فيه وتكنفدوا مشكلين كيانًا حاملاً لتسميته.

وغير بعيد عن هذه الادعاءات نجد الرواية الجمعيّة المتناقلة إلى يومنا هذا، والتي نقلها الفرنسيون أيضا عن مشيخة القبيلة على زمن دخولهم لهذه الجبال، ونقلها قيطوني مفادها أن الجد المؤسس لها رجل من أصول مغربيّة يسمى (عبد الله بن

---

[1]– **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص 170.

اللّطيفي) المدعو (المتوفّى) قدم إلى منطقة بني هارون بداية زمن العثمانيين ونزل في سوق هنالك، ثم حاربه العثمانيون وقتلوا سبعة من إخوته، ونجا هو وثلاثة من إخوته (**بركات، دوكان**/دوكار، **سعيد**) وانتقلوا إلى الجبل وأسسوا القبيلة المنسوبة إليه بالصيغة البربرية (تيفوت) أو (توفوت)، ثم انضافت إليهم أسره (سيدي مسعود العتيق) المرابطيّة[1]، وهذه الرواية الجمعيّة شبيهة بمثيلاتها في هذا المجال الذي اعتادت فيه القبايل الانتساب في رجال يدعون المجيء من المغرب لنيل الحظوة والامتياز، ولكن عدد أفراد القبيلة الذي أورده الفرنسيون عند دخولهم وهو 9875 نسمة يجعل كونها انحدرت كلُّها من ثلاثة رجال في نحو ثلاثة قرون أمرا محالاً!! لكن ذلك لا يلغي –في غياب الدليل– احتمال كون هذا الرجل حقيقيّا نزل عند القبيلة فالتفت به وادّعت أنه جدّها، ومنحته سيادتها فاختلط بها بنوه وذابوا في بنيتها البشرية.

وزبدة القول إذن في أصل قبيلة (بني تيفوت) هو أنها كنفدرالية مشكلة من بقايا قديمة جدًّا لقبيلة ملّوسة الكتامية، وبعض بقايا فروع القبايل العربية المارة بالمنطقة، وفرع (تيفوت) الذي ذكره ابن خلدون في قبايل (زواغة) البربرية، واجتمعت هذه الروافد جميعًا مشكلة كيانًا سياسيًّا اسمه (بني تيفوت) يتحكم في مجالات واسعة من جبال تامالوس، والطرق القديمة الرابطة بين القل وقسنطينة، وجيجل وسكيكدة.

---

[1]- **Voir** : **Hosni KITOUNI** : La Kabylie Orientale dans l'Histoire, Op.cit, p71.

أخلاط قبيلة بني تيفوت ومشيختهم:

وتتكون قبيلة بني تيفوت من ثلاثة فروع رئيسة هي: **(بني زيد)**، **(آل زقّار)**، **(الولجة)**[1] وفي موضع آخر لهم فرع **(بني تيفوت الدكارية)** في منطقة القلعة، ولهم جميعًا فروع كثيرة ومواطن أشهرها اليوم (عين قشرة) و(حجر مفروش) و(بوالبلوط) و(الزاوية) و(بودوخة) و(تامالوس) و(بين الويدان).. وغيرها فروع كثيرة، ورياستهم مستقلة منذ زمن العثمانيين ثم دخلوا في رياسة ابن الأحرش البودالي على زمن إمارته، وبعدها لمشيختهم المحليّة ثم محا الفرنسيون مشيختهم وولوا عليهم القيّاد.

[1]- **Voir** : Rapport de Napoleon, 20 Octobre 1891 sur les Beni Toufout, et **Répertoire Alphabétique des Tribus et de fractions des tribus**, Alger, 1879, p43.

بني فرڨان:

هذه القبيلة قديمة جدًّا ومُنتشرةُ الفروعِ على ضفتي واد زهور عند مرسى الزيتونة القديم، وعند رأس جبال الرحمن الذي تضرب في طرفه أمواج البحر، وبحسب المعطيات التي استطعنا الوصول إليها في شأن الروافد المشكّلة لهذه القبيلة، يمكننا مقاربة قضية أصولها بالشكل الآتي:

تدلُّ المصادر التي أسلفنا عرضها في شأن الوجود الكتامي الدنهاجي عند مرسى الزيتونة (مرسى دنهاجة القديم) بمنطقة واد زهور على تواصل هذا الوجود بالرغم من حدوث هجرة جزئيّة لبعض فروع القبيلة إلى (قصر ابن عبد الكريم) بالمغرب الأقصى مع التوسع الفاطمي إلى هناك في القرن 10م، وينعدم بعد ذلك أي حدثٍ بارز في مجال مرسى دنهاجة يمكن أن يسوّغ للباحث افتراض اندثار وجود هذا الفرع الكتامي بسببه، بالرّغم من الدّخول الهلالي جزئيًّا على المنطقة ممثلاً في قبايل (رياح) و(أولاد عطية بن دريد) في القرن 12م، وهو ما يجعلنا نصنّف ساكنة هذا المجال على عمومه في قبايل دناڨة(دنهاجة)، لكن هذه المقاربة تطرحُ إشكال تغيُّر التسميَة، فمن أين جاء إذن اسمُ (فرڨان)؟ وكيف نفسّر هذا الخليط الأصولي المتدامج الذي يميزُ بنية القبيلة؟

تسعفنا الرواية الميثولوجية الجمعيّة في الإجابة عن هذا الإشكال بالقول أنّ أصل قبيلة (بني فرڨان) موصولٌ بنسب الشرفاء بالمغرب الأقصى، ويسجّلُ هيشور عن كبار السن في القبيلة أن أهلها "**ينحدرون من زاوية ذات أصل مغربي مؤسسها**

أحمد بن سليمان الذي جاء من سطيف"[1]، وهي رواية غريبة لم نجد لها تخريجًا محلّيا يفسّر هذا الطرح، فلماذا الانتسابُ إلى (فرڤان) إذا كان جدّ القبيلة اسمُه (أحمد بن سليمان)؟ لقد أخذ الفرنسيون هذا الادعاء النَّسَبيّ، وحاولوا إيجادَ تخريجٍ لهُ من خلال ربطه بأعراش منطقة (زمورة) السَّاكنة على سفوح (جبل فرڤان) بضواحي برج بوعريريج نظرًا لوضوح التشابه في التسميَة[2]، ونقل عنهم ذلك هيشور نفسُه معارضًا قوله الأول[3]، وخنّوف كذلك ذهب معهم هذا المذهب[4]، وبتقصّي مصادر أنساب الشرفاء عثرنا عند السنوسي الخطابي (ت.1859م) على سلسلة نسَبيَّة يمكن أن تكون متكأً لهذا الطرح، فتسمية (فرڤان) التي أُطلقت على طوبونيميَا جبل زمورة هي لجدّ الولي الصّالح الشيخ (**علي بن يحيى بن راشد بن فرڤان بن حساين بن سليمان بن أبي بكر بن مؤمن بن محمد بن عبد القوي بن عبد الرحمان بن إدريس بن إسماعيل بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب**رضي الله عنه)[5]، فـ(علي بن يحيى بن فرڤان) من الأسرة الحسينيّة بالمغرب، وقد سكن القرية الحاملة لاسمه قرب مدينة مازونة من ولاية غيليزان الجزائريّة حتى توفي ودفن هنالك، وقد كان استوطن جدُّه (فرڤان) مدينة (برج زمورة)

[1]- **بوجمعة هيشور**: بنو كتامة، أعراش الوادي الكبير، جريدة النصر، 25 نوفمبر 1992، ص 12.

[2]- **Voir** : **Senatus-Consultes**, PV N° 04 des Beni Fergan.

[3]- **Voir** : **Boudjemâa HAÏCHOUR**: L'espace kétamien d'El-Milia, Revue Révolution Africaine, N° 1660, du 20 au 26 Décembre 1995, p34.

[4]- **انظر**: **علي خنوف**: تاريخ منطقة جيجل قديما وحديثا، م س، ص ص 30-31.

[5]- **السنوسي الخطابي**: الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية، م س، ص ص 100-101.

التي بولاية برج بوعريريج بعدما انتقل إليها من (زمورة) التي بولاية غيليزان، حتى توفي ودفن بها فحمل جبلُها اسمه، ونلاحظ في أجداد (فرڤان) اسم (سليمان)، وهي تسمية قريبة من (أحمد بن سليمان) ويمكن أن تكون بينهما علاقة ناقصة الأجداد، ونستطيع إذن مقاربة الاسم الكامل لهذا الرجل بـ(أحمد بن فرڤان بن حساين بن سليمان)، ولكن هذا التقدير النسَبيّ لحياة (فرڤان) المذكور ببرج زمورة كان على زمن المرينيين في القرن 14م، بينمَا يورد الفرنسيون في تقرير سيناتوس كونسلت سنة 1867م بعد حملات التقتيل والتشريد والنفي التي طالت القبيلة نتيجة مشاركتها في المقاومة الشعبية لجماعة الوادي الكبير بقيادة أولاد عيدون، إحصاءً لعدد أفراد قبيلة بني فرڤان بنحو 1581 نسمة، فمن المحال أن يتناسل هذا العدد الكبير جدًّا من رجل واحد في نحو أربعة قرون فقط، ومن ثمة يبطل القول بأن (فرڤان) هو جدّ القبيلة كلها.

وزبدة القولِ في اعتقادنا أن سكان حوض واد زهور هم بالأساس أخلاطٌ كتاميّة من فروع دنهاجة المتبقّية التي ذكرها البكري في موطنها الأصلي منذ القرن 10م، وكانوا إلى ذلك الزمن حاملين لاسمهم الأصليّ (آدناڤن)، أي المنسوبون في نسل **دناڤ** من جماعة إيسّودا الكتامية، ثم دخلت عليهم قبايل (رياح) و(أولاد عطيّة بن دريد) الهلاليَّة في القرن 12م، ونازعتهم المجال واختلطت بهم حتى استُلحِمَ فيهم فرعُها (أولاد جار الله) ولعله اليوم (أولاد جاب الله)، ولا شكّ أن فروعهم كانت كثيرة منتشرة في هذا الساحل وعلى سفوح جبَال الرحمن، إلاّ أن الغزوات على مراسيهم دفعت بعضَهم إلى الدّاخل جهة الوادي الكبير، أين استقرَّت منهم فروع على (جبل

مشّاط) شكّلت فيما بعد نواة تأسيس قبيلة المشاشطة، ثم على الأرجح في آخر زمن المرينيين وصراعهم مع بني حفص في ضواحي بجاية، خرجت أسرة من منطقة (زمورة) من أعراش قبيلة (بني فرقان بن حساين بن سليمان) يقُودها أحدُ أبنائه يُدعى حسب الرواية الشفهية (أحمد بن فرقان بن حساين بن سليمان) بتقديرنا لما نقص من سلسة السنوسي الخطابي، ونزل بوادي زهور عند (آدناقن) الذين ذكرنا وأسّس عندهم الزاوية التي تحدث عنها هيشور، فقدّسوه ونسبوا أنفسهم جميعًا إليه فرارا من نسب كتامة المتهم بالتشيّع، وطلبًا لحظوته الشريفيّة عند الدولة المرينية، فانتهى الأمر باسْتلحَامَ هذا الفرعُ الفرقاني الصغير لجميعَ الأخلاطِ الغالبة بواد زهور وأهلِها من آدناقن الكتاميين، ورياح وأولاد جاب الله الهلاليين، تحت اسم واحد جديد هو (بني فرقان) يشمل الفروع جميعًا، وأعيدت القبيلة إلى الواجهة السياسيّة بقيادة هذه الأسرة الشريفية، فتناقل الناس أن (أحمد بن سليمان) هو جدّ القبيلة ومؤسسها، والحقيقة أنه أعاد تأسيس كيانها السّياسي فنسبت إليه والله أعلم.

ثم انتقل كثيرٌ من هؤلاء أخلاط (بني فرقان) إلى مدن قسنطينة والميليّة وميلة وجيجل أين تتركز معظم أسرهم الشهيرة مثل (الفرقاني، ابن القشي، ابن طالب، أولاد بلغيث.. وغيرهم)، وانتقل فرع كبير منهم آخر زمن العثمانيين إلى ناحية حوض السمندو في قبايل (العلمة المعسلة) ذكره علاوة عمارة هناك[1]، بعد طغيَان الحملات

[1]– **علاوة عمارة**: المسيرة النضاليّة والثورية للشهيد القائد محمد الصالح ميهوبي المعروف ببلميهوب، مطابع دار الهدى عين مليلة، ط2، 2017، ص 38-39.

الاستدمارية الفرنسيّة عليهم بالقتل والنفي والتشريد فتضاءل عددهم كثيرًا.. وقد كانت أبرز هجراتهم المشهودة على عهد الفرنسيين في عام 1852م بعد حملة عامل عمالة قسنطينة الجنرال ماك ماهون (Mac Mahon) الذي أحرق أراضيهم وزروعهم وأتلف ديارهم وشتتهم لانضمامهم إلى ثورة أولاد عيدون، وقد ورد ذكر ذلك في تقرير الفرنسيين: "**إن أهل نواحي الوادي الكبير وجيجل قد أثاروا الفساد والفتنة مرارًا إلى أن حلّت بهم عقوبة بعد الأخرى جزاءً لهم (..) فخرجت حملة ثانية من ميلة يوم 21 رجب بقيادة الجنرال ماك ماهون قائد عمالة قسنطينة، ودخلت بلاد المفسدين، فقطَّعت الأشجار وهدَّمت الدّيار وأحرقت الزروع، (..) في قرى أولاد عواط وبني مسلم وأولاد عيدون، فهجم العسكر الفرنسي على الأعراش المذكورة ودخلوها، وأحالوا ست عشرة دشرة خرابًا ورمادًا..**"[1]، فهجَر كثير منهم مواطنهم إلى ضواحي قسنطينة رفقة قبايل أخرى من المنطقة مثل المشاشطة وأولاد عربي وغيرهم، فلما دخلوها سألهم القسنطينيون عن شأنهم مع الفرنسيين، فأجابوهم بلسانهم البربري الذي يبدل حرف القاف كافًا في النطق، قالوا: "**هربنا من الحريكة (الحريقَة)**" أي لجأنا من هول الحرائق، والقسنطينيون البَـلْديَّة مازالوا يسمونهم **الحرايك** إلى اليوم.

أخلاط قبيلة بني فرقان ومشيختهم:

[1]– **علي خنوف**: تاريخ منطقة جيجل قديما وحديثًا، م س، ص 132.

وتنقسم قبيلة (بني فرقان) في الأصل إلى فروع كثيرة، ولكنَّ معظمهم هجروا كما ذكرنا إلى ضواحي قسنطينة، وتلك الفروع مشكّلَةٌ من خليط متدامج تماما لا يمكن فرزه، روافده دناقة الكتاميون ورياح وأولاد جاب الله الهلاليون وأولاد فرقان الشرفاء، وقد قسّمهم الفرنسيون عند دخولهم في تقرير سنة 1867م[1] إلى جماعتين:

- **أولاد أحمد بن سليمان**: وفروعهم (أولاد بوربيع) و(أولاد يحيى) و(الجبالة).

- **أولاد ازتاية**: وفروعهم (أولاد علي بن عبد الله) و(أولاد مربوح).

وزاد عليهم لويس رين في المجلة **(أولاد جاب الله)**[2]، ولعله الفرع المكتنف بهم من قبايل بني هلاَل واسمه **(أولاد جار الله)** ذكرهم ابن خلدون (ت.1403م) في كتابه مع أولاد عطيَّة في فروع دريد وقال هم على سننهم في الحياة: "**فأما أولاد عطية فكانت رئاستهم في أولاد بني مبارك بن حباس (..) ويجاورهم أولاَد سرور وأولاَد جار الله على سننهم في ذلك**"[3]، وفيهم أيضًا فرعٌ يسمّونه **(الرياح)** لعلّ له علاقة بقبيلة (رياح) الهلالية التي ذكر ابن خلدون (ت.1403م) أنه كانت لها الغلبَة على مُلك قسنطينة وأريافها في القرن 12م[4].

---

[1]- **Voir** : **Senatus-Consultes**, **PV N° 04 des Beni Fergan**.

[2]- **Voir** : **Louis RINN** : Le Royaume d'Alger sous le dernier Day, Revue Africaine, Op.cit, N° 228, 1898, p 309.

[3]- **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص33.

[4]- **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص27.

وقد أهمل الفرنسيون ذكر الكثير من الفروع الأخرى المعدودة في أخلاط (بني فرقان) والتي أطلقت على نفسها في الغالب أسماء الأماكن التي تجتمع فيها، لكونها أخلاطًا لم يغلب فيها رافدٌ قبلي فيظهر اسمهُ، وهم سكان مشاتي: **(أولاد دخيل)** و**(أولاد بن طالب)** و**(البلاغت)** و**(المرسى)** و**(مازَّر)** و**(غليُّو)** و**(الخنَاق)** و**(بوبهار)** و**(عميرة)** و**(بوبازيل)** و**(آورار)** و**(بوحامي)** و**(بورميلة)** و**(واد بصال)** و**(البحري)** وغيرهم.. ومن فروع (بني فرقان) أيضا الفرع الذي ذكرنا بهذا الاسم في منطقة السمندو شمال قسنطينة، رحلوا إليها على زمن العثمانيين ومطلع زمن الفرنسيين، واختلطوا بكنفدرالية قبليّة جديدة هناك تسمى (العلمة المعسّلة).

أمَّا الرياسة في بني فرقان فإن أقرب ما وصلنا من أسماء شيوخهم الشيخ صالح بن صويلح على عهد ابن الأحرش البودالي، وهو الذي آواه ونصره وزوّجه قريبته يمينة بنت بوحوتة، فكان مقامه ومقرّ ثورته على العثمانيين عنده، وبعده دخلت القبيلة مع من دخلوا عام 1807م في رياسة بورنان بن عز الدين، ولكنّ الفرنسيين نزعوا المشيخة منه، وأتبعوا قومه لقايد القلّ ساعد بن جامع ثم أزالوها.

وقد اشتهر من بني فرقان شيوخ كثر وقضاة مشهورون منهم محمد القشي الفرقاني مرابط الزاوية الرحمانية وسي الطاهر الفرقاني قاضي مدينة جيجل وكلاهما على عهد ابن الأحرش، وعلي بن عيسى باشحانبة الفرقاني قائد جيش أحمد باي على عهد دخول الفرنسيين سنتي 1836 و1837م، وسي علي بن عبد الرحمن القشي الفرقاني

قاضي مدينة جيجل على عهد الفرنسيين[1]، وزيغود يوسف ومحمد بلميهوب على زمن الثورة التحريرية الجزائرية وغيرهم كثير..

[1] **–voir**: **L. Charles FERAUD**: Histire des Villes de la Provence de Constantine – Djidjelly, Op.cit, p 183.

أولاد بوفاهة:

تتميز بنية هذه القبيلة باختلاط شديد، فالظاهر من بحثنا عمومًا أنها تحالف قبليّ من الناحية الأصوليّة، يعدُّ امتدادًا لبني فرقان من الناحية السياسيّة، وكنَّا قد رجحنا في كتابنا (التاريخ الكامل لمنطقة الميلية) غلبة العنصر الإجاني الكتامي على القبيلة بوصف العثمانيين أدركوها على زمن ابن الأحرش 1804م قريبًا من مجالات قبايل أولاد عواط الإجانيين، ولكن تقصيًّا أعمق سمح لنا بتمييز تجاذب القبيلة من جهتين: جهة بني فرقان شرقًا وجهة أولاد عواط غربًا، وسنحاول شرح ذلك.

نقل الفرنسيون في تقريرهم سيناتوس كونسلت عن بني فرقان الصادر سنة 1867م[1] تسمية (الجبَالة) على هذا الخليط القبليّ بجبل مساعد، وهي ليست تسميةً في الحقيقة، بل صفة كانت تطلق على الفروع القبليّة التي تعتلي الجبال من قبيلة بعينها من مثل (بني عمران الجبَالة) أي الساكنون في الجبل مقارنة بـ(بني عمران السفليّة) الساكنون بالسهل، وهذا القياس إذا ما سُحب على القبيلة التي بين أيدينا يفسّر في طرح الفرنسيين - الذين كانت معلوماتهم إلى 1867م محدودة عن البنية القبليّة لهذه المنطقة الجبليّة النائية - أنهم فهموا من تسميَة (الجبالة) مجموع الفروع القبليّة الفرقانية الساكنة بجبل مساعد، لذلك أوردوهم في فروع (أولاد أحمد بن سليمان) من بني

[1]- Voir : Senatus-Consultes, PV N° 04 des Beni Fergan.

فرقان، وعدوهم امتدادًا جبليًّا لهذه القبيلة[1]، ولكن هذا الربط يطرحُ لنا إشكالاً، كون فرع (الجبالة) نفسه أحد فروع (أولاد بوفاهة) عُمّمت تسميته على القبيلة كلها، فهل ثبوت انتمائه لبني فرقان يعني أن باقي الفروع منهم أيضا؟

يتدارك الفرنسيون أنفسُهم هذا الإشكال في تقرير نابليون الصادر سنة 1869م، فيذكرون أن اسم (الجبالة) عمّم على سائر فروع القبيلة المسمّاة (أولاد بوفاهة) لأن أصلهم بربري[2]، وهنا نستحضر اعتراف الفرنسيين بأن المجال بربري يضم بقايا دنهاجة الكتاميين معتصمين بهذا الجبل ومتخفّين وراء هذه التسميَة الوصفيّة (الجبالة)، ولكن هذا الاستدراك نفسه يطرحُ إشكالاً أعمق عن مصدر تسمية أولاد بوفاهة، وعن تسميّات فروع القبيلة (صباح، فرج، وجهان..) التي يبدو من صيغتها العربيّة أنها تسميات قريبةُ عهدٍ، وعن الروافد الأخرى المشكّلة لبنية القبيلة.

أما تسمية (أولاد بوفاهة) فقد فهمها اللّغويون تصحيفًا لـ(بو رفاهة)، الذي حرّفه النطق البربري إلى (بوفاهة)، بينما يردُ في بعض المصادر الفرنسيّة (بولفعى) أي (أبو الأفعى) خففه النطقُ إلى (بوفاهة)، والرواية الجمعيّة ترجّح الرأي الثاني، ولكنها لا تذكر شيئا عن أصل هذا الرجل ولا عن سبب انتساب القبيلة إليه، وقد اعتمدنا في كتابنا (التاريخ الكامل لمنطقة الميليّة) على تفسير تسمية فرع (بني وجهان) بتصحيف

[1]- **Voir**: **Boudjemâa HAÏCHOUR**: L'espace kétamien d'El-Milia, Revue Révolution Africaine, N° 1660, du 20 au 26 Décembre 1995, p34.

[2]- **علي خنوف**: تاريخ منطقة جيجل قديما وحديثًا، م س، ص 30.

(بني وجان)، فنسبنا القبيلة إلى (إجانة) مثل أولاد عواط، وخصوصًا لقربها من المجال وشهادة الفرنسيين أنهم قبيلة بربرية، ولكننا وجدناها أقرب إلى مجال دنهاجة من جهة (الجبالة) ومستلحَمةً فيهم على الضفة اليمنى للوادي الكبير.

وإذا كان فرع (الجبالة) امتدادا ديموغرافيًّا لفروع بني فرڤان، منفصلاً في جبل مساعد بحكم تواصل المجال، فالظاهر أن الفروع الغربية لهذا الجبل مرتبطة بأولاد عواط الإجانيين الكتاميين، وقد حاولنا تقصّي أصلهم من خلال مقاربة تسميات تلك الفروع فوجدنا عنها كلامًا كثيرًا، واقترب عندنا في البداية أن (بني وجهان) تحريف نطقيّ لـ(بني وجان) أي فرع وجانة التي هي نفسها إجانة، فعددنا (أولاد بوفاهة) في فروع إجانة مع أولاد عواط، ولكن تعمّقنا أكثر في أنوماستيّة (بني وجهان) وصَلَنا بدوار (جمعة سهاريج) عند منطقة المقلع قرب تيزي وزو أين يقع دوار (آيت وجهان) المعدودون في عرش (فراوسن) من فروع قبيلة زواوة[1]، ، وهو على ما يبدو دوار قديم، فقد ذكر الغبريني في علماء بجاية الشيخ (عمر بن عبد المحسن الوجهاني الصوّاف) المتوفى عام 1291م[2] ولعلّه من أبناء هذه القبيلة، كما وجدنا أيضا (سعيد بن عبد الرحمن الوجهاني) صاحب مخطوط الحاشية على العقيدة السنوسيّة الموجود بخزانة القرويين بفاس[3]، و(عبد الله الوجهاني) الملقب بالأمير يذكر أهل تيزي وزو أنه توفي

---

[1]– **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص169.

[2]– **أبو العباس الغبريني**: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1979، ص 200.

[3]– أنظر: **سعيد بن عبد الرحمن الوجهاني**: شرح ذات البراهين، دار الإمام ابن عرفة، د/ت/ط، تونس.

نحو عام 1490م، وابنه (محمّد بن عبد الله الوجهاني) المتوفى عام 1534م بأولاد بوفاهة، وهو مؤسس الفرع الذي نحن قيد دراسته، وتذكر الرواية الجمعيّة أنه نزل عند فرع (بني متران) الموزعين بين أولاد بلعفو وبني بلعيد، فنسب إليهم وصار اسمه (محمد الوجهاني المتراني)، وبعض الناس يدّعي أنه أخوه إلاّ أننا نعتقد أنه الشخص نفسه والله أعلم.

وزبدة القول إذن في قبيلة (أولاد بوفاهة) أنها مشكلة من ثلاث روافد كبرى، أولها رافد دناقة (دنهاجة) الكتاميين الممتدين من ساحل واد زهور إلى جبل مساعد، بدليل نسبتهم إلى رياسة (أولاد أحمد بن سليمان) الفرقانيين، ونرجّحُ أن الفرع المعني بهذا الأصل هو فرع (الجبالة)، وثانيها الرافد البربري الكتامي الممثل بـ(أولاد بوفاهة) الذي لم تنقل إلينا المصادر أصله المضبوط ما عدا شهادة الفرنسيين بكونه بربريًّا، مع إشارتنا إلى وجوده في مجال دنهاجة، وثالثها هو الرافد البربري لقبيلة (فراوسن) من زواوة، ويتعلق بفرع (بني وجهان) أحفاد محمد الوجهاني المتراني المتوفى عام 1534م، وهذه الفروع الثلاثة متلاحمة هو ما أنتج لنا كيان القبيلة بتسمياتها السياسيّة التي تطلبتها كلّ مرحلة، وإن كنا عددناهم انفصلوا عن قبيلة بني فرقان فلأنهم راجعون إلى روافد دنهاجيّة مشتركة، وكذلك لأنهم انفصلوا سياسيًّا بعد نزول (أحمد بن سليمان) لأن (الجبالة) معدودون تحت وصايته.

أخلاط قبيلة أولاد بوفاهة ومشيختهم:

وفروع أولاد بوفاهة أيضًا كثيرة ومنتشرة في جبل مساعد بمنطقة العنصر، ومتوزعة على مشاتي كثيرة تجمعها ستة دواوير، وهي: **(أولاد بولفعى)**، **(أولاد الحاج** الرَّكَّابة)، **(إمَرقِيوَنْ)** ويقرؤها البعض تصحيف إمَقْرِيوَن وهي جمع آمقران، **(أولاد فرج)**[1]، **(أولاد صباح)**، **(العارطة)**، **(الجبالة)**، **(بني وجهان)**.

وقد شارك أولاد بوفاهة مثل قبايل المنطقة في إمارة **ابن الأحرش البودالي** فدخلوا في رياسته، ثم دخلوا في رياسة **بورنان بن عز الدين** من بعده، وكانت رياستهم قبل ذلك مستقلة إلى أن جاء الفرنسيون فمحوا مشيختهم واستولوا عليهم.

[1]– **Voir** : **Louis RINN** : Le Royaume d'Alger sous le dernier Day, Revue Africaine, Op.cit, N° 228, 1898, p 309.

2- أخلاط مجالات كنفدراليّة إجانة:

قبيلة **إجَّانة** أو (**ارجانة** أو **يجَّانة** أو **وجَّانة** أو **مجّانة**) على كل التصحيفات النطقيّة، هي واحدة من أكبر الفروع الكتاميَّة كما يذكر القاضي النعمان (ت.974م) وابن خلدون (ت.1403م)، وتنتمي إلى فرع (بني ينطاس) المسمّين بصيغة الجمع (ينطاسن)، ويعتري المعنى البربري لتسميتها شيءٌ من الخلاف، لأن نسّابة (زناتة) يفسّرونه (أو جانا) أي (ابن جانا) جدّ قبيلة زناتة، وذلك عند حديثهم عن فرع وجانة الذي بجبال الشلية قرب خنشلة، بينمَا يعرفُ النسّابة والمؤرخون في المصادر التي بين أيدينا (وجانة) في فروع بني ينطاس من جماعة آغرسن الكتاميّة، وهذا الإشكال يضعنا أمام ثلاثة احتمالات:

هل من الممكن أنه كان لفرعٍ من زناتة في العصور السحيقة طريقٌ إلى جبال جيجل فدخل في كنفدرالية كتامة واستلحمَ فيهم قبل مجيء المؤرخين العرب؟!

هل تسمية (إجّانة) هو مجرّد تعريبٍ لحق بلفظ بربريٍّ مَا في المجال الجيجلي كما وقع لجميع أسماء القبايل البربرية ببلاد المغرب؟!

هل يمكن أن يكون محض تشابه في التسمية بين (وجانة) الكتامية بصيغتها المعربة، و(أو جانا) الزناتية التي لم نجد لها أثرا في شكل فرع قبَليّ مذكور في المصادر؟!

إن معالجة هذه المعطيات تسمحُ باستبعاد الرأيين الأول والثالث، لأن التشابه الواقع بين (وجانة) و(أو جانا) حصل بعدَ تعريب اللّفظ!! وإنّ تقصّيًا أجريناه في

المصادر وطوبونيميَا المجال الجيجلي يقرّبُ الاحتمال الثاني، فإن اليعقوبي (ت بعد.905م) وهو أقدمُ المؤرخين العرب بالمنطقة ذكر "..**مرسى يقال له قلعة خطاب**"[1] في مجالات (إجانة) بجيجل، وهو اليوم ميناءٌ ضخم واقع عند مصب وادي (جن جن) القريب من تسمية القبيلة!! وهؤلاء بنو خطاب من فروعها، فهل يمكننا إذن مقاربة تسمية (إجانة) من خلال الطوبونيميَا في الأصل البربري (**جَنْ**) القريب من (جن جن) المكرّرة؟ أو بأداة التعريف (**آجن**) التي تعني في اللّسان المازيغي "الرجل العصبيّ سريع الانفعال"[2]، وجمعُها البربري (**إجَّان**) التي عرّبها الفاتحون إلى (إجَّانة)!! فمن هذا المنطلق، مدينتُهم (**إيكجَّان**) لعلَّها إذن تركيبٌ من لفظَيْ (**إيك**) و(**إجَّان**) التي ترجمتها العربيّة (**مطعمُ إجَّان**)!! خصوصًا وأن رضَا بن النية[3] الذي قام ببحث عميق في تسمية هذه المدينة أنكر جعلها جمعًا لكلمة (آقجو) وهو الكلبُ في لسان البربر، لغيابها في لغة كتامة التي تجمع (آقجو) جمع تكسير على (إزري)، ولكون الجمع السالم لـ(آقجو) هو (آقجن) أو (آقجانن) البعيدة عن (إقجان)!! فلعلّ اللسان العربيّ هو ما حرّف نطق هذا الاسم إلى (إجّانة) أو (أوجانة) بصيغة التأنيث كتعريبه سائر أسماء القبائل البربريّة، إذ ذلك ما ذكرهم به القاضي النعمان (ت.974م) في الافتتاح عندما تحدث عن زعمائهم الموالين للداعي قال: "**وأتاه من إجَّانة أبو يوسف ماڤنون بن**

[1]- **اليعقوبي**: البلدان، م س، ص190.

[2]- **J.M. DALLET** : Dictionnaire Kabyle-Français, Op.cit, p 372.

[3]- **رضا بن النية**: أستاذ التاريخ الوسيط بجامعة محمد لمين دباغين سطيف 2.

ضبارة.."[1]، وواضح من اسم هذا الزعيم الكتامي أنه لحق بزمن التسميات البربرية عندهم، ولكن هذا اللّفظ حرَّفته التجاذبات اللهجاتية لنواحي المجال الكتاميّ نفسه، ففي ضواحي الميليّة خُفّفت الجيم المشدّدة بإضافة الراء فتحوّل اللفظ إلى (ارجانة) كما في تسمية (فجّيوة) –تصغير كلمة فج– التي خففها اللسان الكتامي إلى (فرجيوة)، وفي غرب سطيف تحوّل إلى (ماجّانة) أو (مجّانة) على عادة الابتداء عندهُم بـ(ما) التعريفيّة من نحو (ماقنون، مالّوس، ماوطن، ماوكلان، ماجّانة، ماتوس، مازغيطن، ماصيل، ماذغيس، ماسنسن...)، وفي مناطق متفرقة من المجال حُرّف اللفظ على قراءة المغاربة بعدم تحقيق همزة (اجّانة) وإرجاعها إلى أصلها واوًا أو ياءً فنطق (وجانة) أو (يجانة) وهي تسميةٌ واحدة لهذا الجنس الكتامي القديم.

وهذه القبيلة هي أشهر من والى أبا عبد الله الداعي للدولة الفاطميّة، إلى جانب قبيلة جيملة، وهذا الصراع هو الذي جعلها تنشق على نفسها بين من يوالي الأغالبة مثل **فرح بن حيُّران**[2] وبين من عارضهم مع الداعي مثل **أبي يوسف ماقنون بن ضبارة** وابن أخيه **أبو زاكي تمام بن معارك**[3]، ولذلك تنتشر الفروع الحاملة لهذه التسمية في جهات متفرقة من البيبَان إلى وادي العثمانية، وأشهر أخلاطِها هناك بني بوطالب والعلمة وأولاد عبد النور والتلاغمة والسّراوية وغيرهم في سهل مجّانة، وفي جبل أوراس شلية نجد فرع وجّانة في قبايل الشاوية، وفروعه هنالك بوحمامة ويابوس وشلية

[1]– **القاضي النعمان**: افتتاح الدعوة، م س، ص37.

[2]– **انظر**: **القاضي النعمان**: افتتاح الدعوة، م س، ص87.

[3]– **انظر**: م ن، ص87.

وتاوزيانت، وذكر بوزياني أيضًا فرعًا ناحية سدراتة، وكذلك بمنطقة ڤالمة فرع أوجانة، ونلاحظ بمنطقة جيجل بقاياهم في أسماء طوبونيميّة تجتمع إليها فروعهم، وأشهر أخلاطها اليوم بني خطاب الغرابة وبني سيار عند جبل وجّانة قرب مدينة الطاهير، وبني خطاب الشراقة وأولاد عواط وبني عيشة عند وادي إرجانة في مدينة العنصر قرب الميليَّة، وبعضُها استلحمته الفروع العربية والإدريسيّة وغيرها من المقبلين على المجال الإجاني، وهؤلاء البقايا عمومًا هم موضوع عملنا في هذه الدراسة.

إن انطلاقنا من الحديث عن (مجالات إجّانة) لا يعني إطلاقًا أن جميع الأعراش الموجودة فيها إجّانية كلّها، ففي ذلك إنكار لمبادئ الاختلاط والاستلحام والتكنفُد الذي أقررنا التسليم به في بداية هذا الكتاب، ولكننا إنما جمعناها في فروع إجّانة بوصفها من (الروافد) البشرية المكتنفة بمجالاتها المندمجة في أعراشها المستلحَمَة في أجناسها، وخصوصًا إذا أقررنا بالملاحظة أن المجال الإجّاني هو أكثر المجالات اختلاطًا بالفروع الروافديّة المختلفة بوصفه الأكثر اتساعًا والاكثر اتصالاً بساحل البحر الجيجلي ومراسيه، والمتضمن أيضًا لحاضرة جيجل العريقة.

بني خطّاب:

أما قبيلة (بني خطاب) فبلادهم مدينة الطاهير قرب جيجل، والأرجح عندي أن هذه القبيلة فرع من قبيلة إجّانة بحكم أن موضع القبيلة ممتد بين مرسى جن جن الذي ذكره اليعقوبي (ت بعد.905م) في القرن 09م في كتابه البلدان باسم (مرسى قلعة خطاب) قال: "**ومدينة عظيمة جليلة، يقال لها ميلة، عامرة محصنة (..) وسواحل البحر تقرب من هذه المدينة ولها مرسى يقال له جيجل ومرسى يقال له قلعة خطاب، ومرسى يقال له أسيكدة، ومرسى يقال له مابر، ومرسى يقال له مرسى دنهاجة**.."[1]، وأعالي جبل (وجّانة) الحامل لاسم القبيلة، وليس غريبًا كونُ (خطّاب) اسمًا عربيّا لفرع بربريّ في هذا الزمن الذي بدأ فيه التعريب يتغلغل إلى المنطقة في مستوى الأسماء[2]، وقلعته طبعًا سابقةٌ لزمن اليعقوبي، وهو بهذا التصوّر معدودٌ في فرع إجّان من بني ينطاس (ينطاسن) من جماعة آغرسن الكتاميّة.

وتذكر لنا تقارير الفرنسيين نقلاً عن الرواية الميثولوجية لأهل جيجل أن أصول (بني خطاب) ممتدة في رجل من الشرفاء الأدارسة اسمه (خطّاب) جاء من المغرب واستوطن المنطقة فنسلوا منه، نتيجة للشبه في التسمية بينهم وبني بني خطاب الشرفاء، وهذه الرواية فيها نظرٌ لأن الأعراش الخطّابية من الشرفاء معروفة في كتب الأنساب

[1]– **اليعقوبي**: البلدان، م س، ص190.

[2]– **أنظر**: **حسين بوبيدي**: أسماء الأعلام والقبائل والأماكن في المجالات الكتامية من ق3-4 هجري دراسة في جذور التعريب من خلال النصوص المصدرية، مجلة المعالم، العدد 20، جمعية المعالم قالمة، 2016، ص ص112-132.

بداية من القرن 15م وليس فيها ذكرٌ للفرع الموجود بمنطقة جيجل، بينما يورد إلينا ابن خلدون (ت.1403م) فرعًا آخر يحمل اسم (بني خطاب) في فروع قبيلة هوارة بنواحي طرابلس ليبيَا في القرن 14م، وفرعٌ آخر بهذا الاسم أيضًا يورده محمد العربي المساري بجبال الريف في القرن 19م، وإليك مناقشة ذلك:

فأما فرع (بني خطاب) الذين بضواحي مدينة (برقة) من جبال طرابلس فهم أمراء (زويلة)، لخص ابن خلدون (ت.1403م) ذكر أخبارهم على زمنه في القرن 14م قال: "**كانت برقة من مواطن هوّارة هؤلاء، ومنهم مكان بني خطّاب ملوك زويلة إحدى أمصار برقة، كانت قاعدة ملكهم حتى عرفت بهم، فكان يقال (زويلة بن خطّاب) ولما خربت انتقلوا منها إلى فزّان من بلاد الصحراء وأوطنوها، وكان لهم بها ملك ودولة، حتى إذا جاء قراقوش الغزّي الناصريّ (...) افتتح فزّان بعدها، وتقبض على عاملها محمد بن خطّاب بن يصلتن بن عبد الله بن صنفل بن خطّاب آخر ملوكهم، وامتحنه وطالبه بالأموال وبسط عليه العذاب إلى أن هلك، وانقرض أمر بني خطاب وهؤلاء الهوّاريّين.**"[1]، والظاهر من أمر هؤلاء أنهم انقرضوا بلفظ بن خلدون (ت.1403م)، ولم يذكر هو ولا من جاء بعدهُ شيئا عن انتقالهم إلى مجال آخر غير مجالات طرابلس، كما لم تكن لهم طريقٌ قديمة ولا حديثة إلى جبال جيجل، ولذلك نعتقدُ أن نسبهم بعيدٌ تمام البعد عن نسب (بني خطاب) منطقة جيجل، ما عدَا قضيّة تشابههم في التسميَة وهو أمر كثير الحدوث.

[1]– **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص ص187-188.

وأما (بني خطاب) الأدارسة فإن نسبهم متصلٌ في شرفاء بني زيان القصبيين أهل قرية (تالوت) بالمغرب الأقصى، وكانوا تصارعوا مُلْكَ تلمسان مع المرينيين أواخر القرن 14م، ثم انهزموا وانسحبوا إلى (تاقدمت) بالمغرب، واستمر نسبهم في الولي الصالح (عبد الله النقابي) الذي عاش بين القرنين 15م و16م في قرية (المطمر) من ضواحي منطقة غيليزان بالجزائر حتى توفي ودفن بها، ونسبهُ كما أورده السنوسي الخطابي (ت.1859م) بشروحه نقلاً عن ابن خلدون التلمساني هو: (عبد الله النقابي **(دفين المطمر)** بن خطّاب بن علي أبي العسل بن يحيى بن راشد بن أحمد المرابط **(المدفونين بوادي شلق)** بن منداس بن عبد القوي بن عبد الرحمن **(المدفونين بتاقدمت)** بن يوسف بن زيان بن زين العابدين بن يوسف بن حسن بن إدريس بن عبد الله بن أحمد بن محمّد بن عبد الله بن حمزة بن سعيد بن يعقوب بن داود بن حمزة بن علي بن عمران بن إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب)[1]، وهذا النسبُ ثابت محقّق بشهادة السنوسي (ت.1859م) الذي ينتمي هو نفسه إليه، بينما يبدُو بعيدًا جدّا انتماء (بني خطاب) منطقة جيجل فيه، لأن (خطّاب) المذكور هنا عاش بمنطقة (وادي شلق) بالمغرب ولم يكن له طريق إلى جيجل فيما بحثناه من المصادر، كما أن ابنه (عبد الله النقابي) استقر بمنطقة المطمر غرب الجزائر ولم يكن له أيضا انتقال إلى جبال جيجل ولا إلى مكان قريب منها، ويقضي على هذا الرأي قضاءً مُبرمًا حياة هؤلاء بني خطاب الشرفاء بين القرنين 15م و16م، بينمَا يعود وجود (بني خطاب) الإجَّانيين الذين بمنطقة جيجل قبل ذلك بستة

[1]– **انظر: السنوسي الخطابي**: الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية، م س، ص ص 106-107-108-109.

قرون إلى القرن 09م بشهادة اليعقوبي (ت بعد.905م)، وفي موضعهم بمرسى جن جن المسمى قديمًا (قلعة خطاب) قرب الطاهير وقبل قيام دولة الفاطميين وحدوث الهجرات، ومن ثمة فالقولُ بأنهم من شرفاء المغرب مردودٌ بالكليّة لأنه لا دليل عليه والمصادر الموجودة تثبت غيره.

وادّعى بعض شيوخ بني خطاب منطقة جيجل أن أصولهم عائدة في عرش (بني خطاب) الذي ينتمي إليه الثائر المغربي (عبد الكريم الخطابي) صاحب الثورة ما بين (1921م و1926م) على الاستدمار الإسباني-الفرنسي، وهذا الرأي بعيدٌ جدًّا عن الصواب، لأن هذه التسمية عائدة على فرع صغير مندمج في قبيلة (بني ورغايل) من قبايل منطقة الريف ببلاد المغرب الأقصى[1]، وهو فرع جديدٌ جدًّا يعود ظهوره إلى القرن 19م، بينما يرجع ذكر قبيلة (بني خطاب) التي في منطقة جيجل إلى القرن 09م أي قبل عشرة قرون من ذلك، وإنما نتجت هذه الخرافة عن تشابه التسميّة.

والصحيح الذي لا يعدل عنه في نسب (بني خطاب) منطقة جيجل في نظرنا هو كونهم فرع قبيلة (إجّانة) الكتامية، وهم أقدمُ فروع كتامة منطقة جيجل ذكرًا عند اليعقوبي (ت بعد.905م)، واستمر وجودهم بالرغم من الهجرات الكثيرة والأحداث المهلكة التي وقعت قريبًا من مجالاتهم من ذلك الزمن الغائر إلى اليوم.

[1]– **محمد العربي المساري**: محمد بن عبد الكريم الخطابي – من القبيلة إلى الوطن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المملكة المغربية، ط1، 2012، ص24.

وفي سنة 1143م ذكر الشريف الإدريسي (ت.1166م) حملة الملك (روجار الصقلي) وأتباعه النورمانديين على منطقة جيجل، فدفع عن سواحلها الكثير من قبايل (بني خطاب) وغيرهم فاعتلوا الجبال هروبًا من الغزو، ذكر ذلك ابن الأثير (ت.1232م) قال:"**فلّما رآهم أهل البلد هربوا إلى البراري والجبال**"[1]، وعلى إثر هذه الحملة النورمندية على منطقة جيجل انقسمت قبيلة بني خطاب إلى فرعين كبيرين، فرع اعتلى جبل وجّانة وهم (**بني خطاب الغرابة**)، وفرع آخر انتقل إلى جبال سدّات ثم إلى أعالي جبال تافرطاس بالميليّة، وهم (**بني خطاب الشراقة**) (أو القبالة)، وعلى زمن الفرنسيين انتقلت منهم بعض الفروع إلى ناحية ڨالمة بمنطقة (حجر منقوب).

أخلاط قبيلة بني خطاب ومشيختهم:

فأما **بني خطاب الشراقة** فقد ذكر الفرنسيون فروعهم في تقاريرهم، وقد زرت بلادهم ووجدتها كما ذكرها الفرنسيون لم يتغير منها شيء يؤثر على بنائها القبلي، وتنقسم إلى ثلاثة أعراش كبيرة هي: (**أولاد يحيى**)، (**أولاد رابح**)، (**آحمّيدن**) وتنطق أيضًا (آعمّيدن) أو (ياميدن) بتصحيف الفرنسيين[2] وتعرف اليوم ببلدية (سيدي

---

[1]– **ابن الأثير**: الكامل في التاريخ، م س، ج9، ص326.

[2]– **Voir** : **Louis RINN** : Le Royaume d'Alger sous le dernier Day, Revue Africaine, Op.cit, N° 228, 1898, p 295. **Et**: Rapport Officiel sur la tribu de Beni Khettab Cheraga 1845.

معروف) نسبة إلى جبل فوقها، ومن فروعهم أيضا: (**أولاد شوامخ**)، و(**أولاد بوقلعين**)، و(**عرب بوطويل**)، و(**الريشيَّة**)، و(**بني ميمُون**).

وقد ذكر الفرنسيون مشيختهم على عهد استيلائهم على منطقة جيجل سنة 1845م، مفصلة فكان شيخ (**أولاد رابح**) هو محمد بن سراوي، و(**أولاد شوامخ**) شيخهم أحمد بن شامخ، و(**أولاد بوقلعين**) شيخهم محمد بن قرين، و(**عرب بوطويل**) شيخهم علي بن محمد، و(**الريشيَّة**) شيخهم محمّد بن قردان، و(**بني ميمُون**) شيخهم علي بن محمد.

وأما **بني خطاب الغرابة** فإنهم قليلون مقارنة بإخوانهم الشّراقة، وقد ذكر الفرنسيون فروعهم في دوارين اثنين: دوار (**تابلُّوط**) وفروعه (**الشناتفة**)، (**أولاد عمر**)، (**أولاد الحسن**)، ودوار (**تازية**) وفروعه (**تازية وادي زيتون**)، (**تازية بني هايج**)، (**تازية سابلانة**)[1]، ولم يرد عنهم كثير الأخبار إلاّ أنهم أسرٌ كبيرة موزعة بين بلديات وجّانة والأمير عبد القادر والطاهير وتاكسنّة بولاية جيجل.

وأما بني خطاب بناحية ڤالمة ففروعهم في قرى (**حجر منقوب**) بجبل ماونة في **مشتى القصابة**، و(**بوحشانة**)، و(**بني خطاب**) الساكنين في سفح جبل هوارة.

[1]- **Ibid** : p 306. **Et**: Rapport Officiel sur la tribu de Beni Khettab Gheraba 1845.

بني سيار :

ولم يسعفنا في استصفاء نسب هؤلاء بني سيار إلا موضعهم مع بني خطاب في سفوج جبل (وجّانة) الذي يحمل الاسم العام للقبيلة، وفي مجالها القديم عند سهل الطاهير، ثم وجود فرعهم (أولاد عواط) في مجال القبيلة نفسها عند (وادي إرجانة)، ومن ذلك قدّرنا أن هذه القبيلة لم تخرج عن المجال الإجّاني حتى في فروعها المنتقلة، وأمكننا أن نستنتج أصلهم في فرع (إجّانة) الكتامية، ولعله حسب عرف التسمية في قبايل كتامة عائدٌ إلى مُؤسس إثني أو سياسيّ يُسمّى (سيار)، الذي نفترض كونه معدودًا في أخلاط إجّان من بني ينطاس من جماعة آغرسن الكتاميّة، وإن كنا نشير إلى غيابٍ تام لهذه القبيلة في المصادر التي تتحدث عن الأنساب وحضورها القويّ فجأةً بعد بروزها في الحياة السياسية والعسكرية مطلع زمن العثمانيين بعدَ نزول (محمد بن آمقران) في مجالاتهم، وكذا حضورها المقاومات الشعبية للفرنسيّين في القرن 19م.

وتنقل إلينا الرواية الجمعيّة بأقلام التقارير الفرنسيّة أن مجالات (بني سيار) بسهول الطاهير كانت فارغة قبل الفتح الإسلاميّ، وفي هذا القولِ نظرٌ مادام اليعقوبي (ت بعد.905م) وهو أقدم مؤرخ زار المنطقة بعد الفتح مباشرة، قد ذكر المكان عامرًا على زمنه في القرن 09م قال "**...ومرسى يقال له قلعة خطاب (...) وهذا البلد عامر كثير الأشجار والثمار**"[1]، بينما يبدو منطقيًّا أن هذا الفرع القبليّ الإجانيّ البربري انسحب من ساحل جن جن رفقة أبناء عمومته (بني خطاب) على إثر غزوة

[1]– **اليعقوبي**: البلدان، م س، ص190.

النورمانديين سنة 1143م، واعتلى جبل (وجانة) وتحصّن هنالك طوال القرنين 13م و14م، حتى عاود الانتشار بداية من القرن 15م على زمن الحفصيين، لكون موضعه على الطريق القديمة بين ميلة وجيجل، وكذا يبدو منطقيًّا كونه اختلط مع العرب على غرار جميع قبايل المنطقة التي استلحمت فيها روافد أخرى، وتعرّب لسانها على يد فقهاء موسى ابن نصير والفاطميين والهلاليين النازلين بالمنطقة من بعدهم، ثم تبوأ هؤلاء بني سيار مكانة سياسيّة مهمّة بعد 1621م سنة نزول الشيخ (محمد بن آمقران) عندهم وتأسيس زاويته الشهيرة.

وتبدو قبيلة (بني سيار) صغيرة مقارنة بالتجمعات الكبرى التي من حولها، لكن ذلك راجع في نظرنا إلى هجرة فرعها (أولاد عواط) إلى نواحي الميليّة على ضفتي وادي إرجانة وقرب مدينة سكيكدة، وإلى كون أكثر أبنائها نزحوا شمالا إلى الطاهير وجيجل، أو جنوبًا إلى منطقة ميلة فقد وجدنا الكثير من الأسر الحاملة للقب (سياري) نسبة إليها موجودين بفرجيوة وميلة وأحمد راشدي ووادي النجاة وغيرها.

أخلاط قبيلة بني سيار ومشيختهم:

وأما فروع قبيلة بني سيار فهي معروفة، أوردها الفرنسيون في تقاريرهم الصادرة عن دخولهم إلى مجالات جيجل وهي:

(أولاد عواط الجبالة)، **(أولاد عواط السّفلية)**، **(أولاد رطاهم)**، **(أولاد برور)**، **(أولاد عويسي)**، **(أولاد بلمراجي)**، **(أولاد بقوف)** وفيهم أسرة مرابطيّة تسكن

بينهم وبين أولاد بلعفو وتسمى **(أولاد صالح)**، وأسرة أخرى تسمى **(أولاد بن فاضل)** تعدها الرواية الجمعيّة من أصول تركية ونزلت بالقبيلة في نهاية القرن 17م، وهذه الفروع كلّها موزعة في جبل وجانة وسهول الطاهير.[1]

ولم نجد بعد بحث طويل أدلّة قطعيّة تؤكّد أن (أولاد عوّاط) فرع (بني سيار) هم أنفسهم أولاد عواط الميليّة وأولاد عواط سكيكدة، ولكنّنا قاربناهم بهذا الشكل لوجود الأوّل في مجالات (إجانة) قرب الطاهير ووجود الثاني في مجالات (إرجانة) قرب الميليّة، ووجود الثالث في مكان انتقال فروع جيجلية أخرى بمنطقة سكيكدة قرب (بني زيد) التيفوتيّة مثل (بني خزر، بني أحمد.. وغيرها).

وأما مشيخة بني سيار هؤلاء فتتبع رياسة مولى الشقفة شيخ بني يدر، وقد كانوا قبل ذلك تحت مشيخة ابن الأحرش على زمن دولته بمنطقة جيجل، غير أن الفرنسيين أوردوا إلينا أسماء بعض مشايخهم في تقاريرهم المتعلقة بقبيلة بني سيار زمن دخولهم سنة 1845م، فكان شيخ (أولاد عويسي) هو مسعود بن رابح، وشيخ (أولاد بلمراجي) هو محمد بن عمندة، وشيخ (أولاد بقوف) هو العربي بن غوالة.

---

[1]– **Voir** : **Louis RINN** : Le Royaume d'Alger sous le dernier Day, Revue Africaine, Op.cit, N° 228, 1898, p 306. **Et**: Rapport Officiel sur la tribu de Beni Siar 1845.

انفصال عرش أولاَد عوَّاط عن بني سيار :

لعلّ هؤلاء (أولاد عوّاط) فرعٌ من فروع قبيلة (بني سيار) الموجودة بناحية الطاهير، لأنّ فروعهم الأصليّة (أولاد عواط الجبالة والسفلية) لا يزالون موجودين هنالك، ولا شك أن انتقالهم من مواطنهم الأولى بسهول الطاهير وجبل وجانة كان برفقة أبناء عمومتهم (بني خطاب) على زمن الحملة النورماندية على سواحلهم سنة 1143م كما يذكره الإدريسي (ت.1166م) الذي رافق الملك روجار الصقلي في هذه الحملة، أو ربما عند مجيء الغزو الجنوي عليهم في سنة 1245م، فكلا الاحتمالين وارد بالنظر إلى تأثيره على التشكيلة القبيلة للمنطقة، لأنه لم يحدث في زمن وجودهم غير هذين الحدثين، والملاحظ أن نزولهم كان قريبًا من بني خطاب وبني عيشة من فروع (إجانة)، في المجال القبليّ نفسه على ضفتي وادي (إرجانة) الحامل لاسم القبيلة، وذلك ما يرجحُ عندنا فرضية كونه فرعًا إجانيًّا أصِيلاً، وقد كنا شرحنا ذلك بالعموم والإجمال في كتابنا (التاريخ الكامل لمنطقة الميليّة)، ولكن هذا تفصيله هنا بأدلّته.

ويرجع أصل قبيلة (أولاد عواط) بحسب العرف الكتامي إلى جدّهم (عواط) الذي يبدو في اسمه رطانة بربرية تبدل مخرج (الضاد) بحرف (الطاء) وتزيد فيه المدّ، وإذ لم نجد في معاجم الأمازيغية معنى لكلمة (عواط) فإننا نرجح كونه تصحيفًا لتسمية عربيّة تقديرها الأقرب (عوض)، لأن هذا الفرع وجد على ما يبدو بعد وصول المسلمين وتعريب المنطقة، فتقديرنا لنسب (أولاد عواط) إذن هو انتماؤهم في هذا الجدّ المؤسس (عوض بن سيار) المعدود في فرع إجّان من بني ينطاس من جماعة

آغرسن الكتاميّة، ولم ترد إلينا هوية هذا الرجل ولا صفاته، لا في فرعه الأصلي بناحية الطاهير ولا في هذا الفرع الذي قرب الميليّة، إلا أن أولاده متوزعون إلى اليوم في مدينتهم المسماة (العنصر) عند مصب وادي إرجانة في الوادي الكبير، وفي المدن التي حولها: الجمعة بني حبيبي والميلية وجيجل وميلة وقسنطينة وغيرها.

أخلاط عرش أولاد عواط ومشيختهم:

أما فروع أولاد عواط فهي كثيرة، وهي: **(أولاد آزازا)** وربما نطقها عزازة، **(أولاد سعد بن أحمد)**، **(أولاد زايد)**، **(أولاد رحلوم)**، **(أولاد بورزينة)** أو بوقرينة، **(الحزابة)**، **(أولاد العربي)** وتسمى أيضا العرابة، **(أولاد العابد)**، **(إبزيشن)**، **(الحضريَّة)**، **(بني سياحة)**، و**(تايلمام)** أيضًا فرع مندمج في أولاد عوَّاط، وقد افترضنا معناها في اللغة العربية (ذات اللّمام)، ولكننا وجدنا تأويلاً آخر للمصطلح في الأمازيغية يعتقد أن له علاقة بما ذكره تقريرُ الفرنسيين لسنة 1845م وهو اسم **(عرب آيلمون)**، إذ من الواضح أن (آيلمون) مصطلح بربري، وعليه ينبني تقدير نطق اسم هذا الفرع بـ(تايلمان)، كما ذكر تقرير الجنرال نابوليون الصادر يوم 25 أوت 1867م أنه وجد في (تايلمان) أربع عائلاتٍ فقط: **(حدّادن)**، **(لعرابة)**، **(أولاد رياح)** من عرب سُلَيم، **(أولاد مسعود)**، ويذكر قيطوني بمقتضى مقاربة (إعادة الاستيطان) أن هذه العائلات فروع مجتمعة من أصولٍ مختلفة، غير أننا نحترز من ذلك لما سيأتي ذكره.

يحتمل أن يكون لهذا الفرع علاقة مع قبيلة (بني يلمان) أو (آلماين) الساكنين في سهل ريغة بين سطيف والمسيلة، وهم فرع ذكره ابن خلدون (ت.1403م) في فروع قبيلة (لماية) القديمة من بني فاتن بن تمصيت بن ضرى بن زحيك بن ماذغيس[1]، ومكانهم يسمى (عين أو يلمان) أو (عين ولمان) بالتصحيف، وهو رأي معقولٌ إذا وجد ما يثبته في نسب هؤلاء سكان هضبة (تايلمام) أو (تايلمان)، فإن لم يكن ثمّة ما يثبته في المصادر عددناه محض تشابه في التسميّة، وفي جميع الأحوال ف(تايلمان) فرع مستلحمٌ في قبايل (أولاد عواط)، عدّه الفرنسيون قبيلة منفصلة.

أمَّا الرياسة في قبيلة أولاد عواط فلم يصلنا من أسماء شيُوخها القدامَى شيء إلاَّ دخولها في رياسة ابن الأحرش، أمَّا بعد ذلكَ، فقد وجدنا في تقارير الفرنسيين عن القبيلة سنة 1845م أن شيخهم كان اسمه (علي بن طُبَّال) وهو شيخ عرش (العرابة) وأولاد عواط جميعا، الذي توفي في المرض الذي اجتاح المنطقة عام 1864م، وذكرته جريدة المبشر في عددها الصَّادر يوم 13 مارس 1864م : "**اشتد مرض الجدري هذه الأيام بأعراش الميليَّة، ومن جملة من هلك بهذا المرض شيخ أولاد عواط**.."[2]، وبعد وفاته آلت ريَاسة قومه إلى الشيخ سي سعيد بن أحمد، أما شيخ (أولاد رحلوم) فكان اسمه علي بن بوزيان، وشيخ (أولاد بورزينة) محمد بن فرحات، وشيخ (تايلمام) هو أحمد بن بومانة، فلمَّا حكم المستدمر المنطقة أزال الرياسة منهم.

---

[1]– **انظر**: **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص ص 120-147-155-158.

[2]– جريدة المبشر، العدد 417، يوم 13 مارس 1864م.

بني عيشة (عائشة):

ولم نجد من أدلّة انتساب هذه القبيلة سوى طوبونيميَا موضعها على ضفتي (وادي إرجانة) الحامل لاسم القبيلة الكبرى، بينما تطرحُ تسميتُها إشكال نسبة فروع القبيلة إلى امرأة، وذلك ما يُلجئُ الباحث إلى التحري والقياس على حالات أخرى مماثلة في مجالات القبيلة نفسها، وفي قضية أصول هذه القبيلة عدة أقوال:

– إمّا أن تكون لجأت بأبنائها إلى جبال المنطقة كما في الرواية الميثولوجية الجمعيّة التي نقلها الفرنسيون في تقريرهم عام 1868م وفي تقارير سيناتوس كونسلت التي نقل عنها هيشور، فإنهم أوردوا ذكر عائلة رجل يسمّى (عريف) وزوجته (عيشة) اللذين نزلاَ مع ابنيهما (معفي) و(رابح) واستقرَّا على ضفتي وادي ارجانة، فنسل من معفي فرع (أولاد معفي)، ومن ابني رابح المسمّين (يحيى) و(محرق) نسلت فروع (أولاد يحيى) و(المحارقة)، ثم انضاف إليهم ابن عمّ للأب عريف اسمه (يخلف) ونسل منه فرع (أولاد شبانة)، وبعد نحو خمسين سنة من استقرار هذه الأسر، التحق بها رجل من أولاد عيدون اسمه (بارش) واستقر بينهم ببعضٍ من عائلته بينما سكنت بقية عائلته عند بني يدر، فنشأ فرع (أولاد بارش) في أعلى جبل الناظور.[1]

[1]– **Voir**: **Boudjemâa HAÏCHOUR**: L'espace kétamien d'El-Milia, Revue Révolution Africaine, N° 1661, du 27 Décembre 1995 au 02 Janvier 1996, p04.

تبدو هذه الرواية منطقيّة إلى حدّ مَا لأنها لا تطرحُ تناقضات في داخلها ولا تدّعي أن أعراش القبيلة من خارج المجال الإجّاني، ولكنّها تطرحُ إشكال انتساب كل هذه الفروع في (عيشة) وليس في زوجها عريف ولا في أخيه يخلف، مما يوحي بأنها كانت سيّدتهم وكبيرتهم وذات حظوة ومكانة فلولا ذلك لما انضافت إليهم عائلات (أولاد شبانة) و(أولاد بارش) وانتسبت إليها، وذلك جائزٌ في هذه المجالات الكتاميّة، إذ ذكر ابن خلدون (ت.1403م) حال عرش العزيزيين من قبيلة (أولاد سواق) فرع سدويكّش من كتامة بنواحي (مجانة) في مجالات القبيلة نفسها، الذين نسبوا في أمهم تاعزيزت قال: "**والعزيزيون (..) أولاد يوسف وهم أشقاء، وأمّهم تاعزيزت فنسبوا إليها**"[1]، فنبوا إلى (تاعزيزت) بالرغم من معرفة أبيهم يوسف، ومن ثمة فإن الفروع الكتامية تستجيز الانتساب في النساء، وذلك يعضد انتساب قبيلة (بني عيشة) في فرع إجّانة الكتامي إن صحّ عليهم هذا القياس، خصوصًا وأنّ عددهم الذي أورده الفرنسيون سنة 1868م بعد حملات القتل والتشريد كان 4578 نسمة، وهو عدد يدلّ على عراقة القبيلَة في المنطقة ونشوئها منذ القرن 13م على الأقل.

– وإمّا أن هذه المرأة ابنة شيخ معظّم وموقّر فورثت عن أبيها تقديس الناس فنسبوا أولادها إليها إعزازًا لهم لأنها أظهَرُ من زوجها، وأقامت زاوية أو ورثتها عن أسلافها، تمتهن فيها المشيخة المرابطية وتعالج الناس، وقد وجدنا في مجالات القبيلة المكان الحامل لاسم (**المسيد**)، وهذه الكلمة مشتقة من الفعل (**مسد**) في اللهجة الكتاميَّة،

---

[1]– **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص 198.

وتعني تمرير اليد على الجسد ليبرأ من المرض، وتطلق على مكان زاوية المرابطين الذين يمارسون العلاج، فلعلّها كانت زاوية هذه المرأة، ويعضدُ هذا الرأي وجود جبلٌ قريب في الضفة اليمنى للوادي الكبير لا يبعد سوى بضعة كيلومترات ويحمل الاسم نفسه منسوبًا إليها (**مسيد عيشة**) جنوب غرب قبيلة (بني تليلان) وسط سلسلة جبال بني موية[1] ببلدة غبالة، فلعلّها انتقلت إلى هذه الجبال واتخذت لها زاوية أخرى هناك، فظل الناس يقبلون عليهَا، فنسب إليها المكان وسميّ هذا الجبل (**مسيد عيشة**)، وهذا الاعتماد على طوبونيميَا المجال لا يبعِدها عن النسب الأوّل، لأنها تبقى ناشئة منذ زمن بعيد بحكم حجم القبيلة.

وإن افترضنا هجرتها عكسيًّا، أي أن أصلها من الجبل الحامل لاسمها في قبيلة (بني تليلان) الكتامية التي كانت لها إمارة (أولاد ثابت) في القرن 13م الذي افترضناه لنشأة القبيلة استنادًا إلى عدد أبنائها عام 1868م وتقديره 1561 نسمة، ثم انتقلت إلى وادي إرجانة ولحق بها (بارش) وأبنائه من أولاد عيدون، لما وجدنا تفسيرًا لحفاظها على الاسم العام لقبيلة (إجّانة) في الوادي الذي يسكنُ أولادُها على ضفتيه.

[1]– **بني موية**: ذكرنا في كتابنا التاريخ الكامل لمنطقة الميلية أنه تصحيف اسمهم من الفرنسية " Beni Mouïa"، ثم وجدنا ذكرهم باسم (**بني لمائي**) عند ابن خلدون، وهم أحد فروع قبيلة سدويكش المستقرة بالمنطقة، وأن اسمهم فعلا (بني موية) عربهم الفاتحون المسلمون إلى (بني معاوية)، وعند عبد العزيز فيلالي (بني أميّة) والألفاظ كلها مستعملة تدلّ على القبيلة نفسها.

– وإما أن تكون هذه المرأة – اعتمادًا على الأحداث التاريخية – انتقلت بأولادها من جبل إيكجان في القرن 10م هروبًا من حكم الفاطميين في صراع أهل قبيلتها إجَانة على قبول دعوة أبي عبد الله الداعي، فالتجأت إلى جبال كتامة الحصينة، ولكن هذه الفرضية تطرحُ إشكال تفسير قلّة عدد أبنائها مقارنة بهذا الزمن الغائر؟

أخلاط قبيلة بني عيشة ومشيختهم:

اختلف الفرنسيون في تدوين فروع القبيلة، فيذكرهم تقرير نابليون لسنة 1845م في عشرة فروع هي: **(أولاد سليمان)**، **(المحارقة)**، **(آزيار)**، **(بولحدايد)**، **(تيغرمان)**، **(أولاد معفي)**، **(أولاد شبانة)**، **(آخرّاط)**، **(أولاد بارش)**، **(أولاد زكيّة)**.

بينما يذكرهم تقرير نابليون لسنة 1868م، وكذلك تقرير سيناتوس كونسلت اعتمادًا واضحًا على التوزع الجغرافي للأعراش في دوارين اثنين:

– **(المسيد)**: ولم يذكر الفروع المنتمية إليه.

– **(تامنجر)**: وكذلك تركه دون تفصيل للفروع.

ثم حاول لويس رين سنة 1898م توضيح فروع القبيلة مقسمة على هذين الدوارين، ولكن في ستة فروع فقط: **(أولاد يحيى)**، **(المَحَارقة)**، **(أولاد معفي)**، **(أولاد بارش)**، **(أولاد مسعودة)**، **(التسايحيّة)**[1].

[1]– **Voir** : **Louis RINN** : Le Royaume d'Alger sous le dernier Day, Revue Africaine, Op.cit, N° 228, 1898, p 307-308.

ولكن ينفقد في الفروع التي ذكرها رين فرع **(أولاد سليمان)**، **(آزيار)**، **(بولحدايد)**، **(تيغرمان)**، **(أولاد شبانة)**، **(آخرّاط)**، **(أولاد زكيّة)**، وتظهر فروع أخرى لم تذكرها التقارير السابقة وهي: **(أولاد يحيى)**، **(أولاد مسعودة)**، **(التسايميّة)**، ولا نعلمُ لحد اليوم هل توجد هذه الفروع في مجالات قبيلة (بني عيشة) أم أن رين أخلط بين فروعها وفروع بني فتح التي أخذ منها (أولاد مسعودة)، وفروع بني خطاب التي أخذ منها (أولاد يحيى)، وهؤلاء (التسايميّة) الذين نجدهم لأول مرّة في فروع القبيلة.

وينتهي هذا التصنيف إلى الدوارين الآتيين:

- دوار **تامنجر**: نسبة إلى اسم جبله، وفيه فروع **(أولاد سليمان)**، **(المَحَارقة)**، **(أولاد يحيى)**، **(آزيار)**، **(بولحدايد)**، **(تيغرمان)**.
- دوار **المسيد**: نسبة إلى الزّاويَة التي ذكرنا، وفيه **(أولاد معفي)**، **(أولاد شبَانة)**، **(أولاد مسعودة)**، **(آخرّاط)**، **(أولاد بارش)**، **(أولاد زكيّة)**.

وأما مشيخة بني عيشة فقد تبعت الشريف ابن الأحرش، ثم بعده تبعت رياسة بورنان بن عز الدين، وقد ذكر الفرنسيون عام 1845م مشيخة كل فرع منهم، فأما (أولاد سليمان) و(المَحَارقة) و(آزيار) و(بولحدايد) و(تيغرمان) فقد كان شيخهم علي بن علي، وأما (أولاد معفي) فكان شيخهم مسعود بوعفينة، وأما (أولاد شبَانة) و(آخرّاط) و(أولاد بارش) فكان شيخهم علي بن سليمان، وأما (أولاد زكية) فكان شيخهم أحمد بن لقويعر، فلما دخل الاستدمار البلاد محا مشيختهم.

بني فتح :

وهؤلاء (بني فتح) يدّعون نسبهم في العرب الفاتحين، إلا أن دراستنا لأحداث الفتح الإسلامي في جبال كتامة بداية سنة 698م على يد حسان بن النعمان، ثم في 711م مع الفقهاء الذين أرسلهم ابن نصير كما يذكره ابن عذاري (ت.1296م) وابن خلدون (ت.1403م) يجعلنا نستبعدُ كونهم منهم، لأن عملية الفتح لم تخلّف لنا أسرًا في عمق الجبال الكتاميّة الحصينة إنما كانت بداية الوجود العربي للفاتحين في المدن مثل ميلة وقسنطينة وسطيف، إلا أن يكونوا أحفادًا لأحد الفقهاء الذين أرسلهم موسى بن نصير نزل في المنطقة، ولا دليل يمكنه أن يجزم لنا بذلك حتى في الرواية الجمعيّة، وأغلب ظني أن قبيلة (بني فتح) هم أبناء (فتح بن يحيى المسالتي) المكنى بـ(الأمير) زعيم قبيلة مسالتة الكتامية الموالي للأغالبة، والذي انهزم رجاله أمام جيش أبي عبد الله الداعي في زمن حربه على أغالبة ميلة، ذكره القاضي النعمان (ت.974م) قال: ".. **ومن مقدّمي قبايل كتامة وكبارهم وولاة أمورهم فتح بن يحيى المسالتي..**"[1]، فلما انهزم أفل ذكره، ولم يذكر في زعماء كتامة الذين وجدهم أبو عبد الله بميلة حين دخلها، وروى النعمان (ت.974م) أنه قُتِل بناحية (طبنة) القديمة، وفي اعتقادنا أن أبناءه لجؤوا بعد هزيمة أبيهم إلى فروع (إجّانة) المعارضة بجبال الميليّة، وهؤلاء (بني فتح) سلالتهم.

[1]– **فرحات الدشراوي**: الخلافة الفاطمية بالمغرب، م س، ص100.

ومن جهة أخرى تنقل الرواية الميثولوجية الجمعيّة تضارُبًا شديدًا في أصل القبيلة، فيذكر قيطوني نقلاً عن الفرنسيين – من منطلق مقاربة (إعادة الاستيطان) – أن (بني فتح) قبيلة تشكلت من عدة هجرات حدثت انطلاقًا من القرن 15م:

– هجرة (عمران وخلاص) أخوان من (بني عمران) قرب جيجل، شكلاَ فرعي (أولاد عمران) و(أولاد خلاص).

– هجرة (عزيز) من أصل مجهول شكل أبناؤه فرع (أولاد عبد العليّ)

– هجرة عائلات من عرش (عمر الشراقة) قسنطينة شكلوا فرع (عرب تاسارة).

– هجرة رجل من المغرب الأقصى شكل فرع (أولاد مزني).

– هجرة فرع (أولاد مسعودة) من عرش (السّراوية) الذي انضم إلى فرع (أولاد عبد العليّ) وشكلا معًا فرع (أولاد جاب الله).[1]

هذه الروايات المتفرّقة لا تجتمع على شيء من المنطق، لأننا إذا صدّقنا بها تجاوُزًا، فكيف نصدق أن هذه الأصول المتفرقة استطاعت تشكيل لُحَمَةٍ قبليّة واحدة؟ ومن أين جاءت بإسم (بني فتح) إذن؟ ولماذا تكررت خرافة الرجل الذي قطع الأتراك رجل ابنه لأنه أكل رجل الدجاجة في أصل فرع (أولاد مسعودة) بالشكل نفسه كما عند بني عافر وأولاد مبارك وبني عيشة وغيرهم؟ لا نعتقد أن الأمر كان بهذه البساطة.

[1]- **Voir** : **Hosni KITOUNI** : La Kabylie Orientale dans l'Histoire, Op.cit, p67.

ويخرج هيشور عن كل هذه الروايات، فيعمم أصل قبيلة (بني فتح) كلّها في فرضية واحدة هي مجيئهم من (التلاغمة)[1] غير بعيدٍ عن رواية قيطوني لمجيء فرع (أولاد مسعودة) من عرش (السراويّة) القريبين من التلاغمة، ولكننا ننكر هذه الروايات التي لا تستندُ على دليل، والتي تحكُمُها في الغالب الخلفيات الأيديولوجيّة للرّواة، كما نعتقدُ أن هذه الروايات الشفويّة لا تتعلقُ إلا بعائلات بعينها انضافت إلى هؤلاء فروع (بني فتح) واستلحمت فيها، لا إلى نشأة القبيلة كلها، وإذ نستحضر وجود فرضيّات أقوى عن تواصل الوجود الكتامي بهذه الجبال و قصة الأمير (فتح بن يحيى المسالتي) المعارض للفاطميين، فإننا لا نُغفلُ أن الفرنسيين أسهبوا في تسجيل هذه الروايات المتضاربة دون نقد إمعانًا في تفريق وحدة القبيلة وتدميرًا لبنيتها الأصولية.

أخلاط قبيلة بني فتح ومشيختهم:

فروع (بني فتح) قليلة مقارنة بالقبايل المحيطة بها، ولكنها منتشرة في أعالي جبال (فج الخميس) الشاهقة وهذه التجمعات القبليّة هي: (**التواجمة**)، (**أولاد عمران**)، (**عرب تاسارة**)، (**أولاد جاب الله**)[2]، (**أولاد مزني**)، (**أولاد اخلاص**)، (**أولاد مسعودة**)، (**سيدي أونيس**)، (**المزابرية**)، (**بلهادف**) وهو اسم بلديتهم اليوم.

[1]– **انظر: بوجمعة هيشور**: بنو كتامة، أعراش الوادي الكبير، جريدة النصر، 25 نوفمبر 1992، ص 12.

[2]– **Voir** : **Louis RINN** : Le Royaume d'Alger sous le dernier Day, Revue Africaine, Op.cit, N° 228, 1898, p 307.

بني أحمد :

أوّل ما يقع فيه الباحث عن أصل هذه القبيلة هو مشكل التشابه الحاصل في تسمِيَتها مع كثير من الفروع القبليّة الأخرى، لكون (أحمد) اسمًا عربيًّا منتشرًا في سائر الأقطار، لذلك يبدو من العسير محاولة ربطها بهذا الفرع أو ذاك دون دليلٍ فعليّ ودامغ، والذي يغيبُ عنّا فعلاً في حال فرع (بني أحمد) الذين بمنطقة جيجل، فيما عدَا عناصر ثلاثة نناقشها كما يأتي:

الرواية الميثولوجية الجمعيّة التي تتحدث عن جدّ اسمه (المرابط موسى) من أصل عربيّ، قصد ملك المغرب ثم انتقل من عنده إلى قبيلة (بني يدر) بناحية الشقفة على زمن العثمانيين، ثم خرج من عندهم مغاضبًا فأوحِيَ إليه بالنزول على ضفة (وادي منشة)، وأنه سيكون له ابن وابنة اسمهما فروج وفروجة، فنزل هنالك وانضمت إليه الأسر المحيطة به من أعراش مختلفة وأسس قبيلة (بني أحمد). هذه القصّة التي نقلها شارل فيرو وبوجمعة هيشور وعلي خنّوف وحُسني قيطوني وغيرهم[1] من المؤرخين لا يمكن أن تكون صالحة لأصل قبيلة (بني أحمد)، فهذا الرجل ولا شك كان يتمتع بحظوة كبيرة في ذلك الزمن جعلت فروع القبيلة تنسبُ نفسها إليه، ولكن إنكار ذلك

---

[1]- **انظر**: **L. Charles FERAUD**: Histoire Des villes De la Provence de Constantine- Djidjelly, Op.cit, p85-86، **وانظر**: **بوجمعة هيشور**: بنو كتامة، أعراش الوادي الكبير، جريدة النصر، 25 نوفمبر 1992، ص 12، **وانظر**: **علي خنوف**: تاريخ منطقة جيجل قديما وحديثا، م س، ص ص 18-19، **وانظر**: **Hosni KITOUNI** : La Kabylie Orientale dans l'Histoire,Op.cit, p63-64 ، **وانظر**: تقرير منشور بالجريدة الرسمية رقم 1950، الصادرة بتاريخ 24 أوت 1866م.

سهلٌ بوصف القبيلَة حاملة لاسم جدّ مختلف عن المرابط (موسى) وهو (أحمد)، كما أن (أولاد المرابط موسى) أصلاً فرع من فروع القبيلة، ولا وجود لفرع آخر اسمه (أولاد أحمد) يجعلنا نعتقد أن القبيلة نسبت إلى فرع منها، بل هو اسمها العام، وقد نقل إلينا فيرو هذه المفارقة بكلام متناقض بدأه كما تقول الرواية الشفهية بأن "**الجدّ الأول لبني أحمد هو المرابط موسى**"[1]، ثم قال في نهاية نقله لهذه الرواية "**صاحبه الذي كان يُدعى أحمد**"!! ومن ثمة فإن (بني أحمد) كانوا موجودين قبل المرابط موسى، وهو إنما نزل عندهم واندمج بنوه فيهم، يشهد بذلك عدد أجيالهم على زمن دخول الفرنسيين غير البعيد عن الزمن الذي يدّعي أهل هذه الرواية أن القبيلة تأسست فيه، وقد مرَّ ذكرُ (المرابط موسى) منفردًا في فصل روافد الأولياء فانظر هناك تجده.

الافتراض الذي يربط أصل هذه القبيلَة بفرعٍ من خارج المجال، وهذا عسيرٌ لغياب الدّليل الفعليّ، ولكنه ممكن في ظل وجود هجرة إلى المجال نفسه من فروع أخرى حاملة للتسمية نفسها، فإننا نجد في منطقة (فليسة البحر) رفقة (بني عمران) الشرفاء فرعًا حاملاً لتسميَة (بني أحمد) في كتامة الساكنين هناك، وجدّهم (أحمد) معدود في فرع إفلاسن من جماعة إيسُّودا الكتاميّة، ويظهر من كونه اسمًا عربيًّا داخل هذا المجال البربري أن هذا الفرع ناشئٌ بعد وصول التعريب إلى المنطقة، وبقوة مقاربة وجود هجرة (بني عمران) الشرفاء إلى منطقة جيجل ونزولهم في القرن 13م بالمكان

1- **L. Charles FERAUD**: Histoire Des villes De la Provence de Constantine-Djidjelly, Op.cit, p86.

نفسه الذي يستوطنه (بني أحمد) من مجالات إجانة القديمة، يمكننا افتراض مجيء هذا الفرع الكتاميّ معهم وبقائه على تسميته الأصليّة، وهو افتراضٌ قويٌّ لكونهم من الرافد الكتاميّ نفسه (فليسة البحر).

الافتراض الذي يعدُّ هذه القبيلة أصليّة في المنطقة، وهو افتراض قويّ أيضًا لكون موضع (بني أحمد) على ساحل (وادي منشة) في واحد من المصايف المهمة بمجالات فرع إجانة الكتاميّ واسع النفوذ، إلاَّ أن هذا الرأي ينكره حدوث انسحاب قبيلة إجانة من السهول الساحليّة إلى قمم الجبال في القرنين 12م و13م لحدوث الغزوات المتتالية للنورمانديين والجنويين على سواحل المنطقة سنتي 1143م و1245م وهدمهم لمدينة جيجل، وبقاء الرجال فقط على السواحل زمن الصيف.

وأقرب رأي عندنا في أصل قبيلة (بني أحمد) أن أُسَرَها انتقلت من فرع (فليسة البحر) رفقة (بني عمران) الشرفاء في القرن 13م، ونزلت بضواحي مدينة جيجل بعدما هدمها الغزاة النورمانديون والجنويون، ثم اختلطت بها أخلاط قبيلة إجانة فاستلحمتهُم وحافظت على اسمها العام (بني أحمد)، ثم في زمن العثمانيين أقبل عليهم من عند (بني يدر) شخصٌ يسمى (المرابط موسى) كان له مقامٌ وحُظوةٌ عند السلطان، فانتسبت فيه القبيلة طلبًا للاعتزاز، وتوارثت الرواية الميثولوجية الجمعية هذا الإعزاز بالانتساب على أنه أصل القبيلة.

أخلاط قبيلة بني أحمد ومشيختهم:

ولم يسفر بحثنا الشخصي عن إيجاد التفصيل الدقيق للتسلسل القبلي لأبناء (أحمد) الجدّ المؤسس لهذه القبيلة، ولا الفروع الأخرى المندمجة فيه ما عدا فرع (أولاد المرابط موسى) المذكور، ولكننا استطعنا أن نتقصى 12 فرعًا منهم بمنطقة جيجل، وهم تماما كما أوردهم الفرنسيون في وثائقهم لسنة 1845م وما بعدها، في منطقتهم على ساحل (وادي منشة) المسماة في القديم دوار (دار الباطح)، وهذه الفروع هي: **(بني بلحاج)**، **(بني بارش)** وتشبه تسميته فرع في بني عيشة، **(بني جابية)**، **(أولاد بوخدنة)**، **(بني بلعابد)**، **(العرايش)**، **(أولاد علي بن يحيى)**، **(الجبرة)**، **(أولاد لمرابط موسى)**، **(البلعادة)**، **(بني قطيط)**، **(أولاد مديني)**، **(العوابر)**، **(أولاد روافع)**[1]، ولهم قرب ڤالمة فرع بني أحمد بمنطقة الجبالة مجاور لقبايل (بني مزلين) وكذلك فرع (بني قطيط) هنالك.

أما شيوخهم فإنهم قد تبعوا ابن الأحرش خلال ثورته على العثمانيين، ثم تبعوا الشيخ محمد أمقران شيخ مدينة جيجل، وقبيل دخول الفرنسيين تبعوا مشيخة بني فوغال التابعين لسلطة بوعكاز بن عاشور بفرجيوة، ثم ذكر الفرنسيون في الوثيقة ذاتها سنة 1845م أن مشيختهم تفرقت بين أعراشهم فكان شيخ قبيلة (بني أحمد) هو

[1]- **Voir** : **Louis RINN** : Le Royaume d'Alger sous le dernier Day, Revue Africaine, Op.cit, N° 228, 1898, p 306. **Et**: Rapport official sur la tribu de Beni Ahmed (1845).

سي بن بلعيد، وكل عرش من أعراشهم له شيخ عضو في جماعة القبيلة، فأما (بني بلحاج)، (بني بارش)، (بني جابية) فكان شيخهم بن بلعيد نفسه، وأما (أولاد بوخدنة) فكان شيخهم عمر بن مسعود، (بني بلعابد) وشيخهم محمد بن أحمد، (العرايش) وتتفرق مشيختهم بين محمد بن لعريشي ومحمد بن الزيني، (أولاد علي بن يحيى) وشيخهم علي بن يحيى، (الجبرة) وشيخهم عبد الله بن سعيد، (أولاد لمرابط موسى) وشيخهم عبد الله بن العمري، (البلعادة) وشيخهم محمد بن سعيد، (بني قطيط) وشيخهم العايب بن بوريدح، (أولاد مديني) وشيخهم علي بن نقول، وبعد أن استولى عليهم الفرنسيون محوا مشيختهم وأدخلوهم في حكمهم.

أولاد بلعفو (ابن العفوّ):

هذه القبيلة غير مذكورة في كُتب ما قبل الفرنسيّين، وهو مَا يُلجؤنا في تحقيقنَا عن نَسبِها إلى الاعتماد على مناقشة المعطيات الموجودة ومقاربتها لعلّها تقودُنا إلى فرضيّات جادة ومُقنِعَة في أصول الأخلاط المشكّلة لقبيلة (أولاد بلّعفو).

لقد كشف بحثنا داخل هذه القبيلة عن كثير من الصراع بين فروعها، بالنظر إلى موقعها المهمّ على ساحل البحر بين وادي النيل ووادي جن جن، وخصوبة أراضيها وسهولة زراعتها، مما أدى إلى كثير من الحركة الداخليّة التي صعّبت كثيرًا من مهمة الوصول إلى النواة الأولى التي تأسست حولها القبيلة، وحتى الفرنسيون الذين ساهموا في تذكية الصراعات من جديد لتشتيت القبيلة وتسهيل الاستيلاء عليها، لم يجدوا فيها رواية واضحة عن أصولها البعيدة فتجاهلوا ذكر ذلك في تقاريرهم، وركّزوا عوضًا من ذلك على ذكر الفروع الكبيرة والفاعلة في المجال.

إنّ الرواية الوحيدة الموجودة في المنطقة هي التي تحاول أن تربط نسبَ هؤلاء (أولاد بلعفو) بقبايل الشام الذين تنقلوا في زمن العباسيين إلى تركيا ثم إلى صقلية ثم إلى الأندلس ثم عند سقوط الأندلس إلى الساقية الحمراء، ثم دخلوا الجزائر وتوزعوا في غيليزان وخميس مليانة وتيزي وزو وبجاية وجيجل، ونسبهم موصولٌ بالولي الصالح (**محمد بن عبد الله الوجهاني المتراني**) نزيل بني متران، والذي كنا قد أسلفنا الحديث عن نسله عند أولاد بوفاهة وبني بلعيد، وتذكر الرواية سنة وفاته 1543م.

هذه الرواية غريبةٌ ومردودةٌ على أصحابها من وجوه كثيرة، لأنه إذا صحّ نسبةُ هؤلاء (أولاد بلعفو) إلى حركة الشرفاء المتنقلين إلى المغرب، فهؤلاء لم يكن منطلقهم الشام بل الحجاز، ولم يكن طريقهم إلى الأندلس على أوروبا بل هم أولاد إدريس وسليمان المتنقلين على مصر إلى ليبيا ثم إلى الجزائر وإلى وليلى بالمغرب الأقصى، ومنها توزعوا وتقاسموا حكم المواطن كما أسلفنا ذكره في فصل الشرفاء والأولياء الصالحين من هذا الكتاب، كما أنهم قبيلةٌ قديمة وكبيرة بدليل توزع مجالاتها على الساحل الممتد من مصب الوادي الكبير إلى مصب وادي جن جن، وأما نسبُهم في (محمد الوجهاني) فلا ريب في كونه غير صحيح، لأن هذا الرجل نفسهُ نزل في عرش (بني متران) منهم ونُسب إليهم وتاريخ وفاته متأخرٌ في 1543م فكيف يكون هو جدّ القبيلة كلها؟! ولماذا إذن لم ينسبوا إليه في عرف التسميَة فيسمُّوا (أولاد محمد الوجهاني) بل نسبُوا إلى (بلعفو)؟ ولم وفي المحصلة فإنها رواية ميثولوجية تخبرنا أنه حدث لهذه القبيلة ما حدث لجيرانها من بني يدر المصموديين الذين ادعوا نسبهم في (مولى الشقفة) الذي نزل عندهم، وعوضُوا به الفراغ المقلق في الرواية الأصولية.

لا مفرّ في هذه الحال من الاستعانة باستنطاق الطوبونيميا وجغرافيا المجال، فلا يخفى أن هذه القبيلة موجودة على آثار مدينة نيلاريا الرومانية القديمة على ساحل (بازول) والتي يحمل الوادي تسميتها، وفي موضع مكشوف على ساحل البحر مما يوحي بأنها تحتوي فعلاً على أخلاطٍ متأخرة من النازلين بمنطقة جيجل من المهاجرين إليها، ولكن النواة الأولى لتأسيسها لا شك كتاميّة من بقايا كنفدرالية إجّانة القديمة،

الذين رآهم الإدريسي على سواحل جيجل سنة 1143م، ثم انضافت إليهم فروع كثيرة أخرى في أزمنة متفرقة نعوز المصادر التي تضبط شأنها بشكل تفصيليّ، واشتهر منها رجل اسمه (ابن العفوّ) من سادتها أو علمائها أو مرابطيها فانتسبت القبيلة فيه، ويدلّنا على موضعه المكان الذي يحمل اسمهُ على ساحل الجناح (**حار بلعفو**) وقد أورده الفرنسيون في خارطتهم لسنة 1854م زمن احتلالهم الفعليّ للمنطقة، مما يوحي بوجود هذه النواة التي نتحدث عنها والتي أخذت القبيلة كلها تسميتها وانتسبت فيها، وأن مجالات القبيلة كانت تتعدى وادي النيل إلى مصبّ الوادي الكبير كما ذكرنا، وسيأتي ذكر علاقتهم بقبيلة بني صالح الموجودة هناك في حينه، وأمّا لازمة (حار) فلم نجدها عند غيرهم، وفي فروعهم ذكر لويس رين عرش (**حار نْعِيمَة**)[1] الذي يسمّى (**النعامنة**)، ولم يهتدِ بحثُنا إلى معناها، وأيًّا يكون الأمر فإن نسب هذه القبيلة كما نفترضه مشكل من بقايا إجانيّة قديمة من أهل المجال انضافت إليها هجرات كثيرة في أزمنة كثيرة، وأشهرها عند أهل المنطقة هجرة محمد الوجهاني نزيل عرش (بني متران) الذين انتسب فيهم وانتسبُوا فيه، ولكن الظُّهور عليي هذه الأخلاط جميعًا كان في النهاية لفرع (أولاد بلعفو) الذي خلدت الطوبونيميا تسميته على ساحل الجناح، فتكنفدت إليه كل الفروع الأخرى، وانتسبت فيه القبيلة كلُّها على زمن العثمانيين ثم إلى مجيء الفرنسيين.

[1]- **Voir** : **Louis RINN** : Le Royaume d'Alger sous le dernier Day, Revue Africaine, Op.cit, N° 228, 1898, p 307.

أخلاط قبيلة أولاد بلعفو ومشيختهم:

أما فروع قبيلة (أولاد بلعفو) فقد حاول تقرير الفرنسيين لسنة 1845م حصرها في خمسة فروع هي: (**الرحامنة**)، (**النعامنة**)، (**الرّبْعَاين**)، (**الطواجنة**)، (**بني عيسى**)، وفيهم فرع من (**بني آمقران**) قضاة زاوية أولاد علي، وعند نسابتهم خلافٌ على انتماء (أولاد علي) و(أولاد مارس) إليهم، وهم معدودون في بني عمران السفليّة. وأما لويس رين فذكرهم سنة 1898م فأضاف إليهم فرعين وأنقص اثنين: (**بني متران**)، (**الرحايم** أو الرحامنة)، (**أولاد منصور**)، (**بني عيسى**) و(**حار نْعِيمَة** أو النعامنة).

وأما مشيخة (أولاد بلعفو) فإنهم تبعوا ابن الأحرش على زمن إمارته سنة 1804م، ثم بعد دخول الفرنسيين ذكروا في تقاريرهم لسنة 1845م أن شيخ (الرحامنة) كان اسمه جاب الله بن الساسي، وشيخ (النعامنة) هو محمد بن خليفي.

بني معمّـــر:

بالرغم من قراءاتنا الكثيرة في المصادر، لم نجد لهذه القبيلة ذكرًا مُفردًا قبل زمن الفرنسيين، بالرغم من شهادتهم بأنها قبيلة قديمة وكثيرة العدد، فأوردوا في تقريرهم سيناتوس كونسلت لسنة 1868م نحو 4067 نسمة، وفي سنة 1879م أي بعدها بعشر سنوات ذكرت الإدارة الفرنسيّة عددهم في 1128 نسمة[1]!! وفي غياب الأدلة الكتابيّة والأثريّة، لا مفرّ من مناقشة ما أوردته الروايات الميثولوجية الجمعيّة ونقد المعلومات لعلنا ننجحُ في مقاربة شيء يشفي غليل السائلين عن نسبها.

لا يذكر تقرير الفرنسيين لسنة 1845م شيئًا عن أصول قبيلة بني معمّر، لأن الفرنسيين لم يدخلوها حسب تقرير 1868م إلا في سنة 1854م، بينما حاول هذا التقرير أن ينقل حال توزع فروعهم ومشيختهم وذكر سوقهم يوم الخميس، ودخولهم تحت سلطة (مولى الشقفة) سيّد بني يدر، مما يوحي بكونهم آنذاك قبيلةً عريقةً.

ويدّعي تقرير 1868م بعد ثلاثة وعشرين سنة من التقرير الأول بأن قبيلة بني معمّر هي مجموعة من العائلات اجتمعت للدفاع عن مصالحها، ويفصّل في ذلك نقلاً عن الرواة المحليين بالقول أن القبيلة قديمةُ التشكّل وأنّ أول من نزل بالموطن رجل اسمه (حمزة) من منطقة فاس بالمغرب الأقصى، وولد له ثلاثة أبناء: (محمد)، (مبارك)، (صالح) وهؤلاء الذين شكّلوا عرش (بني حمزة)، ثم التحق به غير بعيد رجل آخر اسمه

[1]- **Charles-Marie Le Myre de Vilers**: Répertoire alphabétique des tribus et douars de l'Algérie, Op.cit, p 35.

(عبد الله) من تافيلالت بالمغرب الأقصى وسكن بجواره وولد له ثلاثة أولاد أيضًا هم: (داود)، (بوجمعة)، (محمد) الذين شكّلوا عرش (عرب آخزر) أو (الخوازرية/الفوازرية)، ثم تنقل الرواية مجيء رجل من أصل فرنسيّ اسمه (ابن العلي بن الفرانصيص) ونزل بمنطقة طهر آينا أين انتشر أبناؤه: (عميور)، (معنصر)، (شلي)، (مربُوح) وشكّلوا عرش (بني بوينون)، وفي الرواية أنه انضاف إليهم رجل آخر بعائلته هاربًا من قبيلة (بني فتح) يسمى (بلقاسم الفتايحي) ونزل بمنطقة الطهر أين توزع أبناؤه وهم: (حمزة)، (محمد)، (سُكّر)، (خليفة)، (قبُّوحة)[1].

إن في هذه الرّواية تخبُّطًا شديدًا، إذ يبدو أن الفرنسيّين أخذوا أقوال الرُّواة من كل عرشٍ على حدى، لذلك نلاحظ تكرار أسماء الفروع في شكل أبناءٍ يدّعيهم كلّ عرشٍ في جدّهم المؤسس، فيتكرر فرع (أولاد محمد) في بني حمزة الفاسي وبني عبد الله الفيلالي وبني بلقاسم الفتايحي! ويدّعي رواةُ عرش بني بلقاسم أن (حمزة الفاسي) نفسه من أبناء جدّهم بلقاسم الفتايحي! والعجيبُ في ذلك كلّه إن كان هؤلاء مشتتي الأصول كما تدّعيه رواياتهم، فمن أين جاؤوا بتسمية (بني معمّر) التي توحّدوا تحت رايتها؟؟ وهل يُعقَل أن يترك بني يدر النازلون بالمنطقة في القرن 14م كما سيأتي هذه المساحة السهليّة السهلة للزراعة ويعتلوا سفح جبل الطهر حتى يأتي (بني معمّر) في أسرٍ قليلة متفرّقة ويسكنوها بعدهُم ثم يتوحدُوا للدفاع عنها كما يصوّرهُ الفرنسيّون!

[1]– **Hosni KITOUNI** : La Kabylie Orientale dans l'Histoire, Op.cit, p64-65.

إنّ هذه الرواية ضعيفة تُظهِرُ تحكُّم الذاتية وخلافات الأعراش في صياغتها، ولا تقبلُها مقاييس تشكل الجماعات القبليّة في تلك العصور التي سكت عنها التأريخ الكتابي، فلا بدّ في تصوُّرنا من وجود فرعٍ قديم وعريق في المنطقة هو النواة الحقيقيّة التي التفّت حولها هذه الروافد الأصوليّة إن صحّت رواية ناقليها، وليس ذلك بعيدًا بحكم أن الغزاة الإيطاليين النورمنديين سنة 1143م والجنويين سنة 1245م هاجموا هذه السواحل ووجدوها عامِرةً بفروع كتامة كما يقول الإدريسيّ الذي رافق الحملة النورمندية[1]، فرُبّما يجوز أن نفترض وجود بقايَا كتاميّة في هذا المجال الإجّاني متخفيّة في فرعٍ مُنتسبٍ إلى جدّ من أجدادهم أو ولي من أوليائهم اسمه (معمّر)، وانضافت إليه روافد من أصول كثيرة استلحمها هذا الفرع الأصليّ ودخلت في نسبه.

إنّ طرحنا هذا يعضدُه عددهم الكبير 4067 نسمة في زمن دخول الفرنسيين، وبعد المقاومات الشعبية المحليّة التي أعقب انهزامها حملات القتل والتشريد والنفي، أي أن عددهم كان أكثر قبل ذلك، ومن المحال أن تتشكل قبيلة بهذا العدد الكبير من جماعة صغيرة من العائلات والأفراد في زمن قصير، لذلك نطمئنّ إلى افتراض كون قبيلة (بني معمّر) مشكلة من بقايا كتاميّة قديمة وروافد أخرى منضافة.

[1]– **الإدريسي**: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، م س، ص120.

أخلاط قبيلة بني معمّر ومشيختهم:

لم ترد إلينا في المصادر المكتوبة فروع قبيلة (بني معمّر) كما لم تردنا أصولُها، ولكن الفرنسيين أخذوا عن الرواة سنة 1845م فروعها الكبرى فسجلوها كما يلي:

(بني السّطالي) وهي جمع لقب بوسطيل، **(بني حمزة)**، **(بني بوفنوس)**، **(الخوازرية** أو الفوازرية)، **(بوينون)**.

ونجد تسميات أخرى في تقرير 1868م متجمعة في الأعراش الأربعة الآتي ذكرها:

(بني حمزة)، **(عرب آخزر)**، **(بني بوينون)**، **(الطهر)**

وأما مشيختهم فلعلّها بدأت في (معمّر) الذي ينتسبون إليه، ثم انقطع ذكرها حتى آلت إلى شيخ بني يدر (مولى الشقفة) عند نزوله بالمنطقة، ثم بعده إلى ورثة مشيخته من أبنائه وأحفاده، وبعدها آلت إلى ابن الأحرش البودالي في سنيّ إمارته كغيرهم من قبايل المنطقة، وبعد دخول الفرنسيين ذكروا سنة 1845م من مشايخهم في عرش (بني اسطالي) الشيخ علي بن بوسطيل، وفي عرش (بني حمزة) الشيخ مسعود بن ناصر، وفي عرش (بني بوفنوس) أحمد بن أحمد، و في عرش (الفوازرية) الشيخ مسعود بن بوشمال، ثم أزال الفرنسيون مشيختهم وأدخلوهم في الرعيّة.

بني يدر:

وفي هؤلاء بني يدر حديثٌ طويل، مبدأه خلط الناس في تسميتهم ومنتهاه كثرة توزعهم في المتفرّق من المواطن، ثم زادهم خلطًا سطحيًة تعامل الفرنسيين مع تدوين نسبهم، حين سجّلوا ادعاءهم في مولى الشقفة المتأخر عنهم بقرون طويلة، وكان عاقبة ذلك أن انفرض علينا تقصّيهم بالتدقيق لمقاربة كل إشكال من هذه الإشكالات بشكلٍ قريب من الإقناع.

في المنطلق، يبدو أن تسميَة (يدر Yder) التي نُسِبَت إليها هذه القبيلة بربريّة، فبالرغم من قراءاتنا الطويلة المتحرية في كتب القدماء والوسيطيين لم نجد لهذه التسميَة ذكرًا في جنسٍ آخر ما عدَا هؤلاء، كمَا جانب الفرنسيّون الصوابَ تمامًا كما يبدُو حينما قاربوها في بعض خرائطهم ووثائقهم تعريبًا لتسمية (إيدير Idir) البربريّة المنتشرة بكثرة في مجالات صنهاجة، لأنه لو كان الأمر كذلك لما غاب عن مؤرخي العصر الوسيط من البربر، ولا عن لسان التسمّي المتناقل في الرواية الشفهية.

ويرجعُ تأسيس هذه القبيلة فيما قرأنا إلى زمن الموحّدين في بلاد السُّوس بالمغرب الأقصى، إذ ذكرهم ابن خلدون (ت.1403م) في فصل كامل من كتاب العبر عنوانه (**الخبر عن بني يدر أمراء السّوس من الموحدين**)، وهم عائلة من بني بادس حكمت السّوس من حصن نانصاصت بداية من سنة 651هـ/1253م، وأول أمرائهم (علي بن يدر)، ثم أخوه (هلال بن يدر)، ثم ابن أخيه (عبد الرحمن بن حسن بن يدر) وأخوه (علي بن حسن بن يدر)، وهذه الأسرة فرع من (بني بادس) الذي ينتمي

على ما يبدو إلى قبيلَة (هنتاتة) من كنفدراليّة مصمودة، بالنظر إلى كون أبي محمد بن يونس الهنتاتي وزير الموحدين من أهل قرابة هؤلاء، يقول ابن خلدون (ت.1403م) في الفصل الذي ذكرنا: "**كان أبو محمد بن يونس من علية وزراء الموحدين من هنتاتة (..) وكان من أهل قرابته علي بن يدر من بني بادس، ففر إلى السّوس وجاهر بالخلاف سنة إحدى وخمسين وستمائة**"[1]، هذه القرابة التي يذكرها ابن خلدون نعتقدُها اعتمادًا على سياقها تعني الانتماء القبليّ نفسه، أي من بني بادس إلى هنتاتة إلى كنفدرالية مصمودة البربريّة.

وبعد صراع عظيم مع سلاطين الموّحدين ثم المرينيين من بعدهم، انهزم الأمراءُ بنو يدر أمام الأمير أبي عليّ، ابن السلطان أبي سعيد عثمان (حكم.بين 1310-1331م) وواليه على سجلماسة، وانسحبوا إلى (جبل نكيسة) واستقروا هنالك، ذكر ذلك ابن خلدون (ت.1403م) قال: "**ولما صار أبو علي ابن السلطان أبي سعيد إلى ملك سجلماسة (..) غزاه من سجلماسة، وفر ابن يدر أمامه إلى جبال نكيسة. واستولى السلطان أبو علي على حصنه نانصاصت وسائر أمصار السوس..**"[2]، وهي هزيمة لم تثن هؤلاء اليدريّين عن معاداة بني مرين ومقاتلتهم على حكم السّوس وأريافه وأمصاره، وخصوصًا قاعدتهم نانصاصت.

[1]- **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص 367.

[2]- م ن، ج6، ص 367.

وقد واصل هؤلاء اليدريّون عداوتهم للمرينيين إلى زمن السلطان أبي الحسن علي بن عثمان (حكم.بين 1331-1348م) الذي أنهى حكمهم وشتتهم في المواطن واستولى عليهم، يقول ابن خلدون: "**ثم استولى السلطان أبو الحسن من بعد ذلك عليه وانقرض ملكُ بني يدر**"[1]، ومن ذلك تفرق اليدريّون بين الأصقاع، فبقي منهم بقايا بمدينة تارودانت يدّعيها اليوم عرش (أولاد يحيى) من نسل عبد الرحمن بن الحسن بن يدر، وآخرون سكّان (جبل بني يدر) قرب مدينة بادس القديمة الحاملة لتسمية عرشهم غير بعيدين عن فروع (ثلاثاء كتامة) ذكرهم الحسن الوزان الفاسي (ت.1537م) قال: "**هذا الجبل كبير جدًّا كثير السكان (..) أخضعهم أمير بادس معانا بقوات ملك فاس (..) وفي هذا الجبل قرابة خمسين قرية لائقة جدًّا**"[2]، وانتقل رهطٌ منهم إلى جنوب تيطوان وسكنوا قرية (ثلاثاء بني يدر) وهم موجودون هنالك، وآخرون قرب الدار البيضاء في قبايل (جبالة) تحت اسم (بني يدر) وأعراشهم (السباطريون، بني حماد، العنصر، سيلولة)، ورهط آخرون انتقلوا إلى مدينة تلمسان وسكنوها ولهم فيها إلى اليوم حي (بني يدر)، وفيها جاوروا شرفاء (بني قايد) الذي كانوا جيرانهم في بادس، وشرفاء (بني عمران) أيضًا، ثم هجروا من تلمسان بجموعهم إلى منطقة جيجل، ونزل هؤلاء (بني يدر) في سفوح جبل سدّات واستقرّوا هنالك، وهؤلاء هم موضوع عملنا في هذا الكتاب.

---

[1]- **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص 367.

[2]- **الحسن الوزان الفاسي**: وصف أفريقيا، م س، ج1، ص 335.

ثم أنكر اليدريّون بعد هزائمهم مع المرينيين نسبَهُم في بني بادس، وزعموا أنهُم أحفاد الصّحابي أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ففي رواية أحد أحفاد أمرائهم لابن خلدون على زمن أبي عنان ذكر ذلك، قال: ".. **عبد الرحمن بن الحسن بن يدر من بقية الأمراء على السوس من قبل بني عبد المؤمن (..) وتزعم بنو يدر هؤلاء أنهم مستقرون بذلك القطر من لدن عهد الطوالع من العرب، وأنهم لم يزالوا أمراء بها يعقد لهم ولاية كابر عن كابر. ولقد أدركت بفاس على عهد السلطان أبي عنان وأخيه أبي سالم من بعده شيخا كبيرا من ولد عبد الرحمن هذا، فحدثني بمثل ذلك. وأنهم ولد أبي بكر الصديق، والله أعلم.**"[1]، وفي ادعائهم لمثل هذا النسب نظرٌ طويلٌ، لأنه لم يصلنا أنهم ادّعوه قبل ذلك، بل فعلوا ذلك بعد نكبتهم مع المرينيين في زمن الأمير (عبد الرحمن) المذكور، ونطمئن إلى مقاربة أنهم فرّوا إلى نَسبِ العرب من نَسبِ المصامدة اتقاء الفتنة مع المرينيين كما فرّت كتامة من إليه من نسبها اتقاء الفتنة مع الزيريين، والله أعلم.

ولا يغيبُ عن الاحتمالِ أن يكونَ هؤلاء (بني يدر) الموجودين بسفح جبل سدّات غير (بني يدر) الموجودين في بادس وتارودانت وتيطوان بالمغرب الأقصى، ووقع التشابه فقط في التسميَة، وإذاك يردُ افتراض كون هذا الفرع محليًّا أصليًّا ناشئًا في كنفدراليّة كتامة جيجل، الفرضيّة التي خلص إليها التحقيق الأونوماستي لحُسني

[1]– **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج7، ص 278.

قيطوني استنادًا إلى وجود آثار رومانيّة قديمة بمجالاتهم[1]، ولكن هذا الطرح بعيدٌ ينكرُه وجود فروعهم الكبرى بالمغرب بين تيطوان وتارودانت، وفرعهم (بني يدر) في بادس ضخم وقريبٌ من كنفدرالية كتامة بالحسيمة (ثلاثاء كتامة) وفيها عرش (بني سدّات)[2] الذي جاؤوا بتسميته وأطلقوها على جَبلهم (جبل سدّات).

ولم يتخلّف هذا الفرع القبليّ عن ادعاء نسبه في وليّ صالح شهير، فادعى هؤلاء (بني يدر) أن جدّهم (مولاي أحمد العابد مولى الشقفة) دفين منطقة (بني حبيبي) المتوفى في 1538م، وذكروا ذلك للفرنسيين فكتبوه في تقاريرهم، ثم نقله عنهم هيشور وخنوف[3]، وهو محضُ خرافة كنّا قد ناقشناها بالأدلة في فصل الشرفاء والأولياء الصالحين من هذا الكتاب، وقلنَا أن (مولاي أحمد العابد مولى الشقفة) متأخّر بقرنين عن تأسيس هذه القبيلة من الأمير علي بن يدر في 1253م، فكيف يكون هو جدُّها؟ وكيف أيضًا وهو لم ينزل فيها؟ بل نزل ابنه (عبد الله بن أحمد العابد) في فرعها (أولاد عمر) الذي كان موجودًا أصلاً !! وكيف لرجل واحدٍ نزل في نهاية القرن 16م أن ينسل منه 10115 شخص في إحصاء الفرنسيين للقبيلة سنة 1895م

[1]- **Hosni KITOUNI** : La Kabylie Orientale dans l'Histoire, Op.cit, p66.

[2]- (بني سدّات) فرع من فروع ثلاثاء كتامة في إقليم (الحسيمة)، قال لقبال بمدينة (المزمة) قرب مدينة (نكور) القديمة بالمغرب الأقصى، ولعل هؤلاء بني يدّر جاءوا بتسميتهم معهم وأطلقوها على قمة الجبل الذي سكنوه. وتنتشر بينهم اليوم قصة (لالة سدّات) المرابطة المغربية الصالحة التي كانت تشفي الناس من الأمراض، ولعلها من هذا الفرع أو من طوبونيميته أو نُسب إليها والله أعلم.

[3]- **انظر**: **بوجمعة هيشور**: بنو كتامة، أعراش الوادي الكبير، جريدة النصر، 25 نوفمبر 1992، ص 12، **وعلي خنوف**: تاريخ منطقة جيجل قديما وحديثا، م س، ص 24.

بعد أربعة قرون فقط؟! هذا غير معقول، وبالرغم منه نقل عنهم الفرنسيون هذا النسب دون تحقيق، بينما نشير إلى أنهم أوردوا عن هؤلاء الرُّواة تقديرًا زمنيًّا قريبًا من الحقيقة، وهو تقديرهم لزمن تأسيس القبيلة في القرن 13م، الزمن الذي أسس فيه الأمير عليّ بن يدر حكمهم في السّوس بالمغرب الأقصى.

والراجحُ في نظرنا أن هؤلاء (بني يدر) هم فرعٌ من (بني بادس) من (هنتاتة) من (كنفدرالية مصمودة) البربرية بالمغرب الأقصى، برزوا إلى حكم السّوس أواخر القرن 13م، ثم انهزموا وتفرقوا أمام المرينيين بداية القرن 14م ونزل منهم جزء في تلمسان مع بني قايد وبني عمران، ثم قصدوا إلى كتامة منطقة جيجل بفضل مخالطةٍ سابقةٍ منهم لكتامة المغرب الأقصى، تدلُّ عليه طوبونيميّة جبلهم (سدّات)، وهم اليوم مستلحَمون في مجالات إجَّانة على سفوح جبال جيجل، وفي دواويرهم التي تحمل تسميات تجمعات الوديان دوارٌ اسمه (يرجانة) القريبة من تسمية هذه القبيلة.

أخلاط قبيلة بني يدر ومشيختهم:

تتوزع فروع (بني يدر) بين سفوح جبل سدّات وقِمَمه، وتشغُل موطنًا واسعًا من مجالات إجانة، وتشمل بلديتين اثنتين هما: (الشقفة) الحاملة لاسم شيخهم مولى الشقفة، و(برج الطهر) الذي أخذ اسمه من برجٍ بناه الفرنسيون في جبل الطهر، وتنقسم قبيلة (بني يدر) إلى أعراش كثيرة اختلف في تسجيلها الفرنسيون، فذكر تقرير نابليون لسنة 1845م لهم خمسة فروع رئيسة هي:

(الطهريّة) أهل جبل الطهر، **(أولاد علال)** أهل قرية السبت، **(أولاد طالب)**، **(أولاد عبد الله)**، **(أولاد خلاص)**، **(أولاد عمر)**، **(بني غزالي)**.

ولكن تقرير سيناتوس كونسلت لسنة 1895م ذكرهم في ثلاثة دواوير دون فروع، وملحقة بقرار 1890م لبلدية الطاهير المختلطة وهي:

- **دوار يرجانة**: دون فروع.
- **دوار وادي النيل**: دون فروع.
- **دوار بوتناش**: دون فروع.

وأما لويس رين فذكر سنة 1898م بعض فروعهم في مشيخة مولى الشقفة، ثم أوردهم بوصفهم قبيلةً منفصلة مرتبين في أربعة دواوير صنفت وفروعها هي:

- **دوار الشقفة**: أولاد طالب، أولاد عمر، بني يخلف، أولاد مسعود، المرابطين.
- **دوار وادي إرجانة**: بني غزالي، أولاد خلاص، أولاد حمزة، أولاد موفق.
- **دوار وادي النيل**: أولاد علال، أولاد وسّيف، أولاد مفتاح.
- **دوار وادي بوتناش**: أولاد يخلف، أولاد سعادة، أولاد جامع، أولاد رحال.[1]

[1]- **Voir** : **Louis RINN** : Le Royaume d'Alger sous le dernier Day, Revue Africaine, Op.cit, N° 228, 1898, p 295-307.

وأما مشيخة بني يدر فقد كانت آيلة منذ أقدم ما بلغنا إلى أسرة مولى الشقفة، فكان شيخهم الأول (عبد الله بن أحمد العابد مولى الشقفة)، ثم أبناء لم يبلغنا اسمهم، ثم حفيده (عبد الله) الذي عاش في القرن 18م وشارك في ردّ (حملة أورايلي) سنة 1775م عن الجزائر، ثم خلفه ابنه (مبارك بن عبد الله)، وبعده (محمد بن مبارك)، ومن بعده (أحمد الشريف بن محمد) في القرن 19م بمساعدة أخيه (لخضر بن محمد)، وهو الذي كان وزيرا لابن الأحرش في إمارته سنة 1804م، ثم ابنه (الحسين بن أحمد الشريف) الثائر على الفرنسيين مع ابن عمه (محمد بن فيالة) سنة 1871م.

أما مشيخة فروعهم وجماعاتهم فقد ذكر الفرنسيون في تقاريرهم لسنة 1845م، وكذلك لويس رين بعد ذلك سنة 1891م أن شيخ فرع الطهرية هو (خالفة بن عميرش) ثم بعده ابنه (أحمد بن خالفة بن عميرش)، وشيخ أولاد علال هو (عثمان بن بوصبيعة) ثم بعده (أحمد بن علي العامر)، وشيخ أولاد طالب هو (محمد بن عمر أو صالح) وبعده (بلقاسم بن أحمد)، وشيخ أولاد عبد الله هو (علي بن علي)، وشيخ أولاد خلاص هو (عثمان بن اسماعيل) ثم بعده (بوجمعة بن بوعوش)، وشيخ بني غزالي هو (محمد بن صالح)، وشيخ أولاد عمر هو (الحسين بن أحمد الشريف مولى الشقفة)، فلما استولى عليهم الفرنسيون محوا مشيختهم.[1]

[1]- **Louis RINN**: Histoire De L'Insurrection De 1871 En Algérie, op. cit, Marge de la P 425.

بني حبيبي (حبيب) :

تمثّل قبيلة بني حبيبي (بني حبيب) نموذج الاستلحام الخارجيّ الذي اعتمدته كتامة في النفور من نسبها والانتساب في الفروع العربيّة، ومن العجائب ما ينقلُ عنها من الروايات الميثولوجيّة التي تختلفُ في كل شيء ما عدا في انعدام الرافد الكتاميّ كأن هذه الجبال التي أقرّ البكري والإدريسي في القرنين 11م و12م أنها كانت عامرة بقبايل كتامة وغيرها اختفت فجأة، ولذلك وجب تقصّي شأنهم بكثير من الحذر.

ومن أحسن الأدلة المستندة التي وصلت إليها قراءاتنا في المصادر حديثُ ابن خلدون (ت.1403م) عن الرّافد العربي الذي سكن قسنطينة وتلولها في القرن 12م، في قمّة الصّراع العربيّ البربري على حكم المنطقة، وهو فرع بني حبيب بن رياح من مرداس بني سُلَيم بن منصور، قال: "**أصبح منه عمران قسطنطينة لهم مرتابًا واستقام أمر بني كعب من علاق وفي رياسة عوف وسائر بطونهم من مرداس وحصين ورياح، ودلاج ومن بطون رياح حبيب، وعلا شأنهم عند الدولة، واعتزوا على سائر بني سُلَيم بن منصور**"[1]، وذكر أنَّ ضواحي أفريقية (تونس) أيضًا معمورةٌ بهم، ومنهم بطون مكتنفة بقبايل هوارة الشاوية، فقَال:"**ومعهم أيضاً بطن من مرداس بني سُلَيم يعرفون ببني حبيب. ويقولون: هو حبيب بن مالك، وهم غارمة مثل سائر هوّارة**"[2]، وهذه الأقوال أدلة على أنَّ بني حبيب كانوا ساكنين بضواحي قسنطينة في

[1]- **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص98.

[2]- م ن، ج6، ص187.

هذه الحقبَة على الأقلّ. ثم في منتصف القرن 13م على عَهد السُّلطان المُستنصر بن أبي زكريا الحفصي (حكم بين 1249م-1277م) وقعت الحروبُ بينهم وبين الهلاليين على ملك مجالات قسنطينَة فنفروا إلى كثير من المواطن، ذكر ذلك ابن خلدون (ت.1403م) قال: "**وتكررت بينهم وبين رياح الحروب والوقائع حتى أزاحوهم عن أفريقيَا إلى مواطنهم لهذا العهد بتلول قسطنطينة وبجاية إلى الزاب وما إليه. ثم وضعوا أوزار الحرب وأوطن كلٌّ حيثُ قسمت له قومه**"[1]، والظاهر من قول ابن خلدون أنهم تفرّقُوا بعد هذه الفتن الكبيرة في مجال التلّ بين قسنطينة وبجاية ومجال الصحراء في بلاد الزاب، ووقوع منطقة جيجل في مجالات التلّ بين قسنطينة وبجاية يدعُونا إلى المقاربة بأنّه من الأرجح أن يكون نزول جزء من الفرع العربي (بني حبيب) في مجال وادي ارجانة على ضفاف الوادي الكبير من الطريق القديمة بين قسنطينة وجيجل، حيث ظلوا هنالك إلى زمن ابن خلدون ثم تحوّلوا إلى كنفدراليّة قبليّة استلحمت فيها بقايَا فروع إجّانة الكتاميّة. هذه المقاربة التي أوردنا عنها ملخّصًا في الطبعة الأولى من كتابنا (التاريخ الكامل لمنطقة الميليّة) هي فرضيّة قويّة جدًّا، ويعضُدُها البحث الأونوماستي في أسماء فروع القبيلة، ومكان تواجدها على الطريق رفقة فروع عربيّة أخرى هي (بني مسلم) و(بني صالح).

---

[1]– **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص97.

ومن جهة أخرى، ينقلُ إلينا هيشور[1] وقيطوني[2] اللذان يرجّحان في بني حبيبي مقاربة (إعادة الاستيطان) عن تقارير الفرنسيين والرواية الميثولوجية الجمعيّة، بأن المنطقة كانت خالية من السكان، وبدأ تعميرُها بمجيء شخص اسمه (حبيبي) جاء من المغرب في القرن 16م! ونزوله في عرش (بني يدر) في منطقة (البحري/البكري) رفقة اثنين من بنيه: (لبصير) و(معنصر)، ثم نزولهم إلى ضفة الوادي الكبير وشرائهم من عرش (تايلمان) قطع أرضية للحرث والزراعة تسمّى (بويعلى). ثم تفرق أبناء هؤلاء فأنجب معنصر أولاده الحاملين اليوم لاسم (أولاد معنصر)، بينما أنجب لبصير: معزوز، شبل، معقل، محرقص، ومنهم تشكلت أعراش: (بني معزوز)، (أولاد شبل)، (أولاد معقل)، (المحاسنيّة). وغير بعيد عن زمن لبصير، نزل في المنطقة رجل يدعى (الجربي) من جزيرة جربة بتونس، وانضم إليها (سليمان السيليني) ومن بني سيلين قرب فرجيوة، واشتريا أرضًا من لبصير اسمها (الطيانة) وشكّل أبناؤهم فيما بعد هذا العرش الذي أصبح ينتمي إلى بني حبيبي. هذه الرّواية الشبيهة بجميع روايات قبايل المنطقة يشوبها الكثير من التناقض، فكيف لشخص نزل لوحده في القرن 16م أن ينسل منه 2349 شخصًا في 1867م أي بعد نحو 200 سنة فقط!؟ هذا غير معقول خصوصًا إذا علمنا أن المجال كان معمورًا قبيل هذا الزمن بقليل في القرن 14م كما يشهد بذلك ابن

---

[1]- **Voir**: **Boudjemâa HAÏCHOUR**: L'espace kétamien d'El-Milia, Revue Révolution Africaine, N° 1659, du 13 au 19 Décembre 1995, p31. **Et** du PV n° 50 de Sénatus Consulte.

[2]- **Voir**: **Hosni KITOUNI** : La Kabylie Orientale dans l'Histoire, Op.cit, p 98-99.

خلدون (ت.1403م)، وفي القرن 15م كما يشهد بذلك الحسن الوزان الفاسي (ت.1537م)، ثم إن جعل جميع الفروع في نسل (لبصير) وتجاهل نسل (معنصر) إنّما يعُود فيما بحثنا إلى خلفيّة في الرواية التي سجلها الفرنسيّون من ورائها خلافات كثيرة كانت قائمة بين فروع القبيلة.. كما تنقل الرواية الجمعيّة أنّ لبصير كان تلميذ الوليّ الصالح (مولاي أحمد العابد مولى الشقفة) الذي نزل بالمنطقة مطلع القرن 16م ووجد القبيلة كبيرة وعامرة وعاش فيها طويلاً وتنقل وتزوج حيث ترك أبناء كثرًا بين جيجل والميليّة ثم توفي سنة 1538م مطلع في القرن 16م، فكيف يكون لبصير تلميذه إذا كان والدهُ (حبيبي) الذي في (البحري) قد نزل هو نفسه في القرن 16م!؟ ثم تنقل الرواية أيضًا أن (أحمد العابد) هو مؤسس القبيلة، وترك أبناءه: (وارث) و(بوالمعالي)، فأين هو ابنه محمد الذي دفن معه في ضريحه؟ ومن أين جاءت مشيخة (عبد الله مولى الشقفة) وأبنائه وأحفاده بمنطقة بني يدر؟ ومن أين جاءت مشيخة أولاد العابد في قرية تالفدور والشُّرفا بالميليّة؟

إنّ ما يضعّف هذه الرّواية كثيرًا هو بدايةً إهمالُها للعنصر الإجاني الكتامي المحليّ الذي وجدته فروع (بني حبيبي) العربيّة عند نزولها بالمنطقة فاستلحمته، ثم تلاعب الرّواة بتقسيم الفروع القبليّة على الأجداد بخلفية الخلافات التي بين الأعراش، ثم خلطهم في نسل (أحمد العابد مولى الشقفة) وتوزعهم على المواطن لحصره في قبيلتهم فقط، والصحيح الذي لا يُعدلُ عنه هو ما نقله ابن خلدون(ت.1403م) من كون هذه قبيلة (بني حبيب) فرعًا من فروع رياح من مرداس بني سُلَيم بن منصور،

لجأت إلى التلول الواقعة شمال قَسنطينَة في جبال إجانة (ارجانة) من فروع كتامة القديمة بعد الصراع الذي ذكرنا بينها وبين بني هلال بتحريض من الحفصيين والمرينيين، في مطلع القرن 14م واحتمت ببقاياها السَّاكنة هناك لما اشتهرت به من الاعتزاز على هذا الزمن بوجود (إمارة أولاد ثابت)، فاندمجت فيها واختلطت بها حيث نجد فرع (أولاد رياح) بهضبة تايلمان، ثم انضافت إليهم أسرٌ مهاجرة من جربة تونس وبني سيلين ميلة ومن أبناء أحمد العابد مولى الشقفة، فغلب عليها بنو حبيبي واستلحمُوها وعمّم ذكر اسم الفرع العربيّ (بني حبيب) على هذه الأخلاط إلى زمننا هذا.

أخلاط قبيلة بني حبيبي ومشيختها:

وقد احتار الفرنسيّون في اختلاف الرّواة على تقسيم فروع بني حبيبي فنلقلوا في تقاريرهم ثلاثة تقسيماتٍ مختلفة، أولها الذي صدر في سنة 1845م في تقرير نابوليون في خمسة فروع: **(أولاد شبل)**، **(حيان)**، **(أولاد معقل)**، **(أولاد معنصر)** ويذكر الرواة فرعًا شبيهًا بتسميتهم في بني معمّر، **(بني معزوز)**، وفي تقرير سيناتوس كونسلت يذكر الفرنسيون لهم ستة فروع: **(بني معزوز)**، **(أولاد شبل)**، **(أولاد معقل)**، **(الطيانة)**، **(أولاد معنصر)**، **(المحاسنية)**، ويقسمونها على دوارين اثنين:

- دوار **حيان**: وفروعه **(بني معزوز)**، **(أولاد شبل)**، **(الطيانة)**
- دوار **أولاد معقل**: وفروعه **(أولاد معقل)**، **(أولاد معنصر)**، **(المحاسنية)**

ثم في تقرير نابوليون لسنة 1867م[1] لهذه القبيلة نجد الفرنسيين يصنفون فروعها في دوارين اثنين:

- دوار **حيَّان**: وله ثلاثة فروع لم يذكرها التقرير.
- دوار **أمّ غريـون**: وله ثلاثة فروع أيضًا لم يذكرها التقرير.

ثم في تحقيق لويس رين عن قبيلة بني حبيبي في تقرير 1898م ينقل إلينا دوارين بفروع أخرى يدخل فيها قبيلة (بني يدر) الكبيرة في فروع (بني حبيبي):

- دوار **حيان**: وفروعه **(أولاد يدر)**، **(بني معزوز)**، **(أولاد معقل)**
- دوار **أم غريون**: لم يذكر فروعه.[2]

إنّ هذه الخلافات في تقسيم الفروع لا تعدو أن تكون تسجيلاً لمختلف تحالفات هذه الفروع التي سجلتها الذاكرة الجمعية داخل قبيلة (بني حبيبي)، وبعيدًا عنها جميعًا يمكننا تحديد أخلاط هذه القبيلة في فروع: **(أولاد شبل)**، **(أولاد معقل)**، **(أولاد معنصر)**، **(بني معزوز)**، **(الطيانة)**، **(المحاسنية)** بمختلف توزعاتهم واختلاطهم المشهود بالأسر التي نسلت عن أحمد العابد مولى الشقفة.

[1]– تقرير الامبراطور نابوليون الأول عن قبيلة بني حبيبي، باريس يوم 04 مارس 1867.

[2]– **Voir** : **Louis RINN** : Le Royaume d'Alger sous le dernier Day, Revue Africaine, Op.cit, N° 228, 1898, p 307.

أمَّا الرياسة في قبيلة بني حبيبي فقد وصلنا من أسماء شيُوخها أحمد العابد، ثم انتقلت إلى ابنه محمد ابن أحمد العَابد إلى أن توفي ودفن إلى جوار أبيه، ثم انقطعت أخبار شيوخ بني حبيبي حتى ذُكرت مطلع القرن التاسع عشر في مشيخة الشَّريف ابن الأحرش على سَائر قبايل المنطقة، وبعد رحيله عنهَا، ذكر الفرنسيون عام 1845م أنها انقسمت بين مشيخة (أولاد شبل) وتولاها الشيخ مسعود بن بودورة، ومشيخة (حيان) وتولاها الشيخ اعمر بن طوبال، ومشيخة (أولاد معقل) وتولاها الشيخ السعيد بن عمر، ومشيخة (أولاد معنصر) وتولاها الشيخ اعمر بن كريكة، ومشيخة (بني معزوز) وتولاها الشيخ رابح بن بكوش، ثم عادت رياسة بني حبيب كلها إلى شيخ زاوية سيدي وارث بلقاسم بن ابراهيم، ومن بعده لابنه محمّد بن فيَّالة الثائر الشهير، ثم بعد القبض عليه عقب ثورته المشهورة عام 1871م، آلت رياسة قومه لأخيه علي بن فيالة حتى مات فانقطعت وزالت الرياسة في بني حبيبي.

بني مسلـــم :

وفي هذه القبيلة مقاربة رصينة إذ نفترض أن أصلها متصلٌ بالقبايل العربيَّة القريبة من المنطقة، فهي عند ابن خلدون (ت.1403م) فرع من مرداس من رياح الهلاَليَّة، ذكر ذلك في كتاب العبر قال: "**ولمرداس بطون كثيرة: داود بن مرداس وصنبر بن حواز بن عقيل بن مرداس، وإخوتهم: مسلم بن عقيل..**"[1]، وفي موضع آخر ذكرهم قال: "**وبطون رياح كلها تبع لهؤلاء الزواودة ومقتسمون عليهم وملتمسون مما في أيديهم، وليس لهم في البلاد ملك يستولون عليه. وأشدهم قوة وأكثرهم جمعاً بطون سعيد ومسلم والأخضر..**"[2]، وفي موضع ثالث قال: "**وأما أحلاف أولاد سباع من مسلم والأخضر فقد قدّمنا أن مسلماً من أولاد عقيل بن مرداس بن رياح..**"[3]، وهؤلاء المرداسيُّون تنقلوا في البلاد على زمن صراع دويلات المغرب وحروبها، ومنهم بطون كثيرة في نواحي بلاد الزاب وفي شرق بلاد تونس، ولكنهم تشتتوا في الحروب وقصدوا ضواحي قسنطينة واختلطوا بأهل دولها، ثم أدركهم الصراع على حكمها ففرّوا وتفرقوا في المواطن، ومن الحروب التي دارت رحَاها بينهم حربهم مع الكعوب من بني سُليم بتحريض من الحفصيين، وهي التي دفعتهم على ما يبدو إلى الاعتصام بالمجالات، ومنها جبال منطقة جيجل.

---

[1]– **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج 6، ص47.

[2]– م ن، ص43.

[3]– م ن، ص49.

وتجعلنا الإشارات التي أوردها ابن خلدون (ت.1403م) نعتقدُ بأن (بني مسلم) نزلوا على الطريق بين قسنطينة وجيجل في مجال إجّانة من فروع كتامة القديمة، واتبعهم (بني حبيبي) الذين أسلفنا ذكرهم في الزمن نفسه للصراعات التي ذكرنا، لأنهم موجودون بالاسم نفسه (بني مسلم) في الضفة اليمنى للوادي الكبير مقابلين تماما لهؤلاء (بني حبيبي)، ولا ريب أنهم هم أيضًا مستلحَمُون في هذا الفرع الكتامي الذي تخفّى تحت تسميتهم واندمج فيهم.

وفي رواية أخرى أخذها الفرنسيون في تقاريرهم نقلاً عن شيوخ القبيلة، ثم نقلها عنهم هيشور[1] وقيطوني[2] أنّ القبيلة مكوّنة من أشتات عديدة، أوّلها أن عائلة من قبيلة (المخانشة) ناحية سطيف شاركت في قتل أحد الأتراك، ثم هربت ونزلت عند بني مسلم مكوّنة فرع (الرحالة)، ورجل آخر جاء من قبيلة (بني معاذ) قرب جيجل وكوّن بنوه فرع (أولاد الشلي)، وآخر جاء من منطقة (أولاد حيمان) ناحية قالمة وشكل بنوه فرع (عرب نصرون)، وآخر مرابط جاء من المغرب وكوّن نسله فرع (أولاد يعقوب)، وهي الفروع الأربعة الكبرى للقبيلة، ويتساءل قيطوني عن إمكانية ربط نسبِ هؤلاء (بني مسلم) بكنفدرالية الموزولام التي شاركت في ثورة تاكفاريناس.

1- **Boudjemâa HAÏCHOUR**: L'espace kétamien d'El-Milia, Revue Révolution Africaine, N° 1659, du 13 au 19 Décembre 1995, p31.

2- **Hosni KITOUNI** : La Kabylie Orientale dans l'Histoire, Op.cit, p 69.

هذه الروايات غير منطقيّة ولا تُقدم إجابة عن أصل قبيلة (بني مُسلم)، بل تسرد مجموعة من أساطير العائلات المنضافة إليها، بينما يبقى أصل القبيلة غائبًا عنها، وحتى هؤلاء النازلون فقد ذكرت الرواية أنهم نزلوا عند بني مسلم، أي أنهم كانوا موجودين قبلهم، والظاهر ان هؤلاء (بني مسلم) أخلاط من بقايا (إجّانة) الكتاميّة، و(بني مسلم بن عقيل بن مرداس بن رياح الهلاليّة)، وعائلات انضافت إليهم من مواطن أخرى وحفظتهم الرواية الجمعية بهذا الشكل.

أخلاط قبيلة بني مسلم ومشيختها:

أما فروع (بني مسلم) فقد ذكرها تقرير سيناتوس كونسلت[1] ولويس رين كما يلي: **(الرحالة)**، **(أولاد الشلي)** ويذكر الرواة فرعًا يشبه تسميتهم في بني معمّر، **(عرب نصرون)**، **(أولاد يعقوب)**[2]، ولكنهم أهملوا ذكر فروع أخرى هي: **(أولاد غني)**، **(الزعامشة)**، **(آمعيزن)** موزعين على الضفة اليمنى للوادي الكبير.

أما مشيختهم فقد تبعوا رياسة ابن الأحرش البودالي، وانتهت الرياسة فيهم على عهد ثورة الرحمانيين عند الشيخ اعمَر بن رفَّاس، فلما مات انقطعت وزالت منهم.

[1]- **Boudjemâa HAÏCHOUR**: L'espace kétamien d'El-Milia, Revue Révolution Africaine, N° 1659, du 13 au 19 Décembre 1995, p31.

[2]- **Voir** : **Louis RINN** : Le Royaume d'Alger sous le dernier Day, Revue Africaine, Op.cit, N° 228, 1898, p 308.

بني صالح:

في هذه القبيلة كلامٌ طويل، بالنظر إلى كثرة الروايات التي تتحدث عن صراعها مع القبايل التي من حولها، وانتقالاتها الكثيرة في المجال بين جيجل وسكيكدة، وكذا كثرة التسميات المشابهة لها في هذا المجال بالنظر إلى كون اسم (صالح) العربي كثير الانتشار في المنطقة، ولكن المعطيات التي استطعنا الوصول إليها في المصادر يمكن أن ترجّح مقاربة جيّدة.

تذكر الرواية الجمعيّة لهذه القبيلة أسرة مقبلة من الغرب مكونة من ثلاثة أخوة: (هني)، (هاين)، (بُوجمعة)، نزلت عند قبيلة أولاد بلعفو، بينهم وبين بني سيار، وشكلت هناك فرعًا قبليًّا أُطلق عليه (أولاد صالح)، وفي تقصّينا لأصل هذه العائلة في أحداث هذه المرحلة المسكوت عنها في المصادر الكتابية، لم نجد سوى فرع قبليّ ضخم متوزع يبدو أنه كان له طريق إلى المنطقة، ذكرهُ ابن خلدون (ت.1403م) في قبايل دريد الهلاليّة، وورد اسمه في رياسة (أولاد عبدوس) وهي فرع من فروع بطن (المرتفع) من قبيلة (عياض) الهلالية الساكنة في جبل المعاضيد قرب قلعة بني حماد بالمسيلة، يقول ابن خلدون (ت.1403م): "..**فعياض نزلوا بجبل القلعة، قلعة بني حماد، وملكوا قبايله وغلبوهم على أمرهم (..) (المرتفع) و(الخراج) من بطونهم. فأما المرتفع فثلاثة بطون: أولاد تبان، ورياستهم في أولاد محمد بن موسى، وأولاد حناش، ورياستهم في بني عبد السلام. وأولاد عبدوس ورياستهم في بني صالح**.."[1]، وخرج

[1]– **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص 33.

هؤلاء عن سلطة الموحدين في 1164م فخرج إليهم عبد الله بن المؤمن بجيشه وغلبوهم فتفرّقوا في المواطن وانتقلوا شمالاً، إذ نلاحظ لهم فرعًا في جبال فرجيوة باسم (العياضي)، ولعله دخلت منهم فروعٌ إلى منطقة جيجل في شكل عائلات حاملة للاسم العام للقبيلة، ومنهم هؤلاء الثلاثة الذين لا تزال الرواية الجمعيّة تحتفظ بأسمائهم. هذه المقاربة بالرغم من استنادها على حدثٍ واضحٍ ودليلٍ كتابيّ إلا أنها تبقى محدودة، لأنها لا تلغي إمكانية أن يكون (صالح) الذي انتُسِب إليه رجلاً حقيقيًّا عاش في المنطقة وترك أبناءه ولا ندري من أي أصل هو، ولكن ما يعضُدها هو فرارُ هذا الفرع بعد خلافه مع بني عمران وبني سيار وبني يدر[1] إلى سهل (زنقال) في ضفة وادي بويوسف على ساحل تازروت غرب مصب الوادي الكبير واحتماؤه بالفروع العربيّة الموجودة هناك (بني حبيبي) و(بني مسلم)، وأوضحُ دليلٍ على ذلك هو نقلهم لاسم (حار بلعفو) معهم إلى ساحل الجناح.

وبعد استقرار هذه القبيلة في هذا الموضع انضمت إليها أسرٌ كثيرة ودخلت تحت سيادتها، فتكنفدت هذه العائلات وشكلت شيئا فشيئا قبيلة (بني صالح)، بينما نشيرُ هنا إلى أن الفرنسيين فصلوا بينها وبين فرع (الجناح) الذي يعدّه النسابُة داخلاً في كنفدراليتها باتفاق، بالرغم من اعتراف المصادر بأنها عائلات من أصول كثيرة.

[1]– تقرير نابليون المؤرخ في 14 مارس 1868م.

أخلاط قبيلة بني صالح ومشيختهم:

تختلف المصادر الشفهية التي نقلت للفرنسيين فروع القبيلة بين من تجمع إليها عرش (الجناح) بفرعيه وبين من تفصلها عنها، لذلك نجد في تقرير الفرنسيين خلافًا بين الفروع التي أوردها تقرير سنة 1845: **(أولاد زنقال)** وهو اسم مكانٍ نسبوا إليه، **(أولاد صالح)** ويذكر الفرنسيون لها اسم الصّوبية، **(أولاد بوحضرة)**، ثم **(أولاد بوجناح)** وهما الفرعان اللذان استلحما العائلات النازلة قريبًا منهما في مصب الوادي الكبير فانتسبت إليهما وشكّلت عرش (الجناح) وسيأتي ذكره.

أمّا رين سنة 1898م فقد ذكر لهم ثلاثة عشر (13) قرية دون أن يفصّل أسماءها، وواضحٌ أنه لم يحتسب فيها عرش (الجناح) لأنه يذكرُهُ بعدها مباشرة بفرعيه (أولاد بوبكر) و(أولاد العقيبة)[1]، وهذا الفرق بين التقريرين يوحي بأن الفرنسيين هم الذين فصلوا إداريًّا فرع (الجناح) عن كنفدراليّة (بني صالح)، وهو ما يعضدُ رأي النسابة المحليين في الرواية الجمعيّة من أن هؤلاء أولاد صالح الذين جاؤوا من أولاد بلعفو استلحَمُوا العائلات الكتامية التي كانت هنالك وشكلوا كنفدرالية (بني صالح) لتضمّ أولئك جميعًا، وعند الرواة نجد في هذه القبيلة فروع: (العزيب)، (آسرافين)، (بوجناح)، (شبوطة)، (الرميلة)، (زنقال)، (بوحدرة أو الحدريّة).

[1]– **Voir** : **Louis RINN** : Le Royaume d'Alger sous le dernier Day, Revue Africaine, Op.cit, N° 228, 1898, p 307.

ويحصي هؤلاء (بني صالح) 459 نسمة في سنة 1879م[1] بعد سنوات الإبادة والتهجير، وهم الذين حملوا في زمن الفرنسيين تسمية (وادي بويوسف) واليوم يحملون تسمية (سيدي عبد العزيز)، ولا علاقة لهم بالفروع الأخرى التي تحمل تسمية مشابهة بمنطقة جيجل، مثل (أولاد صالح) فرع بني عمران السفليّة الذي رجحنا في بداية بحثنا أنه بقاياهم بمجال وادي جن جن، ولكن قصة خلاف بني صالح وطردهم من بني عمران السفلية أنفسهم وبني سيار وبني يدر تلغي هذه الفرضية، كما لا علاقة لهم بـ (أولاد الصالح) فرع أولاد عيدون لأنه مجرد شبه في التسمية، بينما يعدُّ أهل قبيلة (بني صالح) الموجودين في عين الطابية على واد قبلي جنوب القلّ منهم باتفاق الرّواة، وعددهم الكبير (1569 نسمة) يدلّ على أن هجرتهم تواصلت في زمن الفرنسيين.

وأما مشايخهم فقد ذكر فيرو أن شيخهم سنة 1775م كان (سيدي عبد العزيز) الذي تحمل مدينتهم اليوم تسميته[2]، ثم تبعوا حكم ابن الأحرش البودالي في إمارته سنة 1804م، ثم ذكر تقرير الفرنسيين لسنة 1845م أن شيخ (أولاد زنقال) هو محمد بوعرعار، وشيخ (أولاد صالح الصوبية) هو بوسعيد ابن الأحرش، وشيخ (أولاد بوحضرة) هو بلّكرم بن حمّيدن، وشيخ (أولاد بوجناح) هو أحمد بن سي محمد.

[1]– **Charles-Marie Le Myre de Vilers**: Répertoire alphabétique des tribus et douars de l'Algérie, Op.cit, p 41.

[2]– L. **Charles FERAUD**: Histoire Des villes De la Provence de Constantine-Djidjelly, Op. cit, p75.

انفصال عرش الجنــاح عن بني صالح:

وقد وجدنا في بداية بحثنا عن أصل هذه القبيلة خلطًا كبيرا، فرجحنا في كتابنا (التاريخ الكامل لمنطقة الميلية) أنها بطن من بطون قبيلة دنهاجة الكتاميّة، بحكم انتشار لقب (بوجناح، جنوحات، جنّاح..) في قبايل المشاشطة وبني فرڨان الذين يعدُّون في بطون دنهاجة، غير أن وجود فرع باسم (بوجناح) قريبا منهم في قبايل (بني صالح) يفرض علينا الغوص في الفروع وتقصي أصول تكنفُد هذا العرش لنعرف روافده الحقيقيّة التي تحاول الرواية الجمعيّة تبسيطها وتوحيدها إثنيًّا بادعائها جميعًا في جدّ واحد اسمه (بوجناح) جاء من المغرب.

ينطلق الحديث عن عرش الجناح من أسطورة بوجناح التي نقلها شارل فيرو من لسان أهل المنطقة ثم نقلها تقرير الفرنسيين لسنة 1868م، وهو أن القبيلة أسسها رجل مهاجر مغربي يسمى (بوجناح) أقبل على المنطقة ببرنوس غير مكتمل، تبدو إحدى جهتيه أطول من الأخرى، فخاطت له زوجته قطعة قماش لتكمل النقص فيه، فسماه الناس بوجناح لأنهم يسمّون في لغتهم العامية طرف البرنوس (جناح البرنوس)[1]، ولكنّنا لا نجدُ دليلاً على هذا الادّعاء المشابه لادعاءات القبائل الأخرى، بل نجدُ فرعًا باسم (أولاد بوجناح) في فروع قبيلة بني صالح المتاخمة للقبيلة، فإن صدقت الرواية فهذا الرجل إمّا نزل بالمنطقة وسكنها قبل هجرة بني صالح من مجالات

---

[1]– **L. Charles FERAUD**: Histoire Des villes De la Provence de Constantine-Djidjelly, Op.cit, p90. **Et** rapport de Senatus-Consultes du 18-01-1868.

أولاد بلعفو ثم لما هاجروا ظهرُوا عليه واستلحمُوه في فروعهم، وإما متأخرًا بعد هجرتهم فنزل عندهم واستُلحِمَ فيهم وذلك أرجحُ لأن معايير ذلك الزمن لم تكن تؤمّن رجلاً وعائلته على العيش في الخلاء دون أن تكون من ورائهم قبيلة تحميهم، هذا إن صحت الرواية الميثولوجية، وإن لم تصحَّ فإن شخصية "بوجناح" لا تعدو أن تكون رجلاً من هؤلاء بني صالح كان له سيادة وحظوة دينية أو سياسية فانتسَبَ إليه أبناؤه ومن يليهم واختلقوا له هذه الرواية.

ويذكر تقريرُ الفرنسيين لسنة 1845م عن فروع قبيلة الجناح: (أولاد بوبكر) و(العقبيّة)، ولكن في التقرير نفسه عن قبيلة بني صالح نجد فرعي: (أولاد بوجناح) و(الحدريّة)، وهي الأسماء نفسها لفرعي عرش (الجناح) في الرواية التي نقلها قيطوني[1]، إذ يذكر للعرش أصلاً كنفدراليًّا مكونا من (الجناح العقبيّة) و(الجناح الحدريّة)، ومن خلال مراجعة هذه المعطيات نميلُ إلى الطرح الآتي:

– أخذت القبيلة تسميتها العامة من عرش (أولاد بوجناح) فرع قبيلة بني صالح، الذي دخلت العائلات الأخرى في نسبه وانتمت إليه، ونقلت عنه الرواية الأسطوريّة التي تتحدث عن مجيئه من المغرب وجناح برنوسه.

[1]– **Voir**: **Hosni KITOUNI** : La Kabylie Orientale dans l’Histoire, Op.cit, p 65-66.

– نوافق قيطوني فيما يخص الأسماء المرتبطة بالجغرافيا والتي قسمت عائلات القبيلة بحسب موقعها إلى (العقبيّة) أي سكّان العقيبَة – تصغير العَقْبَة وهي الصَّعُود–، والحدريّة أي سكان الحْدُور –وهي المنخفضات–، ومنها اشتقت اسماء الفروع.

– وأما أسماء الفروع وهي: (أولاد بوبكر)، (تافارح)، (تاطاهير)، (العرابة)، (آعراط)، (آنوداش)، (لعمارة)، (الشوف)، (آحريث)، وأكبرها (أولاد بوبكر) مركز العرش الذي ذكر الفرنسيون سنة 1845م بقريتهم 130 منزلاً، ولعل الذي ذكر أصل عرش الجناح للفرنسيين سنة 1868م واحد منهم لأنه جعل للحدرية كلّهم اسم أولاد بوبكر، كما لم يسجّل للعرش كله إلاّ 129 كوخًا وهو عدد أكواخ فرع أولاد بوبكر وحده.

وينضافُ إلى هذه المعطيات أن عرش (الجناح) لا محالة يستلحِمُ في داخله عائلات كثيرة كتاميّة وُجدَت قبل تشكّله، وعائلات من مناطق أخرى هاجرت إليه بعد تشكله واندمجت فيه، وتركت الكثير من الروايات التي نقل قيطوني شيئًا منها.

وأمَّا الرياسة في عرش (الجناح) فقد كانت على غرار القبايل الأخرى في محمد ابن الأحرش البودالي سنة 1804م، ثم دخل بعده في رياسة بورنان بن عز الدين شيخ الوادي الكبير، وبعدها ذكر الفرنسيون في تقريرهم لسنة 1845م أن شيخ أولاد بوبكر كان اسمه محمد بن علي بوديّة وشيخ أولاد العقيبَة كان اسمه سويعد بن بوشاش، ثم على عهد ثورة الرحمانيين سنة 1871م كان حكم العرش تحت الشيخين العربي بن بوزراع وبلقاسم بن مبروك، فلما قضى عليهم الفرنسيون أزالوا الرياسة عنهم.

بني عمران :

في هذه القبيلة كلامٌ طويل، لأنّ الكثير من الفروع في قبايل عديدة بربرية وعربيّة وشريفيّة حاملٌ لهذه التسمية (بني عمران) بضمّ العين وبفتحها وبكسرها، ولذلك كان من واجب الذي يبحث عن أصل الفرع الموجود بمنطقة جيجل تقصّي ما له علاقةٌ حقيقيّة ثابتة به في كتب النسابة، ولا يتسنّى ذلك إلا بالتأكد من وجود طريقٍ لذلك الفرعِ من فروع القبايل إلى منطقة جيجل، وفي ذلك أربعة أقوال:

القول الأول:

أقدم ما ذكر عن هذه القبيلة هو وجودها في فرع فلاسة(فليسة) من كتامة بساحل منطقة دلّس وفيها عرشان (فليسة البحر) و(فليسة أملّيل)، ذكرهم بْطُلِيمُوس هنالك منتصف القرن 02م وسماهم في خرائطه (Isaflenses)، واستمر وجودهم في الفتح الإسلامي والدويلات إلى غاية القرن 14م عندما ذكرهم ابن خلدون (ت.1403م) قال: "**فمن يسّودة فلاسة ودنهاجة ومتوسة وآوريسن..**"[1]، وفي القرن 19م ذكرهم ابن العطار (ت.1870م) على زمن العثمانيين قال: "**وفي أيام أحمد باي كانت واقعة فليسة المشهورة وذلك أن جبل فليسة وبني عباس خرجوا عن طاعة السلطنة..**"[2]، وفي فروع (فليسة أملّيل) قبيلة (بني عمران)، وهي على هذا الأساس كتامية بربرية الأصل، ولكن ذكرها جاء متأخرًا بالرغم من ادعاء أهلها النسَبيّ أنهم أصليُّون في القبيلة،

[1]– **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص196.

[2]– **ابن المبارك بن العطار**: تاريخ بلد قسنطينة، م س، ص137/138.

ولذلك لا تكفي هذه الإشارات لضبط قول نهائي في هذا الأصل، وتبقى فرضية نزولهم بفليسة أملّيل واندماجهم فيها في زمن آخر أمرا واردًا.

القول الثاني:

في مقام آخر، رجّح الدَّراجي بُوزياني أصلهم في كنفدرالية صنهاجة قال:".. **ثم بنو عمران توجد منهم خمسة بطون بالجزائر وهم: بنو عمران في الساحل الغربي لبجاية بدوار أبراريس، وبنو عمران على ضفة وادي يسر** (وهو امتداد وادي سباو) **وفي مدينة الأربعاء وفي جنوب مدينة الجزائر، وبنو عمران بالقرب من برج منايل وتيزي وزو وبنو عمران جبالة وبنو عمران بالقرب من ميناء جيجل**"[1]، ورأيه هذا بعيدٌ لا دليل عليه، إذ لم يذكر ابن خلدون (ت.1403م) في فروع صنهاجة (بني عمران)، وليس ببلاد المغرب في صنهاجة فرعٌ اسمه (بني عمران)، ولعله اعتقد (فليسة) في فروع صنهاجة لتوزعهم وتشتتهم في مواطنهم، فعدّ فروعها في صنهاجة أيضا، وقد قال في الكتاب ذاته عنهم: "..**أما فلاسة أبناء يسودة فلا نعرف عنهم شيئا**"[2]، وجميع فروع (بني عمران) الذين ذكرهم معلوم انتماؤهم إلى (فليسة أملّيل)، لكنه أفادنا في جمع تلك الفروع القبليّة الحاملة لهذا الاسم في أصل واحد خصوصا وقد ربطهم بالفرع الواقع بمنطقة جيجل، والتي من المحتمل أن تكون لها طريق إليها لحدث من الأحداث، وإذاك ينتفي أصلها في صنهاجة، ويبقى للاحتمالات الأخرى.

---

[1]- **الدراجي بوزياني**: القبايل الأمازيغية، م س، ج2، ص64.

[2]- م ن، ج2، ص165.

القول الثالث:

ومن جهة أخرى، يذكر ابن خلدون (ت.1403م) فرعًا بهذا الاسم (بني عمران) في رياسة فرع (بني راشد) من كنفدرالية زناتة بضواحي تلمسان في حوالي القرن 12م، ويذكر شأن موالاتهم لـ(بني عبد الواد) في صراعهم مع بني توجين وبني مرين، قال كانت الرياسة فيهم لبيت (بني عمران) وأبناؤه (إبراهيم) و(ونزمار)، قال: "**وكان غلب بني راشد على هذه الأوطان بين يدي دخول بني عبد الواد إلى المغرب الأوسط، وكانوا شيعة لهم وأحلافا في فتنتهم مع بني توجين وبني مرين. وكانت رياستهم في بيت منهم يعرفون بـ(بني عمران)، وكان القائم بها لأول دخولهم إبراهيم بن عمران. واستبد عليه أخوه ونزمار، وقام بأمرهم إلى أن هلك، فولي ابنه مقاتل بن ونزمار، وقتل عمه إبراهيم. وتفرقت رياسة (بني عمران) من يومئذ بين بني إبراهيم وبني ونزمار، إلا أن رياسة بني إبراهيم أظهر، فولي بعد إبراهيم ابنه ونزمار. وكان معاصرا ليغمراسن بن زيان وطال عمره، فلما هلك لتسعين من المائة السابعة، ولي أمرهم غانم ابن أخيه محمد بن إبراهيم. ثم كان فيهم من بعده موسى بن يحيى بن ونزمار، لا أدري معاقباً لغانم أو توسطهما أحد. ولما زحف بنو مرين إلى تلمسان آخر زحفهم، صار بنو راشد هؤلاء إلى طاعة السلطان أبي الحسن، وشيخهم لذلك العهد أبو يحيى بن موسى بن عبد الرحمن بن ونزمار بن إبراهيم. وانحصر بتلمسان بنو عمه كرجون بن ونزمار، وانقرض أمر بني عبد الواد**

وأشياعهم."[1]، لكننا فيما بحثنا لم نجد لهؤلاء (بني عمران) الزناتيين طريقًا إلى منطقة جيجل، ولا ذكر مؤرخو مرحلة القرن 12م أنهم انسحبوا من مواطنهم، بل صاروا إلى طاعة السلطان أبي الحسن المريني، كما انقسموا إلى عرشي: (بني إبراهيم) و(بني ونزمار) الذين ظهرا على حساب اختفاء اسم العائلة (بني عمران)، لذلك من البعيد جدا أن تكون لهم علاقة ببني عمران منطقة جيجل.

القول الرابع:

في أصول الشرفاء نجد تسمية **(عمران)** في كثير من مفاصل الشجرة النسبيَّة الكبيرة والمنتشرة بالبلاد المغاربية منذ القرن 09م، ولذلك سنحاول أن نعرض كل التسميات القريبة والمجالات القبليّة لتواجدها وانتشارها، والأحداث التي يمكن أن تكون جرتها للهجرة باتجاه بلاد الجزائر، لنخلص في الأخير إلى التي لها علاقة بـ(بني عمران) منطقة جيجل، وإليك بيان ذلك.

– (عمران بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر)[2] الذي ولاّه ملكُ المغرب الأقصى أخوه (محمّد بن إدريس) على منطقة (بادس) وأحوازها ومن فيها من فروع (هنتاتة) المتفرعة عن قبيلة (مصمودة) البربرية على قول العشماوي (كان حيا.1729م) والسنوسي

[1]– **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج7، ص ص 11، 186.

[2]– **انظر**: **العشماوي**: التحقيق في النسب الوثيق، م س، ص14، السلسة الوافية والياقوتة الصافية، م س، ص 241.

(ت.1859م) والزياني[1]، بعد وفاة أخيهما (عمر بن إدريس)، ونسب (عمران) هذا بعيدٌ جدًّا في القرن 09م، ولم نصل إلى دليل يربطُ بني عمران الجزائر به في كل كتب النسابة والمؤرخين التي قرأناها، والأمر نفسه بالنسبة لحفيده (عمران ابن أحمد ابن موسى ابن عمران بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر)[2] الذي بثّ أبناءه بمنطقة (غريس).

– (عمران ابن جمال ابن محمد ابن كثير ابن الناصر ابن منصور ابن يعقوب ابن علي ابن عبد الله ابن عبد الرحمن ابن حمزة ابن محمد ابن الحسن ابن الحسين ابن أحمد ابن محمد بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر)[3] الذي سكن أبناؤه منطقة (السوس) وتوزعوا في أرجائها، وهم فرع من قبيلة (بني جمال) المتمركزة بمنطقة (فقيف)، وكذلك لم يذكر نسابة الشرفاء لهؤلاء طريقًا لمنطقة جيجل، ولم يقع عندهم أيضا ما يمكن أن نفترضه حدثًا يدعوهم للهجرة إليها، لذلك فمن البعيد أن يكون بني عمران منطقة جيجل منهم.

– (عمران ابن عبد الواحد ابن أحمد ابن علي ابن يحي ابن عبد الله ابن محمد ابن علي ابن حمّود ابن يحي ابن إبراهيم ابن يحي الجوطي ابن محمد ابن يحي ابن القاسم

[1]– انظر: **العشماوي**: السلسلة الوافية والياقوتة الصافية، م س، ص 244، **السنوسي الخطابي**: الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية،م س، ص 08، **الزياني**: تحفة الحادي المطرب في رفع نسب شرفاء المغرب، تحقيق رشيد الزاوية، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربيّة، الرباط – المغرب، 2008، ص 53.

[2]– انظر: **الزياني**: تحفة الحادي المطرب في رفع نسب شرفاء المغرب، م س، ص 53، **الجزّي الغرناطي**: الأنوار في نسب آل النبي المختار، م س، ص77.

[3]– انظر: **العشماوي**: التحقيق في النسب الوثيق، م س، ص 21.

ابن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر) ويسمى أبناؤه (بني عمران الجوطيُّون) نسبة إلى جدهم (يحيى الجوطي)[1]، كان أول أمرهم قرية الجوطة الساحلية قرب طنجة ثم تفرقت أكبر فروعهم بين فاس ومكناس ومناطق أخرى، لكنه لم تكن لهم هجرة إلى الجزائر، بل آثروا خدمة (مسجد الشرفا) الذي بناه جدّهم إدريس الأصغر بفاس، وخصوصًا على زمن المرينيين[2]، لذلك لا يمكن ربطهم ببني عمران جيجل.

– (عمران ابن علي ابن يحيى ابن راشد ابن فرقان ابن حساين ابن سليمان ابن أبي بكر ابن مؤمن بن محمد ابن عبد القوي ابن عبد الرحمن ابن إدريس بن موسى ابن إسماعيل بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ابن محمد الباقر بن علي ابن زين العابدين بن الحسين السبط بن علي بن أبي طالب)[3]، وهؤلاء من الشرفاء الحسينيين الساكنين في منطقة (وادي شلق) ولهم فروع في (بني وليد ورفلة) و(القيروان) بين ليبيَا وتونس، ولم تكن لهم أيضا هجرة إلى ساحل الجزائر ولا إلى منطقة جيجل في كتب النسابة والمؤرخين.

---

[1]– **انظر**: **محمد الجزّي الكلبي الغرناطي**: الأنوار في نسب آل النبي المختار، م س، ص85، **القادري**: الدرّ السني في بعض من بفاس من النسب الحسني، مخطوط نشر بفاس عام 1313هـ، ص 12، **الزياني**: تحفة الحادي المطرب في رفع نسب شرفاء المغرب، م س، ص 66، **أحمد الشباني الإدريسي**: مصابيح البشرية في أبناء خير البرية، طبعة خاصة بالمؤلف، ط1، 1987، ص 188.

[2]– **انظر**: يذكر رشيد الزاوية محقق كتاب (تحفة الحادي المطرب) للزياني في هامش ص 66 أن أول من نزل من الجوطيين بفاس هو عبد الواحد بن عبد الرحمن الجوطي رفقة السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني نقلا عن القادري في كتابه (الدر السني) ص 14.

[3]– **انظر**: **السنوسي الخطابي**: الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية،م س، ص 100.

– (عمران بن محمد بن عبد القادر بن عمران بن حسنين بن يحيى بن سعيد بن مسعود بن عامر بن محمد بن محمد بن عمران بن عبد الرحمن بن صالح بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن إدريس الأصغر ابن إدريس الأكبر)[1]، بلادهم غمارة ومنطقة بادس، ويبدو أن لهم شأناً مع هجرة سيدي (عبد العزيز) منهم إلى منطقة جيجل، وقد مرّ ذكره في فصل الشرفاء والأولياء الصالحين فانظر هناك تجده.

– (عمران بن عامر بن عبد الله بن عبد الخالق بن عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن طلحة بن جابر بن ميمون بن جابر بن محمد بن يحيى بن عبد الله بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر) وهو الذي استوطن بنوه منطقة (الساقية الحمراء)[2]، وهاجروا كما يذكر الزياني إلى أماكن كثيرة منها بالجزائر (الشلف) و(شنوة) و(فليسَة) و(مشقولة)، وهنا نجد أول ذكر من النسابة لانتماء (بني عمران) الذين بفرع (فليسة أملّيل).

وإذا كان العشماوي (كان حيا.1729م) قد سبق في أواخر القرن 17م وبدايات القرن 18م إلى ذكر انتقال فرع من الشرفاء إلى فليسة هم (أولاد علي) من فروع (بني تودغير) قال: "**ومنهم –يقصد بني تودغير– فرقة في فليسة يقال لهم أولاد علي..**"[3]، فإن الزياني بعده بزمن يسير أواخر القرن 18م هو أوّل من ذكر لنا علاقة نسب (بني عمران) أهل الساقية الحمراء بـ(بني عمران) النازلين بجبال فليسة من مجالات صنهاجة

---

[1]– **انظر: الجزّي الغرناطي**: الأنوار في نسب آل النبي المختار، م س، ص ص 76، 77.

[2]– **انظر: الزياني**: تحفة الحادي المطرب في رفع نسب شرفاء المغرب، م س، ص ص 83، 84.

[3]– **العشماوي**: السلسلة الوافية والياقوتة الصافية، م س، ص 246.

الجزائر قال: "**ثم بعدهم أولاد عبد الله ابن إدريس وهم جميع العمرانيين بالمغرب سهلا وجبلا... وشرفاء أهل الساقية الحمراء بالقبلة وبشلف وبشنواء وبفليسة وبمشقولة**"[1]، والراجح على ما يبدو أن هذه الهجرات لم تكن غزيرة بالشكل الذي يصوّره المؤلفون، ولعلها كانت رحلاتٍ علميّة في زمن الموحّدين بالمنطقَة بعد دخول خليفتهم عبد المؤمن بن علي إلى حاضرتي الجزائر وبجاية في القرن 12م، ثم حدثت الهجرة منها إلى ضواحي مدينة جيجل في حوالي القرن 13م كما نقلته لنا تقارير سيناتوس كونسلت لسنة 1867م عن قبيلة بني عمران نقلاً عن مشيختهم.

والظاهر أنّ هجرة هذه العائلات من (بني عمران) إلى جيجل شكّلت حدثًا جليلاً لهجرة الشُّرفاء، فالتفّت حوله أعراش كثيرة من بقايَا فروع إجّانة الكتاميين ومن معهم من الفروع العربيّة المتوغلة في المجال، فاستلحمتهم هذه العائلات سريعًا، وأصبحت في مدة قصيرة كنفدراليّة كبيرة واسعة المجال تحمل الاسم العام للقبيلة.

أخلاط قبيلة بني عمران ومشيختهم:

وقبيلة بني عمران التي بمنطقة جيجل كبيرة، ومن أكثر قبايل المنطقة عددًا، قسّمها النسابة إلى فرعين كبيرين هما: **(بني عمران الجبالة)** ويسكنون سفوح جبل وجانة بين بني خطاب وبني فوغال، و**(بني عمران السّفلية)** ويسكنون شاطئ البحر بجوار مدينة جيجل.

---

[1]– **الزياني**: تحفة الحادي المطرب في رفع نسب شرفاء المغرب، م س، ص 83.

فأما **بني عمران الجبالة** فبطونهم كثيرة جدّا ومتفرقة في تلك الجبال والنواحي، وهم عند الفرنسيين ثلاثة دواوير: **(الشادية)**، **(رقادة)**، **(أم الثلاثين)**، وهم جماعتان:

– جماعة **الأربعاء** فروعها (أولاد بوشعير)، (أولاد جامع)، (أولاد موسى)، (أولاد بوكين).

– جماعة **الجبالة** وفروعها (بني معالي)، (أولاد عسكر)، (آمنيعن)، (أولاد عثمان)، (أولاد خرون)، (الميسيّة)، (بني عجيس) ويسمون أيضا بني ياجيس ولعلهم فرع مندمج فيهم من قبيلة عجيسة القديمَة، (الأعشاش الجبلية) وهم فرع من مكتنف بهم من بني سُليم، (بني ورزدّين) وسيأتي ذكرهم منفردًا.

وأما **بني عمران السفلية** فبطونهم أيضا كثيرة جدّا ومتفرقة، وهم أيضا جماعتان:

– جماعة **أولاد معلَّم**: وفروعها (أولاد بويرة)، (الحاريكية)، (الطيانة)، (الشمّايمة).

– جماعة **السفلية**: وفروعهم (بني حسان)، (حراثن)، (الترارة)، (أولاد علي)، (أولاد مارس)، (أولاد صالح)، (الأعشاش)[1] وهم أيضا فرع من بني سُليم.

[1]– **Voir** : **Louis RINN** : Le Royaume d'Alger sous le dernier Day, Revue Africaine, Op.cit, N° 228, 1898, p 305. **Et**: Rapport official sur la tribu de Beni Amrane 1845.

ومن بطون بني عمران أيضا فرع بهذا الاسم بمنطقة السمندو شمال قسنطينة، رحلوا إليها على زمن دخول الفرنسيين واختلطوا بأهلها الحاملين لتسمية (العلمة المعسلة)، وآخرون كثيرون متفرقون بنواحي قالمة.

وقد نقلت إلينا الروايات الشفهية القديمة من خلال تقرير الفرنسيين بعض الإضافات الأسريّة المجهولة التي اندمجت في هذه القبيلة وأثرت على وجودها السياسي بالمنطقة، ومنها أسرة اتفق عليها الرواة كان نزولها في حوالي 1700م اسم جدّها الأول (عمار)، الذي خلّف بعده أربعة من الولد: (منيع) و(الحداد) و(ناصر) و(تليس)، ويبدو أن (منيع) كان أسبقهم رياسةً لأنه ربما كان أكبرهم، فانقادت له (بني عمران) كلُّها وأصبح شيخ جماعتها، وورث (بني منيع) أو (آمنيعن) بالجمع البربري هذه المشيخة إلى 1804م عندما أصبح بني عمران تابعين لرياسة الشريف ابن الأحرش البودالي، وكان منزله الأول عندهم في زاوية سيدي الزيتوني، وبعد انسحابه عادت رياستهم إلى شيخهم بوجمعة بن البعُّو بن منيع، وقد أورد الفرنسيون ذكر أسماء مشايخ فروعهم في تقاريرهم عن قبيلة بني عمران التي بمنطقة جيجل، على عهد استيلائهم عليها سنة 1845م، فذكروا أن شيخ قسم قبيلة بني عمران السفلية كان النوري بن عيسى، و(أولاد بويرة) شيخهم نفسه النوري بن عيسى، و(الحاريكية) شيخهم عبد الله بن بوجزة، و(الطيانة) شيخهم محمد بن حنوطة، و(الشمّايمة) شيخهم أحمد بن شيخ. وأما (بني حسان) فشيخهم صالح بن عبد القادر، و(حراثن) شيخهم بلقاسم بن عياش، (الترارة) شيخهم بن زبعية، و(أولاد علي) شيخهم محمد بن سي مبارك،

و(أولاد مارس) شيخهم الحسين بن آمديس، و(الأعشاش) شيخهم بلقاسم بن الحاج.

وأما قسم بني عمران الجبالة فقد كان شيخهم بوجمة بن البعُّو، وشيخ جماعة الأربعاء مسعود بن بوشرمة، وفروعهم: (أولاد بوشعير) شيخهم سعد بن سويعد، و(أولاد جامع) شيخهم مبارك بن بوخميس، و(أولاد موسى) شيخهم مسعود بن بوشرمة، و(أولاد بوكين) وشيخهم عمار بن بوشمال.

وأما (بني معالي) فقد كان شيخهم اعمر بوعمود، و(أولاد عسكر) شيخهم بن الجبلي، و(آمنيعن) شيخهم بوجمعة بن البعُّو، و(بني عجيس) ويسمون أيضا العجايس شيخهم بن صويلح، و(أولاد عثمان) شيخهم بن العركي، و(الأعشاش الجبلية) وشيخهم اعمر بن علندة، و(أولاد خرون) شيخهم محمد بن مصباح، و(الميسيّة) شيخهم مبارك بن علي.

انفصال عرش أولاد عسكر عن بني عمران

يضعُنا العملُ على هذه القبيلة بين فرضيّتين قويتين: أولاهما أنه فرعٌ أصيلٌ في جباله وانضمّ جزء منه إلى عائلات بني عمران الشرفاء عند نزولهم بساحل جيجل فاستلحموه وأدخلوه في رياستهم وعداد أخلاطهم، وثانيتهما أنه فرع من قبيلة بني عمران انفصل عنها واتجه جنوبًا ليشكّل قبيلة جديدة.

فأما الفرضيّة الأولى فتحيلُنا مباشرة على زمن المرينيين في زمن سيادة هؤلاء (بني عسكر) من فرع بني ينجاسن لبني مرين وسائر زناتة وحروبهم على المدن المغاربية، وسيّدهم (المخضّب بن عسكر) الذي غزا بهم على بجاية والزاب وقلعة المسيلة وذكره ابن أبي زرع في الذخيرة قال: "**فأما عسكر بن محمد فولد له جميع قبايل بني عسكر ولهم كانت رياسة مرين في القديم وأول رأس منهم المخضّب بن عسكر بن محمد، تملك جميع بوادي زناتة وبلاد الزاب (..) ولم يزل يغير على تلمسان وبجاية والقلعة وغير ذلك (..) إلى انفضت دولتهم وغلبهم الموحدون على ملكهم (..) وكان الأمير المخضّب بن عسكر إذ ذاك قد ملك أكثر بوادي تلمسان..**"[1]، وامتداد بقايَا هؤلاء (بني عسكر) بتونس عند مدينة القصرين وهم هنالك عدد كبير، فهل يمكنُ أن يكون الفرعُ الذي بجبال جيجل أحد بقاياهم بالمنطقة من زمن حروب مرين الزناتيين على بجاية قبل دولة الموحدين؟ أم أنهم بقاياهم بناحية مدينة تلمسان، ثم جاء بهم (بني عمران) في أخلاطهم إلى جيجل ثم انفصلوا بعد ذلك عنهم؟ لا

[1]– **علي بن أبي زرع الفاسي**: الذخيرة السنيّة في تاريخ الدول المرينية، م س، ص18.

تجيبُنا المصادر بشكلٍ قطعيّ عن هذه التساؤلاء ولكن هذه الفرضيات الأنوماستيّة قويّة ما دام في التاريخ أحداث تساعدها، غير أن عيبها الوحيد هو قلّة عدد هؤلاء أولاد عسكر بجبل جيجل مقارنة بهذا الزمن الغائر.

أما الفرضيّة الثانية فيرجحها بوجمعة هيشور، بأنه في زمن العثمانيين انفصل جزءٌ من قبيلة (بني عمران)[1]، من فرع الجبالة منها، من فرعها (أولاد عسكر) الذي يبدُو حسب هذه المقاربة أنه نشأ داخل كيان هذه الكنفدرالية قرب جيجل وليس من الروافد الخارجية عن القبيلة، وتتبعوا الطريق الذي يمر إلى ميلة، فنزلوا قمة الجبل جنوب بني فتح وبني يدر، بجانب بني خطاب الشراقة، وشكّلوا نواةً تحولت بانضمَام فروع وعائلات أخرى إلى قبيلةٍ منفصلة حملت اسم (أولاد عسكر).

إن تواجد هذه القبيلة في مجالٍ جبليّ وعر واقع على طريق البغال القديمة التي تأتي من ميلة إلى جيجل أمرٌ يثير التساؤل عن تركيبة هذه القبيلَة، ولكنّ ذلك لا يُقصي أنّ هذا الفرع العمراني على ما يبدو استطاع أن يجمع إليه فروعًا بربرية عريقةً في المجال وأخرى من المهاجرين المارّين على هذا الطريق فاستلحمها، فسجّل عنهم الفرنسيّون عند دخولهم نقلاً عن مشيختهم أنهم خليطٌ من العرب والبربر.

[1]– **بوجمعة هيشور**: بنو كتامة أعراش الوادي الكبير، جريدة النصر، عدد 25 نوفمبر 1992، ص 12.

أخلاط قبيلة أولاد عسكر ومشيختهم:

ذكر تقرير نابليون لسنة 1845م لأولاد عسكر ثلاثة فروع هي: **(عرب قوازن)**، **(القفش)**، **(المنازليّة)** أي سكان قرية المنازل، لكن تقرير سيناتوس كونسلت لسنة 1896م ذكر أن القبيلة تضمّ خمسة فروع دون التفصيل فيها، ولعلها هي التي تحدّث عنها لويس رين بعدها في تقريره لسنة 1898م وهي: **(أولاد عربي)**، **(أولاد علوة)**، **(بني عفاق)**، **(الطهراوية)**، **(عرب الواد)**، **(المنازل)**، **(قاع الزان)**.[1]

ولكن الفرنسيين أهملوا في تسجيل هذه الفروع تجمعات سكنية أخرى مثل: **(الزويتنة)**، **(راس الزان)**، **(أولاد خالد)**، **(أطروي)** فهي ربما أعراش لا شأن لها بعهده أو أغفلها لعدم درايته بها.

أمّا مشيختهم فقد ذكر تقرير 1845م (عرب قوازن) وشيخهم سويعد بن البلدي، و(عرب القفش) شيخهم محمد بن بريك، و(المنازلية) شيخهم أحمد بو الغراية. وقد كان لهؤلاء أولاد عسكر بالرغم من صغر قبيلتهم أسواق كثيرة بحكم وقوعهم على طريق تجري قديم، فلهم سوق يوم الثلاثاء وآخر يوم الجمعة وهم قريبون من سوق الأربعاء أيضا بينهم وبين أولاد رابح، ودينتهم اليوم تحمل تسميتهم (بوسيف أولاد عسكر)، وهي اليوم بلدية تابعة لولاية جيجل.

[1]– **Voir** : **Louis RINN** : Le Royaume d'Alger sous le dernier Day, Revue Africaine, Op.cit, N° 228, 1898, p 307.

بني قايد :

وفي هذه القبيلة كلام طويل أيضًا لأن في أصلها أقوالاً كثيرة، ولكنّ المصادر أرشدتنا إلى انتمائها في أصل الأدارسة الشرفاء، ولذلك سنعرضُ ما وجدنا في هذا الحقل حتى يتسنى للباحث التأكد مما ذهبنا إليه، وذلك كما يأتي:

ينقل إلينا حسني قيطوني عن رواية شارل فيرو التي وجدها عند شيوخ المنطقة رواية ميثولوجية مفادها أن (بني قايد) يعود أصلهم إلى جدّ اسمه **(موسى القايم)** الذي أقبل من جبل بابور إلى مدينة جيجل واستقر في غربها، فأطلق الناس على أبنائه (بني القايم) ثمّ حرّف نطق تسميتهم إلى (بني قايد)[1]، ويوافق رأيه هذا علي خنوف نقلا عن شارل فيرو يقول: "**بني قايد من مدينة جيجل (...) يُقال إن جدهم الأول جاء من جبل بابور وكان رجلا قويا ومرعبا، ويتكلم بني قايد العربية ولكن سلوكاتهم وعاداتهم لا تختلف عن البربر**"[2]، وهذه الرواية التي لا يملك رواتها دلائل مقنعة، يمكنُ أن تكون صحيحة في شقّها الذي يتحدّث عن مجيء جدّ لهم من ناحية بابور، والأصحّ كما نعتقد هو جبل بجاية أين يستقر الفرع الأكبر لـ(بني قايد) المقبلين من المغرب كما سيأتي ذكره، ولعل اسمه (موسى القائم) فعلاً، ولكن أن تُحمَل تسمية القبيلة على تحريف الاسم أو على مقاربة الشبه اللّغوي والعوائدي بين العربية والبربرية مثل التي فعلها فيرو فذلك لا ينفعُ في أصل القبيلة شيئًا.

[1]– **Hosni KITOUNI** : La Kabylie Orientale dans l'Histoire, Op.cit, p63.

[2]– **علي خنوف**: تاريخ منطقة جيجل قديما وحديثا، م س، ص 18.

ونتلقى أولّ نصّ عن نسب (بني قايد) في موطنهم الأصلي بتلمسان عند العشماوي (كان حيا.1729م) في التحقيق باسم (أولاد قايد): "**قال صاحب الحديث أول ذريته الكريمة بني جرمون والسقفيون (...) وبني سليمان وأولاد خالد وأولاد قايد (...) أما أولاد قايد وأولاد سالم وأولاد الحاج علي وأولاد أدفل وأولاد عبد الحليم وهم صرخة واحدة وهم أهل مدينة تلمسان..**"[1]، وذلك أنهم سكنوا مدينة تلمسان في زمن انتمائها إلى دولة الأدارسة بفاس ثم في زمن الدول التي جاءت من بعدهم إلى زمن الزيانيين عندما رفضوا مبايعة الأمير (أبي عزة زيدان بن زيان) عام 630هـ/1232م فحاربهم وأخرجهم من تلمسان إلى عين الصفراء ثم إلى صبرة حتى قتلَ عام 1235م وخلفه (يَغمُراسَنْ بن زيان) فاستمرت حربُ الزيانيين عليهم سنين طويلة بلغت أربعًا وعشرين (24) سنة، ذكر العشماوي (كان حيا.1729م) ذلك قال: "**أما أولاد قايد وأولاد سالم وأولاد الحاج علي وأولاد وادفل وأولاد عبد الحليم مصباح وأولاد عبد الواحد وهم صرخة واحدة وهم أهل مدينة تلمسان لأنهم كانوا أهل مملكة، وقاموا عليهم بنو زيان وأخرجوهم من مدينة تلمسان ثم ارتحلوا ونزلوا بالعين الصفراء ثم نزلوا بعين صبرة واستقروا فيها أربعة وعشرين سنة وهم يتقاتلون مع بني زيان حتى غُلبوا وركبوا على خيولهم وحملوا أمتعتهم وعبيدهم وأولادهم وعيالهم وكل ما كان معهم وهربوا...**"[2]، وهذه الهزيمة هي التي جعلتهم يتفرقون في

---

[1]- **العشماوي**: التحقيق في النسب الوثيق، م س، ص 15.

[2]- **العشماوي**: السلسة الوافية والياقوتة الصافية، م س، ص ص 281-282، **أحمد الشباني الإدريسي**: مصابيح البشرية في أبناء خير البرية، م س، ص ص 192-193.

البلاد المغاربية ويلجؤون إلى أقاصي حدود مملكة الزيانيين للخروج من مجالات سلطتهم والنجاة منهم، يواصل العشماوي (كان حيا.1729م): "...**هربوا وصاروا يجدُّون السير حتى وصلوا واد المبطوح واستقروا فيه ثم بعذ ذلك افترقوا في الأوطان، فأما أولاد قايد بن يعلا فإنهم انتقلوا إلى جبل زواوة، ومنهم فرقة في الصحراء بجدالة ومنهم فرقة في مجاوة ومنهم فرقة في مدينة الحيرة وهي مدينة وجدة وأما أولاد سالم انتقلوا إلى جبل جرجرة بإزاء جبل زواوة...**"[1].

ونلاحظ أن (بني قايد) وأبناء عمومتهم تفرقوا إلى أبعد المناطق، إلى وجدة وجدالة ومجاوة وزواوة بجبال بجاية، وهنا دليل وجود هجرة إلى منطقة الجبال القريبة من جيجل، فيمكننا إذن أن نقدر زمن نزولهم بجبال بجاية في القرن 13م، ونفسّر اختيارهم لهذا المكان بكونه في أبعد حدود مملكة الزيانيين من جهة، وفي كون الكثير من أسر الشرفاء قد انتقلوا إليه قبلهم مثل (بني عمران) الذين ذكرنا من قبل.

ثم يسعفُنا نصٌّ تفصيليّ في هؤلاء (بني قايد) بعد نزولهم ببجاية، يورده عبد الله حشلاف (ت.1937م) في سلسلة الأصول منتظمًا نقلاً عن العشماوي (كان حيا.1729م) ومزيدًا ببعض التفاصيل التي غابت عنه، يقول: "**وأما أولاد قائد انتقلوا إلى جبال زواوة، وكذا أولاد الحاج علي هم أهل جبال عمال، فمن فروع أولاد قائد أولاد سيدي محمد الحاج بن علي بن قائد بن يعلا بن سلامه بن إبراهيم بن**

[1]– **العشماوي**: السلسلة الوافية والياقوتة الصافية، م س، ص 282.

عبد الحليم بن عبد الكريم بن عيسى بن موسى بن عبد السلام بن محمد بن جعفر بن عبد الجبار بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن مولانا علي ومولاتنا فاطمة الزهراء بنت مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا سيدي محمد الحاج قبره مشهور، مزارٌ معظم بجبل جرجرة من بلدة زواوة وكانت له زاوية عامرة لطلبة العلم وخصوصا علم الفقه، حتى الآن باقي له المآثر وسلاحه الذي كان يحارب به بني زيان فمن ذلك سيفه ودرعه..."[1]، وبالفعل ما يزال ضريح (محمد الحاج بن علي بن قايد) بجبل بجاية، ولعلّ (موسى القائم) أحد أقربائه، والأرجحُ أنه أحدُ أبناء (قايد بن يعلا) نزل بجيجل مرورا بجبل بابور، فحافظت القبيلة على اسمها الشريف (بني قايد) ولم يطلق عليها (أولاد موسى) الجديد.

وأستحضر هنا أن الرواية الجمعيّة الإثنوغرافية لـ(بني قايد) الذين بجيجل تدّعي إلى يومنا هذا وجود قرابةِ نسب مع صاحبة الضريح المعروفة ببجاية والمسماة **(يمّا قوراية)**، حتى وصل الادعاء إلى تخيّل وجود ضريح امرأة في قمة جبل مزغيطن تسمى (لالة مزغيطن) هي أخت (يمّا قوراية) حسب الرواية، وكذلك تُسعِفنا المصادر

1– **عبد الله بن علي حشلاف:** سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول، م س، ص ص 80-81، **العشماوي:** السلسة الوافية والياقوتة الصافية، ولكن سلسلة العشماوي وردت ناقصة في بعض الأجداد والاختلاف أيضا في اسم **(سالم)** الذي صحّحه له حشلاف بـ**(سلامه)** قال: "**جدهم اسمه قايد بن يعلا بن سالم بن إبراهيم بن عبد الحليم بن جعفر بن عبد الجبار بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل ابن الحسن المثنى ابن الحسن السبط بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم**"، م س، ص 282،

في تفسير هذا الإدّعاء إذ يوردُ إلينا حشلاف (ت.1937م) نصًّا في نسب (يمّا قوراية) يجعلها فعلاً في نسب (بني قايد) الذين ببجاية، يقول: "...**ومن ذرية سيدي محمد الحاج** –بن علي بن قايد– **الشريفة الجليلَة صاحبة الكرامات العديدة والأحوال الخارقة للعادة الست (لالة قُرايَة) شهيرة الضريح برأس الجبل المطل على بلدة بجاية...**"[1]، إذن فـ(يمَّا قوراية) هي ابنة عمّ (موسى القائم) الذي نحتملُ وجود ضريحه بجبل مزغيطن من خلال تتبع هذه الرواية الجمعيّة عنه.

وفي النهاية يكادُ يتأكدُ عندنَا من المصادر أن نسب (بني قايد) جيجل هو نسبٌ شريفيٌّ ثابت متصلٌ بـ (موسى القائم بن قايد بن يعلا بن سلامه بن إبراهيم بن عبد الحليم بن عبد الكريم بن عيسى بن موسى بن عبد السلام بن محمد بن جعفر بن عبد الجبار بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب)، الذي نزل غرب جيجل عند جبل مزغيطن، بدليل ما اتفقت عليه المصادر والرواية الجمعيّة، ثم انضافت إلى من جاء معه ثم إلى نسله أخلاطٌ كثيرة من المجال الجيجلي فانتسبت فيه وشكّلت كنفدراليّة قبَليّة كبيرة ومؤثرة تحكمت في مدينة جيجل وضواحيها، ولهم أيضا الهضبة التي فوقها (هضبة بني قايد) التي توجد فيها آثار ما قبل التاريخ ولهم أيضا جبل مزغيطن منطلق أصلهم، ثم انتقل فريق منهم إلى ناحية الميليّة، وسكنوا الضفة اليمنى للوادي الكبير قريبًا من بني تليلان في أسفل من قبيلة أولاد عيدون، وقريتهم

---

[1]– **عبد الله حشلاف**: سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول، م س، ص 81.

صغيرة تسمى (غزالة)، وتسمى عند الفرنسيين **دوار العقبيّة**، وكذلك في أول زمن الفرنسيين انتقلت منهم فرقة إلى جانب بني فوغال إلى ناحية ڤالمة بينها وبين جبل زردازة واسمهم (بني قايد)، وفرع آخر بوسط مدينة ڤالمة اسمهم (أولاد حاريد).

أخلاط قبيلة بني قايد ومشيختهم:

فأما **بني قايد** القبيلة الكبرى بناحية جيجل ففروعها كثيرة جدّا ومتشعبة، لكنها كغيرها لم تذكر بالتفصيل حتى عهد دخول الفرنسيين إلى منطقة جيجل، فقد ذكر تقريرهم لسنة 1845م لها فروع: (**الدوامنة**)، (**العوامسة**)، (**عرب تيحراكن**)، (**الزعامنة**)، (**الحدادة**)، (**حارّيد**)، (**العوانين**) أو العوّانة وهم أولاد العوّان، (**أولاد سي علي**)، (**بوعايلة**)، (**الطوالبية**)، (**آعراضن**)، (**إيشالة**)، (**أولاد عيسى**). وأما تقرير سيناتوس كونسلت لسنة 1866م فذكر لهم خمس (05) عشائر كبرى ولكنه لم يفصّل في أسمائها، ولا ذكرها لويس رين كذلك سنة 1898م، بل أكثر ما ذكروه هي امتلاكها لجيجل المدينة وخدمتها للتجارة مع دولة العثمانيين الأتراك.[1]

وأما مشيختهم على عهد دخول الفرنسيين إلى منطقة جيجل سنة 1845م، فقد كان شيخ قبيلة (بني قايد) هو سي مسعود بن الحاج بن يونس، و(الدوامنة) شيخهم علي بن زماموش، و(العوامسة) شيخهم مسعود بن الحاج بن يونس، و(عرب

[1]- **Voir** : **Louis RINN** : Le Royaume d'Alger sous le dernier Day, Revue Africaine, Op.cit, N° 228, 1898, p 295.

تيحراكن) وشيخهم علي بن أحمد بن عزوزة، و(الزعامنة) شيخهم محمد بن سليمان بن زعيمن، و(الحدادة) شيخهم علي بن شرشال، و(حاريد) شيخهم الطاهر بن جامع، و(العوانين) أو العوّانة شيخهم علي بن عمر، و(أولاد سي علي) شيخهم علي بن سي علي، و(بوعايلة) شيخهم أحمد بن مسعود، و(الطوالبية) شيخهم محمد بن بوطالب، و(آعراضن) شيخهم مسعود بن عراضة[1]، و(إيشالة) شيخهم محمد بن علي، و(أولاد عيسى) شيخهم يونس بن قدّيد. وأما **بني قايد العقبيّة** التي بناحية الميليّة فهي صغيرة، ذكر لها لويس رين جماعتين: (**العقبيّة**) و(**الحمديج**)[2]، وفيها إلاّ سبعة مشاتي: (**بني حيّ**)، (**حمديج**)، (**العقبيَّة**)، (**غار الذيبة**)، (**الشكريدة**)، (**الجراونة**)، (**آسراف**)، ورياستهم في قبايل بني خطاب في عرش آحميدن/آعميدن.

[1]– لعلها (بن عراضة) أو (بوعراضة)، فكلاهما لقب شائع اليوم في ولاية جيجل وغيرها.

[2]– **Voir** : **Louis RINN** : Le Royaume d'Alger sous le dernier Day, Revue Africaine, Op.cit, N° 228, 1898, p 309.

3- أخلاط مجالات كنفدراليّة ملوسَة :

وقبيلة (ملوسة) الكتامية كبيرة جدًّا ومنتشرة في البلاد المغاربية، وبقاياها فروع كثيرة في الحاضر، وقد كانت أرضها الأصلية في بلاد القرارم إلى ميلة إلى جبال سكيكدة، واسمها هنالك (تامالوس) بالنطق البربري، ذكرهم ابن خلدون (ت.1403م) هنالك على عهد الفاطميين قال: "**فعبى أبو عبد الله من معه ومشى إلى ناحية كتامة وميلة، وهم إجانة ولطاية وجيملة وملوسة ودنهاجة وعثمان**.."[1]، وذكر مكانهم بجانب ميلة، كما لها فرع كبير جدًّا ببلاد المسيلة اسمه ملوزة بتصحيف السين إلى الزاي، وفي بلاد المغرب الأقصى منها فرع ملّوثة بين سبتة وطنجة وهم مندرجون في قبيلة أنجرة، ذكرهم البكري (ت.1094م) هنالك قال: : "**ويتصل هذا الجبل إلى مدينة باب اليم إلى البحر الغربي ومجاز فكان وهو موضع ملوثة**"[2]، ولها فرع بهذا الاسم ملوسة مندرج في قبايل أولاد عبد النور ناحية تاجنانت، وفي ناحية جبل بوخداش بالميلية قرية ملوسة وتسمى أيضا تامالوس قريبًا من موضع فرعها بني تليلان. ولهذه القبيلة الكبيرة فرعان مشهوران هما **(بني زلدوي)** و**(بني فوغال)** وهما فرعان كبيران منتشران في سائر بلاد المغرب، ولهم بطون غفيرة لا تكاد تخلو منها جهة من الجهات، وهذا باب ذكر تلك القبايل وأصلها وتوزعها.

---

[1]– **أبو حنيفة النعمان**: افتتاح الدَّعوة، م س، ص 71.

[2]– **البكريّ**: المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب، م س، ص 108.

بني زونداي (بني زلدوي):

أما (بني زلدوي) فهم فرع من قبيلة ملّوسة من كتامة، بلادهم ممتدة في جنوب القل إلى شمال سطيف، وذكرهم الكثير من المؤرخين كالإدريسي (ت.1166م) قال: "**ومنه إلى سوق بني زندوي، وهو حصن في بسيط قليل الحصانة، وهي سوق لها يوم في الجمعة**"[1]، وابن خلدون (ت.1403م) كذلك ذكرهم في هذه الجبال قال: "**ومن ملوسة هؤلاء: بنو زلدوِي أهل الجبل المطل على قسطنطينة لهذا العهد**"[2]، وفي موضع آخر قال: "..**إلا من اعتصم بقنة الجبل مثل بني زلدوي بجبالهم**..."[3]، وذكرهم الحميري (ت.1327م) في الروض المعطار قال: "**وبالقرب من ميلة جبل العنصل ويسمى اليوم جبل بني زلدوي وهم قبيل كبير من البربر سكنوا ذلك الجبل**..."[4] كما ذكرهم الدارجي بوزياني هنالك قال: "**ومنهم أيضا فرع بني زلدوي الموجودون بالجبال المشرفة على قسنطينة، ويعرفون ببني زونداي**"[5]، وهم اليوم في الجبال بين جيجل وسطيف متوزعون على قطبين كبيرين:

---

[1]– **الإدريسي**: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، م س، ص120.

[2]– **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص196.

[3]– م ن، ص196.

[4]– **محمد بن عبد المنعم الحميري**: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان-بيروت، ط2، 1984، ص569..

[5]– **الدراجي بوزياني**: القبائل الأمازيغيّة، م س، ج2، ص163.

- **(جبل الرحمن)** قُرب الميليّة ومن هناك تتوزع على طول جبال مسيد عيشة وسيدي إدريس إلى جبل سڤاو، وقيادتهم هنالك في فرعهم الكبير بني تليلاَن.
- **(جبل بابور)** وهو جبل العنصل الذي ذكره الحميري وهناك يتوزعون إلى جبل جيجل، وكانت مجالاتهم ممتدة إلى مجرس القديمة وسهل ملوزة بالمسيلة.

وهؤلاء (بني زونداي) لا يزالون على هيئتهم منذ العصر الوسيط وهم أكبر قبيلة بمنطقة جيجل، خصوصًا بعد دخول روافد كثيرة عليهم من جهة السهول الجنوبية ومن جهة بجاية، مثل عرب أولاد نابت وشرفاء أولاد عبد الرحمن الخرشفي وغيرهم.. وقد كانت لهم رياسة مشهودة بـ(جبل الرحمن) على زمن (إمارة أولاد ثابت بن تليلان) من فروعهم، لكن الحفصيين قضوا عليها وأدخلوا جبلهم في الجباية.

أخلاط قبيلة بني زونداي ومشيختهم:

تعددت التقارير في شأن هذه القبيلة، وقسّمها الفرنسيّون وفق خرائط كثيرة لتفكيكها والاستيلاء عليها، وبعد قراءة مستفيضة لتلك التقسيمات خلصنا إلى أنها ثلاثة أقسام رئيسَة، وفيها دواوير، وفي كل دوار أعراش، وفي كل عرش فروع، وأقسامها الكبرى هي: **(بني زونداي القبالة)** و**(بني زونداي الظهرة)** و**(بني تليلان)**.[1]

---

[1]- **Voir** : **Louis RINN** : Le Royaume d'Alger sous le dernier Day, Revue Africaine, Op.cit, N° 228, 1898, p 304-305. Et **Dictionnaire des Communes de l'Algérie**, Pierre FONTANA, Alger, 1903, p35.

فأما **بنو زونداي القبالة** فتنقسم إلى دوارين اثنين كبيرين:

- دوار (**مرج إزراڤن**) ويُنطق اليوم (إيراڤن) ويضم الأعراش التالية:
(**العوانة**)، (**الخراشّة**) ومنهم عرب آفطيط ويسمون أيضا آفطيطن، (**آجمعان**)، (**القروة**)، (**الرحامنة**)، (**الغوالة**) أهل سرج الغول، (**الهدابلة**)، (**أولاد بورنان**)، (**أولاد حامد**)، (**أولاد خليفة**) ويسمون أيضا آكماش، (**السواسة**)، (**الزناتة**)، (**الزواتنة**).

- دوار (**تابابورت**) ويضم الأعراش التّاليّة:
(**بني عيسى**)، (**أولاد نابت**) رؤساء قبيلة (ڤرفة) العربيّة المستلحمون في هذه الجبال، وفروعهم بني عاشور و ورجيتن وأولاد سعد أولاد ڤطي وبني بورغدة وأولاد اعمر، (**بني بزّاز**) وفروعهم بني عمارة وأولاد سيدي الميهوب ويوريسن، (**بني معاذ**) وفروعهم أولاد خالد وتيزرارات وفخيم وأولاد سفيرين (ويسمون أيضا السفريَّة) والورمة وأولاد بادي، (**بني جبرون**)، (**بني مَرمي**)، (**البيضاء**)، (**العلمة**)، (**الهدابلة**) وفروعهم النّاظور ووادي بهاس، (**الكواحة**)، (**الأربا ع**)، (**أولاد علي**)، (**أولاد بورنّان**)، (**أولاد الشّيخ**)، (**أولاد جار الله**)، (**تاغزوت**)، (**ياشيران**)، (**زيامَة**).

وأما **بنو زونداي الظهرة** فتنقسم إلى ثلاثة دواوير كبيرة هي:

- دوار (**سرج الغول**) ويضم الأعراش التالية:

(**العمارشة**)، (**الريشيّة**)، (**أولاد حليمة**)، (**أولاد الكاف**)، (**الدّعاسة**)، (**القزازلة**)، (**كاف الواد**)، (**كوكلاس**)، (**الحمادة**)، (**بو ردين**)، (**أولاد سبع**)، (**السّوالمة**) ومنهم الحدادة، (**البيضاء**)، (**بو الدمامن**)، (**العلاوشة**)، (**النّمالة**)، (**آمديج**)، (**العبابسة**)، (**أولاد منعة**).

- دوّار (**البابور**) ويضم الأعراش التالية:

عرش (**أولاد سالم**) وفروعه: (**دار الغنم**)، (**المصامصة**)، (**ابن ذباح**)، (**فيراوة**)، (**الحراكتة**)، (**بو شنين**)، (**بوالحليب**)

عرش (**العناصر**) وفروعه: (**بني دراسن**)، (**المشامشة**) و(**كموش**) وهم فرعان من أولاد بادي من بني معاذ عندهم، (**تالوباقت**) وتسمى أيضا حمدي، (**مجرفي**).

عرش (**الجوادة**) وفروعه: (**بني سعيد**)، (**بني بزّاز**) ومنهم أولاد عيّاد، (**بو صلدوع**) ويسمون أيضا أبي موسى.

- دوار (**عرباون**) ويضم الأعراش التالية:

(**بني مجالد**)، (**الريايشة**)، (**الريايسة**)، (**الشوارف**)، (**زونداي**).

ولضخامة قبيلة بني زونداي، عدّ الفرنسيون كل فرعٍ منهم قبيلةً منفصلة، وأعدوا لها تقارير كثيرة، وقد وجدنا في تقاريرهم لسنة 1845م ذكر فروع الخراشّة وبني عيسى وبني معاذ وأولاد نابت، فأما (الخراشة) فذكر رياستهم عند الشيخ أحمد بن مسعود، وفرعهم (عرب آفطيط) ذكر رياستهم عند الشيخ بن بالوز.

وأما (بني عيسى) فقد ذكر أنهم قبيلة واحدة ليس لها فروع على ذلك العهد، وذكر رياستهم عند الشيخ بن بورويغة.

وأما (أولاد نابت) فهم فرع من قبيلة (ڤرفة) العربيّة كثيرة التوزع في النواحي، وسيأتي ذكر تفاصيله النسَبيّة بأدلتها في حينه.

وأما (بني معاذ) فقد ذكرهم ابن خلدون (ت.1403م) ذكرا مفردًا في بطون كتامة، قال: "**ومن غرسن مصالة وقلان وماوطنت ومعاذ بنو غرسن بن كتام**"[1]، وذكر الدراجي بوزياني في كتابه القبايل الأمازيغية فرعهم الساكن ناحية الميليَّة قال: "**ثم معاذ بن غرسن الذي يبدو أن بني معاذ القريبة من الميليّة تنتسب إليه**"[2]، وهذه القبيلة منفصلة عن بني زونداي ولكن فروعها التي ذكرنا مكتنفون بهم وداخلون في عدادهم، وفرعهم الموجود جنوب الميلية مكتنف أيضًا بقبايل بني خطاب وبني تليلان، وقد ذكر الفرنسيون في تقاريرهم تلك الفروع وشيوخها، فكان شيخ (أولاد خالد) هو محمد بن مبارك، وشيخ (تيزرارات) هو الشيخ عمر بن عميمس وهو شيخ بني معاذ كلهم، وشيخ (فخيم) هو مبارك بن بودورة، وشيخ (السفريَّة) هو بلقاسم بوبكر، وشيخ (الورمة) هو عمر بن آيرّام، وشيخ (أولاد بادي) هو علي بن يحيى.

---

[1]– **ابن خلدون**: كتاب العبر: م س، ج6، ص196.

[2]– **الدراجي بوزياني**: القبايل الأمازيغية، م س، ج2، ص163.

انفصال قبيلة بني تليلان عن بني زونداي:

وأما (بني تليلان) فبلادهم جبال الميلية الجنوبية، وهم بقايا قبيلة بني زونداي التي رحلت من وطنها الأول بالجبال التي بين الميلية وقسنطينة إلى جبال بابور جنوب مدينة جيجل، فقد ذكرهم ابن خلدون (ت.1403م) هنالك على عهده قال: "**ومن ملوسة هؤلاء: بنو زلدوِي أهل الجبل المطل على قسطنطينة لهذا العهد**"[1]، كما ذكر بقاياهم من بني تليلان في المكان ذاته في الجبل المطل على قسنطينة فقال: "**ومن بطون كتامة وقبايلهم أهل الجبل المطل على القل ما بينه وبين قسطنطينة، المعروف برياسة أولاد ثابت في حسن بن أبي بكر من بني تليلان، ويقال إن أبا بكر هذا الجدّ هو الذي فرض المغرم على أهل هذا الجبل لأيام الموحّدين، ولم يكن قبل ذلك عليه مغرم، فلما انقرض ملك صنهاجة وغلب الموحّدون على أفريقيا وفد أبو بكر هذا على الخليفة بمراكش ونجع بالطاعة والانقياد، وتقرب إليه بفرض المغرم على قبيله بالجبل..**"[2]، ويبدو أن قصة التحاق جدّهم هذا بحكم الموحدين كان بعد اجتماع القبيلة الكبرى بني زونداي إلى جبال جيجل لما كان يلحقها من أذى الحماديين الذي كان سببه أنهم كانوا أنصار الفاطميين قبلهم، وهذا كلّه مفصّل في كتابنا (التاريخ الكامل لمنطقة الميلية) فانظر هناك تجده، غير أن إمارتهم التي أسسها هؤلاء بنو ثابت بن تليلان كان تمتدّ إلى حدود فرجيوة.

[1]– **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص196.

[2]– **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص199.

أخلاط قبيلة بني تليلان ومشيختهم:

لم يذكر الفرنسيّون في تقاريرهم أيًّا من الفروع المشهورة لبني تليلان، فاكتفوا بجعلها فرعًا واحدًا متوزعًا[1]، بينما فروعهم كثيرة وهي: **(بني أسامة)**، **(بني يزّار)**، **(بني دَاود)**، **(أولاد رَابح)**، **(المَايدة)**، **المعلّقة)**، **(دار أحمد)**، **(القليعَة)**، **(الأحد)** موضع سوقهم، **(آندلو)**، **(القلعين)**، **(بوحامد)**، **(غبالَة)**، **(مشنوعة)** وفيهم أيضًا فرع من قبيلة عجيسة البربرية القديمة، واسمُه كما هو **(عجيسَة)**.

وأما مشيختهم فقد ذكر منها ابن خلدون والنميري أمراءهم على زمن الموحدين ثم المرينيين والحفصيين من بعدهم، وقد ذكرناهم في فصل (أحمد بن ثابت) من هذا الكتاب فانظر هناك تجدهم، ثم ذكر الفرنسيون من مشيختهم (حسين التليلاني) الذي عاصر ابن الأحرش البودالي سنة 1804م.

---

[1]– **Voir** : **Dictionnaire des Communes de l'Algérie**, Op.cit, p35.

بني صبيح :

ونسبُ هذه القبيلة مَوصولٌ بفرع "ڤرفة" من قبيلة بني هلال العَربيَّة بشهادة ابن خلدون (ت.1403م) في كتاب العبر قال: "**وهم بطون كثيرة، فأولهم: بنو محمد بن ڤرفة ويعرفون بالكلبية، وأولاد سهيب بن محمد بن كليب ويعرفون بالشبه، وأولاد صبيح بن فاضل بن محمد بن كليب ويعرفون بالصبحة، وأولاد سرحان بن فاضل أيضاً ويعرفون بالسّرحانية..**"[1]، وهؤلاء ڤرفة استعملهم الحفصيّون عند بداية دولتهم في مدافعة قبايل (رياح) من الدواودة الهلاليين فغلبُوهم، لكن الدائرة دارت عليهم بعدما استرجعت (رياح) قوتها وأزاحتهم عن أرضهم بضواحي قسنطينة ومجالاتها، وشتتهم في البلاد فأخذ فرع منهم الطريق من قسنطينة إلى جيجل حتى نزل ضواحي أرض بني تليلان واكتنف بهم، ورحل البقيّة إلى ضواحي جبل أوراس وتوزعوا فيه، ومنهم ناحية عين مليلة مدينة (قصر الصبيحي)، وآخرون في ضواحي بسكرة.

هذا نسب (بني صبيح بن فاضل) في قبايل بني هلال العربية، أما جدُّ هؤلاء فهو (صبيح ابن فاضل بن محمّد بن كليب بن أثبج بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال)، ولا يختلط نسبُ هؤلاء (بني صبيح بن فاضل) فرع قبيلة (ڤرفة) الهلاليّة الموجود بجيجل والأوراس، بـ(بني صبيح بن علاج) فرع قبيلة (زغبة) الهلاليّة ناحية بوقادير من ضواحي الشلف في بلدية (الصبحة)، لأن لكل منهما نسبًا، والتشابه في التسميَة فقط.

---

[1]– **عبد الرحمن ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص31.

أخلاط قبيلة بني صبيح ومشيختهم:

ولم يذكُر أحدٌ من النسّابة أو المؤرخين الفروع القديمة لقبيلة (بني صبيح) النازلة بمنطقة جيجل، لا الحفصيين منهم ولا العثمانيين، ولكن الراجح في نظرنَا أنهم اندمجوا في بني تليلان الكتاميين فاستلحموهم واختلطوا بهم غاية الاختلاط، وقد وجدهم الفرنسيُّون كذلك[1]، وما تزال كما هي مع زيادة في عدد ساكنيها بشكل متقطّع تبعًا للأزمان والأحداث، وفروع بني صبيح هي: (**الڤفش**)، (**تايرّاو**) وهو دوار كبير منقسم إلى ثلاث مداشر، (**دار الڤڤرَا**)، (**أوجيلّيل**)، (**دار الواد**)، (**طهر القيقب**)، (**حذيفة**)، (**المقطع**)، (**الدرامَّة**) وهم أهل بودرهمين التي تنطق بودرمين[2]، (**بلاد بغريش**)، وبقيَّة من حافظوا على تسمية (**بني صبيح**).

أما الرياسة في بني صبيح فلم يردنا من أسماء شيوخهم الكثير سوى المرابط بغريش على عهد إمارة ابن الأحرش البودالي، ثم ابنه بلقاسم بن بغريش من بعده على عهد رياسة بورنان بن عز الدين، ثمّ لما دخل الفرنسيون محوا مشيختهم وأزالوها على غرار القبايل كلها، وأدخلوهم في قيادة بني تليلان تحت إمرة القايد بويح (بوية).

---

[1]– **Voir** : **Dictionnaire des Communes de l'Algérie**, Op.cit, p34.

[2]– (**الدرامّة**) جماعة أسرية لقب مفردُها (بودرمين)، كان الأصل في لقبهم (بودرهمين) ولكن الفرنسيين أهملوا حرف (h) في نطقه بالفرنسية (Boudermine) فترجم إلى العربيَّة من دونه (بودرمين)، وقد أوردنا في كتابنا (التاريخ الكامل لمنطقة الميليّة) أن أصلهم من (أولاد دباب) بحكم موضعهم من أعراش بوخداش والسهريج، ولكننا وجدناهم في التحقيق عرشًا في (بني صبيح) ولم نهتدِ إلى دليل يرجحُ أحد الرأيين.

بني سقوال:

وقبيلة (بني سقوال) كبيرة كثيرة الانتشار في نواحي جيجل وميلة، فرعهم الآخر قابع في نواحي القرارم جهة ميلة اسمه (**سقدال**) بالتصحيف، ثم انتشروا من هناك في أزمنة سحيقة من العصر الروماني إلى ساحل الميليّة ثم إلى جيجل ويسميهم الرومان هنالك الزيميز (Zimizes)، ثم دفعتهم قبايل إجانة عن ساحل مدينة جيجل إلى ناحية زيامة المنصوريّة، وفي هذا القِدَم الظاهر دليلٌ على أنهم فرعٌ عريق انضمّ إلى كنفدراليّة سدويكش الكتاميّة الكبرى، وهي منتشرة في بلاد ميلة وفرجيوة في البسائط منها، وقد ذكرها ابن خلدون (ت.1403م) وذكر فروعها بالتفصيل قال: "**وأما البسائط فأشهر من فيها منهم قبايل سدويكش ورئاستهم في أولاد سواق. ولا أدري الى من يرجعون من قبايل كتامة المسمين في هذا الكتاب إلا أنهم منهم باتفاقٍ من أهل الأخبار (..) هذا الحي لهذا العهد وما قبله من العصور يعرفون بسدويكش وديارهم في مواطن كتامة ما بين قسطنطينة وبجاية في البسائط منها، ولهم بطون كثيرة مثل سيلين وطرسون وصدغيان ومواليت وبني قشة وبني لمائي وكايازة وبني زغلان والبويرة وبني مروان وآركسن وسقوال وبني عياد**.."[1]، كما ذكر تفصيل ذلك موسى لقبال (ت.2009م)، والدراجي بوزياني قال: "..**وهاتان القبيلتان هما بنو ثابت وسدويكش**"[2]، أي بقايا كنفدرالية كتامة القديمة.

---

[1]– **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص197.

[2]– **الدراجي بوزياني**: القبايل الأمازيغية، م س، ج2، ص163.

لا شكّ أن فرع بني سقوال الذي دخل في حلف سدويكش هو فرع ميلة لا فرع جيجل، لأن زمن نزول الفرع الجيجلي سابق بقرون كثيرة لتأسيس هذه الكنفدراليّة، ومع ذلك لا ننكر عليه انتماءً لهذا الحلف بحُكم القرابة النسَبيّة التي كانت تكتسي أهميّة سياسية بالغة في تلك الأزمنة.

أخلاط قبيلة بني سقوال ومشيختهم:

ذكر تقرير الفرنسيين لسنة 1845م فروع بني سقوال زيامة المنصورية كالآتي ذكره: **(أولاد براهم)**، **(أولاد بوعفان)**، **(أولاد بوغابة)** أو لعلّها بوربعة أو بوربا، **(أولاد عياد)**، **(أولاد خليفة)**، **(أولاد بوبكر)** وفروعهم الخمالة وأولاد عمر، **(أولاد بوصفة)**، **(بني كرم)**. وفيهم أيضًا فرع (بني آمقران) على زاوية هناك بلغنا اسم شيخها الثائر على الفرنسيين (عمر بن آمقران).

بينما ذكرهم لويس رين سنة 1898م في ستة فروع فقط وأهمل اثنتين: **(آيت بوبكر)**، **(أولاد بوربا)**، **(آيت عياد)**، **(أولاد خليفة)**، **(آيت بوعفان)**، **(بني كرم)**[1] ولم يذكر فروع أولاد بوصفة وأولاد براهم، فإما أن تكون انتقلت إلى سكن آخر بعد الثورات والانتفاضات، وإما أن تكون استلحمتها فروع أخرى في المجالات.

---

[1]– **Voir** : **Louis RINN** : Le Royaume d'Alger sous le dernier Day, Revue Africaine, Op.cit, N° 228, 1898, p305. Et **Dictionnaire des Communes de l'Algérie**, Op.ct, p34.

وقد ذكر الفرنسيون مشيخة بني سقوال هؤلاء على عهد دخولهم سنة 1845م، فأما فرع زيامة المنصورية الأصلي فكانت رياسة (أولاد براهم) فكانت عند الشيخ محمد بن سعيد، وأما شيخ (أولاد عياد) فهو أحمد بن عمر، وشيخ (أولاد خليفة) هو اعمر بن بلقاسم، وشيخ (أولاد بوبكر) هو عمر بن جمام، وفرع أولاد بوبكر المكتنفون ببني فوغال، كانت رياسة الخمالة عند الشيخ محمد بن براهم، وشيخ أولاد عمر هو عمر بن عبد الله بن مقياس، وشيخ (أولاد بوصفة) هو سعيد بن مصطفى، وشيخ (أولاد كرم) هو عبد القادر بلّكرم.

بني فوغال:

وأما هؤلاء (بني فوغال) فهم قبيلٌ وافر العدد كثير التوزع على سائر البلاد المغاربية، وفي نسبهم تحقيق لأن الروايات الجمعيّة كثيرة ومختلفة في شأنه، بين من يثبتهم في نسب قبيلة (ملّوسة) من كتامة، وبين مَن يعدُّهم عربًا نازلين بقرية (فوغالة) من ضواحي بسكرة، وبين من يدّعيهم في نسب الشرفاء الأدارسَة في نسل الرجل المدعو (محمد القليل) الذي سيأتي الحديث عنه في هذا الكتاب، ولذلك لابدّ من الاعتماد على المصادر الثابتة الأكيدة للفصل في هذا الخلاف.

وأقدم ذكرٍ لهذا الفرع القبليّ في المصادر هو ما أورده البكري (ت.1094م) في القرن 11م عن وجوده في قريةٍ من قرى (ملوثة) التي هي تصحيف (ملوسة) الكتامية شمال المغرب الأقصى، وذكر موضعهم ناحية تيطوان في قرية (مجاز فكّان) قال: "..**مجاز فكّان وهو موضع ملوثة يركب لهم خمسمائة فارس وهناك الموضع المعروف بالرصافة وكدية تافوغالت**"[1]، وقال لقبال (ت.2009م) في تحقيقه أنهم مازالوا موجودين إلى اليوم مندمجين في قبيلة صنهاجة هناك، بينمَا يؤكّدُ أن انتقال هؤلاء (ملوثة) كان على زمن توسع الدولة الفاطميّة إلى المغرب الأقصى في القرنين 09م و10م[2]، وهو زمن بعيدٌ في القدم، وبالنظر إلى تسمية موضع القبيلة في ذلك الزمن بهذه الصّيغة البربرية (تافوغالت) دليلٌ على كون لسانها ما يزال بربريًّا حينها وينفي كون أصلها عربيًّا، كما

[1]– **البكريّ**: المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب، م س، ص 108.

[2]– **موسى لقبال**: دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، م س، ص163.

أننا لم نجد في معاجم العربيّة معنى للأصل اللغوي (ف غ ل) ولا وجدنا ذِكرًا لهذه القبيلة فيما وقعت عليه أيدينا من مصادر القبايل العربيّة، ويفسّر غياب ذكر هؤلاء (بني فوغال) في كتب المؤرخين والجغرافيين الذين تحدثوا عن مجالات كتامة قبل البكري (ت.1094م) كاليعقوبي (ت بعد.905م) والنعمان (ت.974م) وابن حوقل (ت.977م)، أنهم كانوا قبل ذلك فرعًا صغيرا وغير مؤثر من قبيلة (ملّوسة) في مجالاتها القديمة بالجبال التي بين قسنطينة وسكيكدة، فاكتفى هؤلاء الكتّاب بذكر الاسم العام للقبيلة دون تفاصيلها، وربّما لم يكن هذا الفرع آنذاك موجودًا وحاملاً لهذا الاسم حتى نزلت (ملوسة) بالمغرب الأقصى بقرية (مجاز فكّان)، فاجتمعت بعض فروعها بالموضع المسمى (كُدية تافوغالت) ونُسبوا إليه، ثم هاجروا منه إلى مواضع أخرى بالتسميّة المعرّبة (بني فوغال)، خصوصًا وأننا لم نسمع في روايات هؤلاء شيئا عن انتسابهم في جدّ اسمه (فوغال)، وأن المجالات التي نزلوا فيها هي أصلاً لصنهاجة.

ويذكر لنا ابن خلدون (ت.1403م) في القرن 14م فرعًا قويًّا ومؤثرا من هذه القبيلة في سجلماسة بين المغرب الأقصى والصحراء الغربية، وجدهُ مندمجًا في فروع (مكناسة) وعدّه فرعًا منهم قال: "..**وكذلك عدّوا في بطون مكنة: بني يصلتن وبني تولالين وبني ترين وبني جرتن وبني فوغال، ولمكناسة عندهم أيضاً بطون كثيرة**"[1]، ورأيه هذا يفتحُ باب التسَاؤل هل لهذا الفرع في (مكناسة) علاقة بالفرع الموجود في (مجاز فكّان) أم هو تشابه في التسمية؟ إننا استنادًا إلى تأخر رواية ابن خلدون (ت.1403م)

[1]– **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص 170.

عن رواية البكري (ت.1094م) بحوالي أربعة قرون، وتطوّر التسميَة أنوماستيًّا من (تافوغالت) البربرية إلى (بني فوغال) المعرّبة، نرجح أن جزءًا من هذه القبيلة قد هاجر إلى سجلماسة في زمن غير معلوم وأنشأ له فرعًا هناك فاستلحمته كنفدرالية (مكناسة) وصار معدودا في فروعها حتى وجده ابن خلدون (ت.1403م) كذلك، ومن ثمة يمكننا التقدير بأن هؤلاء (بني فوغال) هم جماعات من قبيلة (ملوسة) هاجروا معها إلى المغرب على زمن الفاطميين، ثم أخذوا تسميتهم من مكان هناك اسمه (كدية تافوغالت) بنواحي (مجاز فكّان)، ثم توزعوا في الأقطار وانتقل منهم فرعٌ جنوبًا إلى سجلماسة واندمج في (مكناسة)، ثم هجرت فروع أخرى إلى البيئة القديمة للقبيلة بجبال بابور جيجل، ونزلوا عند بني عمومتهم في قبيلة (ملوسة) وهم بني زونداي.

وأمّا منطقة (فوغالة) الموجودة بناحية بسكرة فهي جديدة لم نجد لها ذكرًا في مصادر العصر الوسيط، لذلك نرجّحُ أيضًا أن يكون قد هاجر إليها فرعٌ من المغرب الأقصى ونزل بها فنُسبت إليه، ولكن أن تكون هي منطلق أصله كما ادّعاه شارل فيرو فذلك أمر مستبعدٌ، بالنظر إلى غياب ذكرها في المصادر الوسيطيّة بالرغم من وجودهَا في مكان حافل بالصراعات بين العرب الفاتحين والقبايل البربرية، وأكثر أهلها اليوم هم قبايل (البوازيد) الذين يصلون نسبهم بالشرفاء (أولاد سيدي بوزيد).

وأما ما يذكره الرواة الشفهيّون عن رجوع أصلهم إلى (محمد القليل بن الحساني) في الشرفاء، فقد مرّ ذكرُه بالتحقيق في فصل الشرفاء من هذا الكتاب فانظر هناك تجده، وهو نسبٌ غير متصل وغير صحيحٍ لأنه غير ثابت في كتب الشرفاء، والرجل المذكور

نزل بهذه القبيلة واستوطنها في زمن قريب هو القرن 16م حسب الرواية، بينما يعود وجود القبيلة إلى زمن غائر، يدلُّ على ذلك ذكرهُم عند البكري (ت.1094م) وابن خلدون (ت.1403م)، ولو كان (محمّد القليل) جدّهم الأول لسمّوا أنفسهم (أولاد محمد) أو (أولاد القليل) وما الداعي إذن لجعل اسمهم (بني فوغال)!؟

وفي ضواحي ڤالمة من جهة (الفجوج) و(بوعاتي) فرع آخر ضخم اسمه (بني فوغال)، أبدلهم إياها العثمانيون مقابل أراضيهم التي في جبال جيجل من أجل تجارة أخشابها المسماة الكريستة (القرّيطة Karasta)، ثم التحق بهم آخرون على زمن الفرنسيين.

وتكتنف بقبيلة بني فوغال فروع قبليّة كثيرة نزلت بالمنطقة في أزمنة متفرقة مثل (**بني ورزدّين**)، وفروع أخرى اجتمعت في حلفٍ يسمّى (**العوانة**) وهم: (**أولاد بوبكر**)، (**أولاد تبان**) وفروعها: (**أولاد سعد**) و(أولاد محمد)، (**بني سكفال**) من جيملة، (**عرب آفتيس**)، (**الشكاروة**)، (**الخراشّة**)، (**بني خزر**)[1] من مغرواة الزناتية، وبعض العائلات المرابطية مثل (**أولاد طافر**)، وسيأتي الحديث بشأنها في حينه.

أخلاط قبيلة بني فوغال ومشيختهم:

ذكر تقرير نابليون سنة 1845م لقبيلة بني فوغال عشرة (10) فروع بحسب ما وده محققوهم في ذلك الزمن، وهي:

[1]– **Voir** : **Louis RINN** : Le Royaume d'Alger sous le dernier Day, Revue Africaine, Op.cit, N° 228, 1898, p 307.

(أولاد شريط)، **(أولاد شالوم)**، **(العمارشة)**، **(أولاد بلقاسم)**، **(أولاد علي بن أحمد)**، **(أولاد قديدح)**، **(المسيلة)**، **(أولاد خالد)**، **(أولاد زيادة)**، **(أولاد بودودة)**.

أما تقرير سيناتوس كونسلت عنهم سنة 1891م فقد وسّع مجالاتهم كثيرًا وقسّمهم إلى أربعة (04) دواوير: **(بني ياجيس)**، **(بني مجالد)**، **(بني فوغال)**، **(وادي ميسا)**.

ويأتي لويس رين بعد ذلك سنة 1898م فيذكُر لهم فروعًا أخرى ويجعلهم فقط في خمسة (05) فروع هي: **(بني وارث)**، **(أولاد بلقاسم)**، **(أولاد خالد)**، **(أولاد مرابط)**، **(أولاد عبد الله)**[1]، بينمَا يضيف لهم فيرو فروعًا أخرى أوردتها روايتهم في أبناء (محمد القليل) وهي: **(أولاد حارث)**، **(أولاد عطيّة)**، **(أولاد عمار)**.[2]

ونجد في مهاجريهم إلى قالمة الفروع نفسها، وقد أصبحت مع مرور الوقت وتطاول الدهر قبايل كاملة شبه منفصلة، ولكن انتماءها لا يزال مسجّلاً إلى كنفدرالية (بني فوغال) الكُبرى في جيجل.

أما مشيختهم فكانت على عهد العثمانيين الأتراك تارة عند بوعكاز بن عاشور صاحب فرجيوة، وتارة عند أحمد أمقران صاحب جيجل، لما كان لهم من دور في نقل أخشاب الكريستة (القرّيطة) لبناء بيوت قصبَة الجزائر، ثم آلت بعد دخول

[1] – **Voir** : **Louis RINN** : Le Royaume d'Alger sous le dernier Day, Revue Africaine, Op.cit, N° 228, 1898, p 295.

[2] – **Voir** : **Charles FERAUD**: Histoire Des villes De la Provence de Constantine- Djidjelly, Op.cit, p85.

الفرنسيين إلى أسرة بن حبيلس، وقد ذكر الفرنسيون فروع بني فوغال وشيوخهم على ذلك العهد في وثائقهم، فكان شيخ بني فوغال جميعهم هو الشيخ محمد بن خالد، وكان مشايخ فروعهم كالآتي: شيخ (أولاد شريّط) هو محمد بن شريّط، وشيخ (أولاد شالوم) هو العريطي بن شالوم بن بوعورة، وشيخ (أولاد بلقاسم) هو علي بن بلقاسم، ومشيخة (أولاد علي بن أحمد) مفرقة بين الشيخ محمد بن الهويمل والشيخ محمد بن مبارك، وشيخ (أولاد قديدح) هو السعيد بن عمار، ومشيخة (أولاد خالد) مفرقة بين الشيخ محمد بن عيواز والشيخ محمد بن خالد، وشيخ (أولاد زيادة) هو علي بن مبارك، وشيخ (أولاد بودودة) هو محمد بوداود، وشيخ (العمارشة) هو الشيخ الرزيمي، وشيخ (المسيلة) هو الشيخ بن بخمة.

ويذكر المخطوط الذي أوردناه في فصل المُنتسَب إليهم من رجال الشرفاء والأولياء الصالحين من هذا الكتاب بعض أسماء شيوخ آخرين ينتسبون في سيدهم (محمد القليل) المذكور، وهم (الحساني بن أحمد) ومن أحفاده (أحسن بن أحمد) كاتب المخطوط، و(أحمد الشريف بن سي الحسين) ناسخه، وغيرهم من الأجداد في السلسة المذكورة في هذا الفصل فانظر هناك تجدهم.

بني ورزدين:

هذه القبيلة من الفروع المكتنفة بكنفدرالية بني فوغال بمنطقة جيجل، وفرعها الأكبر والأكثر عددًا موجود في بلدية بلخير (Millésimo) قرب قالمة، ولكنها في الأصل قبيلة قديمةُ وعريقة، وقد ورد أول ذكرٍ لها عند علي ابن أبي زرع الفاسي (ت.1326م) في بطون (بني ورتاجن) من كنفدراليّة زناتة البربرية، في نسخة التحقيق الذي قام به محمد بن أبي شنب قال: "..**فولد ورتاجن بن مرين جميع شعوب وقبائل بني ورتاجن وهم تسع عشرة قبيلة أولهم بنو الخير وهم رؤساؤهم، ثم بنو وزيتن (..) ثم بنو تانجانست ثم بنو وريزدير ثم بنو وسان..**"[1]، فلعلهم في هذا السياق هؤلاء (بنو وريزدير) الزناتيين، وقد حاول بن أبي شنب في نسخته وكذلك دار المنصور في تحقيقها لنسخة حسن حسني عبد الوهاب بالمكتبة القومية بتونس، إدخال بعض التصويبات التي مسّت هذا اللفظ وحوّلته إلى (وومرزدر) أو (وومزدر) لأنهما ربما لم يجِدَا لهذا الفرع ذكرًا بعد ذلك في زناتة، ولكن الأرجح عندنا أنّ لفظه صحيح، وأنهم (بني وريزدير) أو (بني وريزدين) التي أصبحت تنطق في بعد اكتناف هذا الفرع بالفضاء الكتامي (بني ورزدين)، وهذه المقاربة تطرحُ إشكال تفسير هذا التواجد الزناتي في الفضاء الكتامي، يجيبُ عنه ابن أبي زرع نفسُه فيذكرُ سيادة لزناتة بضواحي إيكجان قريبًا من هذا الزمن فقال: "**كان علي بن صالح الحسني السرغيني رجلا صالحًا (..) فقضى حجه وزار النبي**صلى الله عليه وسلم **وانصرف راجعا إلى المغرب فمرّ**

[1]– **علي بن أبي زرع الفاسي**: الذخيرة السنيّة في تاريخ الدول المرينية، م س، ص17.

بطريقه بقبلة زاب أفريقية فوجد فيها أحياء بني مرين بإزاء جبل إيكجان فنزل منها على محمد بن وزرير"[1]، هذا التواجد الذي يدلّ على انتجاع هؤلاء المرينيين من زناتة بمواطن كتامة يفسّر وجود (بني وريزدير) في محيط كتامة، ويقوّي كثيرًا هذه المقاربة التي نقلها ابن أبي زرع، ويجعلنا نطمئنُّ إلى حدّ ما للقول بأن (بني ورزدين) هم نواةٌ أصلها من بني ورتاجن فرع بني مرين من كنفدرالية زناتة، وانتقلوا إلى مجال كتامة على الأرجح في إطار رحلاتهم العاديّة أو على خلفية غزوات أميرهم القديم (المخضّب بن عسكر) سيّد تلمسان على مدينة بجاية ومختلف مجالات الزاب القديمة.

هذه الفرضيّة الأنوماستيّة قويّة، بوصف الأحداث والأخبار المحيطة بها تسمح بتمثُّل استلحام طبيعي وعادي جدّا لهذا الفرع النازل بالمجال الكتامي، خصوصًا وهو مستلحَمٌ في كنفدراليّة بني فوغال الملوسية القوية التي صار إليها قيادة المجال الجبليّ لبابور على زمن العثمانيين، بينما نلاحظ أن هجرتهم إلى مدينة قالمة كانت كبيرة، فالفرنسيون يقدرون عدد أفرادهم بقالمة سنة 1903م بنحو 1310 نسمة[2]، بينما يجعلون بقاياهم بجبل جيجل فرعًا صغيرًا من كنفدراليّة بني فوغال وليس له فروع وأكثر مجاله أخذه العثمانيون لاستغلال أخشابه.

[1]– **علي بن أبي زرع الفاسي**: الذخيرة السنيّة في تاريخ الدول المرينية، م س، ص19.

[2]– **Voir** : **Dictionnaire des Communes de l'Algérie**, Op.cit, p34.

بني خزر:

وهؤلاء (بني خزر) هم ملوك تلمسان على عهد الدولتين الأمويّة والفاطميّة، وقد كثر ذكر أسماء ملوكهم عند ابن خلدون (ت.1403م) في كتاب العبر، وذكر شؤونهم مع بلكين بن زيري ملك صنهاجة قال: "**وأغزاهم صاحب تلمسان من أعقاب محمد بن خزر جيوشه مع وزيره أبي سعدى خليفة اليفرني فهزموه، وقتلوه بعد حروب طويلة**"، وقال في موضع آخر من الكتاب ذاته: "**وجهز صاحب تلمسان من بني خزر قائده أبا سعدى اليفرني فكانت بينهم وبينه حروب إلى أن قتلوه بنواحي الزاب** "[1]، وهم بهذه الفرضيّة الأنوماستية فرع من مغراوة من كنفدراليّة زناتة البربرية. ويعود أصل هؤلاء (بني خزر) إلى جدهم الأكبر (وزمار بن صقلاب) ملك مغراوة وسائر أخلاط زناتة على عهد الخلافة الراشدية الثالثة، وقد وفد على الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو أسير، ثم أسلم على يديه فأطلقه وولاّه إمارة قومه، ذكر ذلك ابن خلدون (ت.1403م) قال: "..**من ملوكهم وزمار بن صقلاب جدّ بني خزر، وهو يومئذ أمير مغراوة وسائر زناتة، ورفعوه إلى عثمان بن عفان فأسلم على يده، ومنَّ عليه وأطلقه وعقد له على قومه**"[2]. وبعد تولي الأمويين الحكم كان بنو خزر هؤلاء يوالونهم ببلاد المغرب، حتى ولاية عبد الملك بن مروان، وقد ذكر ابن خلدون (ت.1403م) ذلك أيضا قال: "**واجتمع مع بني خزر أمراء مغراوة على ولاية**

[1]– **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص 171/141/137/27/22..

[2]– **م ن**، ج6، ص 171/141/137/27/22..

المروانية"، كما ذكرهم في مواضع كثيرة صفحاتها في الهامش، فمن أراد الاستزادة من أخبارهم فلينظر هنالك يجده.

وبعد انهزامهم أمام (بلكين بن زيري) وذهاب ولاية الأمويين بتلمسان لصالح الفاطميين، انتقل أولئك (بني خزر) إلى سبتة على السّاحل الشمالي للمغرب الأقصى، ومنه التحقوا بسلطة الأمويين بالأندلس، ونزلوا بالجزيرة الخضراء، ذكر ذلك ابن خلدون (ت.1403م) قال: "**ثم غزا (بلكين) جموع زناتة بسجلماسة وأوقع بهم، وتقبضّ على ابن خزر أمير مغراوة فقتله، وأجعل ملوكهم أمامه مثل بني يعلى بن محمد النفري وبني عطيّة بن عبد الله بن خزر وبني فلفول بن خزر، ويحي بن علي بن حمدون صاحب البصرة وبرزوا جميعاً بقياطينهم إلى سبتة، وبعثوا الضريح إلى المنصور بن أبي عامر فخرج بعساكره إلى الجزيرة الخضراء..**"[1]، وتفرق من بقي منهم في مواطن كثيرة، وفي الجزيرة الخضراء (قصر كتامة) الذي تحدّث عنه ياقوت الحموي، ولعلهم خالطوهم وعاشوا معهم هنالك قروناً طويلة.

وبعد سقوط الأندلس بأيدي الصليبيين في أواخر القرن 14م، وتفرق أهلها على البلدان والمواطن، خرج هؤلاء (بني خزر) من الجزيرة الخضراء وهربوا إلى كل مكان، فاتبع فرع منهم المتوجهين إلى موطن كتامة القديم وهاجر إليه فنزل بساحلها، ثم انقسم إلى فريقين: فريق صغير منهم نزل قرب مدينة جيجل واكتنف بقبايل بني

[1]– **م ن**، ص 171/141/137/27/22..

فوغال وهم موضوع حديثنا، وفريق آخر نزل قريبًا منهم بين القل وسكيكدة اسمهم كذلك (أولاد خزر) وهم أكثر عددًا من الفرع الأول.

أخلاط قبيلة بني خزر ومشيختهم:

ليس في قبيلة بني خزر التي بناحية جيجل سوى عرشين هما: **(بني الخلفة)** و**(بني ليفر)**، وفيهما أسر قليلة ذكرها الفرنسيون في تقريرهم الأول عنهم سنة 1845م.

أما مشيخة بني خزر الذين بجيجل فعائدة إلى بني فوغال الذين هم مندمجون فيهم مختلطون بأهلهم، وهم على سننهم يقتادون لهم ويقصدون أسواقهم بالإضافة إلى أسواق بني أحمد ومدينة جيجل.

أولاد تبَّــان:

وهؤلاء (أولاد تبان) هم بطن من بطون قبايل عياض الهلالية مُستَلحَمٌ في كنفدرالية بني فوغال الكتاميّة، ذكر ابن خلدون (ت.1403م) نسبهم في فرع (المرتفع) من فروع (عياض) من قبايل دريد الأثبج الهلالية، كما ذكر رياستهم في (أولاد محمد) الذين سيأتي ذكرهم قال: "**وبقيت عياض والضحاك بمواطنهم بأفريقيا: فعياض نزلوا بجبل القلعة، قلعة بني حماد، وملكوا قبايله وغلبوهم على أمرهم، (..) فأولهم مما يلي غنية (المهاية) ورئاستهم في أولاد ديفل، ومعهم بطن منهم يقال لهم الزير، وبعدهم (المرتفع) و(الخراج) من بطونهم. فأما المرتفع فثلاثة بطون: أولاد تبان، ورياستهم في أولاد محمد بن موسى..**"[1]

ويرجع نسب هؤلاء بحسب ابن خلدون إلى تبّان بن المرتفع بن عياض بن دريد ابن أثبج بن هلال، ولعلهم اكتنفوا في بني فوغال بعد انتقالهم من جبال المعاضيد بالمسيلة عقب حروبهم مع الموحدين ومن يواليهم من قبايل رياح بني سليم، فقد فلهم اليوم بلديّة (أولاد تبّان) جنوب سطيف، وقريبًا من موطن بني زونداي وبني فوغال أحفادُهم في القبايل المسماة (العياضي) من مجالات فرجيوة على الطريق بين بني فوغال والمسيلة، ولذلك ليس بعيدًا أن تكون تلك طريقهم التي اتبعوها للوصول إلى جيجل منطقة جيجل والاستقرار فيها والله أعلم.

[1]– **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص 33.

أخلاط قبيلة أولاد تبّان ومشيختهم:

وتتكون قبيلة أولاد تبّان من أعراش كثيرة ولكل عرش فروع ذكرها الفرنسيون في تقريرهم لسنة 1845م، وهي:

- عرش (**أولاد سعد**) وفروعهم: (أولاد أحمد)، (أولاد معمر)، (بني بونمرة)
- عرش (**أولاد محمد**) وفروعهم: (أولاد محمد)، (بني حمدان)، (بني مهدي)، (أولاد سي الصديق).
- عرش (**بني عربيدة**) ولهم فرع واحد.
- عرش (**العوارطة**) ولهم فرع واحد.

وقد كانت الرياسة فيهم جميعهم إلى (أولاد محمد) مثلما أورده بن خلدون (ت.1403م) في قوله السابق: "**فأما المرتفع فثلاثة بطون: أولاد تبّان، ورياستهم في أولاد محمد بن موسى..**"، لكن الفرنسيين لما دخلوا عدّوهم قبيلة منفصلة لتعدد فروعهم، كما عدّوا قبيلة (أولاد سعد) أيضا قبيلة منفصلة عنهم رغم اعترافهم في هامش تقريرهم أن النسابة القبايل يذكرون أنهم قبيلة واحدة: "**هاتان القبيلتان ليستا سوى قبيلة واحدة في رواية القبايل**"[1]، وربّما يتعلق أمر الفصل بينهما ببلوغهما عددًا كبيرًا يسمح بذلك.

[1]– انظر هامش تقرير الفرنسيين المتعلق بقبيلتي (أولاد سعد) و(أولاد تبان) لسنة 1845م.

أما الرياسة في هؤلاء القبايل المكتنفة في بني فوغال فعائدة في قديم الدهر إليهم، ثم دخلوا في رياسة أسرة بن حبيلس، ثم ذكر الفرنسيون مشايخهم سنة 1845م، فأما في عرش (أولاد سعد) فقد كان شيخ (أولاد أحمد) هو أحمد بن خراشة، وشيخ (أولاد معمر) هو سعيد بن معمر، وشيخ (بني بونمرة) هو محمد بن صالح، بينما كان شيخ عرش (أولاد سعد) جميعا هو أحمد بن خراشة، أما في عرش (أولاد محمد) فقد كان شيخ (أولاد محمد) هو زبير بن الحاج بن زكري، وشيخ (بني حمدان) هو يحيى بو الجنون، وشيخ (بني مهدي) علي بن بوحنك، وأما (أولاد سي الصديق) فهم أسرة مرابطية من ثلاثة شيوخ لم يفصل لنا الفرنسيون أسماءهم، وشيخ عرش (أولاد محمد) جميعا هو زبير بن الحاج بن زكري، وأما (بني عربيدة) فقد كان شيخهم سعيد بن أحمد بن العربيد، وأما (العوارطة) فشيخهم هو علي بن بوعرش، ثم بعد أن قتله الفرنسيون تولى مكانه الشيخ عمر بن محمد.

أولاد نابت:

وهؤلاء (أولاد نابت) لعلهم أولاد نابت بن فاضل رؤساء قبيلة (ڤرفة) الذين انهزموا على عهد الحفصيين أمام (رياح) الهلاليّة فأخرجتهم من ضواحي قسنطينة، فتفرقوا إلى شمال سطيف ولجؤوا إلى جبل بابور، وإلى ناحية جبل الأوراس، ذكرهم ابن خلدون (ت.1403م) في عدّة مواضع: "..**ڤرفة (..) وهم بطون كثيرة، فأولهم: بنو محمد بن ڤرفة ويعرفون بالكلبية، وأولاد سهيب بن محمد بن كليب ويعرفون بالشبه، وأولاد صبيح بن فاضل بن محمد بن كليب ويعرفون بالصبحة (..) ثم أولاد نابت بن فاضل، وهم أهل الرياسة في ڤرفة..**"[1]، وهم مكتنفون في قبيلة بني زونداي من كنفدرالية ملوسة بالاسم نفسه (أولاد نابت)، على الطريق القديمة بين سطيف وجيجل، وقد أسلفنا شرح ذلك.

وقد استُلحِم هذا الفرع من بني زونداي ثم من رؤساء ملوسة (بني فوغال)، لذلك أخلط في تسجيلهم الفرنسيّون، فنسبوهم تارة إلى بني زونداي وتارة إلى بني فوغال، وتارة عدّوهم قبيلة منفصلة، ولا شكّ أنهم بعد هذا الاستلحام دخلوا في عداد كتامة وتعوّدوا بعاداتهم وأثروا في لغتهم وتأثروا بهم أيضًا، فلا طائل إذن من الحديث عن هذا الجانب لاستعماله في ربطهم بهذا الأصل أو ذاك.

[1]– **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص31-32.

أخلاط قبيلة أولاد نابت ومشيختهم:

لقد ذكر الفرنسيّون في تقريرهم سنة 1845م لهؤلاء أولاد نابت ستة (06) فروع كبيرة وهي: (**بني عاشور**)، (**وَرْجِيتَنْ**)، (**أولاد سعد**)، (**أولاد قطي**)، (**بني بورغدة**)، (**أولاد اعمر**).

وأما مشيختهم فقد ذكرها الفرنسيون في تقرير عام 1845م، مع بعض التصحيفات التي استصلحناها بالتحقيق، فكان شيخ (بني عاشور) هو عبد الله بن محمد، وشيخ (ورجيتن) هو علي بن جواد، وشيخ (أولاد سعد) هو علي بن عمر، وشيخ (أولاد قطي) هو بلقاسم بن سعد، وشيخ (بني بورغدة) هو بلقاسم بن علي، وشيخ (أولاد اعمر) هو بلقاسم بن محمد.

أولاد طافر:

وهؤلاء (أولاد طافر) هم أسرة مرابطية صغيرة من أبناء السَّيد (الآغا بن طيفور) آغا قبيلة (بني مناد) من (صنهاجة) الجزائر، ويرجع أصلهم الأوّل إلى قبيلة (أولاد سيدي طيفور) بناحية (البيّض) وهذه القبيلة متفرقة بين منطقة عين الصفراء والبيّض من ولاية البيّض، ومنطقة زمورة من ولاية غيليزان، ويرجع أصلهم إلى سلسلة إدريسيّة متصلة ولكنها مُختَلَفٌ فيها، إذ نقل إلينا بعض المحققين سلسلة نسبيّة مأخوذة عن مخطوط (الاعتبار في آل النبي المختار) لعبد الواحد بن أحمد الونشريسي الموجود بمازونة، مضمونه:" **طيفور بن محمد بن شروان بن مروان بن سالم بن مسلم بن علي بن محمد بن أبي زيد طيفور بن عيسى البسطامي الشريف بن علي بن المهدي بن صفوان الشريفان بن موسى بن سليمان بن عيسى بن عبد الله بن إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب**"[1]، وهو نسب مازال يحتاج للتحقيق.

ويذكر خليفة بن عمارة في كتابه (كتاب النسب في شرفاء جنوب الغرب)، يقول: "**سيدي طيفور** (بالجنوب الغربي عاش بين 1520م و1600م) **بن محمد بن علي بن أحمد** (المسمى سيدي طيفور بزمورة عاش بين حوالي 1400م و1480م) **بن محمد بن عثمان بن عبد الله بن**

1- **http://www.djelfa.info/vb/showthread.php?t=810209.** (موقع منتديات الجلفة لجميع الجزائريين والعرب، المحقق محمد البخاري، نسب أولاد سيدي طيفور – البيض)، يوم 2016/12/20، الساعة 14:40.

علي بن بلقاسم بن ناصر بن عمر بن أحمد بن علي بن أحمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن محمد بن إدريس بن محمد بن سليمان بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي وفاطمة.."[1]، وأيا يكن الأمر فنسبهم الإدريسيّ بهذا الشكل مشهود به عند هذا الباحث.

وقد نزل طيفور طالبًا عند شريف آخر من عمومته اسمه (ميمون بن محمد بن علي) ونزل معه ضواحي (الحُميدة) بمنطقة البيّض، وأصبح عالما جليلاً، وأعاد كتابة (مختصر سيدي خليل) وهو كتاب ضخم في الفقه المالكي، فذاع صيته واشتهر، ثم ورث عنه بنوه مشيخته وولايته[2]، وتفرقوا بين الأقطار ونزل فريق منهم منطقة الجزائر العاصمة إلى زمن الأتراك، ومنهم (الآغا بن طيفور) الذي يدّعي أهل قبيلة (أولاد طافر) الانتساب فيه.

وأما (أولاد طافر) الذين بناحية جيجل فلا ندري اسم جدهم من أحفاد السيد (الآغا بن طيفور) المدفون ببلاد صنهاجة الجزائر، ولعل اسمه (طافر) حسب عرف التسمية عند قبايل المنطقة، كما لم نجد تقديرًا لسنة نزوله بمنطقة جيجل، ولا سبب ذلك عند المؤرخين، ولكننا بالنظر إلى عدد فروعهم وأسرهم نقدّره على زمن العثمانيين الأتراك نظرًا إلى أن جدّهم حامل لصفة (الآغا) وهي رتبة تركيّة.

---

[1]- **Khelifa BENAMARA**: KITAB EN NASSAB suivi de LES CHORFA DU SUD-OUEST, Editions Dar el Gharb Oran Algérie, 2008, Page 341. (ترجمتنا الخاصة)

[2]- **Ibid**, Page 334.

أخلاط قبيلة أولاد طافر ومشيختهم:

تتكون هذه القبيلة المرابطية الصغيرة من فرعين ذكرهما الفرنسيون سنة 1845م هما: **(أولاد بوزيان)** و**(أولاد مبارك)**، وفيهما عدد لابأس به من الأفراد كلهم مرابطون.

وأما مشيختهم فهي راجعة إلى الطريقة الرحمانية على زاوية سيدي (أحمد ابن طافر)، بينما ذكر الفرنسيون عددا من شيوخهم في تقاريرهم الأولى لسنة 1845م، فذكروا مشيخة القبيلة عند الشيخ بلقاسم بن أحمد، كما ذكروا شيوخ بعد مراتب الزاوية الرحمانية لابن طافر، فكان شيخها برتبة الوكيل هو عمر بن مبارك، والمقدمون الشيوخ: عمر بن التواتي، محمد بن يحيى، مسعود بن مصدوق.

أولاد عبد الرحمن :

وهؤلاء أولاد عبد الرحمن هم فرعٌ مندمج في قبايل (بني زونداي) بجال بابور، وهم ينتسبون في كتامة، غير أنهم باتفاق الرواة فرعٌ من الشرفاء الأدارسة يُعرفون اليوم هناك بدوار (مضناتة)، قال العشماوي (كان حيا.1729م): "**وأما أولاد سيدي عبد الله الخرشفي خلف أربعة أولاد (..) وأما أولاد عبد الرحمن انتقل إلى المشرق بإزاء جبل البابور (..) فجدّهم اسمه عبد الله الخرشفي بن محمد بن ريسون بن عبد السلام بن مشيش بن أبي بكر بن حرمة بن علي بن عيسى بن سلام بن مزوار بن حيدرة بن علي بن محمد بن أحمد بن إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلّم**"[1]، ويعرفون في منطقتهم بأسماء كثيرة: (مضناتة)، (أولاد عبد الرحمن)، (أولاد عبد الله الخرشفي)، ذكر حشلاف (ت.1937م) ذلك قال: "**عبد الرحمان سكن جبل بابور وله أولاد هناك يعرف بمضناتة، ومنهم من يعرف بأولاد عبد الله الخرشفي...**"[2]، وهم عائلات كثيرة متفرقة في النواحي والأوطان تحمل اليوم ألقابًا مختلفة وضعها لهم الفرنسيون لتفريقهم، ونسبهم المتصل لا خلاف عليه عند الرواة في عبد السلام بن مشيش، وهذا الدوّار اليوم يتبعُ بلديّة بابور.

[1]– **العشماوي**: التحقيق في النسب الوثيق، م س، ص 22.

[2]– **عبد الله حشلاف**: سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول، م س، ص 42.

4- أخلاط مجالات كنفدراليّة جيملة:

قبيلة (جِيمْلَة) أو مثلما يسمّيها العرب (جُمِيلَة) هي فرع ضخم من فروع كنفدراليّة كتامة، وقد كنّا تحدثنا عن رحلتهم من موطن صنهاجة بصحراء أورلال عند مدينتهم القديمة (Gemella) منذ القرن 01م، إلى منطقة لامبيز ثم إلى شمال سطيف وجبل جيجل، واستلحامهم من كنفدرالية أكُوتَامن هنالك، حتى أصبحت من أبرز بطونهم وأكثرها تحكُّمًا في هذه المجالات، وشارك في عقود المؤتمرات القرطاجية، ثم اشتهرت على زمن الأغالبة بدعمها لحركة أبي عبد الله داعي الفاطميين.

ويجعلُهم ابن خلدون نقلاً عن نسابة البربر في فرقة ينَّاوة من جماعة غرسن الكتاميّة، ويختلفُ تأويل تسميتها بين تقدير وجود جدّ أخذت تسميته في مجالاتها الأولى ولعله (جِيمَال)[1] بوصفه اسمًا بربريًّا معروفًا في تلك الأزمنة، وبين التأويل اللاتيني لكلمة (gemello) ومعناها التوأم، أو (gemella) ومعناها الأخت الشقيقة، وأيًّا يكُن الأمرُ فإن مواطنهم كانت على زمن الفتح الإسلاميّ في الأراضي الممتدة بين سهل العلمة إلى جبل جيجل، وكانوا هنالك فروعًا متعددة إلى زمن هجرتهم مع دولة الفاطميين إلى مصر والشام، وأكثر بقاياهم هناك فرعهم الذي اعتصم بجبل جيجل في مدينة (جِيمْلَة) على ضفاف وادي جندين، ومن بطونهم هنالك بني عافر وتامزقيدة

---

[1] – وجدت هذا الاسم "**جيمال**" مستعملا في زمن خلافة كتامة، وقد ذكر القاضي النعمان اسما يشابهه هو (محمد بن عبد الله بن جيمال) الفقيه الحنفي، ووجود هذه التسمية التي نظن أصلها في البربر على زمن النعمان يصلح دليلاً أنوماستيكيًّا لاستنتاج إمكانية تسمية جدّ هذه القبيلة به، وأن أولاده نسبوا إليه ثم عرّبت تسميتهم من (جيملة) إلى (جميلة)، **انظر**: **فرحات الدشراوي**: الخلافة الفاطمية بالمغرب، م س، ص 141.

وغيرهم، ومن بقاياهم في الهضاب ناحية العلمة فرع اسمهم (جْمِيلَة) على المدينة الأثرية كويكول، وفرعُ (بني سكفان) في جبل سيدي ميمون قرب قلعة إيكجان القديمة وهو موطنهم الأوّل، وفروع من هؤلاء (بني سكفان) مكتنفة في قبيلتي بني فوغال وبني عمران، وكذلك فرع (بني سكفال) قرب حمام دباغ ناحية ڤالمة، وهؤلاء قبايل جيملة من الذين ذكر ابن خلدون (ت.1403م) أنهم بقوا على تسميتهم القديمة ولم يغيروها قال: "**وبقي في مواطنهم الأولى بجبل أوراس وجوانبه من البسائط بقايا من قبايلهم على أسمائها وألقابها..**"[1].

وقد اشتهر أمرهم عندما التقى شيخهم (حريث الجيملي) شيخ بني سكفان وقبايل جيملة، رفقة شيخ إجّانة (موسى بن مكارم) بأبي عبد الله الداعي لدولة الفاطميين في الحج، فجاءوا به إلى موطنهم بجبال جيجل وفرجيوة وإيكجان، كانوا من أكبر أنصاره، ذكر ذلك القاضي النعمان (ت.974م) قال: "**فعبى أبو عبد الله من معه ومشى إلى ناحية كتامة وميلة، وهم إجانة ولطاية وجيملة وملوسة ودنهاجة وعثمان..**"[2]، ثم هاجر كثير منهم مع الفاطميين إلى مصر مثلما ذكرناه، ومن بقاياهم فرع جِيمْلَة الذي بمنطقة جيجل، وينقسمُ إلى أربعة فروع كبيرة هي: (جِيمْلَة)، (تامزڤيدة)، (بني عافر)، (بني سكفان).

---

[1]- **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص196.

[2]- **القاضي النعمان**: افتتاح الدَّعوة، م س، ص 71.

جيمْـلة :

وهذه القبيلة لا تزال حاملة للاسم العام للفرع الكتامي الضخم، وقد اتفق المؤرخون أنهم أهمّ بقاياهم بالجزائر، ولكن لا أحدَ توصّل بحثُه إلى إيجاد الجدّ الأول لهذا البطن الساكن بمنطقة جيجل، وقد رأينا أن نميل إلى ما مالوا إليه من أن هؤلاء عروش فرعية من هذه القبيلة اجتمعت في هذا المكان، فلم تستجز أن تغير الاسم العام لها فأبقته كما هو (جِيمْلَة)، وهو النطق الصحيح الذي أورده المؤرخون كما أسلفنا، وأما نسخة (جْمِيلَة) فهي تصحيفٌ وتعريبٌ لاسم القبيلة. وبهذا الطرح، فإنه فروع هذا الجنس عمومًا هم جماعات متفرقة من جيملة التي تنتمي إلى فرقة يناوة من جماعة غريس بن كوتام، وموطنهُم الجبلُ الحامل أيضًا لاسم القبيلة وهو جبل جيملَة الضخم الذي لا يزال مقرّ وجودهم واسم بلديتهم إلى اليوم.

وقد تحدث موسى لقبال (ت.2009م) عن هذا الفرع ومكانه قال: "**ويلاحظ أن جيملة ليست بعيدة عن قلعة إيكجان، كما أن وفد حجاج كتامة في مكة كان من بينه رجال من هذه القبيلة، ومن بني سكتان أهم فروعها لقي الداعي الشيعي والحركة الشيعية التأييد والحماية...**"[1]، وهي إلى اليوم متوزعة في المجالات نفسها، مع ملاحظة تناقص عددها بالمقارنة مع العصر الوسيط بسبب هجرتها إلى مواطن كثيرة مع الفاطميين في حروبهم.

---

[1]- **موسى لقبال:** دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، م س، ص107.

أخلاط قبيلة جيمْلَة ومشيختهم:

يذكر لويس رين سنة 1898م لهذه القبيلة سبعة (07) فروع وهي: **(أولاد سعيد)**، **(بني حسان)**، **(أولاد مرسى)**، **(أولاد عيسى)**، **(المزازقة)** أهل تامزڨيدة، **(أولاد عزيزة)**، **(أولاد يخلف)**[1]

بينما يقسّمهم موسى لقبال إلى دوارين اثنين: **(دوار جيملة)** و**(دوار تامزڨيدة)**.

- **(دوار جِيمْلَة)** وفروعه: **(بني حسان)**، **(القرابلة)**، **(أولاد عيسى)**، **(تايلامت)**.

- **(دوار تامزڨيدة)** وفروعه: **(بني زرارة)**[2] وهم فرع من فليسة البحر مكتنف بقبيلة جيملة، وفرع **(أولاد علاوة)** وأعراشه: **(مرادة)**، **(تاعنصرت)**، **(رأس البور)**، **(الأعشاش)** وهم فرع من بني سُليم، **(القرافة)**، **(التمرة)**[3]، **(الناظور)**.

ونلاحظ أن لقبال حاول أن يوردَ تأويلاً لكلمة (تامزڨيدة) بتصوّرها تصحيفًا بربريًّا لكلمة (تامسجيدة) أي مكان المسجد، بوصف جيملة تضمُّ واحدًا من المساجد التي يعتقدُ الأثريون أنه من بقايا المؤسسات الدينيّة التي بنَاها أبو عبد الله الداعي وهو (مسجد المحدّ) وهو موجود إلى يوم الناس هذا.

[1]– **Voir** : **Louis RINN** : Le Royaume d'Alger sous le dernier Day, Revue Africaine, Op.cit, N° 228, 1898, p306.

[2]– هؤلاء (بني زرارة) يعرفهم الفرنسيون في منطقة (بن ياجيس)، وهم اليوم بلدية منفصلة.

[3]– **موسى لقبال:** دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، م س، ص107.

بني عافر :

وأولئك (بني عافر) هم إخوان بني سكفان في كنفدرالية جيملة، وأكثرهم سكان مدينة (الشحنة) الصغيرة جنوب مدينة جيجل، ويرجع نسبهم على هذا التقدير إلى كنفدرالية جيملة من فرقة يناوة من جماعة غريس بن كوتام، مثلما هو نسب غيرهم من قبايل كتامة، والأخبار عن هؤلاء قليلة جدًّا، ولم أجد في ذكرهم بعد التقصي سوى نزر بسيط من وثائق الأتراك والفرنسيين من بعدهم.

وقبيلة (بني عافر) كبيرة يمتدّ سكنها من جبل جيملة إلى سهل الطاهير، وهم أهل اختلاط بجيرانهم من إجانة: بني خطاب وبني سيار، وقد ذكر لي شيوخهم من كبار السن عن حدوث خلافات كثيرة بينهم وبين بني خطاب في أزمنة كثيرة على أراضي الطاهير، غير أنها كانت بسيطة لا تتجاوز التناوش والخصومة.

وأما ما يذكره المؤرخون الفرنسيون نقلاً عن مشيختهم عن قصة انتساب بني عافر إلى رجل اسمه (يخلف بن حسان) الذي وقعت له حادثة على زمن الأتراك، مفادها استضافته لهم واعتداؤهم على ابنه بقطع رجله بسبب دجاجة أو ديك، والتي أحالنا علي خنوف على مرجعها الأصلي عند شارل فيرو، فتلك في تقديرنا محضُ خرافة منتشرة وجدناها مدّعاةً عند كثير من قبايل منطقة جيجل كأولاد مبارك وأولاد قاسم وغيرهم، وإننا ننكر هذه الرواية للأسباب التالية:

- التناقض الموجود في رواية فيرو، عندما يؤكد على غياب قبيلة (بني عافر) قبل الفتح الإسلامي ووجودها بعده، مع ملاحظة البُعد بسبعة قرون بين الفتح الإسلامي وزمن الأتراك الذي يدّعي الرواة أن (يخلف) أسس فيه القبيلة.

- حدوث القصة على زمن العثمانيين يدلُّ على نشأة القبيلة في عصرهم، وهو ما ينكره العدد الكبير لأجيال القبيلة وأبنائها المنتشرين، رغم حملات الإبادة التي شنها عليهم الفرنسيون طيلة أيام استعمارهم للجزائر.

- كون هذا الجد (يخلف) معروفًا في أصول قبيلة (بني ياجيس)، وأولاده يسمون (أولاد يخلف)، فكيف يكون هو جدّ (بني عافر) ومؤسسها؟! ولو كان هو جدّها لسُمّيت (بني يخلف) وليس (بني عافر) كما هي عليه حسب عرف التسمية في قبايل كتامة التي بالمنطقة.

وكنا قد افترضنا في كتابنا (إمارة ابن الأحرش) أن تلك القصة هي (حادثة العايب) التي كانت السبب المباشر لاندلاع حرب ابن الأحرش على الأتراك بقسنطينة سنة 1804م، والتي حدثت حسب الروايات الأقرب إلينا في أسرة لا تزال تحمل لقب العايب، فانظر في كتابنا الذي ذكرنا تجده، والظاهر أن (بني عافر) كغيرهم من قبايل المنطقة أنكروا نسبهم في كتامة فرارًا من هجنته وانتسبُوا في هذا الرجل استنجادًا ببطولته في تحدّي جبايات العثمانيين الأتراك.

وذهب بعض شباب هذه القبيلة إلى ربط نسبها باليَمن في قبيلة (بني معافر) للشبه الواقع في التسمية بينهما، وبرّروا هذا الطرح بتقصي أصولٍ عربيّةٍ للكلمات الشائعة في منطقة الشحنة بجيجل، ولكن هذا الجهد لم يُؤت أُكلاً ولم ينفع أصحابه شيئًا، كون اللسان من المتغيرات السريعة، والعربيّة وصلت إلى عمق قبيلة جيملة وفروعها واختلطت بلسانهم البربري الكتامي ثم غلبت عليه منذ قرون طويلة، وقبيلة **(المعافر)** التي يذكرها ابن خلدون (ت.1403م) موزعة بين اليمن ومصر[1]، وكانت لهم بعض البيوتات الملَكيّة في الدولة العامرية بالأندلس ذكرها الزركلي (ت.1976م)[2]، وما ذكره ياقوت الحموي (ت.1229م) عن موطنهم في جنوب محافظة تعز باليمن المسمى **(مخلاف المعافر)**[3] أمرٌ يُثير الريبة العلميّة لشبه التسمية بقصة ادعاء بني عافر الجيمليين في (يخلف بن حسان)، لكن ذلك سهلٌ إنكاره لأن (المخلاف) اسم فضاء جغرافي تمدّنيّ باليمن وليس اسم شخص والمخلافات كثيرة هناك، كما أن الجدّ الأول لقبيلة (بني المعافر) مذكورٌ عند الهمذاني (ت. بعد 947م) المختص في أنساب قبايل اليمن باسم (المعافر بن يعفر بن مالك بن الحارث)[4]، وهو مَلِك حِمْيريّ جاهليّ عائد إلى القرن 07 ق.م، بينما (يخلف بن حسان) المذكور يعود زمن وجوده إلى زمن العثمانيين بين القرنين 16م و19م، ومن ثمة فلا جدوى من القول بهذا الادعاء. أما هؤلاء

1– **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج2، ص54.

2– **أنظر: خير الدين الزركلي**: الأعلام، م س.

3– **ياقوت الحموي**: معجم البلدان، م س، ج5، ص 67.

4– **أبو محمد الحسن بن أحمد الهمذاني**: الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير، تحقيق: محب الدين الخطيب، الدار اليمنية للنشر والتوزيع، صنعاء اليمن، ط1، 1987م، ص28.

المعافريين فلم يكن لهم طريق إلى جبال جيجل فيما عدا ما أورده مصطفى أبو ضيف نقلاً عن الشماخي والدرجيني مؤرخًا الإباضية، من توسع منطقة حكم (بني أبي الخطاب المعافري اليمني) من طرابلس إلى حدود قسنطينة وسطيف على زمن الخليفة عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم (784م-814م) وبعده، وهم (السمح بن أبي الخطاب المعافري) و(خلف بن السمح بن أبي الخطاب المعافري)[1]، ولكن لم نجد في المصادر أن هذا التوسع تعدّى النفوذ السياسي، لذلك فهو لم يسفر في اعتقادنا عن هجرة بشرية لهؤلاء المعافريين إلى جبال جيجل، كما أن هذا الزمن غائر جدًّا وأسبق من قيام دولة العبيديين عند كتامة وحدوث الدبرة عليها وانفتاح فروعها القبليّة على الهجرات وتخفيهم تحت أنساب المهاجرين إليها، لذلك بعيدٌ جدًّا من يعتقد أن لهؤلاء المعافريين من اليمن علاقة بفرع (بني عافر) الموجود بمنطقة جيجل.

ويميل عيسى لحيلح إلى تقصّي أنوماستيّة (عافر) في لفظ (آفر)، وهي تسمية بربرية معروفة وقديمة التداول في شمال أفريقيا، ومن بين الذين حملوها: (آفر) الشاعر البربري (ولد 185 ق.م- توفي159 ق.م) بناحية بونة (عنابة)، والامبراطور الروماني (آفر) ذو الأصول البربريّة وهو أحد أسلاف الامبراطور الروماني (لوسيوس سيبتيموس سيفيروس) (ولد 146م- توفي211م)، وهذه التسمية في لغة البربر تفسيرها (البربري الأفريقي) وهي إذاك لا تخالف طبيعة مجال بني عافر الجيجليين، ونلاحظ أيضًا قريبًا

[1]– **أنظر: مصطفى أبو ضيف أحمد**: أثر القبائل العربية في الحياة المغربية، دار النشر المغربية، ط1، 1986م، ج1، ص ص474-475-476.

من التسمية نفسها فرع (بني يفرن) المعرّب من قبيلة زناتة، والذي لا يعدو أن يكون (إيفرن) وهو الجمع البربري لكلمة (آفر)، لذلك يرجّح أن يكون هذا الاسم فعلاً لرجلٍ بربري ظهر بجبال جيجل في زمن غير معلوم، ونال حظوة بين فروع هذه الكنفدراليّة الجيمليّة فانتسبت إليه، ثم عرّبه اللسان إلى (بني عافر) التي وجدها عليه العثمانيون الأتراك والفرنسيون من بعدهم.

أخلاط قبيلة بني عافر ومشيختهم:

إن الراجح الذي لا ينبغي التعويل على غيره في نسب (بني عافر) في رأينا هو أنهم أخلاط من كنفدرالية (جيملة) والله أعلم بذلك، وقد ذكرهم لويس رين سنة 1898م في عشرة (10) فروع هي: **(أولاد مدورة)**، **(آفتيس)**، **(أولاد آعراب)**، **(أولاد عبد العزيز)**، **(أولاد بوسوار)**، **(المرازقة)**، **(أولاد بوعامل)**، **(أولاد زْمَارة)**، **(الشَّحنة)**، **(الجوانبية)**[1]، وزاد عليها موسى لقبال فرع **(الزواعرة)**[2] عند زيارته للمنطقة، أخبرني محمد الهادي الحسني أنه دلّه عليها بنفسه بوصفه ابن المنطقة.

[1]– **Voir** : **Louis RINN** : Le Royaume d'Alger sous le dernier Day, Revue Africaine, Op.cit, N° 228, 1898, p 306.

2– **انظر**: **موسى لقبال**: دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، م س، ص107.

بني سكفال (بني سكتان) :

وأولئك (بني سكفال) أو (بني سكفان) قبيلة كبيرة جدًّا، ذكرهم القاضي النعمان (ت.974م) في كتابة (افتتاح الدعوة) في القرن 09م وذكر قلعتهم إيكجان، كما ذكر أنهم كانوا أول مقام أبي عبد الله الداعي لدولة الفاطميين وكانوا كذلك أوّل أنصاره، وعلى رأسهم شيخهم (حريث الجيملي)، واسمهم المُعرّب حسب رواية النسابة والمؤرخين (بني سكتان) إلاّ أن نطقه عند البربر هو (سكفان) بالفاء، وعند بعض الفروع ينطق (سكفال) باللاّم، عدّهم الفرنسيون في تقاريرهم قبيلة منفصلة مجهولة الأصل، وهم في الحقيقة بطنٌ من قبيلة جيملة الكتاميَّة.

وممن ذكرهم القاضي النعمان (ت.974م) في قوله: "**قال: في أي موضع عندكم فجٌّ يسمى فجّ الأخيار؟... قالوا: هو عند بني سكتان وطريقهم من هذا الموضع**"[1]، وذكرهم في موضع آخر قال: "**فمضى مع رجل من بني سكتان حتى دخل ميلة**"[2] وذكرهم في مواضع كثيرة أخرى مثل: "**ودعا جماعة من بني سكتان فأخلوا له مجلسا للسماع**"[3]، وذكر أنهم من فروع جيملة التي يحمى لها فقال في موضع آخر من الكتاب: "**فلم يروا أنهم يقدرون على أخذه عنوة من بني سكتان لأنهم لم يشكوا أنهم يمنعونه فإذا منعوه احتمى لهم جميع جيملة ومن تقرب منها**

[1]– **أبو حنيفة النعمان:** افتتاح الدَّعوة، م س، ص 36.

[2]– م ن، ص 38.

[3]– م ن، ص 39.

من قبايل كتامة"[1]، وذِكرُهُم عند هذا المؤرخ الفاطمي الأول طويلٌ وكثيرٌ لا يحصرُ، وليس هذا مقام التفصيل فيه.

وقد ذكرهم موسى لقبال (ت.2009م) وذكر موضعهم وبقاياهم بناحية إيكجان قال: "**لم يشر ابن خلدون إلى فرع بني سكتان أثناء تفريعه كتامة إلى بطونها المعروفة، مع أنه أهمّ من القبايل التي ذكرها إلى جانبهم في بداية الدعوة الاسماعيلية (..) وتوجد آثارهم بجوار قلعة إيكجان على سفوح جبل سيدي ميمون، ويعرفون ببني سكفان"**[2]، ويبدو أن العدد القليل لفروع هذا القبيلة المكتنفة ببني فوغال ناحية جيجل وبحمام دباغ ناحية قالمة تشير إلى أن هجرتها إليها كانت إلى وقت قريب، ولعلها كانت على عهد الحفصيين أو العثمانيين.

ويرجع أصل (بني سكفان) هؤلاء كما ذكرنا إلى قبيلة جيملة من كتامة، ولكن لا المؤرخون القدامى ولا المحدثون أوردوا لنا معنى تسميتهم، ولا نجدهُ إلاّ في معجم البربريّة المازيغية بصيغة (سكفال) ومعناه: "**استخراج ما دُفِنَ تحت الأرض، مثل جرار المؤونة مثلاً"**[3]، وهذه التسمية الوصفيّة مازالت مستعملةً إلى اليوم، ولم نجد فيما بحثنا معنى سوى هذا الذي أورده المعجم البربري المازيغي.

---

[1]- **أبو حنيفة النعمان**: افتتاح الدَّعوة، م س، ص 54.

[2]- **موسى لقبال**: دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، م س، ص117.

[3]- **J.M. DALLET** : Dictionnaire Kabyle-Français, Op.cit, p 397.

أخلاط قبيلة بني سكفال ومشيختهم:

وأما فروع بني سكفال (سكفان/سكتان) الذين ناحية بني فوغال، فقد ذكر الفرنسيون أنها اثنان فقط وهي: **(أولاد بودجاج)** و**(بني هليل)**، بينما يوردهم لويس رين في فروع كنفدرالية (العوانة) مع الفروع الأخرى النازلة بالمجال[1].

وأما رياستهم بقلعة إيكجان فقد ذكر القاضي النعمان (ت.974م) في القرن 09م شيخهم حريث الجيملي، ثم بعد انتقالهم إلى منطقة جيجل تبعوا مشيخة بني فوغال، ثم عند دخول الفرنسيين سنة 1845م ذكروا مشيختهم متفرقة بين عرشيهم المذكورين، فكانت رياسة فرعهم (أولاد بودجاج) على ذلك العهد عند الشيخ اعمر زروال، ورياسة (بني هلّيل) عند الشيخ بوهليل بن هلّيل.

[1]- **Voir** : **Louis RINN** : Le Royaume d'Alger sous le dernier Day, Revue Africaine, Op.cit, N° 228, 1898, p 307.

بني زرارة (بني آجيس):

قبيلة (بني زرارة) التي عرّبت تسميتها عن الأصل البربري الكُتامي (**آزرار**) وهو (الصخر) والمؤنث منه (تازروت) وهي (الصخرة)، والجمع منها (**إزرارن**) وهي تسمية كثيرة الانتشار في بيئة كتامة، ويُستعملُ اللَّفظُ أيضًا بمعنى مجموعة الأحجار المكونة لسلسلة أو سوار معصم[1]، ولا نعلمُ هل هو جدٌّ اسمه (**آزرار**) أم هو جماعات قبليّة من فروع فليسَة اجتمعت في مكان يحمل هذه الصّفة أو التسميّة فنُسبَت إليه، كعادة ما تفعل قبايل كتامة في نسبة فروعها أحيانًا إلى أماكن وجودها.

هذا الفرع القبليّ فيما بحثنَا خليطٌ من فروع كثيرة، لكنّ أول انتمائها المذكُور في قبيلة (فليسة) وهي تسمية معرّبة أصلُها البربري (**آفلاس**) وجمعها (**إفليسن**)، وفي المعجم البربري المازيغي تعني (الخسارة)[2]، وهو معنًى قريب من الأصل العربي (أفلس)، لكننا نلاحظ وجود التسمية بهذه الصيغة في القرن 02م عند بطليموس بصيغة (Isaflenses) قبل مجيء العرب، لذلك نرجح الرأي الأول، ولعلّها صفةٌ وُصف بها الجدّ المؤسس للقبيلة أو الفرع الذي كان نواة تأسيسها، وقد ذكرهم ابن خلدون (ت.1403م) في فروع كتامة بهذه الصيغة المعرّبة قال: "**فمن يسّودة: فلاسة**.."[3]، ذُكرت في مجالات صنهاجة بالقرب من (وادي سبَاو) في جبال دلّس بين تيزي وزو

[1]- **J.M. DALLET** : Dictionnaire Kabyle-Français, Op.cit, p 954.

[2]- **Ibid**, p 207.

[3]- **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص196.

وبومرداس، ذكر ذلك ابن خلدون (ت.1403م) قال: "**ومن بقايا كتامة أيضاً قبايل أخرى بناحية تدلس في هضابه مكتنفة بها**"[1]، ومبارك الميلي (ت.1945م) قال: "**ونزل فريق منهم نواحي دلّس من وطن زواوة**"[2]، ولم يتعرّف معظم النسّابة المحدَثين مثل لقبال وبوزياني وغيرهما على هذا الفرع لوجوده بمجالات صنهاجة، بينما يغلُبُ عندنا أن هذا الفرع كتاميّ مُستلْحَمٌ فيهم ومعدودٌ منهم.

ويطرحُ إشكال انتماء هذه القبيلة الموجودة في المجالات القديمة لفرع (جيملة) الكتامي وموضعها عند جبل تامزڤيدة الضخم، وهو ما جعل موسى لقبال (ت.2009م) يذكرهم في فروع (قبيلة جيملة) يقول: "**فتمسجيدة –تامزڤيدة– تتضمن فرع بني زرارة الذين عرفوا بابن ياجيس في العهد الفرنسيّ**"[3]، ولكن ذكرهم بثلاثة تسميات (تامزڤيدة– بني آجيس– بني زرارة) يجعلنا أمام حتميّة التنقيب لاستصفاء الصواب:

فأمّا تسميّة تامزڤيدة التي حاول لقبال أن يقاربها بالنطق العربيّ (تامسجيدة) هي اسم قمة جبليّة في بيئة جيملة، أي هي بالأساس تسميةٌ لحيزٍ جغرافيّ لا لفرعٍ قبليّ، وهو ما يوحي بأن سكان هذا المكان خليط من قبايل مختلفة سكن بعضها مع بعض، لذلك اختاروا اسم المكان ليشملهم جميعًا، وتمنعنا الرواية الميثولوجية من اعتماد

---

[1]– م ن، ص199.

[2]– **مبارك ابراهيمي الميلي**: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، م س، ج2، ص 217.

[3]– **موسى لقبال**: دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، م س، ص107.

وجود هذا الحيز الجغرافي في مجالات جيملة للقول بأن هذه الفروع تنتمي إليها، لأن رواة جيملة لا يذكرونها في فروعهم، بل يعدونها منفصلة عنهم بالرغم من إسهام بعض فروع جيملة في تشكل هذا الخليط القبَليّ.

وأما تسميَة (بني ياجيس) أو (بني آجيس) فهي النطق البربري لاسم قبيلَة (عجيسة) التي كانت موجودة في العصور الوسطى بضواحي جبال المسيلة وبرج بوعريريج، ثم تفرقت واندثرت في القبايل عند دخول المدّ الهلالي السُّلَمي إلى المنطقة في القرن 12م، فلجأت إلى جبال قسنطينة وجيجل وبجاية كما شهد به ابن خلدون (ت.1403م) قال: "**وأما بلاد بجاية وقسطنطينة فهي دار زواوة وكتامة وعجيسَة وهوّارة..**"[1]، ونجد قريبًا من هذه التسمية بمنطقة جيجل فرع (عجيسة) المندمج في قبيلة (بني تليلان) ببلدية غبالة في أقصى شرق الميلية، وفرعٌ من (بني عمران الجبالة) يسمون (بني عجيس) هم اليوم عائلات متفرقة، ولم تنقل إلينا المصادر علاقة هذه التسميات بعضها ببعض، هل هي تشابه تسمية بربرية أو وجود فعلي لفروع متفرقة من قبيلة (عجيسة) البربرية القديمة مُستلحَمَة في كنفدرالية كتامة منطقة جيجل، ولم تسعفنا الرواية الميثولوجيّة الجمعيّة بشيء في ذلك، ما عدَا محاولتها أن تربط تسمية (آجيس) أنوماستيّا بالتفسير اللساني البربري، فتؤول معناه بـ(الابن الوحيد) دون أن تربطه علميّا برافدٍ قبليّ معيّن.

---

[1]– **انظر**: **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص134.

وأما تسمية بني زرارة فيغلبُ في ظننا أن لها علاقة بفرع قبيلة (فليسة) في منطقة دلّس بين ولايتي تيزي وزو وبومرداس والحامل للاسم نفسه إلى يومنا هذا، أي أنه حدثت هجرة من هناك إلى منطقة جيجل لسببٍ لم يصل إلينَا تأويلهُ فيما وقعت عليه أيدينا من المصادر، لكن ما يدعونا إلى ترجيح هذه العلاقة هو وجود حركة هجرة كثيفة من جبال صنهاجة وبجاية إلى جبال جيجل على طريق بابور، ووجود قبيلة أخرى من نفس مجال (فليسة) في منطقة جيجل وهي (بني عمران) وفيها فرع (بني عجيس) الحامل لتسمية قريبة منهم.

لذلك يمكننا أن نخلص إلى تشكّل هذا الفرع الكتامي من فروع: (بني زرارة) من قبيلة (فليسة) الكتامية، و(بني آجيس) من قبيلة (عجيسة) البربرية، داخل مجال جغرافي كتامي أيضًا وهو (جبل تامزڤيدة) الجيملي، وفي كلّ مرحلة زمنيّة تغلب إحدى هذه التسميَات تبعًا للظروف السياسية والاجتماعية السائدة، بينما لا نغفل هنا دخول العنصر الجيملي على هذا الخليط من خلال التساكن والتصاهر والتحالف الذي لا مفرّ منه بتطاول الأزمان ووقوع الأحداث.

هذا الخليط المتدامج المتجانس استطاع أن يصمد في مجال كتامة منطقة جيجل من العصور الوسطى إلى مجيء الفرنسيين، ولا شك أنه وقع بداخله حراك مستمرّ واختلاط استطاع أن يذيب كل الروافد الأصولية المشكّلة له، بالرغم من بقاء شذراتٍ من الرواية الجمعية التي حفظت في الذاكرة الأصول البائدة لتلك الروافد.

أخلاط قبيلة بني زرارة (بني آجيس) ومشيختهم:

وفروع (بني زرارة) المذكورون عند الفرنسيين باسم (بني ياجيس)[1] موزعون في مداشر كثيرة، ذكرها لويس رين سنة 1898م في خمسة (05) فروع هي: **(أولاد خلوف)**، **(أولاد يخلف)**، **(أولاد بوجهاد)**، **(أولاد عبد الله)**، **(بني زرارة)**[2]، فنلاحظ أنه جعل بني زرارة جزءً فقط من القبيلة وليس القبيلة كلها، لكن تسميهم عمّمت ربمَا لأنهم الفرع الذي له المشيخة على هذا الخليط، ونجد لهم قرب مدينة جيجل الحيّ الذي يحمل تسمية قريبةً من تسمية القبيلة وهو حيّ **(طَبْ زرارة)**.

ويعيدُ لقبال رسم خارطة توزع هذه الفروع بعد الاستقلال على مشاتي **(تسيطين)**، **(بوكرامة)**، **(تينڤلاست)**، **(سطيطرة)**، **(بوشقايف)**، **(صيدا)**[3]، كما لا نغفل اليوم أنهم متوزعون على تجمعات **(الساحل)**، **(بني فرح)**، **(تيغدوان)**، **(بوجوادة)**، **(آقرور)**، **(المرصع)**، **(آغلدان)**، **(آفوجو)**، **(غدير أولاد طاهر)**، وكلهم خليط واحد متدامج في هذه الدشور المتوزعة، ومعدودون اليوم في فروع كنفدرالية كتامة منطقة جيجل.

---

[1]– وقع على هذه التسمية تصحيف، من (بني آجيس) إلى (بن ياجيس) بفصل الياء عن باء (بني) وإلحاقها بألف (آجيس)، لذلك غالبًا ما ترد هذه التسمية في الوثائق الرسميّة بصيغة (بن ياجيس).

[2]– **Louis RINN** : Le Royaume d'Alger sous le dernier Day, Revue Africaine, Op.cit, N° 228, 1898, p 305.

[3]– **أنظر**: **موسى لقبال**: دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، م س، ص107.

زواغـــة

وهؤلاء قبايل زواغة أصولهم من طرابلس الغرب بوطن ليبيَا، وهو جنس قديمٌ جدًّا يعودُ أوّل ذكر له إلى زمن الفينيقيين في القرن 05 ق.م عند هيرودوت الذي نطقهُ زواكس (ZAUÈCES)[1] ومَوْضَعهُ بالمنطقة المحيطة بمدينة صبراتة الحاليّة، ولكن لم يكُن وجودُه محصورًا في هذا الموطن، بل امتدّ غربًا إلى شمال نوميديَا بدايةً من القرن 01م وما بعدهُ، فيذكرُ بلين الكبير (PLINE l'ancien) في هذا الزمن فرعًا سمّاهُ زوغيطانا (ZEUGHITANA) وحدّد مجالاته عند وادي طوسكا (Tusca)[2] أو (وادي النجاة) حاليًّا الذي يمرُّ قرب فرجيوة ويصبُّ في آمسّاغا (الوادي الكبير) قرب حمّام بني هارون في موقع هنشير الأبيض الذي يضمُّ بقايَا مدينة طوتشا الحدوديّة (Tucca fines) عند بوتنجر[3]، وهذان الموضعان بقيَا مواطنهم طوال العصر الوسيط، إذ ذكرهم البكري (ت.1094م) قال: "**من طرابلس إلى صبرة وهو بلد معمور يسكنه زواغة**"[4]، وكذلك ابن خلدون (ت.1403م) ذكر أنهم متفرقون في ضواحيها، ولكنه لم يكثر الحديث في شأنهم قال: "**وأما زواغة فلم يتأدّ إلينا من أخبارهم وتصاريف أحوالهم ما نعمل في الأقلام، ولهم ثلاثة بطون وهي: دمر بن زواغ وبنو واطيل بن زحيك بن زواغ وبنو**

[1]– **Voir** : **Hirodote**: Histoire, Op.cit, T1, chap iv, p 397-398.

[2]– **Voir** : **PLINE l'ancien**: Histoire Naturelle, Op.cit, T 01, pp211-212 (Livre V-ii.1 et III.1).

[3]– **Voir** : **Stéphane GSELL**: Atlas Archéologique de l'Algérie, Op.cit, p74 (Feuille 08-N° 72-73, pp06-07).

[4]– **البكري**: المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب، م س، ص 17.

ماخر بن تيفون بن زواغ. ومن دمر بنو سمكان، وهم أوزاع في القبايل. ومنهم بنواحي طرابلس مفترقون في براريها.."[1]، ولهم بطن كبير هم (بنو واطيل) بمدينة (الأصنام) على وادي الشلف، وتسمى اليوم مدينة (الشلف)، ذكرها ابن خلدون (ت.1403م) منسوبة إليهم قال: "**وكذلك بجبال شلف بنو واطيل منهم**"، وبالمغرب الأقصى بضواحي فاس ذكرهم كذلك بوزياني قال: "**وينسب إليهم بسيط زواغة بين فاس وصفرو وجبل كندر**"[2]، وقال هم هنالك من لدن الفتوح، ومنهم في الجبال التي تحمل اسمهم (جبال زواغة) الممتدة في جنوب جيجل بينها وبين ميلة، وهم الذين ذكرهم بلين الكبير، وابن خلدون قال: "**وفي جهات قسطنطينة أيضا رهط من زواغة**"، ومبارك الميلي قال: "**ومنهم قرب ميلة فريق يعرفون بزواغة**"[3]، وهؤلاء هم موضوع دراستنا في هذا الكتاب. ويعود أصل (زواغة) إلى أوزاع بني سمكان بن يحيى، ويعدّون في فروع البربر البتر، وقد بقي فرعهم الساكن بضواحي منطقة جيجل على التسمية الأولى القبيلة الأمّ (زواغة) فلا ندري من أي فروعهم هو، إنما نقرّ فقط بأن هجرته إلى هذا المجال قديمة في القرن 01م على الأقل، وهو زمن كانت تعوزنا فيه أسماء الفروع.

---

[1]– **ابن خلدون**: كتاب العبر، م س، ج6، ص 170.

[2]– **الدراجي بوزياني**: القبايل الأمازيغية، م س، ج1، ص 41.

[3]– **مبارك إبراهيمي الميلي**: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، م س، ج2، ص 213.

أخلاط قبيلة زواغة ومشيختهم:

ويتشكل فرع قبيلة زواغة الذي بنواحي منطقة جيجل من ستة (06) دواوير كبيرة، ولكل دوار فروع، ذكر لويس رين ثمانية (08) منها وهي: **(زواغة)**، **(باينان)**، **(قرمودة)**، **(زغاية)**، **(الشيڤارة)**، **(سيدي مروان)**، (آراس)، **(أولاد حاية)**، **(تسالة)**[1]، ولكنه ذكرها مخلوطة، وحقيقةُ ترتيب هذه الدواوير يكون كالآتي:

- دوار **(تسالة)** وفروعه قبايل (عرب لالّة) و(أولاد خليف) و(أولاد حاية).
- دوار **(الشيڤارة)** وفروعه قبايل (أولاد يحيى).
- دوار **(آراس)** وفروعه قبايل (أولاد بوعسلي) و(أولاد زايد).
- دوار **(باينان)** وفروعه قبايل (زواغة الظهرة).
- دوار **(زغاية)** وفروعه قبايل (زغاية) و(قرمودة).
- دوار **(سيدي مروان)** وفروعه قبايل (سيدي مروان).

ينضافُ إلى هؤلاء النواة التي أسست لقبيلة **(بني تيفوت)** من بني ماخر بن زواغ، والتي كنا تحدّثنا عنها في أخلاط مجالات كنفدراليّة دنهاجة لوقوعها هنالك، ولأن ذكرها سبق في ذلك العنصر من الكتاب فلا حاجة إذن لإعادته هنا، وإنما وجبت الإشارة إلى ذلك لئلا يكون نقيصة في هذا العنصر.

---

[1]– **Louis RINN** : Le Royaume d'Alger sous le dernier Day, Revue Africaine, Op.cit, N° 228, 1898, p 305.

وأما مشيختهم فإنهم كانوا تحت إمرة (عز الدين بن ناصر) على زمن الأتراك، ثم ابنه (بورنان بن عز الدين) الذي كان وزيرا من وزراء ابن الأحرش سنة 1804م، ومن قادة ثورة أولاد عيدون الذين كانوا تحت إمرته وكان متذبذبا بين ولائه لأهله وولائه للفرنسيين حتى نفوه إلى تونس سنة 1858م، ومن بعده تولى عليهم أخوه (محمّد بن عز الدين) الذي نفي بدوره سنة 1864م، وتولى مكانه ابن أخيه (بولخراص بن عز الدين)، ثم ذكر لويس رين مشيختهم سنة 1871م، فكانت مشيخة آراس بين الشيخين (علي بن حميمود) و(علي بن ناصر)، ومشيخة بايناء بين الشيخين (مهدي بن العربي) و(جودي بن بوشلاغم)[1].

[1]- **Louis RINN**: Histoire De L'Insurrection De 1871 En Algérie, Op.cit, P 427.

خاتمـة

من خلال حيثيات هذه الدراسة، يمكننا أن نقول بأنّ المصادر كلها أجمعت على كون مسار التشكُّل المعقّد لبنيَة الفرد الكتامي الجيجلي حكمته ظروف وحيثيات كثيرة ومتفرقة على مختلف العهود والأزمنة، وأنه ليس من البساطة بمكان أن نستهين بتراكبيّة هذا المسار والتغافل عن الإحالات التي منحتنا إياها المصادر، لنركُن إلى ما نتج عنه من الأساطير التي ما فتئت تصوّر الجماعات المتكنفدة في المجال الجيجلي قبايل إثنية منفصلة ونقيّة العرق! هذا الجنون الموروث عن الممارسات السياسية والاقتصادية القديمة اصطدم بنظام الدولة الديمقراطيّة التي تكرّسُ أساسًا آخر من أسس التكنفد وهو النظام الإداري والحزبي والجمعويّ، ولا يُلجأ إلى الأخلاط الإثنية إلاّ في أحيانٍ قليلة أكثرُها يستعملُ فكرة التكنفُد لغرضٍ كريم هو توحيد مشاعر الناس وتذكيرهم ببُنيتهم التشاركيّة، وأقلُّها يستعملُ خرافة النقاء العرقي لغرض بئيسٍ هو تفكيك البُنى المجتمعيّة وجعل الناس يصطفون حميّةً لا قناعةً.

لذلك كان من أخطر ما لا يُعذر الباحث على استعمال الذاتية فيه خلال العمل التأريخيّ كلّه باب الأنساب والأصول، لأن وظيفة هذه العلوم هي دعم الهوية الوطنيّة لا تفكيكُها، وتكريس التدافع العفوي السّلمي الذي يُفضي إلى التنوع المثري والتعارف المثمر، ومن أهم النتائج التي خلصنا بها في هذا البحث على نموذج منطقة جيجل ما يلي:

- ضرورة التسليم بمفاهيم (التدافع) و(الظّهور) و(التعايش) و(التكنفد) عند البحث في الموضوعات التي لها علاقة بعناصر الهوية الوطنيّة ومنها الأنساب.

- تشكّل بنية الفرد الكتامي الجيجلي أو كنفدراليات قبايل الحدرة كان متراكبًا وفق سياقات دينية وسياسية واقتصادية، تحكمت في حيثيات الحراك الديمغرافي في كل عصر بشكل مختلف ساعدت على إعادة تشكلّ كنفدراليّات واختفاء أخرى.

- فرض المدى الطويل على كل (رافد) من الروافد الأصوليّة التي أسهمت في بناء الفرد الجيجلي التفاعُلَ مع الروافد الأخرى بالتأثير والتأثر، فكان كلّ رافدٍ يترك أثره الفيزيونيمي (الجسدي) والألسني والمعتقدي والعوائدي... إلخ، وكل دراسة لهذه المؤثرات تندرجُ في هذا الباب، ولا تصلُح للاستدلال على فكرة القبيلَة الإثنية.

- غلبة الاعتباطية والعفويّة على الحراك الديمغرافي بمنطقة جيجل وفق السياقات والظروف، مع وجود بعض السياسات الممنهجة للتجميع أو الترحيل أو إعادة التوزيع عند السلطات المتأخرة، وخصوصًا منها العثمانيون والفرنسيّون.

- ثبوت مقاربة (الاستلحام) التي وضعها حسين بوبيدي، في مختلف مستويات التشكّل، وضرورة الاعتماد عليها لفهم الكثير من الظواهر التاريخيّة التي تصوّرها الكتابات التأريخيّة على أنها نتجت عن تمايزات منفصلة غير قابلة للامتزاج، والتسليمُ بالناموس الكونيّ القاضي بالاستلحام وما يترتب عنه من نتائج.

هذه النتائج العامة لا تعني بتاتًا أن هذا البحث يقدّم نتائج نهائية وأحكامًا قطعيّة وأكيدة، فليس إلى ذلك سبيل في مثل هذا النوع من دراسات العلوم الإنسانية، ولكن المقاربات المقدمة فيه تسائل المادة المصدرية وتحوم حولها وترتبها بما من شأنه أن يجعلها تبني أفكارًا مقنعة إلى حدّ ما، تتحرى الموضوعية العلميّة وتتجافى عن النوايا الاصطفافية والآراء المسبقة والعواطف الجارفة.

إن جعل عنوان بحثنا هذا (أصول قبايل منطقة جيجل من خلال المصادر) يجرّ معه التزامات كثيرة من بينها أن لا نُورد احتمالات غير مسنودة في أصل أيّ قبيلة كانت، وأن لاَ ندّعي لها نسبًا إلاّ أن يكون ذلك معتمدًا على مصدر من المصادر المعلُومة التي شرحناها في بداية هذا الكتاب، لأن تحمّل مسؤولية تاريخية في تقصّي نسب قبيلة أمرٌ ليس بالهين ولا باليسير، لذلك تجدنا أحيانًا عندما نرجّح رأيًا على آخر في مسألة الأصول نورد احترازا بقولنا (والله أعلم)، وليس ذلك لعدم ثقة في رأينا ولكن لكونه تقديرًا بشريًّا يحتمل من الخطأ نِسبَةَ توازي احتماله للصواب. وقد وجدنا مصادر لابأس بها سمحت لنا بربط بعض قبايل منطقة جيجل قيد دراستنا بأصولهم البعيدة اعتمادًا على أسس التحقيق العلميّة، إلا أننا لم نفلح على ما بذلناه من جهدٍ في إيجاد مراجع كافية لضبط نسب قبايل أخرى وإن كانت غير كثيرة، سوى بعض الروايات الشفهية عن مجيء جدهم الأول من المغرب أو من الأندلس دون شرح ولا تفصيل في ذلك، ولا تحديد زماني أو مكاني، ولكن تعميمًا للفائدة أردنا إيراد ما

استطعنا الوصول إليه في شأن تلك القبايل، من باب المساواة في الذكر، لعلّ غيرنا يفلح في ظروف أخرى في إيجاد ما عجزنا نحن عن ضبطه والله المستعان.

بينما يبدو ظاهرا للقارئ أننا أهملنا ذكر الأسر الجديدة من السكان اليهود أو الأسر التركية أو الجنويَّة التي مازالت آثارها قليلة جدّا بمدينة جيجل وبعضٍ من منطقتها، ومرجعنا في ذلك أنها لم تجتمع في فروع مجتمعة يمكن دراستها، لأن منهج بحثنا يفرض علينا التعامل مع كبار القبايل والفروع مثلما يبينه عنوان الكتاب، بينما تركنا التحقيق في الأسر القليلة ذات الأصول المختلفة لبحوث أخرى ربما في المستقبل.

هذا ولا أنسى أن أحمد الله عز وجلّ الذي وفقنا لإتمام هذا الكتاب في يوم الخميس 23 جمادى الآخر 1440هـ الموافق لـ 28 فيفري 2019م بحي الخناق – الميليّة، ويبقى كل ما فيه محض ربطٍ وتقدير، والحقُّ يعلمه الله العليم الخبير، وله الخلق والأمرُ إنه على كلّ شيء قدير، وهو القاهر فوق عباده، وهو العزيز الغَفور، وأسأل قارئه أن يستغفر لصاحبهِ وللمسلمين جميعًا والحمد لله ربّ العالمين.

المصادر والمراجع

باللغة العربية:

- **إبراهيمي (مبارك الميلي)**: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، د/ت/ط.

- **ابن الأثير (علي بن أبي الكرم)**: الكامل في التاريخ، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، د/ت/ط.

- **أحمد (علي)**: اليهود في الأندلس والمغرب خلال العصور الوسطى، مجلة دراسات تاريخية، تصدر عن لجنة كتابة التاريخ العرب- جامعة دمشق، السنة 17، العددان 58/57، كانون الأول 1996.

- **الإدريسي (أحمد الشباني)**: مصابيح البشرية في أبناء خير البرية، طبعة خاصة بالمؤلف، ط1، 1987.

- **الإدريسيّ (الشريف)**: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، الهيئة العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1971.

- **أعشي (مصطفى)**: جذور بعض مظاهر الحضارة الأمازيغية خلال عصور ما قبل التاريخ، دار طارق بن زياد للنشر، الرباط- المملكة المغربية، ط1، 2002.

- **الأوراغي (محمد)**: التعدد اللغوي وانعكاسه على النسيج الاجتماعي، منشورات كلية الآداب بجامعة محمد الخامس، الرباط، 2003.

- **البكري (أبو عبيد الله)**: المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، تحقيق حماه الله ولد السالم، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان.

- **البلاذري (أحمد بن يحيى)**: جمل من أنساب الأشراف، تحقيق سهيل زكار ورياض زركلي، دار الفكر، بيروت، 1997.

- **بلحبيب (رشيد)**: الهويات اللّغوية في المغرب من التعايش إلى التصادم، في اللغة والهوية في الوطن العربي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2013.

- **بلعرج (بلقاسم)**: الدارجة الجزائرية وصلتها بالفصحى، دراسة لسانية للهجة بني فتح (جيجل)، مديرية النشر لجامعة قالمة، 2008.

- **بوبيدي (حسين)**: أسماء الأعلام والقبائل والأماكن في المجالات الكتامية من ق3-4 هجري دراسة في جذور التعريب من خلال النصوص المصدرية، مجلة المعالم، العدد 20، جمعية المعالم قالمة، 2016.

- **بوزياني (الدراجي)**: القبايل الأمازيغية – أدوارها مواطنها أعيانها. دار الكتاب العربي، ط4، 2010.

- **بوعزيز (جهيدة)**: الصراعات الداخلية وأثرها في المجتمع الريفي في بايلك الشرق الجزائري أواخر العهد العثماني، ماجستير، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة2، 2012/2011.

- **التوجيني (عبد الرحمن بن عبد الله)**: عقد الجمان النفيس في ذكر الأعيان من شرفاء غريس، تحقيق دار الخليل القاسمي للنشر والتوزيع، بوسعادة الجزائر، ط1، 2005.

- **الجزّي الكلبي (محمد بن محمد الغرناطي)**: الأنوار في نسب آل النبي المختار، تحقيق السيّد مهدي الرجائي، مكتبة سماحة آية الله العظمى المرعشي النجفي الكبرى، قم – إيران، ط1، 2010.

- **ابن حزم (محمد)**: جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، المطبعة الأدبية بمصر.
- **الحساني (إبراهيم بن علي)**: ديوان قبايل سوس في عهد السلطان أحمد منصور الذهبي حوالي 1580م، تحقيق عمر افا، مطبوعات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط المملكة المغربية 1989.
- **حشلاف (عبد الله بن علي)**: سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول، المطبعة التونسية، سوق البلاط – تونس، 1929.
- **حقي (محمد)**: البربر في الأندلس، شركة النشر والتوزيع، الدار البيضاء -المغرب، ط1، 2001.
- **حمداوي (جميل)**: أنثروبولوجية الإنسان الأمازيغي، صحيفة المثقف، العدد 4241، 2018/04/16
- **الحموي (ياقوت)**: معجم البلدان، دار صادر، بيروت -لبنان، 1988.
- **الحميري (محمد بن عبد المنعم)**: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان-بيروت، ط2، 1984.
- **ابن حوقل (أبو القاسم)**: صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت—لبنان، 1992.
- **ابن خلدون (عبد الرحمن)**: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان.
- **خليفة (حاجي)**: تحفة الكبار في أسفار البحار. تحقيق وترجمة محمد حرب وتسنيم حرب، دار البشير للثقافة والعلوم، القاهرة -مصر، ط1، 2017.
- **خنوف (علي)**: تاريخ منطقة جيجل قديما وحديثا، دار الأنيس، دالي ابراهيم – الجزائر، ط2، 2011.
- **الدشراوي (فرحات)**: الخلافة الفاطمية بالمغرب، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 1994.
- **الذهبي (محمد بن أحمد بن عثمان)**: سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، 2001.
- **الراشدي (أحمد بن سحنون)**: الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم المهدي البوعبدلي، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية.
- **رزوق (محمد)**: الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16 و17، دكتوراه دولة منشورة، أفريقيا الشرق، الرباط، ط3، 1998.
- **الرفاعي (سراج الدين)**: صحاح الأخبار في نسب السادة الفاطمية الأخيار، بخط حسين الشيرازي، مطبعة نخبة الأخيار، بهندمي بازار، 1885.
- **ابن أبي زرع (علي الفاسي)**: الذخيرة السنيّة في تاريخ الدول المرينية، تحقيق محمد بن أبي شنب، مطبعة جول كربونل، الجزائر، 1920.
- **الزركشي (محمد بن إبراهيم)**: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصيّة، تحقيق محمد ماضور، المكتبة العتيقة، الزيتونة -تونس.
- **الزركلي (خير الدين)**: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط15، 2002.
- **الزياني (أبو القاسم)**: تحفة الحادي المطرب في رفع نسب شرفاء المغرب، تحقيق رشيد الزاوية، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربيّة، مطبعة الأمنية الرباط — المغرب، 2008.
- **الزياني (محمد بن يوسف)**: دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تحقيق المهدي البوعبدلي، الجزائر.

- **سامعي (إسماعيل)**: علم التاريخ عند العرب والمسلمين- دراسة في المنهاج والمصادر، المطبوعات البيداغوجية لكلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، 2014/2013.

- **سعد الله (فوزي)**: الشتات الأندلسي في الجزائر والعالم. دار قرطبة، الجزائر 2016.

- **سعد الله (فوزي)**: يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، دار الأمة – الجزائر، ط2، 2004.

- **سعيدوني (ناصر الدين)**: ورقات جزائرية، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، ط1، 2000.

- **السنوسي (محمد بن علي الخطابي)**: الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية، طبع على نفقة ابنه محمد إدريس السنوسي، مطبعة الشباب مصر، 1927.

- **السيوطي (جلال الدين)**: لب اللباب في تحرير الأنساب، دار صادر بيروت-لبنان، د/ت/ط

- **شغيب (محمد المهدي)**: أم الحواضر في الماضي والحاضر، مطبعة البعث قسنطينة، د/ت/ط

- **شنوف (عيسى)**: يهود الجزائر 2000 سنة من الوجود، دار المعرفة الجزائر، 2008.

- **شنيتي (محمد بشير)**: الاحتلال الروماني لبلاد المغرب، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية-الجزائر، 1985.

- **شيدخ (عمر العيدوني)**: مملكة الفلاقة، دار الهدى للنشر والتوزيع، عين مليلة، 2011.

- **أبو ضيف أحمد (مصطفى)**: أثر القبائل العربية في الحياة المغربية، دار النشر المغربية، ط1، 1986.

- **عباد (صالح)**: الجزائر خلال الحكم التركي، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر، 2005.

- **ابن عبد القادر (محمد)**: تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، المطبعة التجارية غرزوزي وجاويش، الاسكندرية مصر، 1903.

- **ابن عتيق (محمد الصالح)**: أحداث ومواقف في مجال الدعوة الإصلاحية والحركة الوطنية بالجزائر، منشورات دحلب – الجزائر، 1990.

- **العشماوي (أحمد بن محمد المكّي)**: التحقيق في النسب الوثيق، مخطوط رقم 476 بقسم المخطوطات، مكتبة جامعة الملك سعود - السعودية.

- **العشماوي (أحمد بن محمد المكّي)**: السلسلة الوافية والياقوتة الصافية، تحقيق أبي الحسن على بن محمّد الديلمي، المطبعة الخلدونية تلمسان الجزائر، 1952.

- **ابن العطار (أحمد بن المبارك)**: تاريخ بلد قسنطينة، تحقيق وتعليق وتقديم عبد الله حمادي، دار الفائز للطباعة والنشر والتوزيع قسنطينة، ط2011.

- **ابن العنتري (محمد الصالح)**: فريدة منيسة لدخول الترك بلد قسنطينة، تحقيق يحيى بوعزيز، ديوان المطبوعات الجامعية، 1991.

- **عمارة (علاوة)**: المسيرة النضاليّة والثورية للشهيد القائد محمد الصالح ميهوبي المعروف ببلميهوب، مطابع دار الهدى عين مليلة، ط2، 2017.

- **الغبريني (أبو العباس)**: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1979.

- **الفاسي (عبد الرحمن بن عبد القادر)**: إثمد الأبصار في الاختصاص بذكر الشرفاء الأخيار، مخطوط.

- **الفاسي (عبد القادر الفهري)**: الديمقراطية اللغوية المأمولة في المغرب، هيسبريس، 8 جوان 2011.
- **أبو الفدا (إسماعيل بن علي)**: المختصر في تاريخ البشر، مكتبة المصطفى الإلكترونية، نسخة مطابقة.
- **فرحاتي (فتيحة)**: نوميديا من حكم الملك غايا إلى بداية الاحتلال الروماني 213ق.م– 46ق.م، منشورات أبيك الجزائر، طبعة خاصة بالجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007.
- **القادري (عبد السلام بن الطيب)**: الدرّ السني في بعض من بفاس من النسب الحسني، مخطوط نشر بفاس عام 1313هـ.
- **ابن القاضي (أحمد المكناسي)**: جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط –المغرب، د/ط، 1973
- **الكعاك (عثمان)**: البربر، نشر تامغناست، د/ت.
- **لقبال (موسى)**: دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1979.
- **المراكشي (ابن عذاري)**: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، طبعة مكتبة المصطفى الالكترونية.
- **المساري (محمد العربي)**: محمد بن عبد الكريم الخطابي – من القبيلة إلى الوطن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المملكة المغربية، ط1، 2012.
- **النعمان (أبو حنيفة المغربي)**: افتتاح الدَّعوة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات لبنان، 2005.
- **النميري (ابن حاج)**: فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، دراسة وإعداد محمد بن شقرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت –لبنان، ط1، 1990.
- **الهمذاني (الحسن بن أحمد)**: الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير، تحقيق: محب الدين الخطيب، الدار اليمنية للنشر والتوزيع، صنعاء اليمن، ط1، 1987.
- **ابن الهيثم (جعفر بن الأسود)**: كتاب المناظرات، SOAS LIBRARY، د/ت/ط.
- **هيشور (بوجمعة)**: بنو كتامة، أعراش الوادي الكبير، جريدة النصر، 25 نوفمبر 1992.
- **الوجهاني (سعيد بن عبد الرحمن)**: شرح ذات البراهين، دار الإمام ابن عرفة، د/ت/ط، تونس.
- **الورتيلاني (الحسين بن محمد)**: نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، (مخطوط عائلي)، له تحقيق لمكتبة الثقافة الدينية، القاهرة – مصر، ط1، 2008.
- **الوزان (الحسن بن محمد)**: وصف أفريقيا، ترجمة د.محمد حجي ود.محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، ط2، 1983م.
- **اليعقوبي (أحمد بن إسحاق)**: البلدان، حواشي محمد أمين ضناوي، دار محمد علي بيضون ودار الكتب العلمية، بيروت، ط1، د/ت.
- **اليعقوبي (أحمد بن إسحاق)**: تاريخ اليعقوبي، تعليق وحواشي خليل المنصور، دار محمد علي بيضون ودار الكتب العلمية، بيروت، د/ت.

الكتب المترجمة:

- **بطليموس (كلوديوس)**: (الجغرافيا) صورة الأرض من المدن والجبال والبحار والجزاير والأنهار، ترجمة أبي جعفر محمد بن موسى الخوارزمي، مخطوط رقم 4247 بالمكتبة الوطنية الجامعية – ستراسبورغ.
- **سالوستيوس**: الحرب اليوغرطية، ترجمة محمد المبروك الدويب، منشورات جامعة بنغازي —ليبيا.
- **كامب (غابرييل)**: البربر – ذاكرة وهوية، تر عبد الرحيم حزل، دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب، 2014.

المنشورات والجرائد:

- **الكتابات الدينية بمدينة كويكول**: الديوان الوطني للمتاحف والمواقع الأثرية الجزائر، خلية الإعلام بموقع كويكول – العلمة ولاية سطيف.
- **جريدة المبشر**: العدد 417، يوم 13 مارس 1864.
- **جريدة البصائر**: العدد 26، السلسلة الثانية، السنة الثانية، 1948/03/08.
- **الجريدة الرسمية**: رقم 1950، الصادرة بتاريخ 24 أوت 1866.
- **النشرة الرسمية للحاكم الفرنسي العام**: 1872 رقم 398 رقم14 و15، حجز عن قرار يوم 1872/01/02.

باللغات الأجنبيّة:

- **Actes de la conférence de Carthage en 411** : Trad. Serge LANCEL, Collection Sources chrétiennes, Belles Lettres, 1991.

- **ALQUIER (Jeannette et Prosper)** : Tombes phéniciennes à Djidjelli (Algérie), Revue Archéologique, N° 31, 1930, pp 1-17.

- **AMARA (Allaoua) :** Peuplement et arabisation au Maghreb médiéval: l'exemple du pays des Kutãma, ALBORÁN, GRANADA, 2018.

- **ASTRUC (Miriam)** : Nouvelles fouilles à Djijelli (Algérie), Revue Africaine, A. Jourdan, Libraire-éditeur, Alger, Vol 80, N° 371, 1937.

- **BAGNALL (Nigel)**: The Punic Wars, ancient and medieval.

- **BAUDRILLART (Alfred) et Autres** : Dictionnaire d'Histoire et de Géographie Ecclésiastiques, Librairie LETOUEZEY et ANÉ, Paris-VI, 1953.

- **BENAMARA (Khelifa)**: KITAB EN NASSAB suivi de LES CHORFA DU SUD-OUEST, Editions Dar el Gharb Oran Algérie, 2008.

- **BERBRUGGER (Adrian):** Un Chérif kabyle en 1804, Revue Africaine, A. Jourdan, Libraire-éditeur, Alger, Tome 03 ; 1858.

- **Bulletin officiel du gouvernement général de l'algérie**, A. Bouyer, Alger, 12ème Année, 1873, Arreté du 02 Janvier 1872,

- **CAMPS (Gabriel) :** Les Bavares, Peuple de Mauritanie Césarienne, Revue Africaine, A. Jourdan, Libraire-éditeur, Alger, N° 99, 1955.

- **CARETTE (E.)** : Origine Et Migrations Des Principales Tribus De L'Algérie, Paris, Imprimerie Impériale, M DCCC LIII.

- **CARTHY (O. Mac)** : Africa Antiqua- Lexique de Géographie Comparée de l'Ancienne Afrique, Revue Africaine, Op.cit, n°31, 1887.

- **DALLET (J.M.)** : Dictionnaire Kabyle-Français, Editions SELAF, Paris, 1982, p 428.

- **D'AVEZAC (M.)**: L'AFRIQUE, Esquisse Générale de l'Afrique et Afrique Ancienne, Firmin Didot Frères, éditeurs, Paris, 1844.

- **DE HAËDO (Diego)** : Topographia Et Historia General De Argel, Valladolid, 1612, Tratado Epitome De Los Reyes De Argel, Capitulo primero de Aruch Barbarroja primo Rey de Argel §VI.

- **DE HAËDO (Diego)**: Histoire des rois d'Alger (Epítome de los reyes de Argel – Valladolid 1612), Trad et Annotée par H-D DE GRAMMONT, Adolphe Jourdan, Alger, 1881.

- **DE VILERS (Charles-Marie Le Myre):** Répertoire alphabétique des tribus et douars de l'Algérie, BNF, 1879.

- **DE VITA (Victor) :** Histoire de la persécution vandale en Afrique, Trad Serge LANCEL, Belles lettres, Paris, 2002.

- **DICTIONNAIRE des Communes de l'Algérie,** Pierre FONTANA, Alger, 1903.

- **FERAUD (L. Charles):** Les Corporations De Métiers à Constantine Avant La Conquête Française (Traduction D'un Manuscrit Arabe), Revue Africaine, A. Jourdan, Libraire-éditeur, Alger, N° 16, 1872.

- **FERAUD (L. Charles)**: Histoire Des villes De la Provence de Constantine-Djidjelly, Kessinger Publishing, LLC, 2010

- **FERAUD (L. Charles)**: Notice Historique sur la tribu des Oulad Abd-En-nour, Typographie et Lithographie ALESSI et ARNOLET, 1861.

- **FERAUD (L. Charles)**: L'Oued El-Kebir et Collo, Revue Africaine, A. Jourdan, Libraire-éditeur, Alger, N°03, 1858.

- **FERAUD (L. Charles)**: Zebouchi et Osman Bey, Revue Africaine, A. Jourdan, Libraire-éditeur, Alger, N°06, 1862.

- **FOREST (Louis)**: La Naturalisation Des Juifs Algériens Et L'insurrection De 1871, Société Française D'imprimerie Et De Librairie, Paris.

- **GARROT (Henri)**: Les Juifs Algériens - Leurs Origines, Librairie Louis RELIN, Alger, 1898.

- **GOLEAUD (L.)**: Animaux-Totem Nord-Africains, Revue Africaine, A. Jourdan, Libraire-éditeur, Alger, N°76, 1935.

- **GSELL (Stéphane)**: Atlas Archéologique de l'Algérie, Adolphe JOURDAN Imprimeur Libraire-éditeur, Alger, 1911.

- **HAÏCHOUR (Boudjemâa)**: L'espace kétamien d'El-Milia, Revue Révolution Africaine, N° 1658, du 06 au 12 Décembre 1995.

- **HERODOTE:** Histoire, trad par LARCHER, Charpentier Libraire éditeur, Paris, 1850.

- **JUSTIN** : Histoire Universelle, trad. Jules PIERROT, éditions C.L.F, Panckoucke, Paris.

- **KITOUNI (Hosni):** La Kabylie Orientale dans l'Histoire, Casbah éditions, Alger, 2013.

- **LAPORTE (Jean-Pierre)** : Ptolémée et la Maurétanie césarienne. In: Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 147e année, N° 1, 2003.

- **LUCIANI (D.):** Les Ouled Athia de l'Oued Zhour, Revue Africaine, A. Jourdan, Libraire-éditeur, Alger, N°33, 1889.

- **MARÇAIS (Philippe):** Le parler Arabe de Djidjelli, Librairie d'Amérique et d'orient, Paris, 1954.

- **MARÇAIS (Philippe):** Remarque Sur Un Fait Syntaxique Du Parler Arabe D'El-Milia, Revue Africaine, A. Jourdan, Libraire-éditeur, Alger, N°79 II, 1936.
- **MARCUS (L.) et DUESBERG**: Géographie Ancienne des états Barbaresques, Librairie encyclopédique de RORET, Paris, 1842.

- **MERCIER (Ernest)**: Histoire de Constantine, J.MARLE et F.BIRON Imprimeurs-Editeurs, Rue Damrémont, Constantine, 1903.

- **PLINE l'ancien**: Histoire Naturelle, trad É.LITTRÉ, FIRMIN-DIDOT et CTE Libraires, Paris.

- **RAGOT (W.)**: Le Sahara de la Provence de Constantine, Recueil des Notices et Mémoires de la Société Archéologique de la Provence de Constantine, Vol 6, 1873-1874, L. ARNOLET Libraire-éditeur, Constantine.

- **RINN (Louis):** Histoire De L'Insurrection De 1871 En Algérie, Librairie Adolphe Jourdan, Alger, 1891.

- **RINN (Louis)** : Le Royaume d'Alger sous le dernier Day, Revue Africaine, A. Jourdan, Libraire-éditeur, Alger, N° 228, 1898.

- **TAUXIER (Henri)**: Ethnographie de l'Afrique Septentrionale au temps de Mahomet, Revue Africaine, A. Jourdan, Libraire-éditeur, Alger, n°06, 1862, n°07, 1863, N°08, 1864.

- **TROUSSET (P.):** Gemellae, Encyclopédie Berbère, 20 Gauda – Girrei, Aix-en-Provence, Edisud, 1998.

- **YANVILLE (Capitaine d') :** Lettres au Secrétaire de la Société Sur l'Inscription du Col de Fdoulès, ANNUAIRE de la Société Archéologique de la Provence de Constantine, Vol 02, 1856-1857, BASTIDE et AMAVET, Libraires-Editeurs, Constantine.

المواقع الإلكترونية:

- http://www.djelfa.info
- http://www.inumiden.com
- http://www.dc-jijel.com
- https://tutlayt.com
- http://www.Jijel-Archeo.123.fr
- http://www. Beni-Foughel.com

الملاحق

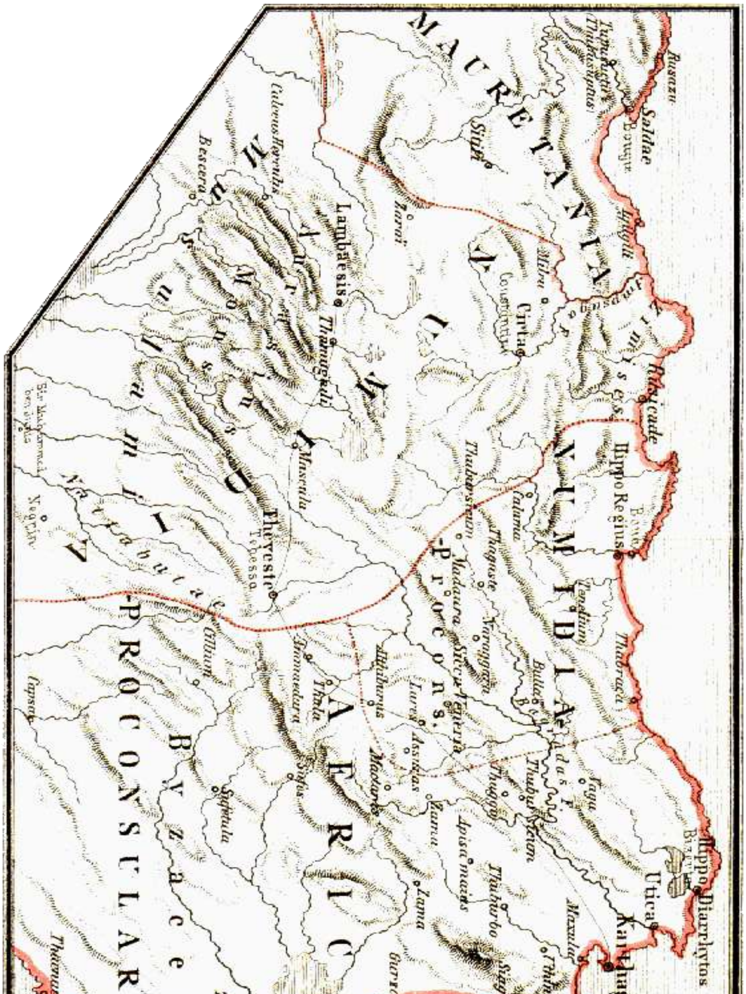

خارطة تقسيم شمال أفريقيا وبها موضعة التقسيم السياسي للأجناس القديمة

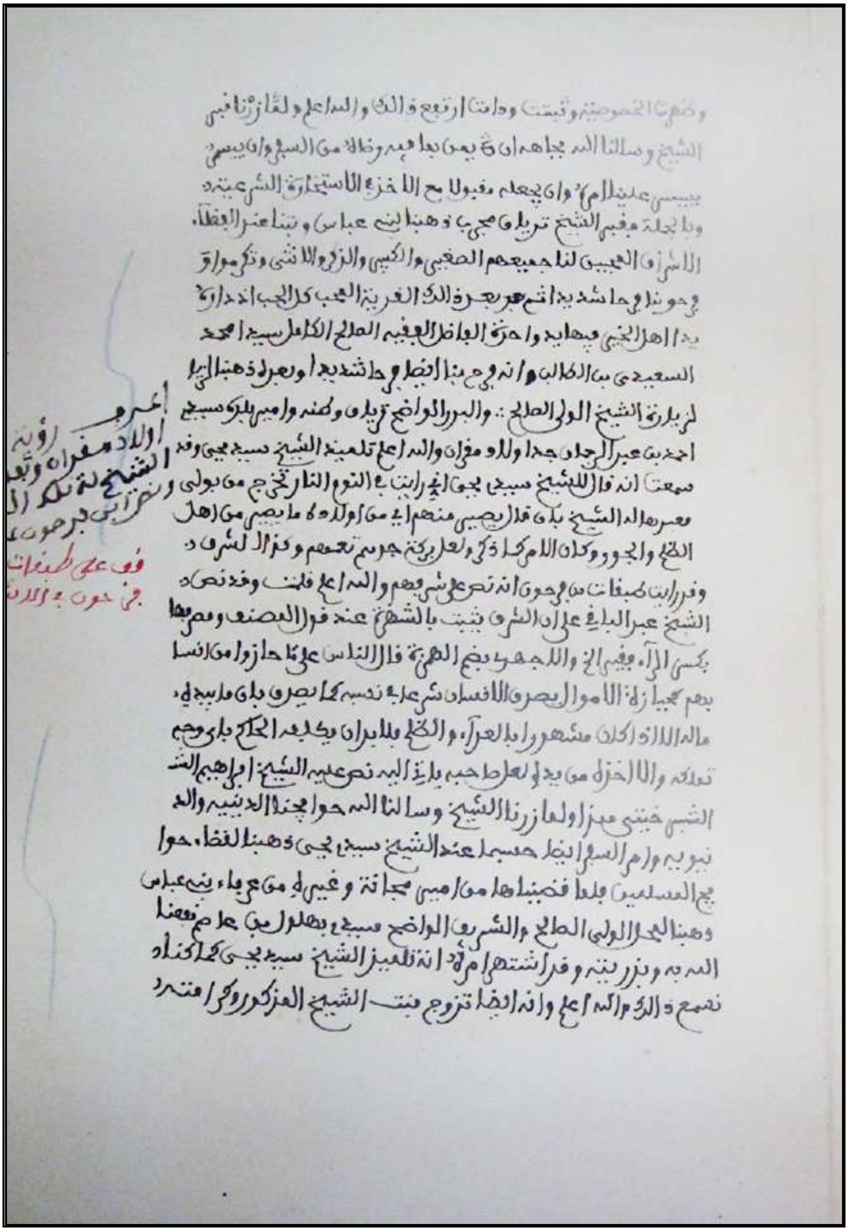
وضعت الخصوصية وثبتت ودامت ارتفع والكل والداعي ولقاء زرنا في
الشيخ وسألنا الله بجاهه ان في يمن بلا فيه وخلاله من السيئ وان ييسر
بتيسير علينا امين وان يجعله مقبولا مع الاخرة الاستخارة الشرعية
وبالجملة فخبر الشيخ تربلة مجيب ذهبنا ابن عباس وتبنا عن الغفلة
الاشراف الطيبين لنا جميعهم الصغير والكبير والذكر والانثى وذكر [illegible]
وجونا في حال شديد ثم عبر بعدة الكل الغريبة العجب كل العجب [illegible]
بد اهل الخير فيها واحرز الفاضل العفيف الصالح الكامل سيدي احمد
السعيدي بن الطالب وانه في هذا ايضا في حال شديد او بعد ذهبنا الى
لزيارة الشيخ الولي الصالح .. والبدر الواضح تربلة وضنه وامير [illegible] سيدي
احمد بن عبد الرحمن جدا ولاد مقران والله اعلم تلميذ الشيخ سيدي يحيى وقد
سمعت انه قال للشيخ سيدي يحيى انجر ايت في النوم النار تخرج من بولي و
فعبرها الشيخ بان قال يصير منهم اي من اولاده ما يصير من اهل
الظلم والجور وكان الامر كذلك ولعل بركة جدهم تعمهم وتزيل الشر
وقد رايت صفات من جون انه نصح عشيرتهم والله اعلم فلست وقد نص
الشيخ عبد الباقي على ان الشرف يثبت بالشهرة عند قول المصنف [illegible]
[illegible] قال الناس على ما حازوا من انسابهم
بهم بجيازة الاموال [illegible]
[illegible]

الصفحة المتعلقة بنسب بني آمقران من مخطوط نزهة النظار لحسين الورثيلاني

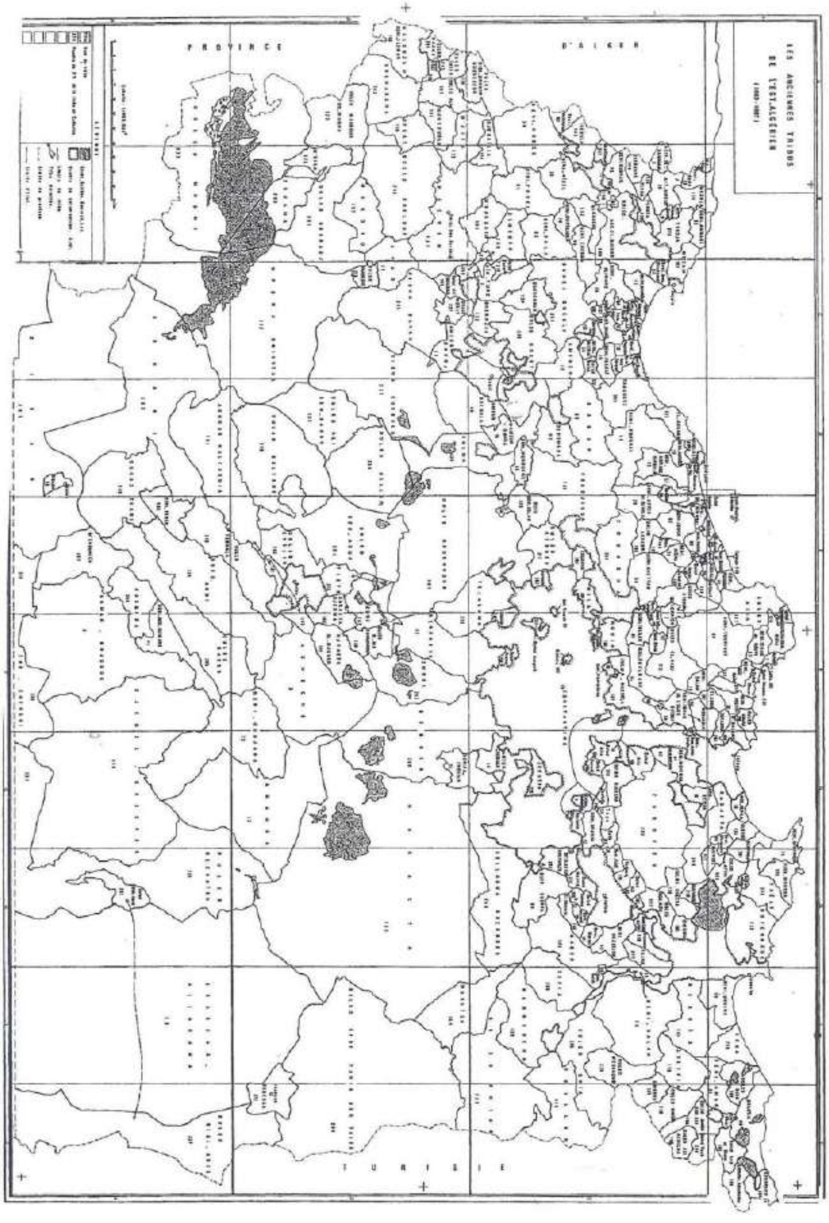

خارطة التقسيم الفرنسي لمجالات القبايل الجزائرية بين سنتي 1863–1887

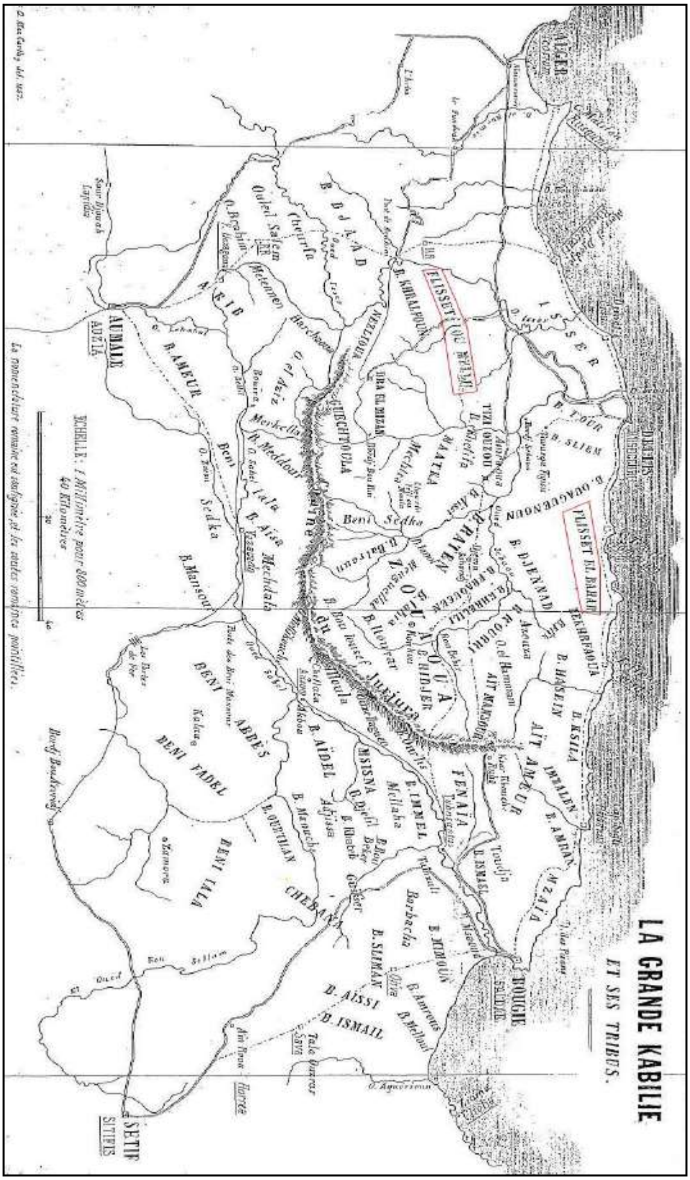

موضع فرعي (إفليسن البحر) و(إفليسن أُومليل) على خارطة القبايل الكبرى

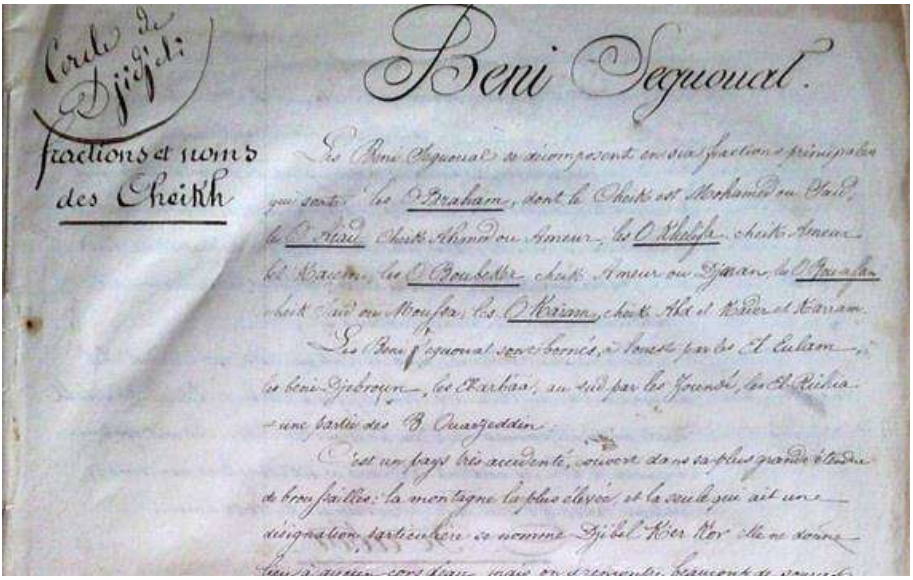
Cercle de Djidjeli

fractions et noms des Cheikh

Beni Seguoual.

Les Beni Seguoual se décomposent en six fractions principales qui sont: les O. Braham, dont le Cheikh est Mohamed ou Saïd, les O. Aïad cheikh Ahmed ou Ameur, les O. Khelifa cheikh Ameur bel Kacem, les O. Boubekr cheikh Ameur ou Djaran, les O. [illegible] cheikh Saïd ou Moussa, les O. Kasim cheikh Abd el Kader el Kasim.

Les Beni Seguoual sont bornés, à l'ouest par les El Eulam, les beni Djebroun, les Kerbaa; au sud par les [illegible], les El-Richia, une partie des B. Ouarzeddin.

C'est un pays très accidenté, couvert dans sa plus grande étendue de broussailles; la montagne la plus élevée et la seule qui ait une désignation particulière se nomme Djibel Ker Kor. Elle ne donne [illegible]

مقتطف من تقرير الفرنسيين بأمر الإمبراطور نابليون عن قبيلة بني سڤوال سنة 1845م

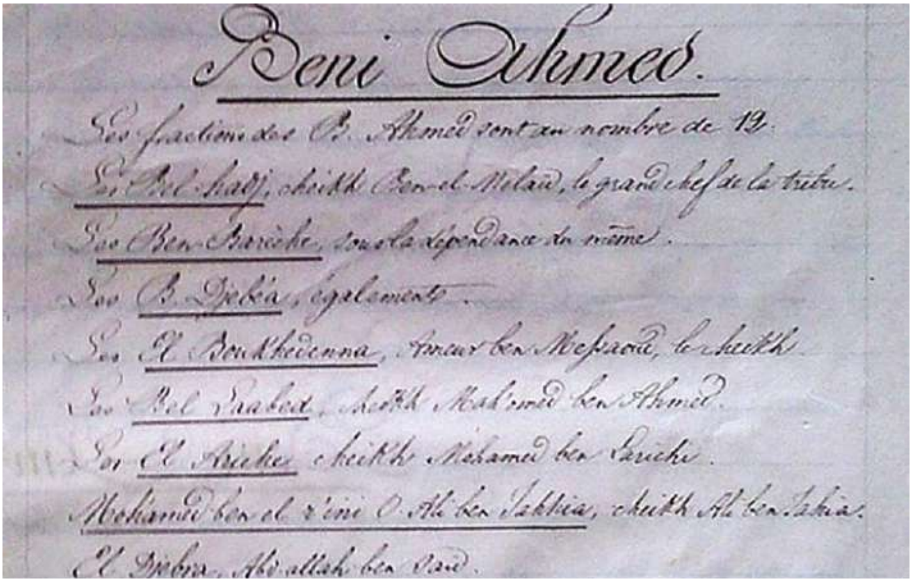
Beni Ahmed.

Les fractions des B. Ahmed sont au nombre de 12.

Les Bel-hadj, cheikh Ben-el-Melaa, le grand chef de la tribu.

Les Ben Bariche, sous la dépendance du même.

Les B. Djeba, également.

Les El Boukhedenna, Ameur ben Messaoud, le cheikh.

Les Bel Thabet, cheikh Mohamed ben Ahmed.

Les El Aiche, cheikh Mohamed ben Sariche.

Mohamed ben el [illegible] O. Ali ben Iakhia, cheikh Ali ben Iakhia.

El Djebra, Abdallah ben Saïd.

مقتطف من تقرير الفرنسيين بأمر الإمبراطور نابليون عن قبيلة بني أحمد سنة 1845م

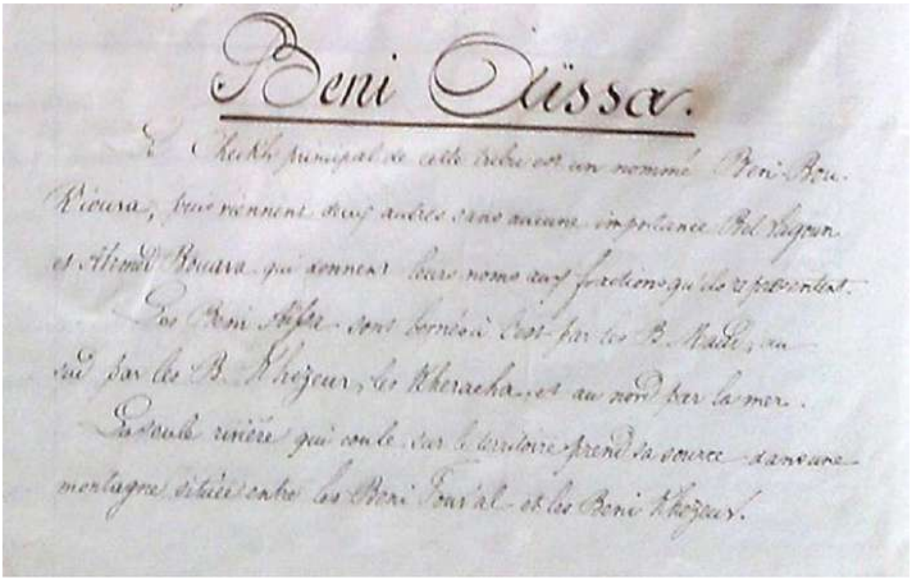
Beni Aïssa.

Le Cheikh principal de cette tribu est un nommé Beni Bou-[illegible], puis viennent deux autres sans aucune importance Bel [illegible] et Ahmed Bouara qui donnent leurs noms aux fractions qu'ils représentent.

Les Beni Aïssa sont bornés à l'est par les B. Maad, au sud par les B. Khozeur, les Kheracha, et au nord par la mer.

La seule rivière qui coule sur le territoire prend sa source dans une montagne située entre les Beni [illegible] et les Beni Khozeur.

مقتطف من تقرير الفرنسيين بأمر الإمبراطور نابليون عن عرش بني عيسى سنة 1845م

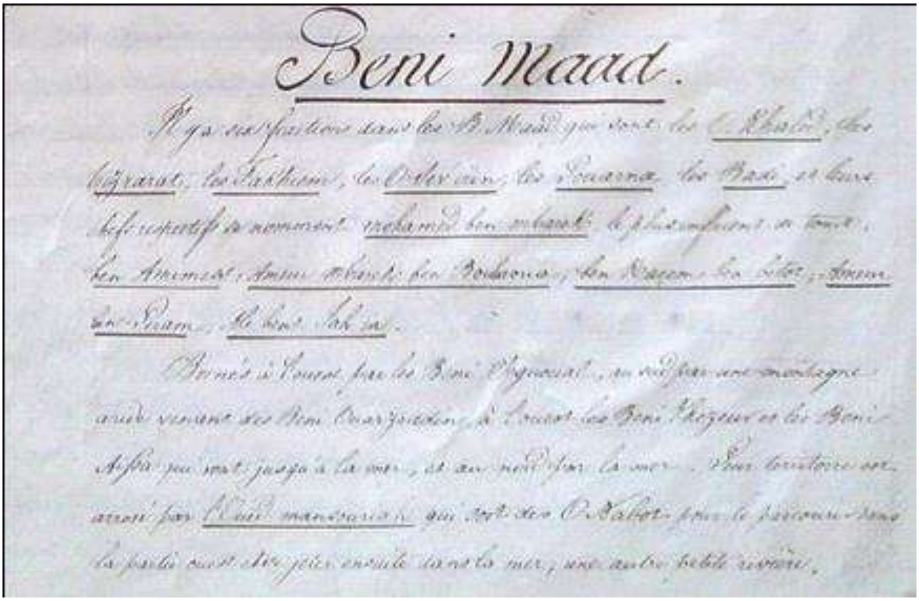
Beni Maad.

Il y a six fractions dans les B. Maad qui sont les [illegible], les [illegible], les [illegible], les [illegible], les [illegible], les [illegible] et leurs chefs respectifs se nomment [illegible] le plus influent de tous, ben [illegible], [illegible] ben [illegible], ben [illegible], [illegible], [illegible].

Bornés à l'ouest par les Beni [illegible], au sud par une montagne aride venant des Beni [illegible], à l'ouest les Beni Khozeur et les Beni Aïssa qui vont jusqu'à la mer, et au nord par la mer. Leur territoire est arrosé par [illegible] qui sort des [illegible] pour se [illegible] dans la partie ouest [illegible] ensuite dans la mer, une autre petite rivière,

مقتطف من تقرير الفرنسيين بأمر الإمبراطور نابليون عن عرش بني معاذ سنة 1845م

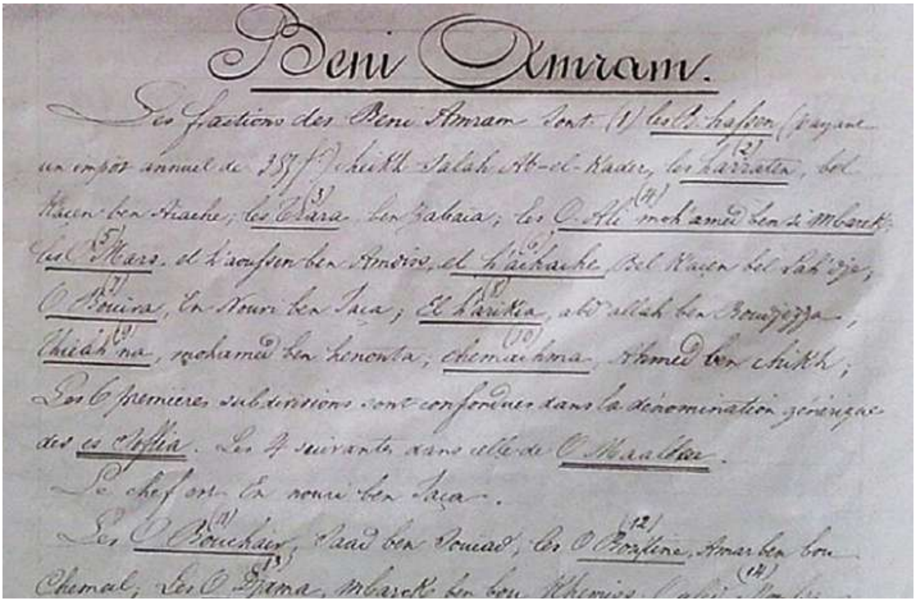
Beni Amram.

Les fractions des Beni Amram sont (1) les El hasson (payant un impôt annuel de 387 f) cheikh Salah Ab-el-Kader, les (2) Harratta, bel Kacem ben Aiache; les (3) O'Dara ben Yabaia; les (4) O. Ali moh'amed ben Mbarek; les (5) O'Mars. el h'oussen ben Amdris; el (6) h'achache bel Kacem bel sah'oja; (7) O'Bouira, En Nouri ben Iaça; (8) El h'arika, abd allah ben Boudjezza; (9) Chiah'na, mohamed ben henouta; (10) Chemachma, Ahmed ben cheikh; Les 6 premières subdivisions sont confondues dans la dénomination générale des es Sffia. Les 4 suivants dans celle de O'Maalla.

Le chef est En nouri ben Iaça.

Les (11) O'Bouchair, saad ben Souad, les (12) O'Bozline, Amar ben bou Chemal; les (13) O'Djema, mbarek ben bou Khemis, O'Ali (14) ...

مقتطف من تقرير الفرنسيين بأمر الإمبراطور نابليون عن قبيلة بني عمران سنة **1845**م

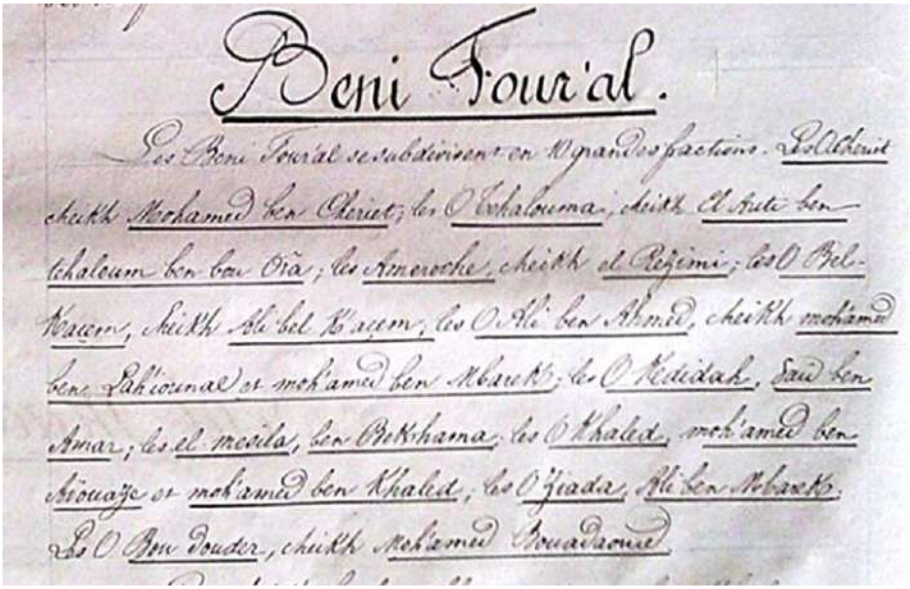
Beni Fouq'al.

Les Beni Fouq'al se subdivisent en 10 grandes fractions. Les O'Atheuit cheikh Mohamed ben Cheriet; les O'Tchalouma, cheikh El Aati ben Tchaloum ben bou Oïa; les Ameroche, cheikh el Rezimi; les O'Bel-Kacem, cheikh Ali bel Kacem; les O'Ali ben Ahmed, cheikh moh'amed ben Lah'ounal et moh'amed ben Mbarek; les O'Ketidah, Saïd ben Amar; les el mesila, ben Belkhama, les O'Khaled, moh'amed ben Aïouaje et moh'amed ben Khaled, les O'Ziada, Ali ben Mbarek. Les O'Bou Douder, cheikh Moh'amed Bouadaoue

مقتطف من تقرير الفرنسيين بأمر الإمبراطور نابليون عن قبيلة بني فوغال سنة **1845**م

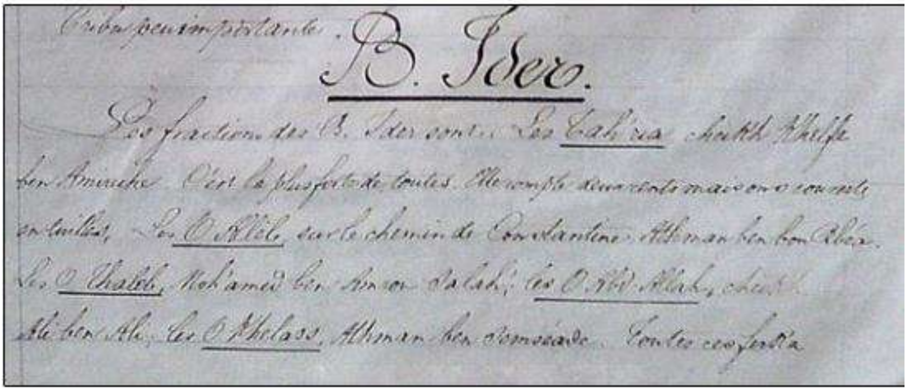
Tribu peu importante. B. Ider.

Les fractions des B. Ider sont : Les Tah'zea, cheikh Khelifa ben Amireche. C'est la plus forte de toutes. Elle compte deux cents maisons couvertes en tuiles ; Les O. Allel, sur le chemin de Constantine, [illegible]. Les O. Chaleb, Moh'amed ben [illegible] ; les O. Abd Allah, cheikh Ali ben Ali, les O. Khelass, [illegible]. Toutes ces fractions

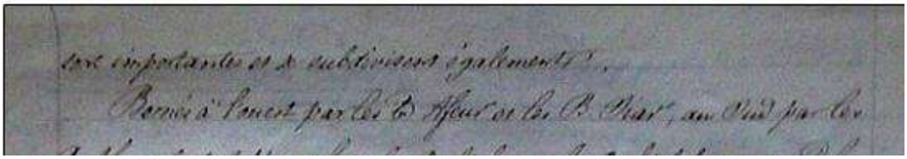
sont importantes et se subdivisent également.

Bornés à l'ouest par les B. Afeur et les B. Ghar, au Sud par les

مقتطف من تقرير الفرنسيين بأمر الإمبراطور نابليون عن قبيلة بني يدر سنة **1845**م

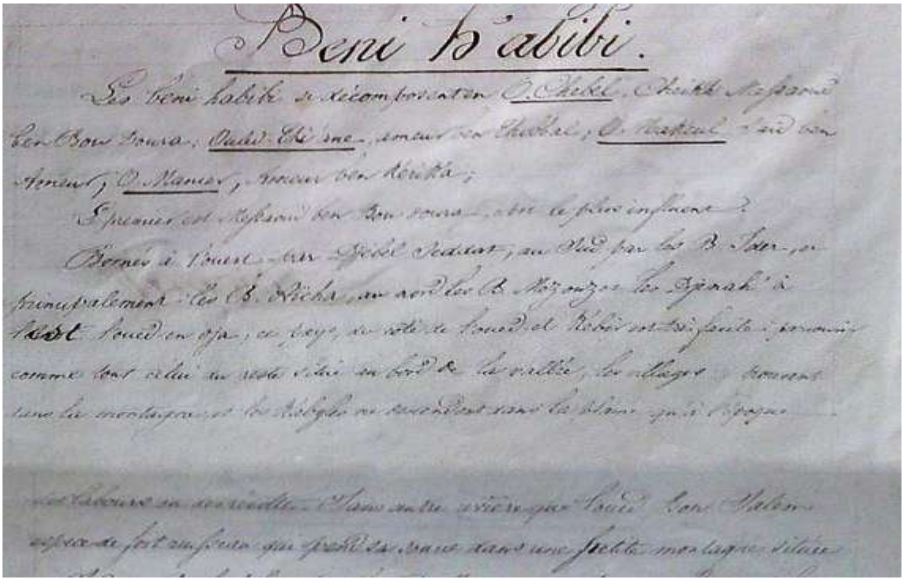
Beni H'abibi.

Les beni habibi se décomposent en O. Chebel, cheikh [illegible] ben Bou Zoura, Ouled [illegible], [illegible] ; O. Manser, [illegible] ;

Le premier est [illegible] ben Bou Zoura, c'est le plus influent.

Bornés à l'ouest par Djebel [illegible], au Sud par les B. Ider, et principalement les O. [illegible], au nord les B. [illegible] [illegible]

مقتطف من تقرير الفرنسيين بأمر الإمبراطور نابليون عن قبيلة بني حبيبي سنة **1845**م

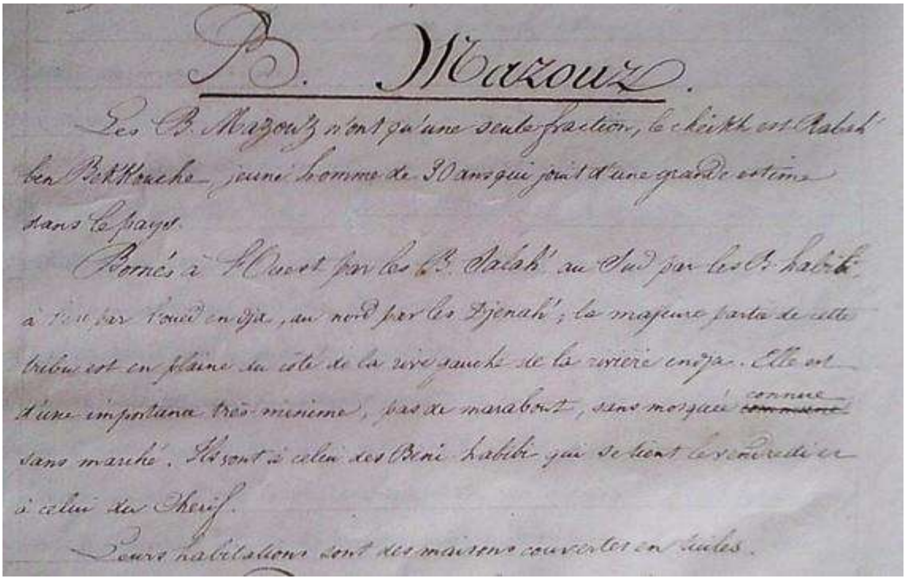

B. Mazouz

Les B. Mazouz n'ont qu'une seule fraction, le cheikh est Rabah ben Belkhache, jeune homme de 30 ans qui jouit d'une grande estime dans le pays.

Bornés à l'Ouest par les B. Salah au Sud par les B. Habibi à l'est par l'oued en Nja, au nord par les Djenah; la majeure partie de cette tribu est en plaine du côté de la rive gauche de la rivière en Nja. Elle est d'une importance très minime, pas de marabout, sans mosquée connue sans marché. Ils sont à celui des Beni Habibi qui se tient le vendredi et à celui des Cherif.

Leurs habitations sont des maisons couvertes en tuiles.

مقتطف من تقرير الفرنسيين بأمر الإمبراطور نابليون عن عرش بني معزوز سنة 1845م

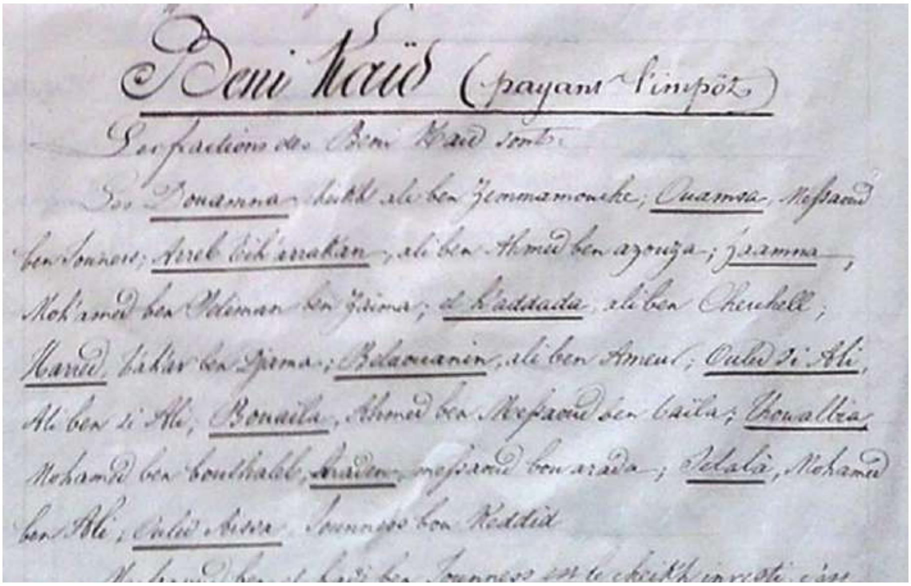

Beni Kaïd (payant l'impôt)

Les fractions des Beni Kaïd sont:

Les Douamna, cheikh Ali ben Zemmamouche; Ouamsa, Messaoud ben Younes; Arreb Bih'aratan, Ali ben Ahmed ben Azouza; Jeamna, Moh'amed ben Soliman ben Djima; El Haddada, Ali ben Chenhell; Haouïd, Bikar ben Djama; Belaouanin, Ali ben Ameur; Ouled Si Ali, Ali ben Si Ali; Bouaila, Ahmed ben Messaoud ben Baila; Chouallza, Mohamed ben Bouthaleb; Araden, Messaoud ben Arada; Selala, Mohamed ben Ali; Ouled Aissa, Younes ben Keddid.

مقتطف من تقرير الفرنسيين بأمر الإمبراطور نابليون عن قبيلة بني قايد سنة 1845م

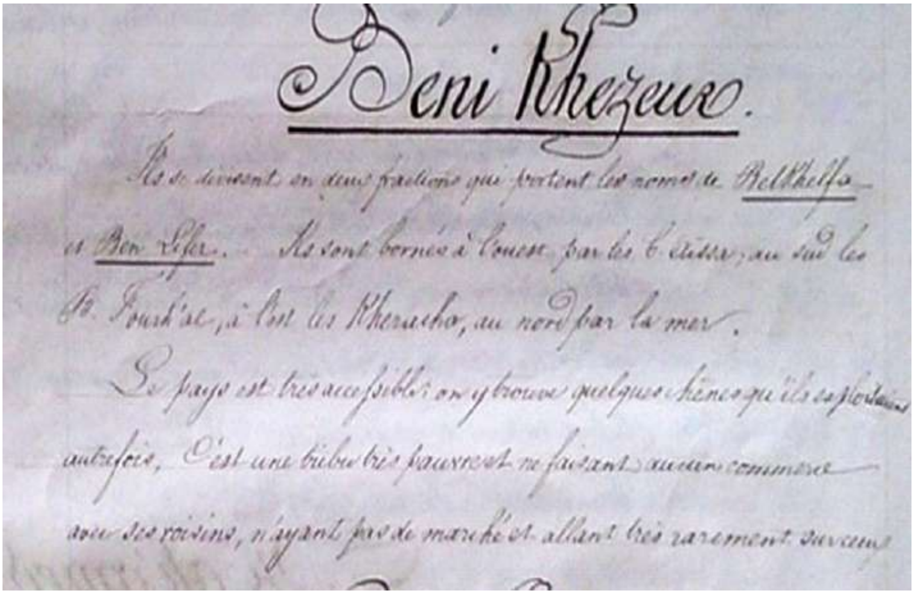

Beni Khezeur.

Ils se divisent en deux fractions qui portent les noms de Belkhelfa et Ben Lifer. Ils sont bornés à l'ouest par les B. Aissa, au sud les B. Fourh'al, à l'est les Kheracha, au nord par la mer.

Le pays est très accessible: on y trouve quelques chênes qu'ils exploitaient autrefois. C'est une tribu très pauvre et ne faisant aucun commerce avec ses voisins, n'ayant pas de marché et allant très rarement aux ...

مقتطف من تقرير الفرنسيين بأمر الإمبراطور نابليون عن قبيلة بني خزر سنة 1845م

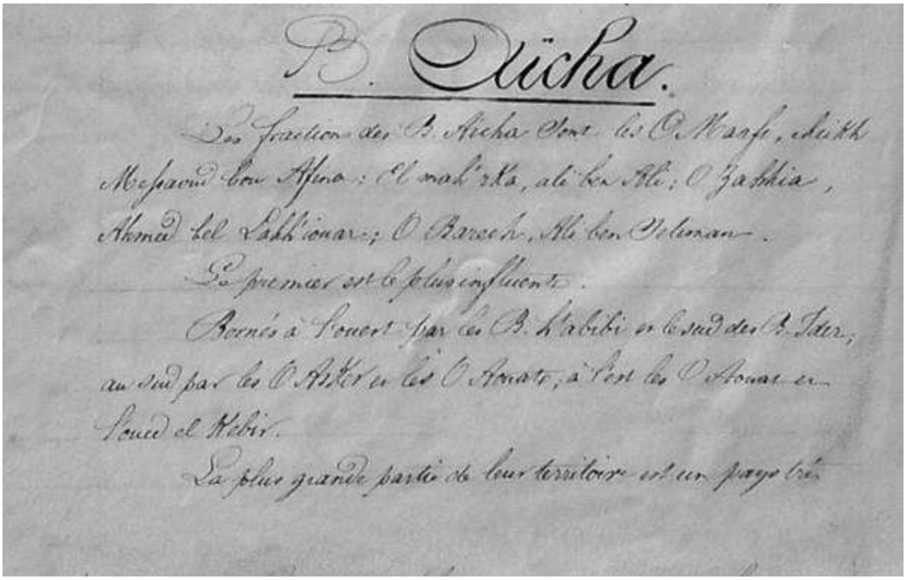

B. Aïcha.

Les fractions des B. Aïcha sont les O. Marfe, Aïth Messaoud ben Afna; El mah'rka, Ali ben Ali; O. Yahia, Ahmed bel Lakh'ouar; O. Bazech, Ali ben Soliman.

Le premier est le plus influent.

Bornés à l'ouest par les B. H'abibi et le sud des B. Ider, au sud par les O. Aïssa et les O. Amara, à l'est les O. Aouar et l'oued el Kebir.

La plus grande partie de leur territoire est un pays très

مقتطف من تقرير الفرنسيين بأمر الإمبراطور نابليون عن قبيلة بني عيشة سنة 1845م

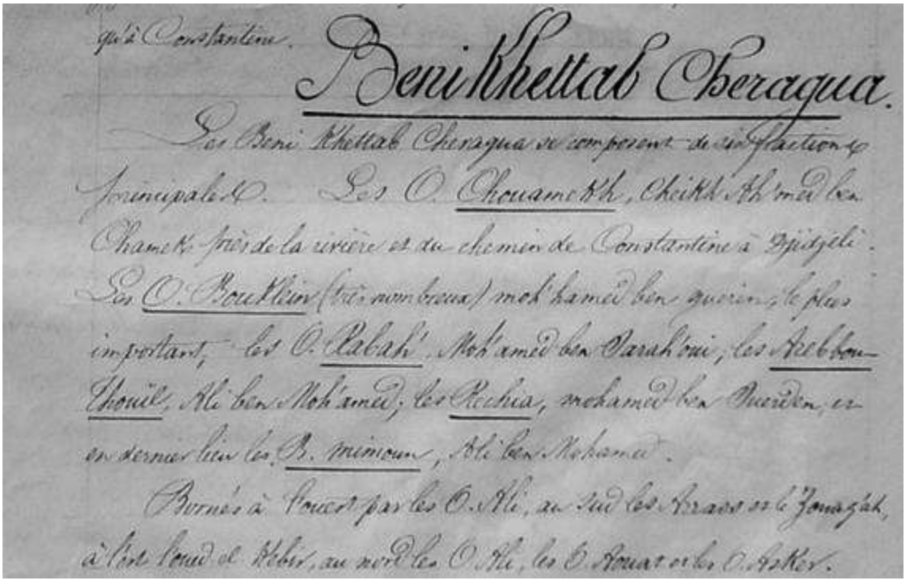

qu'à Constantine.

Beni Khettab Cheraqua.

Les Beni Khettab Cheraqua se composent de six fractions principales. Les O. Chouamekh, Cheikh Ah'med ben Chamekh près de la rivière et du chemin de Constantine à Djidjeli. Les O. Bouklein (très nombreux) Moh'amed ben Guerin, le plus important, les O. Rabah' Moh'amed ben Darah'oui, les Aebbou Chouil, Ali ben Moh'amed, les Rechia, Mohamed ben Guerden, et en dernier lieu les B. Mimoun, Ali ben Mohamed.

Bornés à l'ouest par les O. Ali, au sud les Arrès et le Zouagah, à l'est l'oued el Kebir, au nord les O. Ali, les O. Aouat et les O. Asker.

مقتطف من تقرير الفرنسيين بأمر الإمبراطور نابليون عن قبيلة بني خطاب الشراقة سنة 1845م

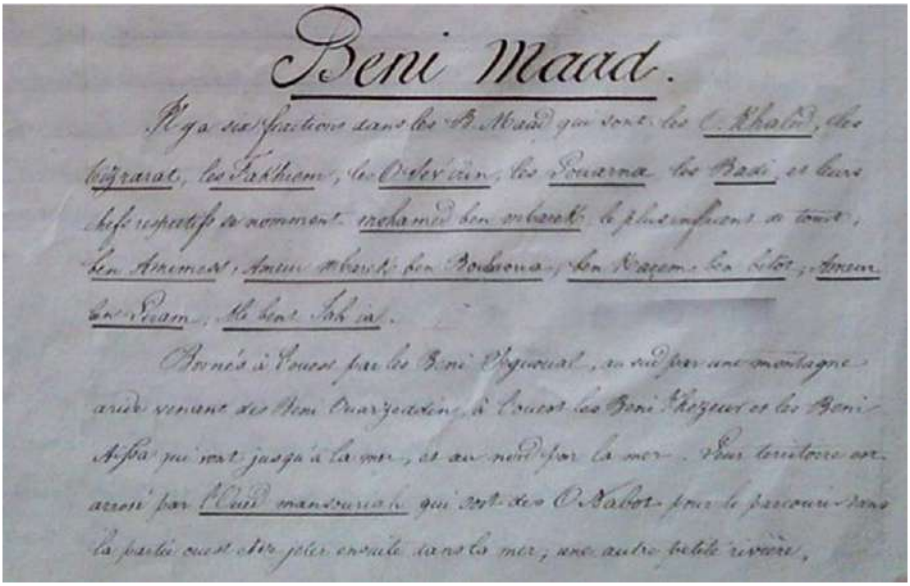

Beni Maad.

Il y a six fractions dans les B. Maad qui sont les O. Khalid, les Bezrarat, les Fakhiem, les O. Der'iin, les Souarna, les Badi, et leurs chefs respectifs se nomment: Mohamed ben Mbarek le plus influent de tous, ben Amimed, Ameur Mbarek ben Bouhrona, ben Kazem ben Letor, Ameur ben Brahim, Ali ben Yah'ia.

Bornés à l'ouest par les Beni Chgoual, au sud par une montagne aride venant des Beni Ouarzeddine, à l'ouest les Beni Khezeur et les Beni Aïssa qui vont jusqu'à la mer, et au nord par la mer. Leur territoire est arrosé par l'Oued Mansouriah qui sort des O. Nabet pour le parcourir dans la partie ouest et se jeter ensuite dans la mer; une autre petite rivière,

مقتطف من تقرير الفرنسيين بأمر الإمبراطور نابليون عن قبيلة بني معاذ سنة 1845م

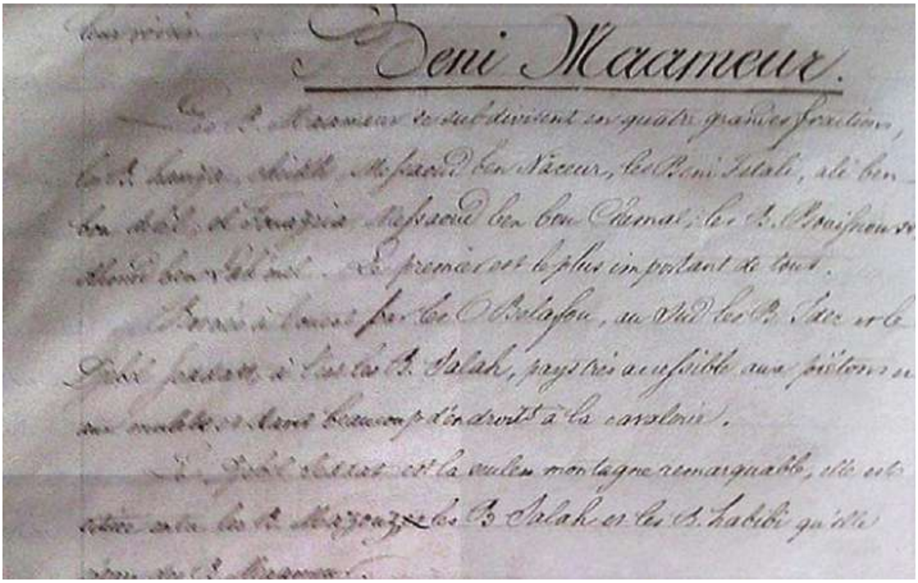

Beni Maamour.

Les B. Maamour se subdivisent en quatre grandes fractions, [illegible] Mesaoud ben Naceur, les Beni [illegible] [illegible] Le premier est le plus important de tous.

[illegible] à l'ouest par les O. [illegible], au sud les B. [illegible] et le Djebel [illegible], à l'est les B. Salah, pays très accessible aux piétons et aux mulets et dans beaucoup d'endroits à la cavalerie.

[illegible] est la seule montagne remarquable, elle est située entre les B. Mazouz, les B. Salah et les B. habibi qu'elle [illegible]

مقتطف من تقرير الفرنسيين بأمر الإمبراطور نابليون عن قبيلة بني معمر سنة 1845م

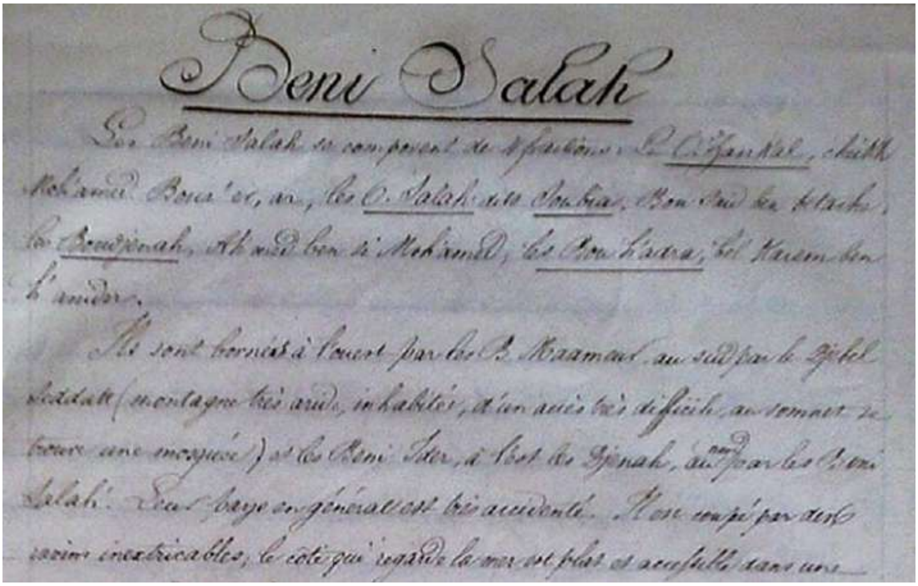

Beni Salah

Les Beni Salah se composent de 4 fractions : les O. [illegible], chikh [illegible] les O. Salah [illegible] les Boudjenah, [illegible] les [illegible]

Ils sont bornés à l'ouest par les B. Maamour, au sud par le Djebel [illegible] (montagne très aride, inhabitée, d'un accès très difficile, au sommet se trouve une mosquée) et les Beni [illegible], à l'est les Djenah, au nord par les Beni Salah. Leur pays en général est très accidenté. Il est coupé par des ravins inextricables, le côté qui regarde la mer est plat et accessible dans une

مقتطف من تقرير الفرنسيين بأمر الإمبراطور نابليون عن قبيلة بني صالح سنة 1845م

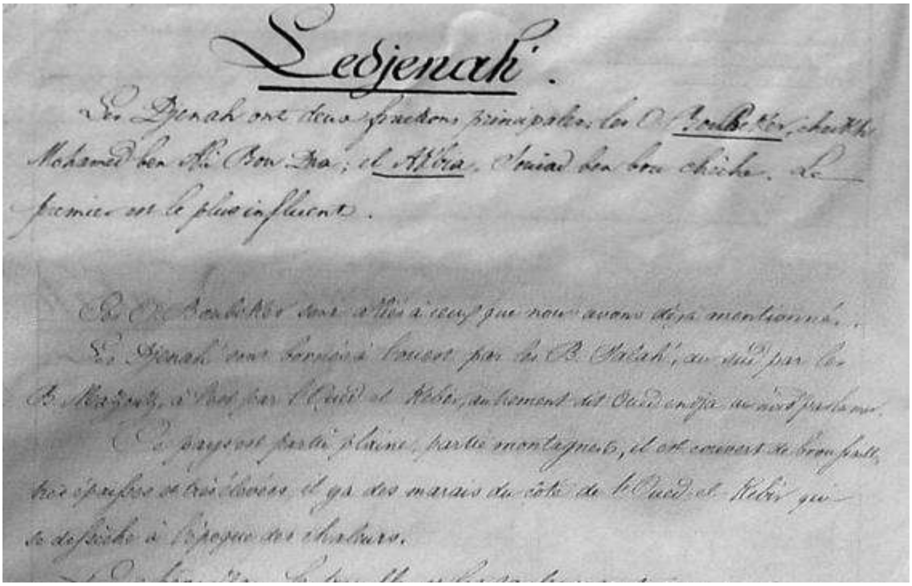

Ledjenah.

Les Djenah ont deux fractions principales, les O. Boubekeur, cheikh Mohamed ben Ali Bou Dra; et Abra, Saïad ben bou chiche. Le premier est le plus influent.

Les O. Boubekeur sont alliés à ceux que nous avons déjà mentionnés.

Les Djenah sont bornés à l'ouest par les B. Salah; au sud par les B. Madjouly, à l'est par l'Oued el Kebir, autrement dit Oued ... au nord par la mer.

Ce pays est partie plaine, partie montagneux, il est couvert de broussailles très épaisses et très élevées, il y a des marais du côté de l'Oued el Kebir qui se dessèche à l'époque des chaleurs.

مقتطف من تقرير الفرنسيين بأمر الإمبراطور نابليون عن عرش الجناح سنة 1845م

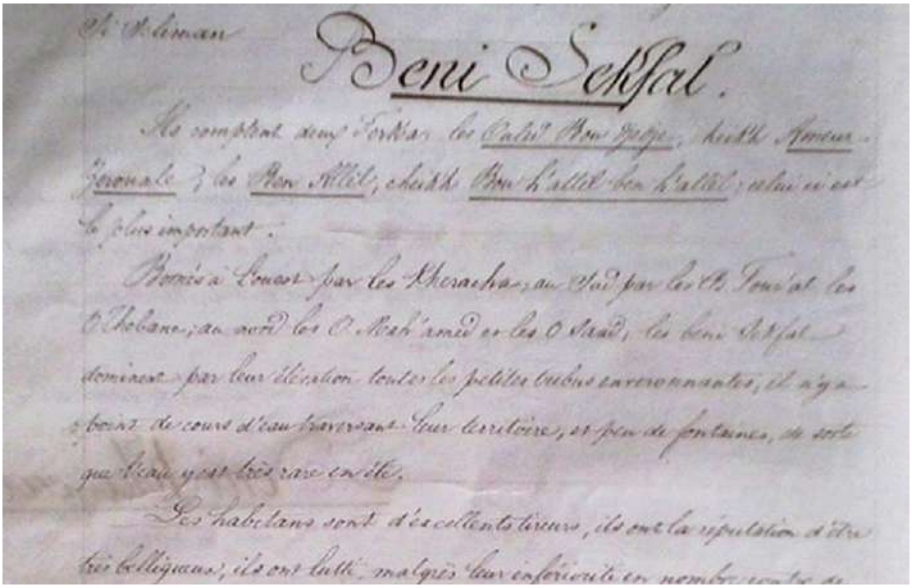

Beni Sekfal.

Ils comptent deux fractions, les Ouled Bou Yahya, cheikh Ameur Zeroual, et les Bou Allal, cheikh Bou Allal ben Allal; celui-ci est le plus important.

Bornés à l'ouest par les Kheracha, au sud par les B. Foural, les O. Chebana, au nord les O. Mah'amed et les O. Saad, les Beni Sekfal dominent par leur élévation toutes les petites tribus environnantes, il n'y a point de cours d'eau traversant leur territoire, et peu de fontaines, de sorte que l'eau y est très rare en été.

Les habitans sont d'excellents tireurs, ils ont la réputation d'être très belliqueux; ils ont lutté malgré leur infériorité en nombre contre ...

مقتطف من تقرير الفرنسيين بأمر الإمبراطور نابليون عن قبيلة بني سكفال سنة 1845م

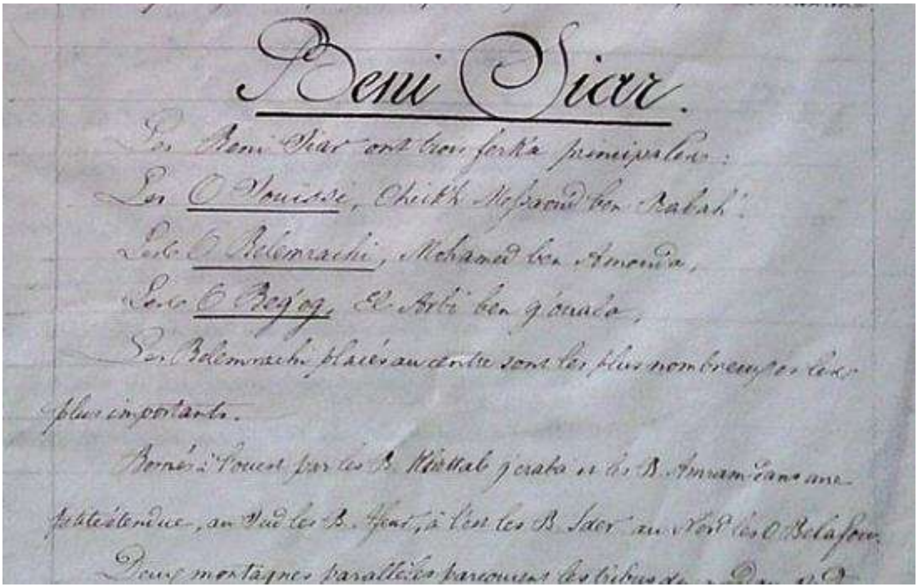

Beni Siar.

Les Beni Siar ont trois fractions principales :
Les O. Youisse, Cheikh Mohamed ben Rabah ;
Les O. Belemrachi, Mohamed ben Amouda,
Les O. Beyog, El Arbi ben Gouada,
Les Belemrachi placés au centre sont les plus nombreux et les plus importants.
Bornés à l'ouest par les B. Khettab Gheraba et les B. Amran dans une petite étendue, au Sud les B. Afeur, à l'est les B. Sder au Nord les O. Belafou.
Deux montagnes parallèles parcourent les tribus de [illegible]

مقتطف من تقرير الفرنسيين بأمر الإمبراطور نابليون عن قبيلة بني سيار سنة 1845م

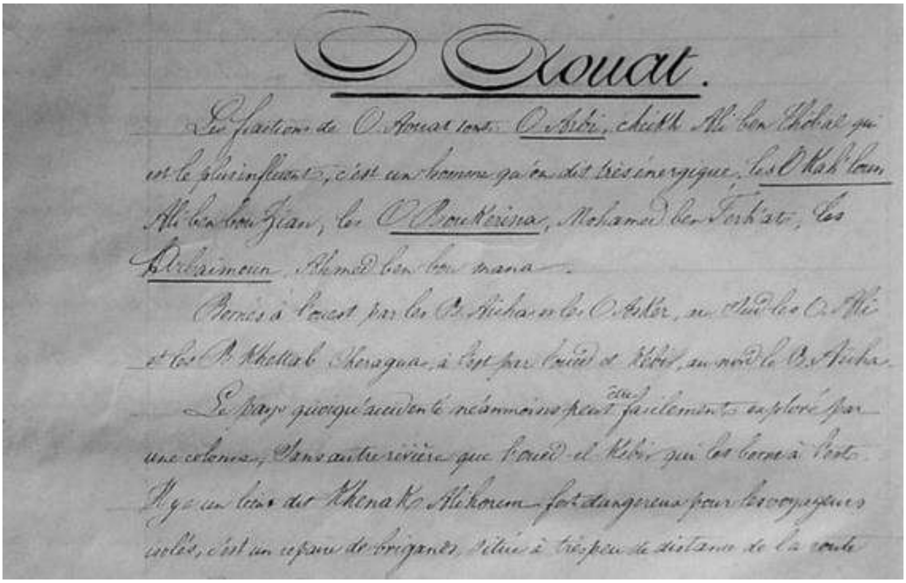

O. Aouat.

Les fractions de O. Aouat sont O. Arbi, cheikh Ali ben Chebat qui est le plus influent, c'est un homme qu'on dit très énergique, les O. Kahloun Ali ben bou Zian, les O. Boukerina, Mohamed ben Ferhat, les Arbaïmoun, Ahmed ben bou mana.
Bornés à l'ouest par les B. Aïcha et les O. Asker, au Sud les O. Ali et les B. Khettab Cheraga, à l'est par l'oued el Kebir, au nord le B. Aïcha.
Le pays quoique accidenté néanmoins peut être facilement exploré par une colonne, il n'a autre rivière que l'oued el Kebir qui le borne à l'est. Il y a un lieu dit Khenak Alikorem fort dangereux pour les voyageurs isolés, c'est un repaire de brigands situé à très peu de distance de la route

مقتطف من تقرير الفرنسيين بأمر الإمبراطور نابليون عن قبيلة أولاد عواط سنة 1845م

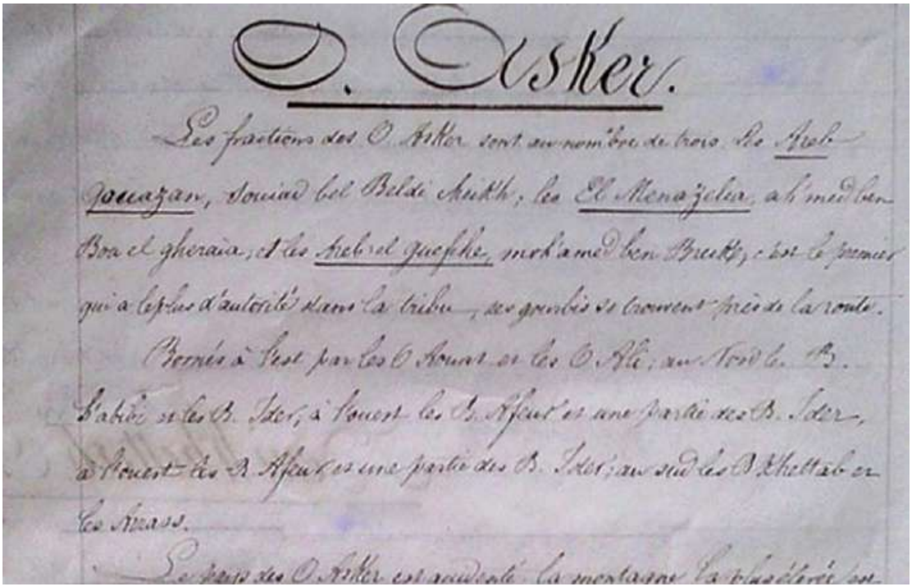
O. Asker.

Les fractions des O. Asker sont au nombre de trois. Les Areb Gouazan, Souiad bel Beldi Aiath ; les El Menazela, ah'med ben Bou el gheraia, et les Areb el guechie, moh'amed ben Brekt ; c'est le premier qui a le plus d'autorité dans la tribu, ses gourbis se trouvent près de la route.

Bornés à l'est par les O. Aouat et les O. Ali ; au Nord les B. [illegible] et les B. Ider, à l'ouest les B. Afeur et une partie des B. Ider, à l'ouest les B. Afeur et une partie des B. Ider ; au sud les B. Khettab et les Amass.

Le pays des O. Asker est [illegible] la montagne la plus élevée [illegible]

مقتطف من تقرير الفرنسيين بأمر الإمبراطور نابليون عن عرش أولاد عسكر سنة 1845م

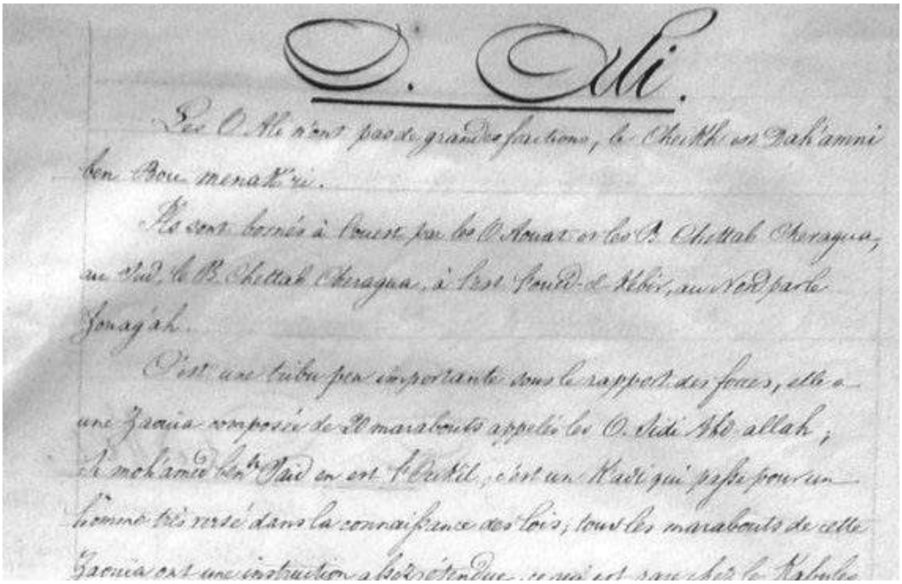
O. Ali.

Les O. Ali n'ont pas de grandes fractions, le Cheikh est Dah'amni ben Bou menak'ri.

Ils sont bornés à l'ouest par les O. Aouat et les B. Chettab Cheragua, au Sud les B. Chettab Cheragua, à l'est l'oued el Kebir, au Nord par le Jouagah.

C'est une tribu peu importante sous le rapport des forces, elle a une Zaouia composée de 20 marabouts appelés les O. Sidi Abd allah ; Si moh'amed ben Said en est l'Oukil, c'est un Kadi qui passe pour un homme très versé dans la connaissance des lois ; tous les marabouts de cette Zaouia ont une instruction assez étendue, ce qui est rare chez les Kabyles

مقتطف من تقرير الفرنسيين بأمر الإمبراطور نابليون عن عرش أولاد علي سنة 1845م

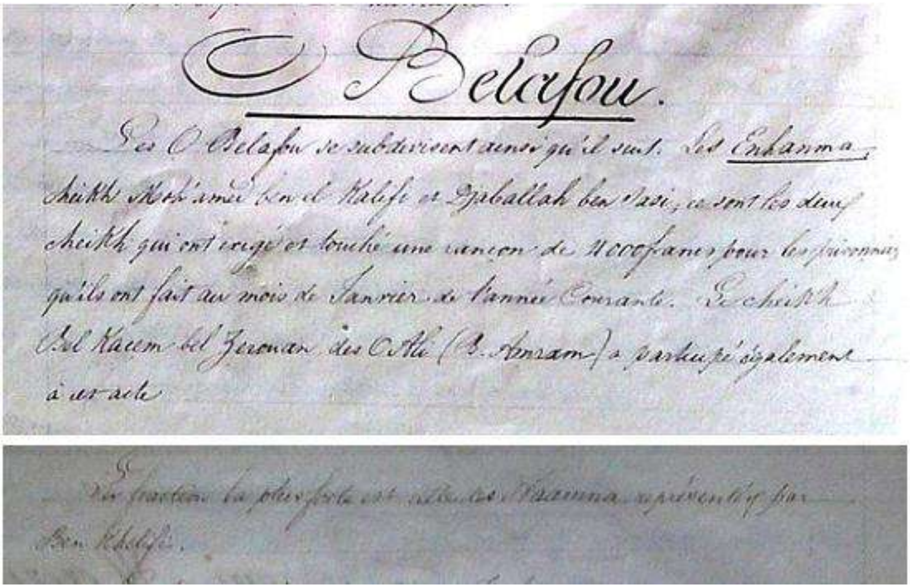

O. Belafou.

Les O. Belafou se subdivisent ainsi qu'il suit. Les Enhamma cheikh Moh'amed ben el Khalife et Djaballah ben Assi, ce sont les deux cheikh qui ont exigé et touché une rançon de 1000 francs pour les prisonniers qu'ils ont fait au mois de Janvier de l'année courante. Le cheikh Abd Kacem bel Zeroual des O. Ali (B. Amram) a participé également à cet acte

La fraction la plus forte est celle des Enhamma représentée par Ben Khalifa.

مقتطف من تقرير الفرنسيين بأمر الإمبراطور نابليون عن قبيلة أولاد بلعفو سنة **1845**م

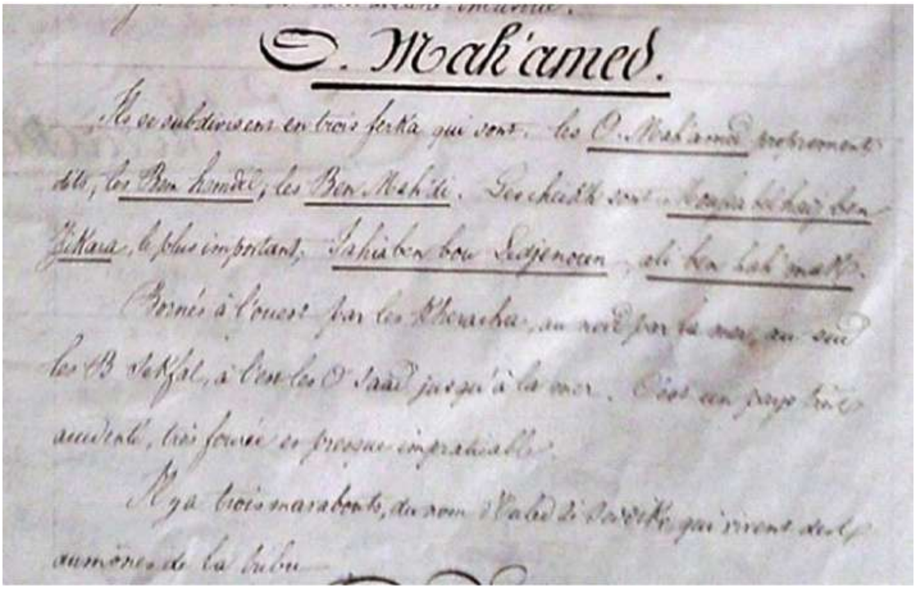

O. Mah'amed.

Ils se subdivisent en trois ferka qui sont: les O. Mah'amed proprement dits, les Ben Hamdel, les Ben Mah'ili. Les cheikh sont Moussa bel hadj ben Zikara, le plus important, Sahia ben bou Sedjenoun, Ali ben bel mahdi.

Bornés à l'ouest par les Khenacha, au nord par la mer, au sud les B. Saffal, à l'est les O. Saad jusqu'à la mer. C'est un pays très accidenté, très boisé et presque impraticable.

Il y a trois marabouts, du nom d'Ouled Si Sadok, qui vivent des aumônes de la tribu

مقتطف من تقرير الفرنسيين بأمر الإمبراطور نابليون عن قبيلة أولاد محمد سنة **1845**م

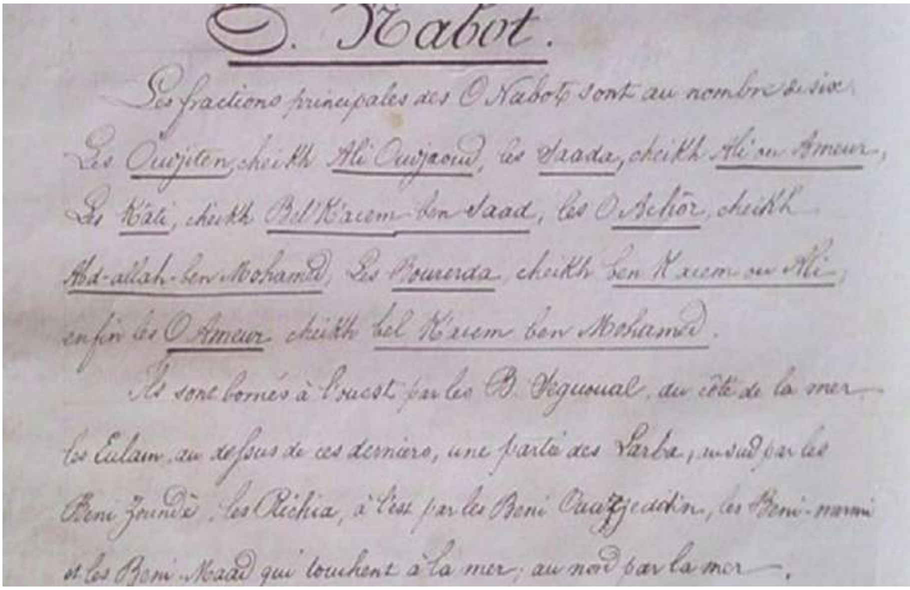
O. Nabot.

Les fractions principales des O. Nabots sont au nombre de six. Les Ouzjiten, cheikh Ali Ouzjaoud, les Saada, cheikh Ali ou Ameur, les Kali, cheikh Bel Kacem ben Saad, les O. Achôr, cheikh Abd-allah-ben-Mohamed, les Bouerda, cheikh ben Kacem ou Ali, enfin les O. Ameur, cheikh bel Kacem ben Mohamed.

Ils sont bornés à l'ouest par les B. Zeguoual, du côté de la mer, les Eulam au dessus de ces derniers, une partie des Zarba, au sud par les Beni Zoundi, les Richia, à l'est par les Beni Ouatzjeddin, les Beni-marni et les Beni Maad qui touchent à la mer, au nord par la mer.

مقتطف من تقرير الفرنسيين بأمر الإمبراطور نابليون عن قبيلة أولاد نابت سنة 1845م

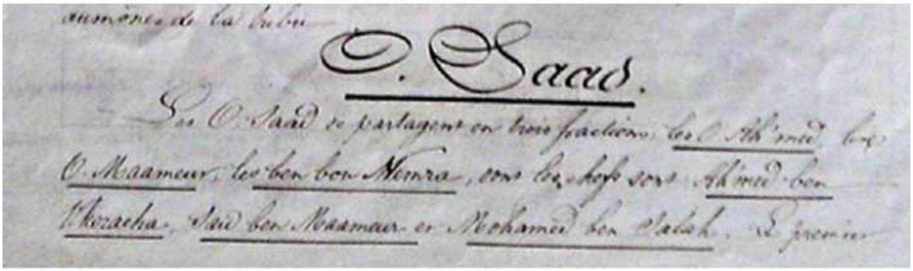
aumônes de la tribu

O. Saad.

Les O. Saad se partagent en trois fractions, les O. Ah'med, les O. Maameur, les ben bou Nemra, ont les chefs sont Ah'med ben Kozacha, Saïd ben Maamour et Mohamed ben Salah. Le premier

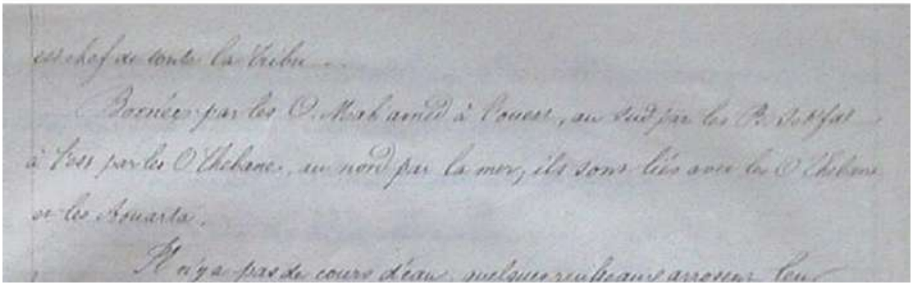
est chef de toute la tribu.

Bornée par les O. Mah'amed à l'ouest, au sud par les B. Joffat, à l'est par les O. Chebane, au nord par la mer, ils sont liés avec les O. Chebane et les Aouarta.

Il n'y a pas de cours d'eau, quelques ruisseaux arrosent leur

مقتطف من تقرير الفرنسيين بأمر الإمبراطور نابليون عن قبيلة أولاد سعد سنة 1845م

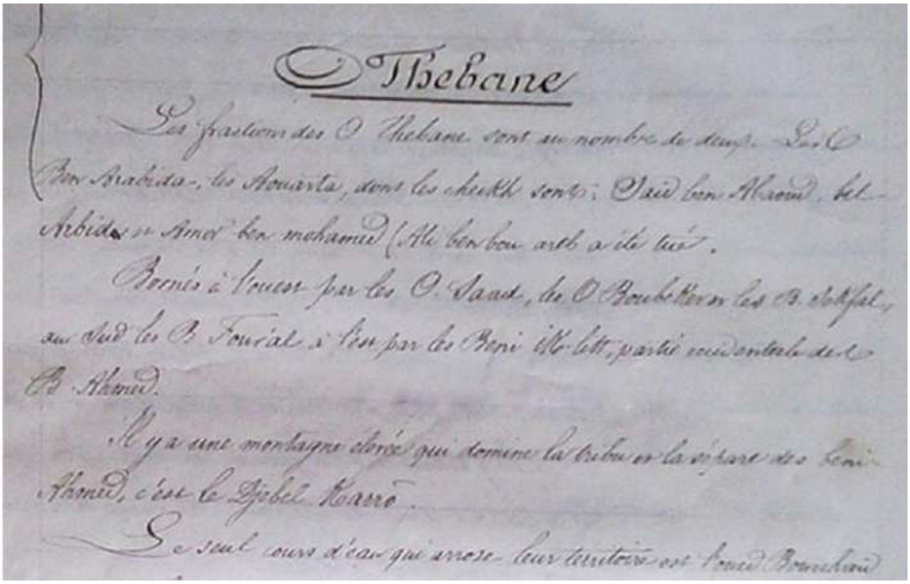

O. Thebane

Les fractions des O. Thebane sont au nombre de deux: Les O. Ben Arabida, les Aouarta, dont les cheikh sont: Saïd ben Ahmed bel Arbida et Amor ben mohamed (Ali ben bou arth a été tué).

Bornés à l'ouest par les O. Saad, les O. Boubekeur et les B. [illegible], au sud les B. Fourial, à l'est par les Beni [illegible], partie occidentale des B. Ahmed.

Il y a une montagne élevée qui domine la tribu et la sépare des beni Ahmed, c'est le Djebel [illegible].

Le seul cours d'eau qui arrose leur territoire est l'oued [illegible]

مقتطف من تقرير الفرنسيين بأمر الإمبراطور نابليون عن قبيلة أولاد تبان سنة 1845م

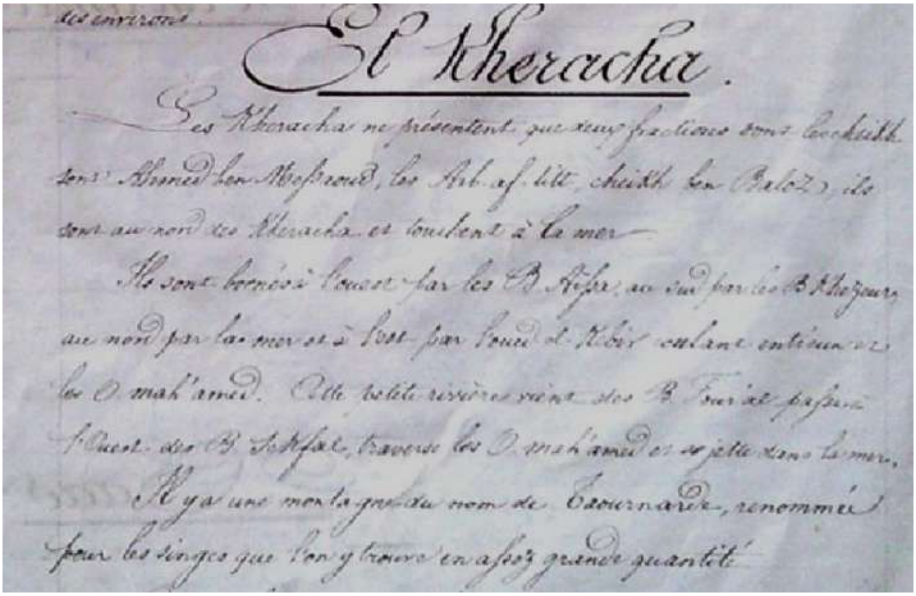

des environs.

El Kheracha.

Les Kheracha ne présentent que deux fractions dont les cheikh sont Ahmed ben Messaoud, les [illegible] cheikh ben [illegible], ils sont au nord des Kheracha et touchent à la mer.

Ils sont bornés à l'ouest par les B. [illegible], au sud par les B. [illegible], au nord par la mer et à l'est par l'oued el Kebir coulant entre eux et les O. mah'amed. Cette petite rivière vient des B. Fourial passe à l'ouest des B. [illegible], traverse les O. mah'amed et se jette dans la mer.

Il y a une montagne du nom de [illegible], renommée pour les singes que l'on y trouve en assez grande quantité.

مقتطف من تقرير الفرنسيين بأمر الإمبراطور نابليون عن عرش الخراشّة سنة 1845م

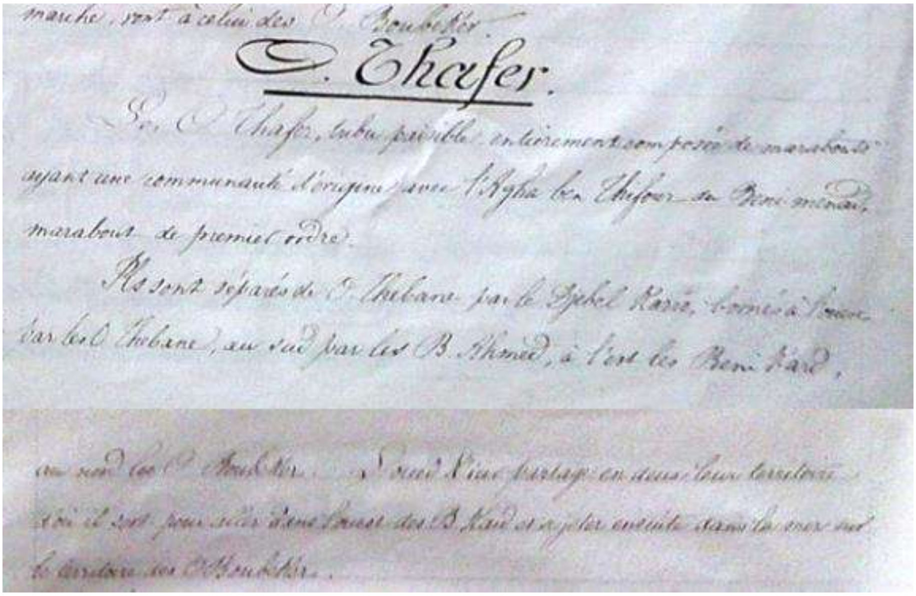
marche, sont à celui des O. Boubeker.

O. Thafer.

Les O. Thafer, tribu paisible entièrement composée de marabouts ayant une communauté d'origine avec l'Agha ben Thefour des Beni menad, marabout de premier ordre.

Ils sont séparés des O. Thebane par le Djebel Kara, bornés à l'ouest par les O. Thebane, au sud par les B. Ahmed, à l'est les Beni Raïd, au nord les O. Boubeker. L'oued [illegible] partage en deux leur territoire où il sort pour [illegible] des B. Raïd et se jeter ensuite dans la mer sur le territoire des O. Boubeker.

مقتطف من تقرير الفرنسيين بأمر الإمبراطور نابليون عن قبيلة أولاد طافر سنة 1845م

مقتطف من تقرير الإمبراطور نابليون عن عرش أولاد علي 1869م:

قبيلة أولاد علي فرع من قبيلة أولاد عيدون، فصلناها عنها لإلحاقها بقبيلة أولاد عواط، وتقع هذه القبيلة على نحو 03 كلم شرق الميلية (..) مساحة أرضهم 2740 هكتار، صودرت منها 987 هكتار (..) عدد السكان 1217 نسمة، يسكنون 284 قربي، وأهم أملاكهم زيت الزيتون إذ لهم 55 ألف شجرة منه (..) لهم 890 رأسا من البقر و1530 رأسا من الغنم والماعز (..) تشغل قبيلة أولاد علي دوارًا واحدا يسمى (واد آدّار)، وذلك اتقاء تسميتهم بأولاد علي المنتشر في كل مكان...

حرر في باريس 26 أكتوبر 1869م

إمضاء الوزير كاتب الدولة للحروب لوبوك

مقتطف من تقرير الإمبراطور نابليون عن قبيلة بني بلعيد 1866م:

تبعدُ قبيلة بني بلعيد بنحو 40 كلم غرب الميلية، ويحدها من شمالا البحر، وجنوبًا الجبالة وبني مسلم، وغربا الجناح وشرقا بني فرقان، وهم مجاورون لقبيلة بني مسلم، وبينهم تزاوج وتصاهر، تبلغ مساحة أرضهم 4151 هكتار، وعددهم 1252 نسمة، ومن مغارسهم الشعير والذرى الصفراء والبيضاء...

حرر بباريس 27 أكتوبر 1866

إمضاء ماريشال راندو

مقتطف من تقرير الإمبراطور نابليون عن قبيلة مشاط 1869م:

تقع قبيلة مشاط على بعد 16 كلم عن مدينة الميلية (..) حسب الرواية الجمعيّة المتناقلة عند أهل القبيلة منذ القديم، فإن الجد الأول لقبيلة مشاط قدم من المغرب قبل اليوم بنحو أربعة قرون (..) والمشاطيون بطبيعتهم محاربون، فقد كانوا في صراع دائم مع المحيطين بهم (..) تحصي القبيلة 1889 نسمة يسكنون 289 قربي...

حرر بباريس 03 فيفري 1869

إمضاء ماريشال فرنسا نابيل ع/نابليون

مقتطف من تقرير الإمبراطور نابليون عن قبيلة أولاد عطية 1867م:

يتصل نسب قبيلة أولاد عطية بأصول عربية وبربرية، وقد انتقلت هذه القبيلة إلى جبال القل فرارًا من هجنة الصراع الدائر في المجالات السهلية بين أفاريق عرب هلال وقبايل البربر، ثم هجرت فروع كثيرة منهم جبال القلّ على زمن الأتراك، ونزلت قريبًا من التوميات والكنتور الواقعة بين الحروش والسمندو، ومن بقي منهم اعتصم بالجبال المطلة على البحر (..) وتتشكل قبيلة أولاد عطية من ثلاثة فروع: أولاد جامع، أولاد جازية، الزيابرة (..) عددهم 3514 نسمة، ويسكنون في 690 قربي...

حرر بباريس 07 جويلية 1867

إمضاء نابليون

مقتطف من تقرير الإمبراطور نابليون عن قبيلة الأعشاش 1866م:

تقع قبيلة الأعشاش غرب مدينة القلّ، بينها وبين القل نحو 03 كلم، ويحدها شمالا البحر، وغربا وجنوبا قبيلتا بني حمادوش وبني إسحاق تفرق بينهم جبال عالية وشعاب غاتية، وشرقًا بني معزوز (..) وجدنا تسمية الأعشاش في كثير من القبايل، ومنهم الأعشاش الموجودن قريبا من الميلية، لذلك غيّرنا تسميتهم إلى (سيدي عاشور)، وهو شيخ مرابط معروف عندهم، قبته على قمة جبل يتوسط القبيلة...

حرر في باريس 05 ديسمبر 1866

إمضاء نابليون

مقتطف من تقرير الإمبراطور نابليون عن قبيلة بني توفوت 1891م:

تقع قبيلة بني توفوت جنوب القل وليس بينهما سوى كيلومترات قليلة (...) عدد سكانها 9875 نسمة، وعن أصولهم، تدّعي مشيخة القبيلة أنهم نسل مهاجر مغربي يسمى عبد الله المتوفى ولذلك تسموا ببني توفوت، ولعل جزءا منهم ينتمي إلى القبيلة البربرية الضخمة آيت دمر التي ذكرها ابن خلدون (...) وقد قسمت قبيلة بني توفوت إلى ثلاثة دواوير: بني زيد، آل زقار، الوجة...

حرر بالجزائر 20 أكتوبر 1891

إمضاء الوالي العام كامبو

مقتطف من تقرير الإمبراطور نابليون عن قبيلة بني فرڤان 1867م:

يرجع أصل (بني فرڤان) إلى عرش زمورة قرب مدينة برج بوعريريج، وقد نزل أفراد العرش بناحية (وادي الزهور) على بعدِ 50 كم غرب القل. تقدر مساحة أرض القبيلة بـ 4912 هكتارا، ويقدر عدد سكانها بـ 1581 نسمَة، يسكنون 333 كوخًا، ولهم 400 حصان وبغل و50 حمار، 1092 رأسًا من البقر، 2200 رأس من الغنم والمعز، 100 خلية نحل، ويحرثون بـ 195 محراثا...

حرر بباريس 20 جويلية 1867

إمضاء نابليون

مقتطف من تقرير الإمبراطور نابليون عن قبيلة الجبالة 1869م:

يعود الجبالة ـ واسمهم أيضا أولاد بوفاهة ـ إلى أصل بربري، عاشوا مستقلين عن حكم العثمانيين الأتراك، وعند بداية احتلال الفرنسيين سنة 1947م دخلوا تحت قيادة بورنان بن عز الدين قائد زواغة (..) تبلغ مساحة أرضهم 3090 هكتارا (..) وتحصي الجبالة 1204 نسمة، يسكنون في نحو 130 ڤربي..

حرر بباريس 27 أكتوبر 1869

إمضاء الكاتب العام لوزارة الحرب بوڤي

مقتطف من تقرير الإمبراطور نابليون عن قبيلة بني خطاب الغرابة 1867م:

تقع بني خطاب جنوب شرق مدينة جيجل، وسميت بهذا الاسم نسبة إلى جدها الأول خطاب الذي جاء من المغرب، ونظرا لقوته ووجاهته انضمت إليه بعض العائلات من القبايل المجاورة، وبعضها جاءت من الصحراء، وبذلك تكونت العشائر المعروفة اليوم بشناتقة وأولاد عمر وأولاد الحسن، وفي الجنوب توجد عشيرة تازية.

حرر في باريس 20 نوفمبر 1867م

إمضاء الامبراطور نابليون

مقتطف من تقرير الإمبراطور نابليون عن قبيلة بني خطاب الشراقة 1868م:

تقع هذه القبيلة جنوب شرق ملحقة الميلية (..) قبيلة بني خطاب تعود إلى أصول بربرية وعربية وتضم اثنتا عشر مشتى يبلغ عدد أهلها 5703 نسمة (..) ولكونها قبيلة كبيرة قسمت إلى ثلاثة دواوير: دوار أولاد يحيى: الموزع في ضفتي وادي خفشة، وهو الأكبر والأكثر فقرًا، دوار أولاد رابح: الموزع في ضفتي وادي إتري الذي يصب في الوادي الكبير، وتفصل بين الدوارين السلسلة الجبلية المسماة تافرطاس كما يفصلهما عن دوار آحميدن صخور سيدي معروف، دوار (آحميدن/آعاميدن): الموزع على ضفتي الوادي الكبير حيث الأرض الخصبة.

حرر في باريس 04 مارس 1868م

إمضاء الامبراطور نابليون

مقتطف من تقرير الإمبراطور نابليون عن قبيلة بني سيار 1868م:

تقع أرض بني سيار ببلدية الطاهير المختلطة، وتبعد عن مدينة جيجل بـ20 كلم (..) حسب ما يروى، لم تكن مجالات بني سيار آهلة قبل الفتح الإسلامي، وفي حوالي القرن 15م جاء رجل من ناحية الجنوب ونزل بالمنطقة وكان اسمه (سيار) فنسل منه هؤلاء (بني سيار)، وقبل يومنا هذا بنحو 150 سنة، نزلت بالمنطقة أسرة مرابطية تركية تعرف بـ(ابن فاضل) وأسست زاوية وسط القبيلة.. جنس بني سيار خليط من البربر والعرب والأتراك، ويعسرُ التمييز بين هذه المكونات، عدا أن الدم العربي هو الغالب فيهم بالرغم من أن لسانهم يورد بعض المفردات الأمازيغية...

حرر في باريس 1868م

إمضاء الامبراطور نابليون

مقتطف من تقرير الإمبراطور نابليون عن قبيلة أولاد عواط 1867م:

يحتل عرش أولاد عواط ضفتي الوادي الكبير وهو مثل الأعراش المنطقة لم يخضع للحكم التركي. اعترف أولاد عواط مثل أولاد عيدون بالسلطة الفرنسية في سنة 1851م وشاركوا مثلهم في ثورة 1858 التي أسفرت عن إنشاء المركزي العسكري المعروف بالميلية، وكذلك في ثورة 1860 التي تبعها قمع شديد من السلطات الاستعمارية...

حرر بباريس يوم 07 ديسمبر 1867

إمضاء الإمبراطور نابليون

مقتطف من تقرير الإمبراطور نابليون عن قبيلة بني عيشة 1868م:

تبعد قبيلة بني عيشة بنحو 20 كلم غرب الميلية وتتبعها إداريًا (...) ويروى أنها جاءت من الغرب، ولما وجدت هذه الأرض فارغة استوطنتها واستلحمت بعض الأسر من القبايل المجاورة لها (..) مساحة أرضهم 4647 هكتار، وعددهم 4578 نسمة، لهم 120 محراثا و22 حمارا و843 رأس بقر، ونحو 2000 رأس غنم وماعز (..) قسمت القبيلة إلى دوارين: المسيد وتامنجر، جعل لهما 2725 هكتار، وصودرت 1921 هكتار لتحويلها إلى أملاك الدولة وإدارة الغابات...

حرر بباريس 22 أكتوبر 1868

إمضاء نابليون

مقتطف من تقرير الإمبراطور نابليون عن قبيلة بني معمّر 1868م:

قبيلة بني معمّر مكونة من عدة عشائر اتحدت للدفاع عن أراضيها، واستسلمت للفرنسيين سنة 1854م. تمتدّ مجالاتها من شاطئ البحر عند مصب وادي النيل إلى قمّة جبل سدّات، يحدها شمالاً البحر وبني صالح، وشرقًا بني حبيبي، وجنوبًا بني يدر وغربًا أولاد بلعفو، مساحتها 4422 هكتارا، ثلثها فقط تقريبًا صالح للزراعة والباقي جبالٌ وغابات (..) تحصي القبيلة 4067 نسمة.

حرر بباريس يوم 12 اكتوبر 1868م

إمضاء نابليون

مقتطف من تقرير الإمبراطور نابليون عن قبيلة بني يدر 1895م:

عينت قبيلة بني يدر بقرار صادر في 23 سبتمبر 1890م (..) وحسب الرواية الجمعيّة فإن القبيلة أسسها شيخ مرابط مغربي لُقّب بـ(مولى الشقفة) واشتهر بالتدين، أقبل من ساقية الروم في حوالي القرن 13م، فالتف حوله سكان وادي النيل ووادي الشقفة، فاستغلت عائلته هذا الالتفاف وحافظت به على المشيخة الدينية والسلطة طوال القرون الماضية، وقد وجد الفرنسيون عند دخولهم هذه العائلة هي السيّدة الفعليّة على نحو ثمانية أعراش (..) وتقسم قبيلة بني يدر إلى دواوير مبيّنة في مدونة التقسيم البلدي الذي وضع سنة 1886م وهي: واد يرجانة، واد النيل، واد بوتناش.

حرر بباريس 23 ديسمبر 1895

إمضاء الكاتب العام ريبن

مقتطف من تقرير الإمبراطور نابليون عن قبيلة بني صالح 1868م:

قبيلة بني صالح المقيدة بالمرسوم المؤرخ في 20 جانفي 1866م (..) إن بني صالح حسب الرواية المتوارثة فرعٌ جاء قديمًا من الغرب واستقر في بازول عند أولاد بلعفو، ولكنهم طُردوا من هناك فالتجؤوا إلى المكان الذي هم فيه اليوم (..) مواطنهم تبعد 28 كلم شرق مدينة جيجل على ساحلها..

حرر بباريس 14 مارس 1868

إمضاء نابليون

مقتطف من تقرير الإمبراطور نابليون عن قبيلة بني حبيبي 1867م:

تبعد هذه القبيلة بنحو 40 كلم شرقي مدينة جيجل، تبدأ تخومها من الضفة اليسرى للوادي الكبير وتمضي ارتفاعا إلى غاية جبل سدّات (..) يدّعي شيوخها أن أصلهم من المغرب، وهم من القبايل المستقلة التي لم تدخل في حكم الأتراك، وكذلك لم يخضعوا للفرنسيين إلا بعد حملات 1851–1852، ويقدّر عددهم بنحو 2349 نسمة، يسكنون 502 دارًا (..) وتنقسم القبيلة إلى دوارين اثنين: دوار حيان الذي يتكون من ثلاثة فروع وتتناثر فيه 252 منزلا، ودوار أم غريون المتكون أيضا من ثلاثة فروع وتنتشر فيه 252 منزلاً...

حرر بباريس 04 مارس 1867

إمضاء نابليون الأول

مقتطف من تقرير الامبراطور نابليون عن قبيلة بني تليلان 1867م:

..تقع قبيلة بني تليلان على بعد 78 كلم غرب قسنطينة (..) لا يظهرُ البحث التاريخي لها أهميّة تُذكر (..) ويبلغ عدد أفرادها 2185 نسمة..

حرر في باريس 28 ديسمبر 1867

إمضاء نابليون

مقتطف من تقرير الإمبراطور نابليون عن عرش الجناح 1868م:

تقع هذه القبيلة على بعد نحو 36كلم شرق مدينة جيجل، وتنتشر على يسار مصب الوادي الكبير، وبحسب المتوارث الشفوي لأفراد القبيلة، فإن جدهم الأول بوجناح جاء من المغرب ونزل في هذا المكان الفارغ المليء بالأدغال، فاستصلحه واستثمر أراضيه، وترك فيه ولدين اثنين: بوبكر وعقيبة، وهما الفرعان المعروفان اليوم بأولاد بوبكر وأولاد عقيبة (..) عدد أفراد القبيلة 655 نسمة، يسكنون 129 كوخًا...

حرر بباريس 18 جانفي 1868

إمضاء نابليون

مقتطف من تقرير الإمبراطور نابليون عن قبيلة بني فوغال 1891م:

يقع عرش بني فوغال على بعد 60 كلم شرق مدينة بجاية (..) أصول بني فوغال مزيج من العرب والبربر، ولسانهم جميعًا عربي غير أن عاداتهم وتقاليدهم بربرية. كان لهؤلاء بني فوغال الرياسة في عهد الأتراك، وخصوصا في القرنين 17م و18م عندما أدركوا أهمية شجر الزان المنتشر في غاباتهم لصناعة السفن وبناء منازل القصبة، فكانت تعوّض لهم بأراض زراعية خصبة بعيدًا عن منطقتهم الجبلية، وخصوصًا في ناحية قالمة، إذ وجدنا اليوم قبايل وفروع لها نفس أسماء التي في جيجل...

حرر في الجزائر يوم 13 نوفمبر 1891م

إمضاء الكاتب العام للولاية العامة موريس فانيال

مقتطف من تقرير الإمبراطور نابوليون عن قبيلة بني عمران الجبلية سنة 1867م

قبيلة بني عمران الجبلية موزعة في أعالي الجبال جنوب شرق جيجل، تبعد عنها بنحو **15** كلم (..) يشاعُ أن قبيلة بني عمران تنتسبُ في رجل مغربي يدعى عمران حلّ بهذا الموضع في القرن 13م، ومن بنيه نسلت معظم أعراش القبيلة، وقبل هذه السنة 1867م بـ150 عامًا، التجأ إلى القبيلة رجل يسمى (عمار)، ولما توفيَ ترك بعده أربعة من الولد هم: (منيع) و(الحداد) و(ناصر) و(تليس)، واختص (منيع) بينهم بالفروسيّة فانقادت له قبيلة بني عمران وأصبح أميرا عليها من حينها إلى اليوم 1867م، وإذاك توارث هذا العرش القيادة إلى أن سيطر الفرنسيون علي المنطقة سنة 1851م.. عدد سكان قبيلة بني عمران 4685...

حرر في باريس 19 جوان 1867

إمضاء نابليون

مقتطف من تقرير الامبراطور نابليون عن قبيلة بني قايد 1866م:

..هذه القبيلة حدوديّة مع حاضرة جيجل المستعمرة (..) تتكون من قبيلة خمسة فروع تتربع على مساحة 3133 هكتارًا ..

حرر في باريس 28 جويليّة 1866

إمضاء نابليون

مقتطف من تقرير الامبراطور نابليون عن عرش أولاد عسكر 1896م:

تستوطن قبيلة أولاد عسكر جنوب شرق بلدية الطاهير المختلطة، وتبعدُ عنها بنحو 28 كلم... وحسبَ التاريخ المتواتر لقبيلة أولاد عسكر فإن أصلها يعودُ إلى رجل اسمه (عسكر) ترك بعده خمسة أولاد، ومنهم نسلت الأعراش الخمس المعروفة اليوم، والتي تشكل معًا دوار أولاد عسكر، ولم يصلنا شيء عن الفترة التي نزل فيها جدّهم الأول ولا الظروف التي جعلته يسكنها. ويتسمُ سكانها الحاليون بأن عرقهم مزيج بين العرب والبربر، كانوا مستقلين طوال العهد التركي، ولم يخضعوا لسلطتنا (أي السلطة الاستعمارية الفرنسية) إلا بعد 1871م (..) عددهم 2707 حسب إحصاء 1891م.

حرر في باريس 10 أكتوبر 1896

إمضاء الكاتب العام للولاية العامة

"..هذه الشواهد الرصينة المتصلة تهدم المقاربة الفرنسيّة وتحبط أتباعها، وتدحض فكرة (إعادة الاستيطان) وتسمح لنا بترجيح انحسار (الكنفدرالية الكتاميّة) إلى جبال فرجيوة وبابور وجيجل والميليّة والقلّ بعد ذهاب سيادتهم في السهول وكبار الحواضر باستثناء فروع (كنفدرالية سدويكش) التي حافظت على توزعها في منطقة ميلة والأوراس والهضاب، ثم وقوع (اسلتحام) لعناصر أخرى دخلت إلى المجال الكتامي الجيجلي في مختلف العصور التي تلت ذلك، أي فروع وعائلات وأشخاص من (روافد) كثيرة جاءت بها الأحداث السّياسيَّة والتغيرات الاجتماعية لتندمج في العنصر الكتامي وتتشكل في النهاية (بِنْيَة قَبَلِيَّة) جدّ مُعقّدة ومتمازجة وذات طابع (كُنفدراليّ) يميزه (ظُهُور كُتامة) ويصطبغ بصبغة الفرار من نسبها وادعاء غيره.."

".. ما أبأس الاعتقاد بأنّ علم الأنساب يعمل على تفكيك الجماعات البشرية المتكنفدة المتلاحمة والفصل بين عناصر بِنْيَتها وإعادتها إلى أصولها البائدة، فهذا مستحيلٌ ومن قَبِيل الوقوف في وجه ناموس إلهيّ كونيّ حتميّ هو الاختلاط!! إنما نصحّح هذا المعتقد البائس بالقول أنّ علم الأنساب هو العلم الذي يرصُد (روافد) تشكُّل (الكنفدراليَّات القَبَليّة) وحيثياته في كل عصر من العصور، حتى يتيح للناس فرصة استبصار هذا التلاحُم البشري واستثماره في تفسير الكثير من الظواهر الإنسانية ويوظف غريزتهم في الإحسان لذي القُربى أحسنَ توظيف عندما يرفعُها لدرجة القُربى الإنسانية، ويحميهم من الوقوع في (الاصطفاف) وراء نداءات التطرّف المهلك والتعصُّب المغرض والحميّة الجاهليّة، ومن العيش في عالم دون أسس يقودهم فيه الأشرار دون أن يشعروا إلى خدمة الخراب والجنون.."